

شوارتزكوف في الخليج

النص الكامل لمذكرات

شوارتزكوف

مع الوثائق والصور

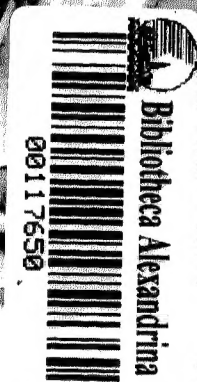
الناشرة

بقلم

نورمان شوارتزكوف

ترجمة

لبن كتاب متولي



تحت إشراف

شوارتز كوف فى الخليج

**النص الكامل لمذكرات (نورمان شوارتز كوف)
مع الوثائق والصور النادرة**

**بقلم: نورمان شوارتز كوف
ترجمة: حسام الدين كساب متولى**

إسم الكتاب : شوارتزكوف فى الخليج

النص الكامل لمذكرات نورمان شوارتزكوف

ترجمة : حسام الدين كساب متولى

الناشر : مكتبة مدبولى

الطبعة : الأولى ١٩٩٣

قبل أن تقرأ هذه المذكرات المهمة

* نود من القارئ العربي الذى يطالع ترجمتنا هذه لمذكرات شوارتزكوف التى سبق نشرها بالانجليزية تحت عنوان «الأمر لا يحتاج إلى بطل»، الآتى:

أولاً : إننا لم نقم بترجمة الجزء الخاص بقصة حياة نورمان شوارتزكوف، ومعاركه فى بنما وجرينادا، وهو جزء يصل إلى ما يقرب من نصف المذكرات، ولكنه لا يعيننا كثيراً، ولذلك فقد اكتفينا بترجمة الجزء الخاص «بأزمة الخليج» وبخرب الخليج التى لعب فيها شوارتزكوف الدور الرئيسى والخطير.

ثانياً: تعمدنا لى تكون ترجمتنا جديدة ومنفردة بين الترجمات المختلفة لكتاب شوارتزكوف، أن نضع تبويبا جديداً وعناوين لكل باب من أبواب الكتاب، هذا مع لغة أدبية سهلة لعقل وثقافة القارئ العربى.

ثالثاً: ولقد تعمدنا أن نقدم لهذه المذكرات بتقنيتم منوسع أسميناه «مقدمة الطبعة العربية»، وأرفقنا فى النهاية مجموعة من اللاحق والوثائق الجديدة والهامة؛ فضلا عن ملحق الصور النادرة.

إنها ترجمة أمينة ودقيقة، حاولنا أن نقدمها بشكل جديد ومتميز آمين أن تقيد وأن تسد نقصا فى المكتبة العربية.

«المترجم»

فهرس بالمحتويات

الموضوع

مقدمة الترجمة العربية:

الباب الأول: العمل في البنتاجون والطريق إلى العراق.

الباب الثاني: الشرك الأمريكى للعراق.

الباب الثالث: طلائع القوات الأمريكية والتنسيق السرى.

الباب الرابع: القدوم إلى أرض المملكة: لقاءات وتجهيزات كبرى.

الباب الخامس: الخطط السرية للحرب القادمة من:

«الرعد الرشيك إلى عاصفة الصحراء».

الباب السادس: ما قبل الحرب مباشرة.

الباب السابع: بدء الحرب والحملة الجوية.

الباب الثامن: الحرب هى العلاج.

الباب التاسع: الحرب البرية ووقائعها السرية.

الباب العاشر: المفاوضات فى صفوان.

الخاتمة: تساؤلات.

قسم الملاحق

قسم الصور النادرة

مقدمة الترجمة العربية

الخليج: أزمة.. كل الأطراف

كانت حرب الخليج الثانية هي قمة الصراع الدرامى بين القوات الغربية والعربية المتحالفة معها، وبين قوات صدام حسين الغازية للكويت منفردة. وكان للصراع الدرامى أبعاده وانعكاساته المؤثرة على مجمل انحاء المعمورة وليس في عالمنا العربى فقط، رغم أن هذا العالم العربى قد عانى - منفردا - بما قيمته « ٦٢٠ مليار دولار» خسائر من هذه الحرب. ولأن الحرب والأزمة الخليجية برمتها قد أحدثت اثارا مزعجة، لذا رأينا أن نسبق الترجمة العربية الكاملة لمذكرات شوارتزكوف بتقديم مطول نستعرض فيه أبعاد ودلالات وحقيقة ما حدث في هذه الحرب وقبلها وبعدها، وذلك من خلال المحاور التالية:

أولا: موقف أبرز الدول العربية من الأزمة والحرب: سوريا وليبيا كنموذج.

ثانيا: موقف أبرز القوى الغربية من الحرب: الولايات المتحدة وبريطانيا كنموذج.

ثالثا: حرب الخليج وتلوث البيئة.. حقائق مذهلة..

رابعا: حقيقة أوضاع الكويت بعد عامين من الغزو.

وبتفصيل هذه المحاور (١) يستبين الإتي:-

أولا: موقف أبرز الدول العربية من الأزمة والحرب: سوريا وليبيا كنموذج.

(١) سوريا:

ذكرت وكالة الأنباء السوفيتية الرسمية (١/٢٠) ما يأتى:

(١) استندنا في تغطية هذين المحورين على ما تناولته وكالات الأنباء والصحف العالمية والعربية، فضلا عن التقارير الصادرة عن الهيئة العامة للاستعلامات.

- لن يستطيع أحد استدراج الأمة العربية نحو الهاوية ونحو الانتحار بدون داع، وبخاصة حاكم بغداد الذي تكشفت أكاذيبه للشعب العراقي كله وللشعب العربي.

إن العروض الكاذبة للنظام العراقي تستهدف تضليل العرب وستر جريمة غزوه للكويت تحت لافتات تحرير فلسطين. ولكن العرب لن تنطلي عليهم هذه الأوهام، لأن من يرغب في إعادة حقوق الشعب الفلسطيني لا يقوم بتشريد الشعب العربي.. ولا يطعن التضامن العربي في ظهره.

- ندد رشيد اختريني - عضو القيادة القطرية لحزب البعث السوري ورئيس مكتب المنظمات بالقيادة - بمواصلة النظام العراقي لتعنته واستهتاره بكل القوانين والمواثيق الدولية ومواصلته حربه، التي تعتبر أخطر حرب وقعت في العالم بعد الحرب العالمية الثانية من حيث حجم القوات وجنسياتها ونوعية العتاد والأسلحة المستخدمة، وحجم الدمار والضحايا البشرية التي خلفها هذه الحرب. وقال المسئول السوري في كلمة نيابة عن الرئيس حافظ الأسد في حفل افتتاح المؤتمر العام السابق للاتحاد العام للجمعيات الحرفية في سوريا (٢٣/١):

أ- «أن السلوك المشبوه للنظام العراقي والذي أسفر عن إنهاك الوطن العربي وتبديد طاقاته في معارك مفتعلة، يثير الفرقة على الساحة العربية ومستقبلها».

ب- إن هذا النظام أشعل من قبل الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثمانى سنوات، فبدد طاقات مالية وبشرية هائلة للعراق والأمة العربية في غير موضعها الصحيح، حيث تركت أسوأ الآثار على القضية الفلسطينية وخلقت شروخا عميقة في بنيان الأمة.

ج- إن حاكم بغداد الذي وصل إلى طريق مسدود، لم يوقظه هول الكارثة بعد، وبدلاً من أن يتحمل وحيه ثمين ما جنت يده يحاول توسيع دائرة النار لتلتهم بلداناً عربية أخرى، وليورط الأمة العربية جمعاء في حرب لم تختَر زمانها ومكانها ولا أهدافها.

– نقلت وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية عن نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام (٢٣/١) قوله: «إن الحرب ضد إسرائيل لن تقع إلا في حالة وقوف الجيش العراقي بأكمله إلى جانبنا في مواجهة العدو الصهيوني، وفي الوقت الراهن فإن العراق مشغول بالكويت».

– أكد محمد سلمان وزير الإعلام السوري أن القرار في موضوع الصراع العربي الإسرائيلي هو قرار عربي، وليس من حق أي بلد عربي الانفراد بأى عمل يتعلق بهذه القضية القومية، وأضاف الوزير السوري (٢٤/١):

– «إنه إذا كانت الحكومة العراقية جادة في أن يكون لها دور في الصراع العربي الإسرائيلي فقد كان عليها تجنب غزو الكويت والمساهمة في الجهود التي كانت تبذل لإزالة الخلافات العربية للتوصل لتحقيق تضامن عربي».

– قال الدكتور محمد زهير مشاركة – نائب الرئيس السوري – في مقال نشرته صحيفة البعث السورية (٣-٢):

أ – إن الحرب المدمرة في الخليج دخلت أسبوعها الثالث بينما لا يزال طاغية بغداد رافضاً لكل نداءات السلام، ضارباً عرض الحائط بكل القيم العربية والإسلامية والإنسانية التي يحلو له أحياناً التشديق بها.

ب – إن طاغية بغداد لو كان معنياً بقضية فلسطين، لما بدد إمكانيات عسكرية واقتصادية وبشرية للعراق وإيران في حرب قذرة، لم تخدم سوى مصالح أعداء الأمة العربية، ولما غدر بشعب الكويت واستباح حرماً بلداً مسالماً.

٢ – رؤية الحرب من جانب التحالف:

– قال رئيس البرلمان السوري (٢٣/١): «إن العراق رفض كل مساعي السلام وأصر على دفع شعبه إلى الدمار. وأضاف: إن سوريا وكل الدول لا يمكن أن توافق على احتلال دولة لدولة أخرى وضمها إليها».

— أعلن وزير الخارجية السوري فاروق الشرع عقب لقائه بوزير الخارجية اليوناني أن ما يجري حالياً هو حرب في الخليج وليس نزاعاً عربياً إسرائيلياً (١/٢٦):

— أكد السيد محمد سلمان وزير الإعلام السوري لمراسلي عدد من الصحف الأوروبية (١/٢٧) أن الحرب الدائرة في الخليج هي بين العراق ومجلس الأمن وليست بين المسلمين وغير المسلمين، مشيراً إلى أن القوات المسلحة هي التي تنفذ الآن قرارات الأمم المتحدة، وأن الجامعة العربية لن تستطيع القيام بأى دور في حل الأزمة الراهنة ما لم يغير العراق موقفه وينسحب من الكويت.

— أعلنت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية السورية برئاسة نائب رئيس الجمهورية زهير مشارقة (٢/٥) أن سياسة التعنت والمكابرة وعدم الاستجابة لجميع المبادرات والابتعاد عن الشعور بالمسئولية تجاه شعب العراق وجيشه، أدت إلى هذه الحالة.

المشاركة العسكرية السورية:

١— أهداف سوريا من المشاركة العسكرية:

قال محمد سلمان وزير الإعلام السوري (١/٢٢) في مقابلة مع راديو مونت كارلو ما يلي:—

* إن هناك قراراً لمجلس الأمن الدولي يسمح للطرف المعتدى عليه والدول الأخرى بأن تزيل العدوان.

* إن سوريا ملتزمة بقرارات القمة العربية والأمم المتحدة.

— قال فاروق الشرع وزير خارجية سوريا في مؤتمر صحفي (٢/٧):

* إن القوات السورية متواجدة الآن في السعودية للدفاع عنها وهي تحت القيادة السعودية وتحت قيادة الملك فهد، وأن اللجنة السعودية السورية المشتركة سوف تجتمع في دمشق بعد عشرة أيام.

* إن وقف إطلاق النار على ساحة العمليات العسكرية بين العراق ودول التحالف الدولي لن يتم إلا بعد انسحاب العراق الكامل وغير المشروط من الكويت.
أدى العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري بحديث لصحيفة النجم الأحمر الناطقة بلسان وزارة الدفاع السوفيتية (٨/٢) جاء فيه:

إن الهدف الوحيد للقوات السورية - ضمن قوات الحلفاء - هو الدفاع عن السعودية، حيث توجد الأماكن الإسلامية المقدسة.

- أكدت سوريا مجددا موقفها الثابت بشأن رفض الاحتلال العراقي للكويت، والمطالبة بضرورة انسحاب القوات العراقية منها كخطوة أساسية لتحقيق السلام والاستقرار في الشرق الأوسط.. جاء ذلك على لسان السيد عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري خلال اجتماع عقده القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم في سوريا، وهو الحديث الذي ألقى في (١١/٢) وتضمن ما يلي:

أ - إن صدام حسين ارتكب جريمة احتلال الكويت ضاربا عرض الحائط بكل المواثيق والأعراف الدولية، مشيرا إلى أن ضم الكويت بالقوة يعطى المبرر لإسرائيل لمواصلة نهجها العبدواني والتوسعي ضد الشعب الفلسطيني.

ب- إن أي حل للأزمة الجالية في الخليج لا بد وأن يتضمن انسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية إليها.

ج- إن سوريا أرسلت قوات إلى منطقة الخليج استجابة لنداء الأشقاء، مشيرا إلى أن هذه القوات تقوم بواجبها القومي دفاعاً عن الأشقاء في الخليج.

٢- حجم القوات السورية:

بلغ عدد القوات السورية المشاركة في حرب تحرير الكويت ١٩ ألف جندي، تضم عددا من القوات الخاصة، وينتمي معظمهم للفرقة المدرعة التاسعة التي قوامها ١٥ ألف جندي، وتدعمهم ٢٧ دبابة (تي-٦٢) بالإضافة إلى ألفي جندي بدولة

الإمارات العربية المتحدة أرسلتهم سوريا ضمن القوات العربية المتواجدة هناك.

٣- مشاركة القوات السورية في الحرب البرية لتحرير الكويت:

- صرح العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري في حديث لصحيفة الفيجارو الفرنسية (١٨ / ٢) بأن الحرب البرية لن تستمر فترة طويلة، وأضاف أنه مقتنع بأن القوات السورية التي تعمل مع قوات المملكة العربية السعودية يمكنها هزيمة العراق.

- أجرى الرئيس حافظ الأسد (٢٨ / ٢) اتصالا هاتفيا مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، واتصالا هاتفيا مع الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت، ودار الحديث خلال الاتصال حول المرحلة السابقة والتطورات التي جرت خلالها. وجرى التعبير عن الارتياح لعودة الكويت وانتهاء القتال، كما جرى التعبير عن الأسف الشديد للخسائر التي وقعت والتي كان يمكن تفاديها، وجرى التأكيد على ضرورة استخلاص الدروس والعبر مما جرى والإعطاء بها في المستقبل، وقدم الرئيس الأسد التهنئة إلى الشيخ جابر الأحمد.

- أكد محمود الزعبي رئيس مجلس الوزراء السوري خلال استقباله الشيخ ناصر صباح الأحمد الجابر وأحمد عبد العزيز الجاسم سفير الكويت بدمشق، أكد أن سوريا - بقيادة الرئيس الأسد - تنطلق دائما من منطلقات قومية ومبدئية ثابتة، وفق رؤية سياسية صائبة في جميع مواقفها على الساحتين العربية والدولية، وهي تعمل دائما وفي جميع الظروف على تعزيز التعاون والتضامن العربي في سبيل تجسيد المصلحة العليا للأمة العربية.

٤- التحرك السياسي السوري إبان الحرب:

أ- تحرك داخلي:

- أعلنت وزارة الأوقاف السورية في بيان (٢٠ / ١) باسم العلماء والخطباء السوريين أن موقف النظام العراقي وما سببه من اشتعال الحرب المدمرة في

الخليج، لا يمت إلى الإسلام بصلة بل هو الجاهلية بعينها. وأضاف البيان أن لجوء الرئيس العراقي إلى اتخاذ الشعارات الإسلامية كمسوغ لفعلته التي يدعيها على أساس ديني، ما هو إلا محاولة مفضوحة يستنكرها ديننا الحنيف ويبرأ من فاعلها، وهى لعبة إجرامية وخاسرة جر النظام العراقي من خلالها العراق وجيشه وشعبه إلى أتون حرب ظالمة لا يريد من ورائها إلا تورط الأمة العربية والإسلامية وإصابتها بأفدح الأخطار والويلات التي لا تمت إلى القيم الوطنية والقومية والشرعية بصلة.

- استعرض مجلس الوزراء برئاسة محمود الزعبي (١/٢٩) آخر التطورات السياسية المتعلقة بأزمة الخليج والعمليات الحربية الدائرة فيه. وقد أكد المجلس من خلال هذا الاستعراض على مسئولية الرئيس العراقي - بتعنته المستمر وعدم انسحابه من الكويت - عن كل ما يصيب الشعب العراقي من معاناة ودمار.

- عقدت القيادة المركزية للجهة الوطنية الديمقراطية اجتماعا (٢/٣) برئاسة الدكتور محمد زهير مشاركة نائب الرئيس السوري، استعرضت خلاله آخر التطورات المتعلقة بالحرب المدمرة في الخليج، ووجدت أن سياسة التعنت والمكابرة التي ينتهجها النظام العراقي، وعدم الاستجابة إلى جميع المساعي العربية والإقليمية والدولية التي بذلت لتجنيب العراق هذه الكارثة، والابتعاد عن الاحتكام إلى المنطق والعقل، والشعور بالمسئولية تجاه شعبنا وجيشنا في العراق، وعدم التجاوب مع قرارات المجتمع الدولي القاضية بضرورة الانسحاب العراقي من الكويت، هي التي أدت إلى هذه الحالة التي يدفع ثمنها عراقنا الحبيب - شعبا وجيشا - من طاقات اقتصادية وقدرات عسكرية كان يمكن أن توضع في مكانها الصحيح على طريق التصدي للاحتلال الإسرائيلي وسياساته العدوانية التوسعية.. ووجدت القيادة المركزية في هذه الكارثة التي حلت بالعراق ما يدمى قلب كل مواطن عربي، وناقشت القيادة مجمل المبادرات السياسية التي بذلت مؤخرا - وما زالت تبذل - من جهات متعددة، إنقاذا للعراق وصونا لجيشه

وشعبه. ووجدت أن إخفاق المبادرات إنما يعود إلى استمرار النظام العراقي في سياسته القائمة على المغامرة بمقدرات العراق والأمة العربية، والاستهتار بكل القيم الوطنية والقومية، وعدم الاستجابة لصوت العقل والحكمة والشعور بالمسؤولية، الذي تجسد في المبادرة التي أطلقها الرئيس الأسد، والتي كان يمكن - فيما لو وجدت عقلا قادرا على استيعاب معانيها القومية - أن تمنع وقوع الكارثة. وحللت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية النتائج التي ترتبت على هذه السياسة الخرقاء التي ينتهجها النظام العراقي، وركزت على المكاسب الكبرى التي حققها العدو الإسرائيلي على جميع المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ووجدت في هذه المكاسب مخاطر حقيقية تهدد الأمن القومي العربي، وحذرت القيادة من مغبة استغلال إسرائيل وبعض الجهات الدولية لسياسة النظام العراقي بما يؤدي إلى استفحال الأخطار التي تتهدد الأمة العربية.

- عقد مجلس الوزراء السوري اجتماعا (٢/٥) تم فيه استعراض الموقف السياسي العام وتوضيح آخر التطورات السياسية والحربية المتعلقة بأزمة الخليج، وأدان المجلس سياسة النظام العراقي اللامسئولة، مشيرا إلى أنها تؤدي إلى تعميق جوانب المأساة المؤلمة التي يعيشها الشعب العراقي الشقيق. وأكد المجلس أن استمرار النظام العراقي في سياسته المتعنتة واستهتاره بالقيم الوطنية والقومية إنما يؤدي - بالإضافة إلى الكارثة التي يجرها على الشعب العراقي - إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية كبرى لإسرائيل.

- عقد حزب البعث العربي الاشتراكي (٢/١٠) اجتماعا برئاسة الدكتور سليمان قداح - الأمين القطري المساعد للحزب - حضره المحافظون ورؤساء وأعضاء المكاتب التنفيذية للمنظمات الشعبية والنقابات المهنية، عرض فيه عبد الحليم خدام - نائب الرئيس السوري - مواقف سوريا من الأحداث الجارية على الساحتين العربية والدولية، وقال إن العرب واجهوا في العصر الحديث مأساتين:

الأولى إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، والثانية: الاجتياح العراقي للكويت، وأكد على موقف سوريا الراض بشدة للغزو العراقي للكويت.

ب- تحرك عربي:

- تلقى الرئيس حافظ الأسد اتصالاً هاتفياً من الرئيس حسنى مبارك (١/٢٠) تم فيه تبادل وجهات النظر حول أحداث أزمة الخليج.

- تسلم الرئيس الأسد رسالة من الرئيس مبارك (١/٢١) خلال استقباله لوزير الخارجية المصرى الدكتور عصمت عبد المجيد، وحمله رسالة خطية إلى الرئيس مبارك.

- بعث عبد القادر قدورة - رئيس مجلس الشعب السوري - برسالة إلى رئيس مجلس النواب الأردنى (١/٢٢) أكد فيها أن الرسالة التى وجهها الرئيس الأسد للرئيس العراقى كانت مبادرة لإنقاذ الموقف، دافعها خب العراق والقلق على مصير شعبنا وما يتهده من أخطار كبيرة مدمرة. وأشار فيها إلى أن المشكلة لم تبدأ يوم اجتياح الكويت وإنما بدأت عندما أعلن صدام حسين الحرب على إيران. وأضاف أن القيادة العراقية كانت تطرح وجوب مواجهة التهديدات الإسرائيلية، وتحدثت عن تحرير فلسطين وعن حرق إسرائيل، وإذا بنا نفاجاً باجتياح الكويت. وأكد أن سوريا لا تستطيع أن تقبل بمبدأ الاجتياح والضم، فهى دولة تواجه الاحتلال والضم من قبل العدو الإسرائيلى، وأن عالم اليوم لا يمكن أن يقبل هذا النهج. وتساءل رئيس البرلمان السورى قائلاً: إذا كانت الحكومة العراقية جادة فى مواجهة العدو الإسرائيلى، فهل تكون الجدية بوضع الجيش العراقى فى الكويت، وتوجيه بضعة صواريخ إلى فلسطين تجنى منها إسرائيل ثماراً. وأضاف أن الشئ الوحيد الذى يمكن أن نفعله جميعاً هو بذل الجهود لإقناع الحكومة العراقية بالانسحاب من الكويت.

- قال عبد القادر قدورة - رئيس مجلس الشعب السورى (٢/٨) - فى رسالة

وجهها لرئيس المجلس الوطنى الجزائرى:

أ- إن سوريا جاهدت فى شتى الميادين قولاً وفعلاً، ومنذ بداية أزمة الخليج - التى نجمت عن غزو العراق للكويت - كى لا تقع الكارثة المدمرة، إلا أن النظام العراقى لم يستجب إلى أى نداء، واستمر فى سياسته المغامرة الطائشة التى أوقعت بالامة العربية عدة كوارث متتالية، فأشعل حرباً فى الخليج لا هدف لها ولا قضية، فالكارثة الأصل هى غزوه للكويت والكارثة النتيجة هى وجود القوات الأجنبية فوق الأرض العربية، الذى يعتبر من الكبائر.

ب- إن المستفيد الأكبر مما يجرى الآن فى الخليج هو العدو الإسرائيلى، وإن المتضرر الأكبر هو الأمة العربية برمتها، والشعب العراقى فى المقدمة.

- عقد وزراء خارجية كل من الدول الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى وسوريا ومصر اجتماعاً يومى ١٥ و١٦ فبراير، استعرض فيه الوزراء جميع أبعاد عملية تحرير دولة الكويت الشقيقة، وأكدوا مجدداً تمسكهم بتنفيذ مقررات الشرعية العربية والإسلامية والدولية من أجل استعادة الأمن والاستقرار فى المنطقة، والتى تقضى بما يلى.

١- انسحاب العراق دون قيد أو شرط من كل أراضي دولة الكويت الشقيق.

٢- عودة الشرعية إلى الكويت.

٣- الالتزام بالتنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

٤- الالتزام بمبادئ تسوية النزاعات بين الدول بالوسائل السلمية.

وقد أصدر الوزراء بياناً تحدد فيه موقف دولهم من بيان مجلس قيادة الثورة العراقى، ولكنه يتعارض مع المبادئ والمقررات التى تبناها الوزراء فى اجتماعهم.

- عقب استقبال الرئيس الأسد للرئيس السودانى عمر البشير (٢/٢١) قال المتحدث الصحفى باسم الرئاسة السورية ما يلى:

أ- إن الحديث تناول الوضع في الخليج والجهود المبذولة لمعالجته.

ب- إن الرئيسين أكدا حرصهما على إنقاذ ما يمكن إنقاذه في الوقت الحاضر من العراق.

ج- إن الرئيس الأسد قال للرئيس السوداني إن الموقف القومي والتضامن العربي الحقيقي يتمثلان حاليا في دعوة العراق إلى الانسحاب من الكويت دون أى تأخير حتى لا يقع العراق في التهلكة.

د- إن الأسد قال للرئيس السوداني إن سوريا وجهت دعوات قومية كثيرة إلى العراق للانسحاب من الكويت، ولو كان حكام العراق استجابوا لهذه الدعوات لما وصلت الأمور إلى ما هي عليه الآن.

ج- تحرك إسلامي:

- أجرى نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام (١/٢٤) محادثات مع على أكبر ولاياتي في طهران تناولت أزمة الخليج، وقد حمل خدام عند عودته رسالة خطية للأسد من رافسنجاني.

- استقبل الرئيس حافظ الأسد (١/٢٤) رئيس وزراء باكستان وبحث معه الحرب في الخليج.

د- تحرك دولي:

- تسلم الرئيس السوري حافظ الأسد (١/١٩) رسالة من الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف.

- استقبل الرئيس الأسد (١/٢٦) وزير خارجية اليونان وناقش معه أزمة الخليج وانعكاساتها.

- أعرب الرئيس الأسد للرئيس بوش في اتصال تم بينهما (٢/٦) عن ارتياحه لعدم استهداف المدنيين والأماكن الدينية. وأكد أنه أمر جوهري أن يجرى

- العمل على تحقيق سلام عادل وشامل في المنطقة بعد أزمة الخليج.
- استقبل فاروق الشرع - وزير خارجية سوريا - وزير خارجية تركيا (٢/١١) وصرح عقب اللقاء بأن هناك اختلافا بين النظام العراقي والشعب العراقي الذي يعد ضحية للسياسة المغامرة لقيادته السياسية.
- استقبل وزير الخارجية السوري وزير خارجية ألمانيا (٢/١٤) وناقش معه أزمة الخليج.

سوريا وتداعيات الحرب

- ١- سوريا وضرب إسرائيل بالصواريخ العراقية:
- نفى مسئول عسكري في القوات المسلحة السورية المتواجدة في لبنان الخبر الذي أذاعه راديو مونت كارلو، والذي يقول إن مجموعتين من الطائرات الحربية الإسرائيلية عبرتا (١٧ / ١) سماء لبنان الجنوبي باتجاه الشرق، أي باتجاه كل من سوريا والعراق.
- أوضح وزير الإعلام السوري (١٩ / ١) أنه إذا قامت إسرائيل بالهجوم أولا على الأردن، أو إذا هاجمت إسرائيل العراق، فإن سوريا ستقف إلى جانب أي بلد عربي يتعرض للعدوان.
- صرحت وكالة الأنباء السورية الرسمية أن النظام العراقي لا يستطيع أن يخدع العرب بتوجيه حفنة من الصواريخ إلى فلسطين المحتلة، لأن هذه اللعبة لن تحرر أرضا ولن تعيد شعبا مشردا، ولكنها سوف توسع نطاق الحرب وتستدرج الدول العربية إلى الحرب، وتخدم بذلك مصالح العدو «إسرائيل» (٢٠ / ١).
- حذر السفير السوري في الجزائر عبد الجبار بهاء في حديث لصحيفة جزائرية من أنه إذا قامت إسرائيل بعمليات حربية ضد الأردن ستقف سوريا إلى جانب الأردن، وقال: إن القوات السورية منتشرة على الحدود مع إسرائيل ومستعدة لمواجهة أي مؤامرة إسرائيلية ضد الأردن (٢٠ / ١).

- ذكر عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري (١/٢٨) أن سوريا تعي وتدرك أهداف لعبة النظام العراقي لجرحها إلى الحرب وتوسيع نطاقها، وأوضح أن دمشق لن تجر إلى هذه الحرب التي يقصد منها النظام العراقي التغطية على جريمة احتلال الكويت.

- نفى مسئولون عن نائب الرئيس السوري قوله (١/٢٩) إن إسرائيل تسعى لاستغلال حرب الخليج لابتزاز الغرب، وأن تدفق المعونات على إسرائيل سيعوق مساعي السلام في الشرق الأوسط.

- أكد وزير الإعلام السوري في حديث لصحيفة الديار اللبنانية (١/١٩) أن إطلاق عدد من الصواريخ على إسرائيل لا يهدف إلى تحرير فلسطين بل إلى جر العرب إلى مذبة كبرى، وتقديم المبررات لإسرائيل لتكديس المزيد من السلاح في ترسانتها الحربية وممارسة الابتزاز السياسي والمالي والمعنوي على دول العالم.

- أكد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري في حديث لصحيفة لوموند الفرنسية (٢/٧) أن الفرحة التي شعر بها العرب عند إطلاق صواريخ سكود العراقية على إسرائيل ستتبدد، وسيحل محلها شعور بالإحباط والحزن المرير عندما سيتبين لهم بمرور الوقت - ومع بعض التفكير والتعقل - أن العراق قد أسدى خدمة لإسرائيل بأن حولها إلى ضحية.

- قال نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام في اجتماع عقدته القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم في سوريا (٢/١٠) «إن الصواريخ التي يطلقها النظام العراقي على إسرائيل قد حققت لإسرائيل كل ما كانت تسعى إليه من دعم بالمال والسلاح والتأييد الدولي.

٢- سوريا وتزويد الأردن بالنفط:

- وافقت سوريا على تزويد الأردن بالنفط (٢/٣) بعد توقف استيراد الأردن للنفط من العراق عقب القصف الجوي الأمريكي لصهاريج النفط الأردنية.

٣- سوريا وعلاقاتها مع بريطانيا:

- كشفت مصادر دبلوماسية (٢/٤) أن بريطانيا وسوريا ستعلنان عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بينهما في القريب. وقالت المصادر إن السفير البريطاني

- الجديد «اندروجيرين» سيغادر متوجهاً إلى دمشق قريباً، وقد تم لقاء بين وزير الدولة للشئون الخارجية البريطاني (٢/٤) مع القائم بالأعمال السوري في لندن الدكتور توفيق سلوم، وذكرت الخارجية البريطانية أن اللقاء تم بناءً على طلب «هوج» للباحث في تطورات الوضع في الخليج والعلاقات الثنائية بين البلدين.
- تمت عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين سوريا وبريطانيا في (٣/١٥)، وكان أول إعلان رسمي عن عودة العلاقات بين البلدين قد أعلن في ١١/٢٨/١٩٩٠، كأول قرار تتخذه حكومة «ميجور» في بريطانيا.
- ٤- سوريا وآثار الحرب على العلاقات الفرنسية العربية:
- قال العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري لصحيفة الفيجارو الفرنسية (٢/٨): إن احتمال خسارة فرنسا لجزء من العالم العربي قائم بسبب اشتراكها في الحرب، إلا أن هذا الاحتمال مؤقت.
- ٥- سوريا ولجوء الطائرات العراقية لإيران:
- قال وزير خارجية سوريا فاروق الشرع في مؤتمر صحفي بنادي المراسلين بلندن (٢/٧): إن إيران لن تفرج عن الطائرات العراقية إلا بعد أن تضع الحرب أوزارها.
- ٦- سوريا ووحدة الأراضي العراقية:
- أعربت سوريا على لسان مصدر مسئول (١/١٧) عن استغرابها الشديد لما نسبته الصحف التركية - الصادرة يوم ١/١٧ - من أقوال لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء التركي أمام مجلس النواب التركي حول وجود أطماع خارجية لدى بعض الدول في اقتطاع أجزاء من العراق خلال الحرب أو بعدها. وأكدت سوريا أن شعب العراق - كما يعرف الجميع - هو بالنسبة لسوريا شعب شقيق، وأن وحدة أراضي العراق هي قضية مقدسة بالنسبة لسوريا لا تقبل المساس بها من قبل أي جهة وفي أي ظرف من الظروف.
- نقلت وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران عن نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام (١/٢٣) قوله: إن سوريا وإيران متفقتان على ضرورة منع تمزيق العراق.

سوريا والمبادرات السلمية:

١- سوريا والبيان الأمريكى السوفيتى:

- ذكرت صحيفة الثورة السورية الرسمية (٢/١) أن البيان الأمريكى السوفيتى حول حرب الخليج يشكل مبادرة عقلانية وموضوعية، ودعت العراق إلى الاستفادة من هذه الفرصة. وذكرت الصحيفة فى أول تعليق سورى على البيان الذى صدر عن وزيرى خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، أن المبادرات السلمية - وخاصة تلك التى جاءت فى صيغة البيان السوفيتى الأمريكى المشترك - هى كلها مبادرات عقلانية وموضوعية تفتح الطريق وسط دمار الحرب أمام التسوية من جديد، وبالتالى إنقاذ العراق.

٢- سوريا وبيان مجلس قيادة الثورة العراقى بالانسحاب من الكويت:

- شككت سوريا فى نوايا الرئيس العراقى صدام حسين بالانسحاب من الكويت، ووصفت البيان العراقى بأنه غير جدى وأشبه بورقة ابتزاز مقابل مطالب تعجيزية. وقال راديو دمشق الذى يعبر عادة فى تعليقه السياسى عن الموقف السورى الرسمى (٢/١٦) ما يلى:

١- إن البيان العراقى أبعد ما يكون عن الجدية، وطغت عليه السلبية، وهو أشبه بورقة ابتزاز يلوح بها صدام حسين من خلال إمساكه بالكويت كرهينة للمساومة على إطلاقها مقابل مطالب تعجيزية... وذلك كان هو الموقف السورى العام من الأزمة والحرب وما بعدها.

(٢) ليبيا والحرب:

١- بدء الحرب:

- بعد ساعات قلائل من اندلاع الحرب وجه الأخ العقيد الرئيس القذافى برقية عاجلة (١/١٧) إلى كل من بيريز دى كويار الأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس مجلس الأمن الدولى جاء فيها: «إن الغارات الجوية على العراق يجب أن تتوقف وأن تقتصر العمليات العسكرية على أراضي الكويت وحدها، وأن الواجب والمسئولية الدولية يحتمان بذل الجهود لكى لا تتعدى العملية استرجاع الكويت، وهو ما نصت عليه بالتحديد قرارات مجلس الأمن، ويجب ألا تتعدى العمليات العسكرية

حدود الكويت، وأن تتوقف الغارات الجوية على العراق من أجل الحفاظ على السلام العالمى وتجنيب شعب العراق نتائج أعمال هو غير مسئول عنها، ومنعاً لاتساع رقعة الحرب. وعلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن أن يتحملا مسئولياتهما لكى لا يستغل الموقف فى تحقيق أهداف خاصة».

- وفى ١٧ / ١ دعا الزعيم الليبى إلى إنهاء صراع الخليج على الفور، قائلاً إنه قد يسمم العلاقات بين العرب والأمريكيين، وربما أدى إلى نشوب حرب عالمية ثالثة. وأضاف فى تصريح لشبكة تليفزيون (سى. إن. إن) الأمريكية أنه يخشى من انعكاسات العواقب الخطيرة للصراع على العرب والأمريكيين فى المستقبل، وأن الكويت يجب أن يحررها الشعب الكويتى وليس من حق القوات الأجنبية التدخل فى هذه المنطقة. وأضاف أنه يخشى من احتمال تدخل الاتحاد السوفيتى فى أى وقت، إذا عبرت قوات التحالف خطأً أحمر فى الخليج. وربما يؤدى القتال حتى إلى نشوب حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها أسلحة نووية وكيمياوية. ودعا دولاً مثل تركيا إلى الكف عن دق طبول الحرب.

٢- التحرك الليبى بشأن حرب الخليج:

١- تحرك داخلى:

- فى ١٩ / ١ قاد الزعيم الليبى مظاهرة ضخمة اشترك فيها مليون متدرب على السلاح، جابت شوارع طرابلس وقرى ومدن الجماهيرية الليبية، وطالب المتظاهرون بوقف القصف على بغداد وضرورة إيقاف الحرب فوراً، والسماح للشعب الكويتى بتقرير مصيره، واستفتاء الشعوب فى تقرير مصيرها، ونادت المظاهرات بالسلام.

- أكد الزعيم الليبى خلال لقاء مع شباب الجامعات الليبية (١ / ٢) أن العراق كان يحضّر لاحتلال الكويت منذ عشر سنوات، وأن الرئيس العراقى استغل بلايين الدولارات التى حصل عليها من دول الخليج خلال حربيه مع إيران من أجل تحقيق هدف احتلال الكويت. وقال إن إسرائيل الآن أقوى من العرب ولكن الوحدة العربية والقوة الاقتصادية والتكنولوجية كفيلة بجعل العرب قادرين على تحرير فلسطين، والجبان هو الذى يهرب حينئذ من الحرب.

- في ٢٦/١ قال الأخ العقيد «لو تعرض العراق إلى هجوم من أمريكا وهو داخل حدوده بسبب أنه يقوم ببناء نفسه، لكننا وبدون نقاش قد اصطففنا إلى جانبه ظالما أو مظلوما. وأضاف خلال لقائه مع أمناء النقابات والاتحادات والروابط المهنية «أنه عندما تقف الآن مع العراق فإنك تقف ضد شعب الكويت وضد مصر وسوريا وضد المغرب والسعودية والبحرين وقطر والإمارات، الذين هم جميعا يقاتلون في صف واحد مع الكويت».

- كذلك أكد الزعيم الليبي من جديد خلال اجتماعه بشرق ليبيا مع قادة ثلاثة أحزاب تونسية (٢/٧) - كما ذكرت مجلة الحقائق التونسية - أكد معارضة بلاده المبدئية لضم العراق للكويت بالقوة ، موضحا أنه يعارض الرئيس صدام في شن هذه الحرب. واتهم القذافي بعض الدول العربية بأنها تحاول الاستفادة من حرب الخليج، مشيرا إلى أن الملك حسين ملك الأردن يريد السيطرة على الأماكن المقدسة. وقال إنه كان يسعى لتحقيق موقف مغاربي خلال قمة الاتحاد المغربي العربي التي كان مقرر عقدها في أواخر يناير الماضي إلا أن القمة تأجلت إلى أجل غير مسمى.

ب- تحرك عربي:

- بعث الزعيم الليبي برسائل إلى الملوك العرب والرؤساء العرب، تتعلق بضرورة العمل المشترك والسريع لوقف الحرب في الخليج. وقد اقترح في رسالته - التي نقلها الراحل عبد السلام جلود خلال استقباله للسفراء العرب المعتمدين لدى ليبيا - على الملوك والرؤساء العرب أن يخاطبوا مجلس الأمن بشكل جماعي - أو من يوافق على هذه المبادرة - ليتبنى مجلس الأمن وقف الحرب فورا وإعطاء الفرصة للحل السياسي (١/٢٠).

- وفي ١٣/٢ بحث الأخ العقيد مع الرئيس مبارك بالقاهرة مضمون الأفكار العراقية الجديدة التي أبلغها المسئول العراقي سعدون حمادي إلى الأخ العقيد بطرابلس، وتضمنت هذه الأفكار عدة نقاط، أهمها: وقف القتال فورا وبدون أية شروط مسبقة، ووقف الاعتداء الأمريكي الصهيوني على الأراضي العراقية، وانسحاب جميع القوات الأجنبية من المنطقة، وإحلال قوات عربية من دول

المغرب العربي محل هذه القوات لحين البت في المسائل المتعلقة بأزمة الخليج، وطرح الحلول من خلال إطار عربي محض، على ألا يكون هناك حق لأي قوى دولية في التدخل في الحلول العربية المقترحة، وعلى أن يترك العراق للدول العربية الاتفاق على الأسلوب الملائم لتنفيذ هذا الحل، سواء من خلال قمة عربية موسعة أو قمة عربية مصغرة. وتضمنت الأفكار كذلك استعداد العراق للتقدم في خطوات سلام إذا ما وافقت القوى الدولية على حل جميع مشاكل المنطقة، وفي مقدمتها قضية فلسطين.

ج - تحرك إسلامي:

- اتصل الزعيم الليبي هاتفيا بالرئيس التركي في (١٩/١)، وتناول الاتصال ضرورة عدم السماح باستخدام الأراضي التركية في الحرب الدائرة في الخليج.

- وفي إطار التحرك الليبي على المستوى الإسلامي - لمنع توسيع دائرة الحرب - دعا الأخ العقيد في (٣٠/١) - أيضا - الشعب التركي إلى تنظيم مظاهرات احتجاجا على استخدام طائرات حلف الأطلنطي لأراضي تركيا، وقال في حديث لصحيفة تركية إنه يطلب من الشعب التركي إخراج بلاده من حلف الأطلنطي، وأن يوطد علاقاته مع العرب والاتحاد السوفيتي، وأن أمن تركيا مرتبط بجارها الاتحاد السوفيتي. وأضاف أن تركيا ارتكبت خطأ جسيما على جميع المستويات، سواء بالنسبة للسلام العالمي أو علاقاتها مع الأمة العربية أو مصالحها القومية، وذلك عندما فتحت أراضيها لطائرات حلف الأطلنطي. وأضاف أن الحكومة التركية تتحمل مسئولية تدمير مصالحها في ليبيا، وأن أزمة الكويت قضية عربية وليس من حق تركيا التدخل فيها أو السماح باستخدام أراضيها كجبهة جديدة، وأن معركة الخليج ليست معركة من أجل تحرير فلسطين، ففلسطين يجب أن يحررها الفلسطينيون وليس العراق (٣٠/١).

- وقد دعا أيضا وزير خارجية ليبيا تركيا إلى مراجعة موقفها من جديد من الحرب واتخاذ موقف الحياد على الأقل، وقال إن الموقف التركي يؤدي إلى تأجيج نار الحرب واتساع رقعتها (٢/٢).

- وفي ٩/٢ أجرى رئيس وزراء باكستان «نواز. شريف» محادثات مع المسؤولين

الليبيين في طرابلس، حث فيها الليبيين على مساندة دعوته لعقد اجتماع لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي من أجل إنهاء الحرب، وتبادل الجانبان الآراء بشأن السبل السلمية لإنهاء الحرب.

د- تحرك دولي:

- في حديث لمحطة التليفزيون البريطانية المستقلة في (١/٢٠) قال الأخ العقيد «إنه ليس بوسعي أن أتوقع أن يبقى العراق في الكويت زمنا طويلا في مواجهة هذا التحالف، ولكنه سيلحق خسائر فادحة بهذا التحالف إذا خسر الكويت. وردا على سؤال عما سيفعله صدام، قال الزعيم الليبي: لا أستطيع التفكير فيما سيفعله على وجه التحديد، ولكنه سيفعل ما يمكن أن يعمل أي شخص يتعرض للهجوم من قوات أجنبية، وسيقاتل لصد هذا العدوان لأنه يعتبر هذا عدوانا على بلاده، والشعب العراقي شعب شجاع وسيقاتل بشجاعة وشراسة. وردا على سؤال عما إذا كان سيدعم صدام عسكريا قال: كلا.. كلا، أعتقد أن العراق ليس بحاجة إلى مساعدة عسكرية من أي جهة، فلديه قدرة عسكرية كافية. وعما إذا كانت ليبيا ستدعم الإرهاب تأييدا لصدام قال: لا.. لا إنني ضد الإرهاب بكل أنواعه، ولكن هناك فرقا بين الإرهاب والنضال العادل من أجل الحرية والكرامة.

- وفي حديث مع شبكة آي.بي.سي الأمريكية في ٢/١ قال الزعيم الليبي «إنه يعتقد أن الحرب في الخليج ستمتد إلى حدود الاتحاد السوفيتي وإيران، وأن هذا سيثير مشاعر الدول الإسلامية، وأن ذلك سيؤدي إلى حرب عالمية ثالثة. وأعرب عن اعتقاده بأنه لا يرى سببا لهذه الحرب.

- وفي رسالة بعث بها الزعيم الليبي في ٢/٧ إلى سكرتير عام الأمم المتحدة، أكد على «أن تدفق السلاح والمال على الإسرائيليين يشكل إخلالا بالسلام العالمي وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وأن هذا يعد سياسة عدوانية ضد جهود السلام التي تبذل في الوقت الراهن، وأن التدفق المالي والعسكري على إسرائيل يأتي في وقت تختل فيه فلسطين وأراض عربية أخرى، وتستمر في انتهاك مبادئ الأمم المتحدة.

٣- رؤية القيادة الليبية لطبيعة حرب الخليج:

أ- الحرب من جانب القوات الحليفة

ترى القيادة الليبية أن مهمة قوات التحالف يجب أن تنحصر داخل أراضي الكويت وحدها لاسترجاع الكويت، ويجب ألا تتعدى العمليات العسكرية حدود الكويت، بغية تجنب شعوب العراق نتائج أعمال هو غير مسئول عنها، وهذا ما نصت عليه قرارات مجلس الأمن، ويجب ألا يستغل الموقف في تحقيق أهداف خاصة. ويرى الزعيم الليبي أن على القوات المتحالفة عدم البقاء بالمنطقة أو الاستمرار في القتال بعد تحرير الكويت. فردا على سؤال من محطة التليفزيون البريطانية المستقلة في ١/٢٠ قال الزعيم الليبي «إن جميع العرب قد يساندون صدام حسين إذا بقيت القوات المتحالفة في المنطقة أو واصلت القتال بعد تحرير الكويت.. وفي هذه الحالة ستدعم جميع الدول العربية العراق بكل الوسائل.

ب- الحرب من جانب العراق:

ترى القيادة الليبية أن العراق في الحرب الدائرة - وبما يتعرض له من هجومات وغارات جوية - في حالة دفاع عن النفس، ولكن القيادة الليبية ترى أن القيادة العراقية تسببت في هذه الحرب عندما احتلت الكويت. وفي لقاء الزعيم الليبي مع شباب الجامعات الليبية في ١/٢ أكد على أن العراق كان يحضر لاحتلال الكويت منذ عشر سنوات، وأن العراق وضع برنامجا ويريد أن يقحم العرب فيه دون استشارة أو مناقشة أحد، في الوقت الذي لم يعد العرب فيه أنفسهم لهذه الحرب. وأعلن الأخ العقيد عن استغرابه لدعوة صدام له لدخول الحرب معه. وتساءل: كيف ندخل المعركة؟ هل الحرب لعبة؟

٤- ليبيا وتداعيات الحرب:

أ- في حديث لمحطة التليفزيون البريطانية المستقلة ١٧/١ قال الأخ العقيد «إنني أعارض احتلال صدام حسين للكويت، ولكنني أعارض هذا التحالف الدولي وهذا العدوان على أناس أبرياء، ولقد سرت في مقدمة مظاهرة شارك فيها مليون مواطن ليبي للاحتجاج على الحرب والعدوان والمطالبة بحق الشعب الكويتي في

تقرير مصيره».

ب- وفي ٢٨ / ١ أكدت فرنسا لليبيا أن طائراتها تهاجم أهدافا عسكرية عراقية فحسب، وأن باريس ضد تدمير البنية الأساسية للعراق، وأن العمليات الفرنسية العسكرية داخل الأراضي العراقية كانت محصورة في أهداف عسكرية ولم يتم ضرب أى أهداف اقتصادية أو مدنية.

٥- ليبيا والمبادرات السلمية لوضع حد لحرب الخليج:

أ - حول رد الفعل الليبي على المبادرة العراقية بالانسحاب المشروط من الكويت، رحب الأخ العقيد ١٥ / ١ بعرض العراق للإنسحاب من الكويت، إلا أنه حذر من أن العراق قد يبقى في الكويت حتى يتأكد من أن القوات الأجنبية لن تأخذ مكان القوات العراقية. وقال الزعيم الليبي إننى أرحب بأية مبادرة سلام، وأشعر بالراحة، وبذلك يمكن للشعب الكويتي أن يقرر مصيره.

ب- وفيما يتعلق برد الفعل الليبي حول المبادرة السوفيتية الأخيرة، قال الأخ العقيد في مقابلة مع شبكة التليفزيون الأمريكية سى . إن . إن (٢٣ / ١) - بعد ساعات من إنذار الرئيس بوش للعراق - ما يلي:

- أنه يجب علينا العودة ثانية لمجلس الأمن الدولي.

- إنه ينبغي للمجلس أن يقرر الوسيلة الأمثل لمعالجة المشكلة وهي هذه الحرب، وكيفية انسحاب القوات العراقية ومعالجة الموقف كله. وأنه يؤيد خطة السلام السوفيتية التي تنص على انسحاب عراقى بعد وقف إطلاق النار وخلال ٢١ يوماً، أى ثلاثة أمثال المدة التي حددها الإنذار الأمريكى. إن العراق قرر الانسحاب وهذا يكفى. وأنه حالما توقف الولايات المتحدة إطلاق النار سيبدأ الانسحاب.

- إن تفاصيل الانسحاب العراقي يجب أن يقررها مجلس الأمن وحده، لا بوش ولا صدام حسين ولا أحد آخر، وأن ندعو إلى تدخل مجلس الأمن المباشر في عملية الانسحاب لتفادى مزيد من الدمار والخسائر والإصابات.

- ذكرت وكالة الأنباء الليبية ٢٣ / ١ نقلا عن العقيد القذافي قوله «إن الموقف الراهن يعكس تنفيذ خطة انتقامية ضد العراق نرفضها تماما، وإن هذا الموقف قد يؤدي بنا

إلى إعلان الثورة من المحيط إلى الخليج، مؤكداً أن جميع القوى الثورية العربية وقوى القيادة الإسلامية الدولية وقوى التجمع الدولي ضد الامبريالية، لا تنتظر سوى إشارة لخوض الحرب.

- وأضافت الوكالة أنه يحذر الأنظمة العربية التي تواصل الاعتماد على أمريكا وتنتقم من العراقيين وقال إن هذه النظم ستجد نفسها معزولة يوماً ما وستأسف لمواقفها، لأن الحليف الذي اعتمدت عليه لم يكن يليق بها.

- أعلن الرائد عبد السلام جلود لصحيفة السفير اللبنانية ٢٣/٢ ما يلي:

* إن الولايات المتحدة الأمريكية - والغرب بصفة عامة - لا يهتمان بالكويت أو بالعراق، بل كل ما يهمها هو مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية.

* إنه برغم انفراد العراق بإعلان الحرب وحده دون تشاور مع القوى القومية، فذلك لا يمكن أن يكون مبرراً لتدمير العراق بواسطة آلة الدمار الغربية. إننا ندعو الاتحاد السوفيتي إلى إدراك أهمية مصالحه في المنطقة قبل فوات الأوان. إن الجماهير العربية في ليبيا ولبنان وفي فلسطين المحتلة - عبر الانتفاضة الشعبية - هزمت الولايات المتحدة وجعلت منها نمراً من ورق.

* وأضاف الرائد عبد السلام جلود إن النظام العالمي الجديد الذي يتحدثون عنه أكذوبة كبرى في ظل انهيار القطبين العالميين الذي نرجو أن يكون انهياراً مؤقتاً.

- دعت ليبيا رسمياً في ٢٧/٢ إلى وقف إطلاق النار فوراً عقب تحرير الكويت.

ثانياً: مواقف أبرز القوى الغربية من الحرب: الولايات المتحدة وبريطانيا كنموذج:

١- الولايات المتحدة الأمريكية وأزمة الخليج:

أولاً: رؤية الولايات المتحدة لأزمة الخليج:

١- حددت الإدارة الأمريكية رؤيتها لاجتياح القوات العراقية للكويت في الثاني من أغسطس بأنه عمل عسكري، وعمل عدواني سافر وفاضح، وغير شرعي، ويناقض المبادئ الأساسية التي يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي (البيانات

الرسمية الأمريكية). ووصفه الرئيس بوش بأنه «عمل ينتمى إلى عصر الحرب الباردة، وأنه يتجه إلى الخلف إلى زمن آخر، وأنه أثر مظلم من عصر مظلم. وقال عنه أيضا «لقد نهب الكويت وأرهب مدنيين أبرياء، واحتجز حتى الدبلوماسيين رهائن». ووصفه وزير الخارجية بيكر بقوله: «لقد اجتاحت صدام حسين جارا عربيا مسلما وعذبه من أجل تعظيم نفسه» (بيكر ١٧ / ١٠).

ويرى الرئيس بوش أن هذا السلوك العدواني الخارجى استمرار للسلوك الداخلى: «إن هذا التجاهل الفاضح لحقوق الإنسان الأساسية يجب ألا يكون مفاجأة كاملة، فآلاف العراقيين قتلوا لأسباب سياسية ودينية، وأكثر منهم قتلوا عبر مجازر حرب الغاز التي شنت ضد سكان القرى الكردية» (١٠ / ١). باختصار ترى الإدارة الأمريكية التصرف العراقى تصرفا لديكتاتور مستأسد يستولى على دولة مجاورة (١٠ / ١٦).

٢- وتحدد الإدارة الأمريكية طرفى المواجهة فى الخليج بأنهما العدوان العراقى من ناحية والمجتمع الدولى من ناحية أخرى. «إن الولايات المتحدة تشارك بهذا جماعيا يشغل غالبية الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، من أجل تنفيذ قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالسعى إلى الانسحاب الفورى وغير المشروط للقوات العراقية من الكويت، وعودة حكومتها الشرعية، وتأمين الاستقرار فى منطقة الخليج، وحماية الرعايا الأمريكيين. إن ما هو على المحك - كما يقول الرئيس بوش - هو ثقة أصدقاء الولايات المتحدة وحلفائها بالتزاماتها، وما سيكون عليه العالم بعد انتهاء الحرب الباردة ومعارضة العدوان، ومنع سيطرة العراق على مصادر الطاقة الحيوية جدا للعالم» (٨ / ٣٠).

وقال بوش فى خطابه أمام الجمعية العامة: «يجب أن ينصت قادة العراق لأن العراق هو الذى يقف ضد العالم» وقال كذلك: «إن نزاع العالم هو نزاع مع الديكتاتور الذى أمر بالغزو» (١٠ / ١).

ثانيا: أهداف الولايات المتحدة فى الخليج:

١- حدد المسئولون فى الإدارة الأمريكية أهداف بلادهم فى الخليج بصورة متكررة على

لسان الرئيس بوش منذ تفجر الأزمة في الثاني من أغسطس، فقد قدم الرئيس بوش المبادئ التي تسترشد بها السياسة الأمريكية في مواجهة الأزمة في ٨/٨، وحدد في ٨/١٩ أهداف الولايات المتحدة في المرحلة الراهنة، وأعاد تأكيد هذه الأهداف في رسالته إلى القوات الأمريكية في الخليج في ٨/٢٩. وكرر الرئيس الأمريكي في كلماته ومؤتمراته الصحفية وأحاديثه الانتخابية أهداف بلاده في هذه الأزمة.

٢- أما الأسباب التي دعت الرئيس بوش إلى إرسال القوات الأمريكية إلى الخليج، فهي كما قدمها في رسالته الرسمية إلى كل من رئيس مجلس النواب وزعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ في ٨/٩:

أ- اجتياح العراق للكويت.

ب- تواجد القوات العراقية في الكويت باعتباره «يشكل تهديدا مباشرا للدول المجاورة وللمصالح الحيوية الأمريكية» في منطقة الخليج.

٣ - وأوضح الرئيس بوش أهداف الولايات المتحدة في ٨/١٩ كالتالي:

- خروج القوات العراقية من الكويت.

- عودة الحكومة الشرعية إلى الكويت.

- ضمان سلامة السعودية وأمن منطقة الخليج ككل.

- الحفاظ على أرواح الرعايا الأمريكيين في الخارج وضمان سلامتهم.

٤- وبين وزير الدفاع الأمريكي - في مؤتمر صحفي في ٩/١٤ - أهداف عملية نشر قوات أمريكية في الخليج، لردع أي عدوان عراقي جديد وللدفاع عن السعودية ودول المنطقة الأخرى.

- العمل على تنفيذ العقوبات الدولية التي فرضها مجلس الأمن على العراق منذ احتلاله للأراضي الكويتية.

٥- وفي لقائه بمجموعة من الأمريكيين من أصل عربي في ٩/١٥، تحدث الرئيس بوش عن أهداف الولايات المتحدة قائلا.

«إن عملنا في الخليج هو لإظهار تصميمنا على الوقوف مع الدول الأخرى ضد العدوان، وللمحافظة على سيادة الدول. إنه يتعلق بالمحافظة على تعهداتنا ووقوفنا إلى جانب أصدقائنا». وأضاف أن سياسته تتعلق أيضا «بمصالحنا القومية والأمنية الحيوية، وضمان السلام والاستقرار في العالم».

وأضاف الرئيس بوش إلى ذلك هدفا آخر هو:

«قيام نظام دولي تعيش فيه دول العالم شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا معا، وتزدهر».

وقد تحدث الرئيس بوش - في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أول أكتوبر - باستفاضة عن هذا النظام الدولي الجديد، وكرر أهداف التواجد الأمريكي في الخليج.

ثالثا: الولايات المتحدة وحرب الخليج:

الولايات المتحدة واللجوء إلى الحرب:

١- أسباب اللجوء إلى الحرب:

أ- وجه الرئيس بوش بيانا إلى الشعب الأمريكي (٩١ / ١ / ٦) ذكر فيه أسباب اللجوء إلى استعمال القوات المسلحة ضد العراق وهي:

* أن العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الأمم المتحدة لم تكن كافية وحدها لإخراج صدام حسين من الكويت.

* اطرار (القوات الحليفة) إلى استخدام القوة لتعنت الرئيس صدام حسين.

* لم يكن هناك من سبيل آخر بعد أن فشلت كل المحاولات الأخرى.

ب- أرسل الرئيس بوش تقريرا إلى الكونجرس الأمريكي (١٦ / ١)، أخبر فيه المشرعين الأمريكيين بالظروف التي تبرر قراره باستعمال القوة ضد العراق، وهي:

* أن الولايات المتحدة قد استخدمت كل الوسائل الدبلوماسية وغيرها من الوسائل السلمية لتحقيق امتثال العراق لقرارات مجلس الأمن ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧٤ و ٦٧٧ و ٦٧٨.

* إن هذه الجهود لم تحقق هذا الامتثال ولن تحققه.

* أوضح التقرير أن العقوبات الاقتصادية قد أوقفت ٩٧٪ من صادرات العراق وأكثر من ٩٠٪ من وارداتها، ومنعت العراق من جنى ثمار ارتفاع أسعار النفط وسيطرتها على حقول النفط الكويتية، غير أن هذه العقوبات - حتى لو استمرت ستة شهور أو اثني عشر شهرا أخرى - لن تجبر صدام على الانسحاب من الكويت، أو تتسبب في استياء شعبي يهدد نظام الحكم في العراق.

* أشار التقرير إلى أن التأخير في استخدام القوة يعنى أن العراق سيظل بقواته البرية والجوية الكبيرة القوية، مما يجعل أى عمل عسكري ضده أكثر كلفة من الناحية المالية والإصابات، ويؤدي إهمال العراق إلى زيادة وتقوية تحصيناته في الكويت وعلى حدوده مع السعودية، وتطوير ما لديه من أسلحة الدمار الشامل، وقد يؤدي كذلك إلى خفض استعداد القوات الحليفة.

ج- أوضح الرئيس الأمريكى في خطابه عن حال الاتحاد (٣٠ / ١ / ٩١) مبررات استخدام القوة، فقال:

* لقد عملنا جاهدين لتفادى الحرب، ولأكثر من خمسة أشهر جربنا - بالاشتراك مع الجامعة العربية والمجموعة الأوروبية والأمم المتحدة - كل سبيل دبلوماسى، وقد عمل من أجل التوصل إلى حل للأزمة كل من الأمين العام للأمم المتحدة بيريز دى كويار والرؤساء جورباتشوف وميتران وأوزال ومبارك وبن جديد والملكين فهد والحسن ورئيسا الوزراء ميجور وأنديوتى من بين آخرين، وفي كل مرة كان صدام حسين يرفض صراحة

طريق الدبلوماسية والسلام.

* «يعرف العالم جيداً كيف بدأ هذا الصراع ومتى؟ بدأ في الثاني من أغسطس عندما غزا صدام ونهب جارا صغيراً لا يملك مقومات الدفاع عن نفسه، وأنا متأكد من الكيفية التي سينتهى إليها هذا الصراع، إننا سنسود حتى نمكن السلام من أن يسود».

٢- الإعلان عن بدء العمليات العسكرية:

أ- أعلن الرئيس بوش للشعب الأمريكي في بيانه إليه (١٦ / ١): «لقد أصدرت أوامري إلى جميع القادة بعملياتهم العسكرية»، مضيفاً أن «عملية عاصفة الصحراء قد بدأت بهجوم جوى».

ب- أوضح ريتشارد تشيني وزير الدفاع الأمريكي في مؤتمره الصحفي الذي عقده عقب توجيه الرئيس بوش بيانه إلى الشعب الأمريكي (١٦ / ١) كيف بدأت العمليات:

«بدأت القوات المسلحة للولايات المتحدة في الساعة السابعة الليلة بالتوقيت الشرقي الثالثة فجر الخميس في الخليج- العملية بتوجيه الرئيس لإجبار صدام حسين على سحب قواته من الكويت وإنهاء احتلاله لها».

«ووفقاً لأمر الرئيس وقعت الأمر بالتنفيذ بعد ظهر أمس لتنفيذ هذه العملية». وأكد وزير الدفاع أن هذه العملية لم تكن لتقع لو تحققت أى جهود دبلوماسية أساسية حتى اللحظة الأخيرة.

ج- استمرت الضربة الجوية الأولى ثلاث ساعات، واشتركت فيها ١٣٠٠ طائرة، منها ١٠٠ طائرة سعودية و ١٠٠ طائرة بريطانية، نفذت ٤٠٠ غارة ضد ٦٠ موقعا، مستخدمة ١٨ ألف طن من القنابل والصواريخ، وكانت الدول التي اشتركت في هذه الضربة الأولى هي: الولايات المتحدة، بريطانيا، والسعودية،

والكويت.

د- حرص الرئيس بوش (بيانه في ١٦ / ١) على التأكيد على أنه «لن تكون هناك فيتنام أخرى، وأن القوات الأمريكية ستحصل على أكبر دعم من العالم كله، وأنها لن تكون مقيدة (وهو ما يعنى أنه لن يكون هناك تدخل من غير العسكريين في سير العمليات العسكرية ذاتها كما كان يحدث في حرب فيتنام). وتنبا الرئيس الأمريكى بأن «المعركة لن تكون طويلة وأن الإصابات ستكون قليلة». وقد أعاد نائب الرئيس (في مقابلة مع الشبكة التليفزيونية سى. إن. إن ٣ / ٢) تأكيده بأن هذه الحرب لن تصبح فيتنام أخرى «ذلك أن حرب فيتنام استغرقت خمسة عشر عاما، أما هذه الحرب فلن تستغرق سوى أسابيع».

٣- أهداف الولايات المتحدة في الحرب:

أ- حدد الرئيس بوش (١٦ / ١) أهداف العمليات العسكرية كما يلي:

- «إن هدفنا واضح: سنخرج صدام حسين من الكويت وستعود حكومة الكويت الشرعية إلى مكانها الصحيح، وستعود الكويت حرة مرة أخرى».
- «ستؤدى (هذه العمليات العسكرية) إلى أن أية دولة لن تفكر ولن تستطيع في المستقبل أن تقف أمام عالم متضامن ومتحد، كما أن أية دولة لن تهدد بعد الآن جارة لها أضعف منها».

ب- ذكر الرئيس بوش في تقريره إلى الكونجرس (١٦ / ١) أهداف الولايات المتحدة منذ بداية أزمة الخليج كما يلي:

(١) الانسحاب العراقى الفورى الكامل غير المشروط من الكويت.

(٢) استعادة الحكومة الشرعية للكويت.

(٣) حماية المواطنين الأمريكين في الخارج.

(٤) أمن واستقرار المنطقة التى تعتبر حيوية للأمن القومى الأمريكى.

ج- كرر الرئيس الأمريكى، في خطابه عن حال الاتحاد (٣٠ / ١) أهداف الولايات المتحدة في حرب الخليج بقوله: «إن هدفنا في الخليج الفارسى يظل ثابتا: إخراج العراق من الكويت، وإعادة حكومة الكويت الشرعية، وضمان الاستقرار والأمن في هذه المنطقة الهامة».

وفسر الرئيس «الاستقرار والأمن» بقوله:

«دعوني أوضح ما أعنيه باستقرار وأمن المنطقة: نحن لا نسعى إلى تدمير العراق أو حضارته أو شعبه. إن ما نسعى إليه هو عراق يستخدم موارده العظيمة ليس للتدمير أو لخدمة طموحات طاغية، وإنما لبناء حياة أفضل له ولجيرانه. نحن نسعى من أجل خليج فارسي لا يكون فيه الصراع هو القاعدة، حيث لا يجهر فيه القوى بإغراء وإرهاب الضعيف، أو أن يكون قادرا على ذلك.

لا بد أن نتأكد من أن السيطرة على موارد العالم النفطية لن تقع في يدي (صدام حسين) لكي يقوم بتمويل عدوان آخر».

د- عبر وزير الدفاع الأمريكي، من ناحيته العسكرية، عن أهداف بلاده في حرب الخليج (٢ فبراير ٩١) كما يلي:

(١) إخراج صدام حسين من الكويت، وهو ما يتطلب ملاحقة قواته البرية وخاصة قوات الحرس الجمهوري.

(٢) إزالة قدرات العراق العسكرية الهجومية وأسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها والصواريخ متوسطة أو طويلة المدى، عن طريق توجيه الضربات للأهداف الاستراتيجية في العراق.

وأضاف «تشيني» أن هذين الهدفين أصبحا ضرورة لاستعادة الاستقرار والأمن في المنطقة.

هـ- أعاد الرئيس بوش في كلمة له أمام رجال الأعمال الأمريكيين - بعد ٣ أسابيع من بدء العمليات العسكرية - الإشارة إلى أن القوات المتحالفة ماضية في طريقها «من أجل تدمير قدرة العراق على شن الحرب» (٢/٦).

و- أعلن النائب الديمقراطي «لي هاملتون» - رئيس اللجنة الفرعية لأوروبا والشرق الأوسط في مجلس النواب الأمريكي - في كلمته أمام نادي الصحافة القومي الأمريكي في ٢٤ / ١ / ٩١ أن تصريحات الرئيس بوش والأعمال العسكرية الجارية تشير إلى أن الأهداف الأمريكية قد توسعت، لتشمل - إضافة إلى تحقيق

الانسحاب العراقي الكامل وغير المشروط من الكويت - استسلام العراق وتدمير جيشه.

ومن جهة أخرى، أعرب «ليس أسبن» رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب - في مقابلة له مع شبكة إن. بي. سي التلفزيونية - عن خشيته من توسيع أهداف الحرب، وقال إنه يجب التقيد بالأهداف الأصلية، وهي إخراج القوات العراقية واستعادة الحكومة الكويتية الشرعية (٢/٣).

ز- صرح وزير الدفاع الأمريكي - في حديث مع شبكة سي. إن. إن. نشر في ٢/٣ - بأن هدف الولايات المتحدة هو إخراج القوات العراقية، وليس لدينا أى خطط بشأن بغداد، كما أنه ليست لدينا أية رغبة في تدمير دولة العراق. ويتفق هذا التصريح مع ما طالب به برزنسكى - مستشار الأمر القومى الأمريكى في عهد الرئيس كارتر - في صحيفة النيويورك تايمز، «من الاقتصار على الأهداف التى حددتها الأمم المتحدة والمتمثلة في إعادة الشرعية إلى الكويت» (٢/٣).

٤- عملية عاصفة الصحراء:

أ- يصل عدد القوات الأمريكية في عملية عاصفة الصحراء إلى ٥١١ ألف جندي من القوات الأمريكية، بينما يصل عدد القوات الحليفة إلى ٢٠٥ آلاف جندي، وقد أعلنت القيادة العسكرية الأمريكية في السعودية في ٣١ يناير ١٩٩١ أن هذه القوات تتوزع على النحو التالي:

٢٨٠ ألف جندي من سلاح البر

٨٠ ألف جندي من البحرية.

٥٠ ألف جندي من سلاح الجو.

٩٠ ألف جندي من مشاة البحرية (المارينز).

حوالى ألفين من خفر السواحل.

ب- توقع كبير موظفى البيت الأبيض جون سنونو (٩١/١/١٧) - في حديث له مع شبكة ايه. بي. سي التلفزيونية الأمريكية - أن تتكلف الحرب ما بين ٤٠ و ٥٠

بليون دولار في السنة المالية الجارية، وأن يتحمل حلفاء الولايات المتحدة معظم النفقات، مما يجعل تكاليف الولايات المتحدة ١٥ بليون دولار في فترة الاثنى عشر شهرا المقبلة والتي تنتهى في ٣٠ سبتمبر المقبل. ويصل مقدار ما التزمت بدفعه ألمانيا واليابان وكوريا والكويت والسعودية والإمارات إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٩٠ إلى ٩٧٠٧ بلايين دولار و ٤١٧٨٠ بليون دولار في عام ١٩٩١، مشاركة منها في تحمل نفقات عملية «عاصفة الصحراء»، ومن قبلها «درع الصحراء» وفقا للجدول التالى*:

جدول (١) الاسهامات المالية الرئيسية المقدمة للولايات المتحدة لعملية تحرير الكويت- الالتزامات الأجنبية للولايات المتحدة في عام ٩٠ (بملايين الدولارات الأمريكية).

(٢) المرحلة الثانية تتمثل في تدمير خطوط المواصلات: من سكك حديدية وطرق ومستودعات ذخيرة ووقود، ومواقع الإمداد والتموين الأخرى. وتستهدف المرحلة الثانية عزل القوات العراقية التى تحتل الكويت وقطع خطوط الإمداد والتموين عنها

(٣) المرحلة الثالثة تتمثل في توجيه الضربات الجوية إلى القوات البرية العراقية وبخاصة ثوات الحرس الجمهورى فى الكويت وجنوب العراق، وهدف هذه المرحلة هو إضعاف المقاومة التى يمكن أن تواجه الهجوم البرى التالى.

(٤) المرحلة الرابعة هى مرحلة الهجوم البرى على الكويت بهدف تحريرها من القوات العراقية.

ج- سارت العمليات العسكرية الميدانية على وتيرة قريبة مما ذكرته الواشنطن بوست في ١٧/١/١٩٩١:

(١) قامت قوات التحالف بهجوم جوى فى السابع عشر من يناير بقصد تدمير المواقع العراقية الاستراتيجية، وبهدف تدمير القدرات الهجومية العراقية ومنشآت التحكم والسيطرة والاتصالات والمنشآت النووية والصناعية.

* انظر الملاحق المرفقة بالكتاب

(٢) أعقب ذلك التركيز على الطرق وخطوط المواصلات الحديدية والبرية والجسور، ومواقع خزانات الوقود، ومباني الوزارات الهامة، وقوات الحرس الجمهوري في العراق والكويت، والبحث عن مواقع منصات إطلاق صواريخ سكود الثابتة والمتحركة غرب وجنوب العراق. وقد ساعد القوات الجوية الحليفة على أداء مهامها تمتعها بالسيطرة الكاملة على الأجواء العراقية، وتمتعها بالتفوق التكنولوجي وبالقدرة النيرانية الهائلة، وبملايتوافر من طائرات بأعداد هائلة جعلها تقوم بأكبر هجوم جوي في تاريخ الحروب حتى الآن، وهو ما أدى إلى فقدان القوات العراقية للغطاء الجوي والقدرة البحرية وخطوط الاتصال.

د- يأتي عقب الاستعمال المكثف للقوة الجوية والصواريخ، الاستعداد لخوض معركة برية بهدف تحرير الكويت. وقد توجه كل من وزير الدفاع الأمريكي ورئيس الأركان إلى المملكة العربية السعودية بغرض التعرف على سير العمليات وإمكانية شن الحرب البرية. وقد صرح الرئيس بوش عقب اجتماعه في ١١ فبراير بكل من وزير الدفاع ورئيس الأركان - بعد عودتهما من السعودية - بأنه سيتخذ قراره بشأن الموعد المحدد للحرب البرية في الوقت الملائم.

هـ- بدأت القوات الحليفة منذ أواخر النصف الأول من فبراير في الاقتراب البري من الحدود العراقية والكويتية، وبدأت في ضرب حقول الألغام في الكويت قرب الحدود الكويتية - السعودية، والقيام بهجمات كوماندوز ومدفعية داخل الحدود الكويتية، إلى جانب العمليات الجوية والبحرية، وهو ما جرى النظر إليه كمؤشر على قرب المعركة البرية لتحرير الكويت.

و- بدأت العمليات العسكرية البرية في ٢٤/٢ بهدف تحرير الكويت بالقضاء على أي وجود عراقي عسكري بها، وإزالة أي مصدر تهديد للقوات المتحالفة في الكويت يأتي من القوات العراقية داخل العراق. وقد أعلن العراق انسحابه رسمياً من الكويت الساعة الأولى من يوم ٢٦/٢، الأمر الذي رفضه التحالف، ذلك أن

الرئيس الأمريكى اعتبر خطاب صدام حسين في ٢٦ / ٢ «ادعاء النصر من قلب الهزيمة»، وأدرك ما يستهدفه على النحو التالي: «انه لا يتخلل عن الكويت طواعية، بل هو يسعى إلى إنقاذ ما تبقى له من قوة وسطوة في الشرق الأوسط بكل الوسائل الممكنة، وهنا - أيضا - سيفشل» (خطاب بوش في ٢٦ / ٢).

وزير الدفاع الأمريكى ودروس حرب الخليج:

قال وزير الدفاع في شهادة له أمام لجنة فرعية خاصة بالدفاع في ١٩ فبراير:

أ- إن السبب في نجاحنا حتى الآن «هو أن الولايات المتحدة قد جندت ودربت أفضل قوة حشدناها من قبل، وأن النتائج التي رأيناها هي الدليل على ذلك. فالمعدات تعمل بصورة طيبة لأن لدينا أفرادا يعرفون كيف يصونونها ويستعملونها».

ب- إن أحد الدروس التي تمت البرهنة عليها بصورة وافية في عمليات الخليج هو قيمة تكنولوجيا طائرة ستليث (الشبح).. فهذه الطائرة هي العمود الفقري لجهودنا في الخليج.

ج- لقد أظهرت الحرب أيضا الحاجة إلى مبادرة الدفاع الاستراتيجية، «فالقدرية على الدفاع عند الحاجة إلى الدفاع ضد الصواريخ الباليستية، تعتبر ضرورة بصورة مطلقة، وليس من الولايات المتحدة فقط. وكل ما عليكم أن تفعلوه هو أن تنظروا إلى معارك صواريخ سكود على تل أبيب والرياض في الأسابيع القليلة الماضية، حتى تعرفوا إلى أي مدى تعتبر قدرة الصواريخ الباليستية تهديدا لقوات ولمصالح الولايات المتحدة». من هنا طالب تشينى بالاستمرار في إنتاج طائرات ستليث، والتقدم في مبادرة الدفاع الاستراتيجية، مستندا إلى نتائج حرب الخليج، وهو ما يعنى أن حرب الخليج ستؤدي إلى زيادة الميزانية العسكرية الأمريكية للإنفاق على برامج الأبحاث العلمية والتطوير، التي تقوم بها وزارة الدفاع، لما أثبتته من قيمة هائلة للتكنولوجيا العسكرية المتقدمة.

الولايات المتحدة وتداعيات العمليات العسكرية:

(١) الموقف الأمريكي من ضرب إسرائيل بالصواريخ:

أ - وصف الرئيس الأمريكي إطلاق صواريخ عراقية ضد إسرائيل بأنه هجوم إرهابي ضد السكان وليس ضد أهداف عسكرية (٩١/١/١٧). وأوفد الرئيس بوش مساعد وزير الخارجية الأمريكي -لورانس ايجلبرجر- إلى إسرائيل للتفاهم حول كيفية الرد على الهجوم العراقي، كما اتصل الرئيس بوش برئيس وزراء إسرائيل لحثه على ضبط النفس.

ب- زودت الولايات المتحدة إسرائيل ببطاريات من نظام الدفاع الصاروخي «باتريوت» المضاد للصواريخ (٩١/١/٢٠) لتعزيز دفاعاتها ضد الصواريخ العراقية. كما أعلن وزير الخارجية الأمريكي أن بلاده ستنتظر في أي طلب من إسرائيل لحصول على معونة مالية إضافية.

ج- ضاعفت القوات الأمريكية جهودها من أجل إزالة خطر الصواريخ العراقية بضرب منصات الثابتة والمتحركة.

د- أدان مجلس النواب الأمريكي في ٢٣ يناير - بالإجماع - الهجمات العراقية على إسرائيل، وأشاد بإسرائيل لما أبدته من ضبط النفس، وتضمن قرار المجلس اعترافه بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وتأكيد على التزام الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بالوسائل الكفيلة بالحفاظ على أمنها.

هـ- ينفي المسؤولون بوزارة الدفاع الأمريكية ما أذيع من أن الولايات المتحدة قد وافقت على تزويد إسرائيل بالشفرة الإلكترونية للطائرات الحليفة، لتمكين طائراتها من مهاجمة منصات إطلاق الصواريخ العراقية.

(٢) رد الفعل الأمريكي على معاملة العراق لأسرى الحرب:

أ- قامت وزارة الخارجية الأمريكية بإبلاغ القائم بالأعمال العراقي بأن الولايات المتحدة ستلتزم بنصوص اتفاقية جنيف فيما يتعلق بمعاملة أسرى الحرب، وأنها تنتظر من العراق أن يحذو حذوها في حالة ما إذا وقع في قبضته أسرى من

القوات المتحالفة (١٩/١).

ب- أعرب الرئيس الأمريكي (٢١/١/٩١) عن غضب أمريكا من المعاملة الوحشية التي يلقاها أسرى الحرب التابعون للقوات الحليفة، رغم أن هذه المعاملة لن تقلل من المجهود العسكري لهذه القوات ضد العراق. ووصف وزير الدفاع الأمريكي (١/٢١) استخدام أسرى الحرب كدروع بشرية لرد الهجمات بأنه «جريمة حرب» وأنه يعتبر مخالفة صريحة لمعاهدة جنيف الخاصة بمعاملة أسرى الحرب».

ج- تقدم مندوب الولايات المتحدة الدائم لدى الأمم المتحدة برسالة إلى مجلس الأمن في ٢٢ يناير، أوضح فيها أن اعتزام حكومة العراق وضع أسرى الحرب التابعين للولايات المتحدة وأطراف التحالف الأخرى في المواقع الاستراتيجية - التي قد تكون عرضة للهجوم - يعد انتهاكا لاتفاقيات جنيف، وستعتبر الولايات المتحدة أيضا حكومة العراق والضباط العراقيين - كأفراد - مسئولين عنه.

د - أصدر الكونجرس الأمريكي في ٢٣ يناير قرارا بإدانة الحكومة العراقية لإساءة معاملة أسرى الحرب الأمريكيين وغيرهم من القوات الحليفة، ولاعتزامها بنشر الأسرى في المواقع العسكرية، ولعدم سماحها لممثلي اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة هؤلاء الأسرى، وهو ما يعتبر انتهاكا لاتفاقية جنيف الثالثة.

٣- رد الفعل الأمريكي على صب البترول الخام في مياه الخليج:

أ- اتهمت الولايات المتحدة العراق في يناير ٩١ بنشر بقعة زيت كبيرة في مياه الخليج، واعتبرت ذلك كارثة بيئية تهدد - كما قال المتحدث باسم البيت الأبيض - إلى عرقلة الأنشطة البحرية التي تقوم بها القوات المتعددة الجنسية.

ب- أشار الرئيس بوش في مؤتمر صحفي في ٢٥ يناير إلى أن إهدار هذه الكميات من النفط في مياه الخليج لن يكون له أي عائد من الناحية الحربية. وأكد وزير الدفاع الأمريكي - بدوره - على أن تسرب الكميات الهائلة من النفط الخام في مياه الخليج قد جاء نتيجة عمل متعمد من العراق.

ج- قامت القوات الأمريكية بضرب منصات ضخ البترول بالقرب من شواطئ

الكويت، في محاولة لوقف تدفق البترول إلى مياه الخليج (في ٢٦ / ١ / ٩١).

د- أمر الرئيس بوش في ٢٦ يناير ٩١ فريقاً من خبراء الحكومة الأمريكية في شئون التلوث البترولي والبيئة بالتوجه إلى السعودية لتقديم الخبرة اللازمة، لمساعدة السعوديين في التقليل من الضرر البيئي الناجم عن بقعة البترول.

رابعاً: الولايات المتحدة ومستقبل المنطقة بعد الحرب:

١- الولايات المتحدة وإعادة إعمار الكويت بعد التحرير:

- تكون في واشنطن فريق عمل لإعادة بناء الكويت - في أكتوبر ١٩٩١ - لوضع خطة لاستبدال ما دمره العراقيون في الشهور الستة التي احتلوا فيها الكويت وإعادة تشييدها. وتضم هذه المجموعة حوالي ٥٠ كويتيًّا يمثلون مجالات الاتصالات والنفط والكهرباء والمياه والنقل والتعليم والصحة والغذاء والمطارات والموانئ والمرافق العامة والإعلام والقطاع القضائي. يعمل على رأس هذه المجموعة المهندس المعماري إبراهيم شاهين الذي كان يعمل مديراً سابقاً للإسكان.

- ويعتمد فريق العمل الكويتي على معاونة سلاح المهندسين الأمريكي ومسؤولي الشؤون المدنية، ووزارتي التجارة والخارجية، وهيئة إدارة الطوارئ الفيدرالية، وبعض رجال الأعمال الأمريكيين.

- وقد وضع فريق العمل خطتين للإعمار، أولهما خطة طوارئ قصيرة المدى، والثانية هي خطة إعمار طويلة المدى. أما الخطة الأولى فتتمدد تسعين يوماً ابتداء من يوم العودة إلى الكويت، ويتوقع أن تستمر الخطة الثانية لمدة من عامين إلى ٥ أعوام.

- ذكر رئيس فريق العمل الكويتي في ١٠ / ٢ / ٩١ أن شركات عالمية منحت ١٧١ عقداً تبلغ قيمتها ما بين ٧٠٠ - ٨٠٠ مليون دولار لتنفيذ المهمات المحددة في الخطة الأولى، وأن الشركات الأمريكية قد حصلت على نحو ٧٠ في المائة من تلك العقود. ويتوقع فريق العمل أن يبلغ عدد سكان الكويت بعد الاحتلال ١,٣

مليون بعد أن كان ٢,٢ مليون قبل الغزو، حيث كان العمال الأجانب يشكلون غالبية سكان الكويت. ويقول رئيس فريق العمل الكويتي إنه من المتوقع أن الشركات التي وقعت عقوداً لإعادة البناء ستجلب عمالها معها.

٢- الولايات المتحدة ومستقبل المنطقة بعد الحرب:

أ- شكل البيت الأبيض لجنة أمريكية برئاسة «روبرت جيتس» - نائب مستشار الرئيس للأمن القومي - للبحث في الخيارات الأمريكية والدولية لفترة ما بعد انتهاء حرب الخليج. وتضم اللجنة ممثلين عن الوزارات والوكالات التي تعمل في مجال السياسة الخارجية والمالية والطاقة. وقد وصف رئيس اللجنة عملها بقوله: «إن ما نبخته الآن هو بعض ما لدينا من أفكار حول البنية الأمنية للمنطقة، من أجل وضع ترتيبات أمنية وسياسية واقتصادية تؤدي إلى قيام وضع يعم فيه السلام، وخفض شامل للتوتر»، وأضاف «لدينا بعض الأفكار - ولا تزال في مرحلة تكوينها - لكننا سنجري مشاورات مع شركائنا في التحالف بشأنها، وسنعمل معهم على تطويرها خلال الحرب وبعدها».

ب- ألقى النائب الديمقراطي «لي هاملتون» - رئيس اللجنة الفرعية لأوروبا والشرق الأوسط في مجلس النواب - أمام نادي الصحافة القومي (٩١/١/١٤) كلمة تعرض فيها لمستقبل المنطقة بعد الحرب.

١- توقع «هاملتون» أن تواجه الولايات المتحدة كثيراً من المشاكل في العالم العربي بعد انتهاء الحرب الحالية، فليس مستبعداً أن يتعمق الانقسام داخل العالم العربي، وأن يستمر العراق ومؤيدوه في إحداث مشاكل للولايات المتحدة وأصدقائها في العالم العربي. وألمح إلى إمكانية نمو التطرف الديني.

٢- رأى «هاملتون» أن الولايات المتحدة لا تريد أن تلعب دور الشرطي في المنطقة، بل يجب أن تلعب دور الداعم والمساعد لدولها في الدفاع عن نفسها.

٣- إن الوجود البحري الأمريكي الصلغير في المنطقة - والذي كان قائماً لمدة ٤٠ عاماً - لن يكون كافياً لحفظ الاستقرار، وأن المطلوب توسيعه وزيادة عدد التسهيلات العسكرية في المنطقة، وتقوية دفاعات دول الخليج، واستعمال

قوات عربية وإسلامية ودولية لحفظ السلام في المنطقة.

٤- عندما يتوقف القتال علينا أن نعمل على تنظيم مؤتمر دولي عن أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، وعلى كل الأطراف المشاركة فيه - بما في ذلك إيران وإسرائيل - أن تطرح مصير كل أنواع الأسلحة أمام المؤتمر، وأن يكون هدفه إلغاء كل هذه الأسلحة.

٥- إن الدول المصدرة للأسلحة تواجه ضرورة فرض حظر على بيع الأسلحة المتطورة إلى كل دول المنطقة، وأن المطلوب هو تفادي العودة إلى سياسة التسليح التي اتبعتها الدول المنتجة للأسلحة.

٦- تشكك «هاملتون» في سياسة الاعتماد على الدول الإقليمية لضمان المصالح الأمريكية، وفي سياسة تقوية إيران على حساب العراق أو العكس. وأضاف «أشك أيضا فيما إذا كانت لدينا مصلحة في تدمير أي دولة، بما في ذلك العراق، لأننا لا نريد قيام فراغ قوة أو تدمير ميزان القوى».

٧- شدد «هاملتون» على ضرورة إعادة بناء الجسور بين الولايات المتحدة والأردن وتونس واليمن، وتحسين العلاقات مع إيران وحل المشاكل العالقة معها، والمساعدة على تضييد الجراح، وتفادي اعتماد السياسات الانتقامية ضد أولئك الذين وقفوا على الحياد أو أيدوا بغداد في هذه الحرب.

٨- إن ثمة حاجة إلى إقناع الدول المنتجة للنفط بتقديم المساعدات الاقتصادية للدول الفقيرة، وتشجيع حلفاء الولايات المتحدة على المساهمة في عملية الإعمار بعد الحرب.

٩- إن على الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب أن تعمل على حل النزاع العربي الإسرائيلي. «وقد يكون من الأيسر تبني الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي محادثات لحل المشكلة».

ج- تعرض وزير الخارجية الأمريكي - في شهادته أمام لجنة مجلس النواب (٩١/٢/٦) ولجنة مجلس الشيوخ (٢/٧) - للموقف بعد الحرب والتخطيط للمستقبل على النحو التالي:

١- أوضح بيكر أن الحرب والطريقة التي ستنتهي بها ستؤثر بصورة كبيرة على أمن الخليج وباقي المنطقة، وأنه ينبغي إعلاء احترام سيادة شعوب الخليج والشرق الأوسط، وأن التاريخ الحديث يوضح أنه لا يمكن لدولة واحدة أن تفرض إرادتها على الشرق الأوسط أو تعيد تشكيله وفقاً لتصورها، وأن الولايات المتحدة ستعمل بالتشاور مع الدول المهتمة على وضع مسار لتحقيق الأمن للجميع، وهو ما يحقق السلام الدائم.

٢- طرح بيكر مجموعة من التحديات التي ستعامل معها الولايات المتحدة:

التحدى الأول: أمن الخليج:

يقول بيكر «تحتاج هذه المنطقة - بعد حربين في عشر سنوات - إلى ترتيبات أمنية جديدة ومختلفة. نرى أن هناك ثلاث مسائل أساسية يجب حلها هي:

أولاً: أغراض أو مبادئ الترتيبات الأمنية، ثانياً: دور الدول المحلية والتنظيمات الإقليمية والمجتمع الدولي، ثالثاً: المتطلبات العسكرية التي يحتاجها تحقيق الاستقرار المحلي. وما يمكن أن ينشأ عقب ذلك من متطلبات عسكرية

أ - تشمل المبادئ: ردع العدوان من أى طرف، والسلامة الإقليمية لكل الدول وعدم قابلية الحدود بينها للاختراق، وحل الخلافات بالطرق السلمية، وحل مشكلات الحدود وغيرها من الخلافات ذات التاريخ الطويل بالوسائل السلمية وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

ب- أن يكون لدول الخليج والمنظمات الإقليمية، كمجلس التعاون الخليجي، الدور القيادي في بناء شبكة قوية من الروابط الأمنية الجديدة.

ج- لا ينبغي استثناء أية دولة إقليمية من هذه الترتيبات، ويمكن أن يكون للعراق بعد الحرب إسهام هام، وكذلك يمكن أن تكون إيران كقوة كبرى إقليمية في الخليج.

د- هناك دور للدول الخارجية والمجتمع الدولي - بما فيها الولايات المتحدة - لتشجيع مثل هذه الترتيبات ومساندتها.

هـ- «وبالنسبة للولايات المتحدة، فقد نشرنا قوة بحرية قصيرة في الخليج منذ إدارة «ترومان» في ١٩٤٩، وكان لدينا - ولا يزال لنا - روابط ثنائية قوية جدا مع السعودية والدول المحلية الأخرى. وعلى مدى سنوات، قمنا بتدريبات مشتركة مع أصدقائنا في المنطقة وزودناهم بمعدات عسكرية. لقد قال الرئيس إنه ليس لدينا نية الاحتفاظ بوجود برى دائم في شبه الجزيرة العربية بمجرد إخراج العراق وزوال التهديد. ومع ذلك، فقبل ضمان الأمن ينبغي الإجابة على أسئلة هامة، فسوف نمر بمرحلة انتقالية هامة بعد الحرب مباشرة ونحن نحاول إقامة الاستقرار».

و- والأسئلة التي أثارها بيكر هي: «هل ينبغي تواجد قوات برية تواجدا دائما، تتكون من قوات محلية تحت إشراف الأمم المتحدة أو إشراف مجلس التعاون الخليجي؟ وكيف يمكن للمجتمع الدولي أن يدعم الردع في الخليج، سواء بالإسهام بقوات أو من خلال ترتيبات سياسية، كالقرارات أو الالتزامات الأمنية؟ وأوضح بيكر أنه ليس لدى أحد إجابات لهذه الأسئلة أو غيرها، وأنه سيستمر في القيام بمشاورات مكثفة بين كل الأطراف المهتمة بأى من هذه الترتيبات.

التحدى الثانى: هو الحد من الأسلحة الإقليمية، وتشمل الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل

أ - إن الترسانة التقليدية لدول عديدة في الشرق الأوسط تمتلك من الدبابات ما يزيد على ما تمتلكه المملكة المتحدة أو فرنسا.

ب- حان الأوان لمحاولة تغيير نمط التنافس وانتشار العسكريين في هذه المنطقة، وخفض تدفق الأسلحة إلى منطقة تحوى تسليحا يزيد عن الحد.

ج- إن الولايات المتحدة وغيرها - داخل وخارج المنطقة - لابد أن تتشاور فيما

بينها بشأن كيفية التعامل الأمثل مع الأبعاد العديدة للمشكلة، وكيفية التعاون على كبح قدرة العراق بعد الحرب على الاحتفاظ بأسلحة الدمار الشامل والأسلحة التقليدية وقدرتها على إعادة تصنيعها، وكيفية التعامل مع الآخرين لتشجيع اتخاذ خطوات من أجل كبح إقليمي واسع لإحراز واستعمال كل من الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل، وما هو الدور الذي يمكن لإجراءات بناء الثقة التي قللت من الصراع في أوروبا أن تلعبه في الخليج والشرق الأوسط.

التحدى الثالث: يتعلق بإعادة التعمير الاقتصادي:

أ- إن المستقبل الأمنى المزدهر الذي يطلب الجميع رؤيته في الخليج ينبغى أن يشارك العراق فيه.

ب- إن معظم الموارد لإعادة البناء ستأتى من الخليج. وفي هذا الخصوص يحض بيكر على التفكير في إقامة «بنك شرق أوسطى للإعمار والتنمية».

ج- إن أى جهد اقتصادى لابد أن تحتل فيه تنمية الموارد المائية مكانة خاصة.

د- نحن نريد أن نتشاور مع حكومات من الشرق الأوسط ومن أقاليم أخرى حول ترتيبات معينة يمكن أن تخدم أغراض التعاون الاقتصادى واسع المدى، فمثل هذا التعاون سيكون معنيا في تدعيم هدفنا الكلى، وهو التقليل بصورة تدريجية من مصادر الصراع، والإزالة التدريجية لعوائق الأمن والرخاء في المنطقة كلها.

التحدى الرابع: يتعلق باستئناف البحث من أجل سلام عادل ومصالح حقيقية بين إسرائيل والدول العربية والفلسطينيين:

أ- يقول بيكر: «أعنى بالمصالحة ليس السلام وحده فحسب باعتباره غياب الحرب، وإنما السلام القائم على الاحترام الدائم للتسامح والثقة المتبادلة».

ب- فإذا ما رغبت حقيقة فإننا ملتزمون بالعمل معهم لرسم عملية سلام أكثر فاعلية.

ج- يثير بيكر مجموعة من المسائل التي تنطوى عليها مشكلة الشرق الأوسط:

- كيف تتحقق المصالحة بين الإسرائيليين والفلسطينيين؟

- ما هي الأفعال المحددة التي يمكن أن يتخذها كل طرف؟

- ما هو دور الدول العربية في تيسير هذه العملية وما تنطوى عليه من مفاوضات من أجل التوصل إلى السلام مع إسرائيل؟

كيف سيكون لترتيبات ضبط التسليح الإقليمي تأثيرها على هذه العملية؟

ما هي أفضل وسيلة اقتصادية لتحقيق هذه العملية؟

وينتهي بيكر إلى أن الولايات المتحدة ستتشاور وتعمل عن كثب مع أصدقائها وكل الأطراف الذين لهم دور بناء يقومون به في تسوية هذا الصراع.

د- قامت الولايات المتحدة بالتشاور مع كل من بريطانيا وألمانيا وفرنسا حول أوضاع ما بعد حرب الخليج. وقد أشارت المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية (٢٦/٢) إلى أن وزير الخارجية «جيمس بيكر» قد حدد موضوعات: الترتيبات الأمنية، وضبط التسليح، والعملية السلمية في الشرق الأوسط، وقضايا اقتصادية وإنمائية، باعتبارها موضوعات النقاش من قبل دول التحالف، وقد التقى مع وزير الخارجية البريطاني (٢٧/٢)، ووزير الخارجية الألماني (١/٣) ووزير الخارجية الفرنسي، لبحث هذه الموضوعات قبل توجهه إلى الشرق الأوسط للتشاور مع الدول المعنية حول ما يجب عمله بعد انتهاء الأزمة.

بريطانيا واللجوء إلى الحرب:

١- الإعلان عن بدء العمليات العسكرية:

أ- تم تشكيل مجلس حرب في بريطانيا (١٥/١/١٩٩١) برئاسة رئيس الوزراء جون ميجور، ويضم المجلس كبار الوزراء مثل وزراء الخارجية والدفاع

والداخلية والطاقة، ويختص باتخاذ القرارات أثناء الحرب ومتابعة تطورات الأوضاع في الخليج.

ب- أعلنت وزارة الدفاع البريطانية (١٧/١) أن القوات البريطانية دخلت عمليات عسكرية في الخليج ضمن قوات التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد العراق.

٢- أهداف بريطانيا من الحرب:

أ- رئيس وزراء بريطانيا جون ميجور حدد أهداف بلاده من الحرب من خلال أقواله وتصريحاته الآتية:

- قال رئيس وزراء بريطانيا (٢١/١): إن الغارات الجوية الحالية ستستمر لبعض الوقت، ولن تتوقف العمليات العسكرية إلا بعد أن يتم طرد العراق من الكويت. وصرح لصحيفة تايمز البريطانية (٣١/١) بما يلي:

- إنه لا يستبعد مواصلة حرب الخليج داخل العراق بعد طرد القوات العراقية من الكويت، إذ لو أن صدام حسين ظل داخل العراق يطلق الصواريخ فإن الحرب لن تكون قد انتهت، وسنحكم على الموقف في حينه وفي ضوء قرارات مجلس الأمن.

- أكد رئيس الوزراء البريطاني (١٠/٢) على أن الهدف الرئيسي الآن أمام قوات التحالف الدولي هو تحرير الكويت بأقل الخسائر الممكنة.

- وأثناء زيارته لألمانيا قال (١١/٢): إن أهدافنا لا تزال كما كانت دائما. إننا وضعنا أهدافنا في قرارات الأمم المتحدة، تلك هي أهدافنا وليس لنا أهداف أخرى.

ب- وزير خارجية بريطانيا دوجلاس هيرد حدد أهداف بلاده من حرب الخليج من خلال تصريحاته وأقواله الآتية:

- صرح لصحيفة «لوموند» الفرنسية (١٧/١) بأن العمليات العسكرية التي تشارك فيها بلاده في الخليج تستهدف تحرير الكويت، وأنه ليس لدينا أهداف أخرى كإحداث تغيير في حدود العراق أو فرض حكومة جديدة على هذا البلد.

- وقال (١٨/١) إن القوات العراقية ستعرض لعمليات قصف لا مثيل لها في التاريخ العسكري التقليدي.

- وصرح (٢٠/١) بأن الهجوم البري لقوات التحالف لتحرير الكويت يستمر في تقدمه إلى العراق لمنع المزيد من الهجمات على الكويت.

- كتب وزير خارجية بريطانيا مقالاً لصحيفة الجارديان (١/٢٤) قال فيه: إن الحرب في الخليج هي حرب بشأن المبدأ والنفط معاً، وأن النفط أحد العوامل، والمبدأ لا يتوقف عن كونه مبدأً لمجرد أنه يتصادف مع مصلحة مشروعة. وأكد في مقاله على:

* أن تلك الحرب هي حرب عادلة للحد من طموحات صدام حسين وتحديه لجميع الأعراف الدولية.

* أن صدام حسين يهدف باحتلاله الكويت إلى السيطرة على سوق البترول وتهديد الاقتصاد الدولي.

* أن استمرار احتلال الكويت يعنى القضاء على سلطة وهيبة الأمم المتحدة في عهد ما بعد الحرب الباردة.

- صرح وزير خارجية بريطانيا (١/٣١) بأنه ليس من أهداف الحرب التي حددها مجلس الأمن إحلال حكومة جديدة في بغداد محل صدام حسين بعد انتهاء الحرب.

-- وصرح (٢/٩) بأنه لا رغبة في تغيير حدود العراق، وأن وحدة أراضيها أمر بالغ الأهمية، ولا رغبة أيضاً لدينا في تحديد من يحكم العراق.

- أعلن في إيطاليا (٢/١٢) ما يلي:

* أن القصف المكثف للعراق يهدف إلى التهديد لتحرير الكويت فقط.

* أن الإطاحة بالرئيس صدام حسين ليست من أهداف دول التحالف، لكنه يصعب تصور بقاء صدام في السلطة بعد انتصار التحالف، وأن أي دولة في التحالف لا تريد توسيع أهداف الحرب لتقرير من يجب أن يحكم العراق.

- صرح وزير الخارجية البريطاني في (٢/١٣) بأن التحالف ضد بغداد لا يسعى إلى تدمير العراق، وأن العمل العسكري يستهدف الاستعداد لتحرير الكويت بإضعاف الآلة العسكرية العراقية التي تحتل الكويت.

ج- وزير دفاع بريطانيا «توم كينج» حدد أيضاً أهداف بلاده من الحرب في التصريحات الآتية:

- صرح وزير الدفاع البريطاني (١/٢٠) بأن الحملة الجوية التي تقوم بها قوات

التحالف في بداية عملية تحرير الكويت، لا تزال تتركز على مراكز الصواريخ والمواقع البرية وعلى المطارات وآلة الحرب العراقية في العراق.

- وصرح لإذاعة لندن (١/٢٨) بما يلي:

* أن حكومة بلاده تشعر بأن إخراج العراق من الكويت لن يكون وحده كافيا لضمان السلام والأمن في المنطقة.

* أنه لن يتم تحقيق أهداف الأمم المتحدة إذا سمح للرئيس العراقي وقواته بمجرد الانسحاب إلى الحدود العراقية الكويتية.

* أنه مع استمرار الحرب تتطابق وجهات نظر بريطانيا والولايات المتحدة بشأن ضرورة الإطاحة بالرئيس العراقي، وتدمير قدرته على شن الحرب على المدى البعيد.

- أعلن في مقابلة مع التلفزيون الأمريكي (١/٣١) الآتي:

* أنه لا يستبعد مواصلة حرب الخليج داخل العراق بعد إخراج القوات العراقية من الكويت.

* أننا لا نريد فقط النجاح في تحرير الكويت، وإنما التأكد تماما من أنها سنحتفظ بتحريرها.

د - أما رئيس الأركان البريطاني فقد حدد هو الآخر أهداف بلاده من الحرب بقوله (١٨ / ١) «إن الحملات الجوية مستمرة بكثافة من أجل تدمير الأهداف العسكرية في العراق»

هـ - وأخيرا أكد الجنرال «بيتر دي لا بيليبو» قائد القوات البريطانية في الخليج (٢/٧) على تصميم القوات المتحالفة على القضاء على جميع المعدات العراقية من دبابات ومدفعية حتى آخر بندقية لدى العراقيين يمكن أن توجه ضد جندي واحد من القوات المتحالفة.

٣ - بريطانيا وعملية «عاصفة الصحراء»:

أ - حجم وتكاليف القوات المشاركة في الحرب:

- بلغ عدد القوات البريطانية ٣٥ ألف مقاتل وفي حوزتهم الأسلحة الآتية:

الدول المساهمة	الولايات المتحدة		بريطانيا	
	اسهامات تم تقديمها	اسهامات ستقدم في ١٩٩١	اسهامات تم تقديمها	اسهامات ستقدم في ١٩٩١
الكويت	١,٣٢	٧,١١٠	—	—
السعودية	٨٥٠	٧,١١٠	٣٠٠	—
اليابان	٥٦٤	٤,٧٤٠	٢٦,٣	—
المانيا	٥٦٤	—	٢١,١	—
الامارات	٥٣٦	—	—	—
كوريا	٥٠	—	—	—
إجمالي	٣,٨٧٤	١٨,٩٦٠	٣٤٧,٤	—

٢٤ مدفعا قتاليا - ١٩٢ دبابة - ٦ بطاريات صواريخ - ١٢ طائرة هليكوبتر - ١٦ قطعة بحرية - ٧٢ طائرة مقاتلة - ٦ طائرات أنذار مبكر.

- أوردت صحيفة «الجارديان» (١/٢٦) البيان التالي للمقارنة بين ما حصلت عليه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا من مساهمات في تكاليف حرب الخليج (بالمليون جنيه استرليني)

- أعلن وزير الدفاع البريطاني (١/٢٧) أن اشترك القوات البريطانية في الحرب سيضيف ٧٨٠ مليون جنيه استرليني إلى أعباء الميزانية للدفاع حتى نهاية شهر مارس، ويزيد هذا المبلغ بمقدار ٢٦٠ مليون جنيه استرليني عن التوقعات التي أعلنها الوزير في ديسمبر ١٩٩٠.

- صرح وزير خارجية بريطانيا (٢/١٠) بأن الكويت سوف تمنح بريطانيا ٦٦٠ مليون جنيه استرليني (١,٣ مليار دولار)، مساهمة منها في الأعباء التي تتحملها بلاده في حرب تحرير الكويت.

- أعلن وزير المالية البريطاني (٢/١٢) أن تكلفة نشر القوات البريطانية في الخليج هي ١,٢٥ مليون جنيه استرليني (٢,٥ بليون دولار) للسنة المالية التي تنتهي في أبريل المقبل، وأعلن أيضاً أن دولة الإمارات العربية ستقدم ٥٠٠ مليون دولار لبريطانيا مساهمة في الجهود الحربى، وتعهدت ألمانيا بدفع ٥٥٠ مليون دولار مساهمة منها في تكاليف بريطانيا الحربية.

ب - دور القوات البريطانية في الحرب:

* المشاركة في القصف الجوى:

- قالت مصادر وزارة الدفاع البريطانية (١/١٧) إن الطائرات البريطانية هاجمت في مدينة الفالوجا مصنعا يعمل على تطوير صواريخ سكاد وتحويلها إلى صواريخ الحسین، ومصنعا آخر لإنتاج الأسلحة الكيماوية. وصرح المصدر بأنه قد يكون بعض المدنيين قد قتلوا عن طريق الخطأ من جراء هذا القصف.

- وافقت الحكومة البريطانية (١/٣١) - مؤقتاً - على إمكانية قيام القاذفات الأمريكية من طراز (ب - ٥٢) بمهام في الخليج بالذخيرة التقليدية على أهداف استراتيجية وعسكرية عراقية، انطلاقاً من القواعد البريطانية.

- أعلن المتحدث العسكرى البريطانى في الرياض (٢/١٤) أن سلاح الطيران البريطانى قام بقصف أهداف عراقية حيوية، منها مدرج طائرات ومواقع مدفعية وصواريخ ومخازن ذخيرة، وقال إن سلاح الطيران البريطانى استخدم بنجاح باهر سلاحاً جديداً هو الصاروخ (آلرم)، وهو صاروخ يطلق من الجو ومضاد للردارات.

* المشاركة في التمهيد للعمليات البرية:

- صرح مصدر عسكرى في لندن (٢/١٦) بأن وحدات كوماندوز بريطانية وأمريكية دخلت الى داخل الكويت لتحطيم خطوات الدفاع الامامية للقوات العراقية، وللتمهيد للقيام بعملية برية.

* المشاركة في العمليات البرية:

- أعلن رئيس وزراء بريطانيا جون ميچور (٢/٢٤) الآتى:

* أن قوات الحلفاء شنت هجوما بريا مكثفا لطرده القوات العراقية من الكويت، وأكد على أن قوات بلاده ستلعب دورها بالكامل في هذه الحرب.

* أن المعركة البرية التي تخوضها القوات المتحالفة لن تنتهى حتى تخرج القوات العراقية من الكويت.

* أن بدء الحرب البرية كان مواجهة هائلة لن تتوقف قبل طرد العراق من الكويت.

* أن الحرب البرية لن تكون طويلة، لكنها ستكون ضارية، ولا يساورنا الشك في أنها حرب لها ما يبررها.

– أعلن رئيس الوزراء البريطانى (٢٠/٢٥) أن الأيام القادمة من الحرب البرية هي أيام صعبة ولكنها ستحسم المعركة.

– قال وزير الدفاع البريطانى (٢٠/٢٤) إن الهجوم البرى للقوات المتحالفة في الخليج لم يواجه حتى الآن سوى الجنود العراقيين الأقل مقدرة، وقد يواجه مقاومة أشد في الأيام المقبلة.

ثالثا: حرب الخليج وتلوث البيئة: –

أسفر غزو العراق لدولة الكويت عن نتائج سيئة على مختلف الأصعدة، كان في مقدمتها تلوث البيئة الناجم عن ضخ كميات هائلة من البترول في مياه الخليج، واحراق آبار البترول الكويتية في أكبر كارثة بيئية شهدها العالم.

النتائج غير المباشرة لحرب الخليج على البيئة: –

١ – شهدت البيئة تغيرات في درجة الحرارة والبحيرات والبقع النفطية والضباب والمطر النفطى.

٢ – يمكن أن يؤدى التلوث النفطى الذى وصل إلى النباتات في مناطق عديدة إلى منع نموها وانتاجيتها، والقضاء عليها بصورة نهائية.

٣ – أدى التسرب النفطى قرب الآبار والحرائق إلى تدمير البنية العضوية الحية في مناطق شاسعة حول الآبار المحترقة.

٤ - حملت سحب الدخان الكثيف التى امتدت فوق مناطق واسعة من الكويت والدول المجاورة كميات كبيرة من الملوثات الى الجو.. جنوبا فى الخليج.

أ- ذكر مسئول سعودى أن بحر النفط الذى تغذيه بضع مصادر، يحوى ستة ملايين برميل على الأقل وعلى الأرجح ثمانية ملايين.

ب- ذكرت مصادر عسكرية أن النار اشتعلت فى منصتى نفط بحريتين أحاطت بهما البقعة، إضافة إلى حريق فى جزيرة فيلكه.

ج- أشارت التقارير إلى أن التلوث البيئى امتد على طول ١٥ كيلو متر شمالى الخليج، انطلاقا من مرفأ الأحمدى الكويتى.

د- بادرت دول الخليج إلى تدابير وقائية لحماية شواطئها ومحطات تحلية المياه فيها.

هـ- أشارت بعض التقارير إلى أن آلاف الطيور التى لا تتواجد بعض الأنواع منها إلا فى هذه المنطقة هى أول ضحايا التلوث.. كما أشارت التقارير إلى تعرض ملايين من الطيور المهاجرة للخطر، بالإضافة إلى الأضرار فى الشعب المرجانية.

و- قالت سلطات ميناء الجبيل بالسعودية إنه يجرى إقامة حواجز فى الميناء لحماية المياه التى تستخدمها محطات التحلية.

٢٧/١/١٩٩١م:

أ- أكد مسئولون بوزارة الدفاع الأمريكية أن العراق مستمر فى ضخ البترول من ناقلات متواجدة منذ عدة أشهر فى ميناء الأحمدى بالكويت، إضافة إلى أنابيب النفط فى الجزيرة الصناعية.

ب- أعلنت إيران عن هطول أمطار سوداء على أجزاء منها.

ج- أرسلت قوات التحالف طائرات (إف - ١١١) لتدمير صمامات الأنابيب التى

تغذى المرفأ الواقع على بعد ١٣ ميلا قبالة مياه الأحمدى.

٢٨/١/١٩٩١م :-

أ - حذر مدير عام منظمة الصحة العالمية من خطر التلوث النفطى فى الخليج على صحة سكان المنطقة.

ب - أعلن الأمير عبد العزيز سلمان بن عبد العزيز - المستشار بوزارة البترول والثروة المعدنية السعودية - أن الإجراءات اتخذت لمنع تسرب بقعة الزيت فى باقى منطقة الخليج.

ج - بدأت صناعة البترول فى مد جسر جوى لنقل المعدات، وذلك فى محاولة لمنع البقعة من تلويث منشآت استراتيجية فى السعودية.

٢٩/١/١٩٩١ :-

أ - أعلن رئيس لجنة الحفاظ على الحياة البرية فى السعودية أن بقعة الزيت وصلت بالفعل إلى الشاطئ السعودى فى بعض المناطق المحدودة.

ب - ذكر مسئول عسكري أمريكى أن الخبراء الذين تجمعوا لمواجهة البقعة سوف يتعين عليهم محاربة بقعتين منفصلتين بدأت إحداهما بالفعل فى تلويث الساحل السعودى.

ج - عرضت الدول الأوربية مساعداتها لمكافحة التسرب البترولى.

د - قدمت ألمانيا اقتراحا لدولة قطر بتجهيزات لمكافحة التلوث بقيمة ٣,٣ مليون دولار.

هـ - أعربت اليابان عن استعدادها لتقديم ٢٠ كيلو مترا من حواجز النفط الطافية.

٣٠/١/١٩٩١م :-

أ - ذكرت مصادر عسكرية أن العراق بدأ فى ضخ المزيد من النفط إلى مياه شمال الخليج لإيجاد بقعة زيت أخرى.

ب - أعلنت مصادر عسكرية أمريكية أن البقعة تتزايد رغم عملية القصف الأمريكية

التي أوقفت تدفق النفط.

١٩٩١/٢/١ م :-

قال مسئول عسكري كندى إن البقعة تفككت إلى عدة بقع صغيرة تحت تأثير الرياح والمد والجزر.

١٩٩١/٢/٣ م

ذكر بعض الخبراء أن أكبر بقعة زيت في التاريخ وصلت إلى الساحل الشمالى الشرقى للسعودية بطول ١٠٠ ميل وأنها ستلوث أميالاً من الشاطئ الرملى.

١٩٩١/٢/٤ م :-

ذكر رئيس لجنة إدارة منطقة الجبيل الصناعية العربية السعودية أنه يجب إعلان الخليج منطقة كوارث دولية.

١٩٩١/٢/٥ م :-

أوضح مركز الاستجابة للتلوث بالزيت التابع لمصلحة الأرصاد وحماية البيئة السعودية - أن تضافر الجهود لا يزال مستمرا فيما يختص بالبقعة.

١٩٩١/٢/٩ م :-

يتوقع رئيس لجنة حماية البيئة السعودى ازدياد انتشار البقعة النفطية بالقرب من منطقة الجبيل خلال يومين أو ثلاثة.

١٩٩١/٢/١١ م :-

ذكر وزير البترول السعودى أن بلاده نجحت حتى الآن فى حماية محطات تحلية المياه ومرافق أخرى من بقعة الزيت.

١٩٩١/٢/١٢ م :-

ذكر بعض المسئولين أن تكاليف التغلب على آثار البقعة يتوقع أن تصل إلى مليار دولار فى غضون ١٦ شهرا.

٢٢/٢/١٩٩١ م :-

أعلنت القيادة العسكرية الأمريكية أن النظام العراقي دمر أكثر من ١٤٠ بئراً من آبار النفط الكويتي خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية.

٢٣/٢/١٩٩١ م :-

ذكر مركز الاستجابة للتلوث السعودي أن سحب الدخان الناجمة عن حرائق الآبار قد امتدت من الكويت إلى «الهفوف»، مما تسبب في تدنى الرؤية الأفقية على معظم المناطق الساحلية.

٢٤/٢/١٩٩١ م :-

أ - غطت السحب السوداء البحرين وقطر لليوم الثاني على التوالي.
ب - جرت اتصالات مع هيئات دولية للحد من آثار التلوث على صحة السكان.

٢٥/٢/١٩٩١ م :-

أ - أعلنت طهران أن غيوم الدخان الأسود التي غطت السماء فوق الحدود الإيرانية العراقية، تنتقل حالياً نحو إقليم إيلام الإيراني جنوب غرب البلاد.
ب - أعلنت منظمة حماية البيئة في إيران أن جميع المناطق الساحلية في الخليج مهددة بتلوث لم يسبق له مثيل.

٢٦/٢/١٩٩١ م :-

أعلنت تركيا هطول أمطار سوداء على مقاطعة «أخنة».

١٠/٣/١٩٩١ م :-

أكد معظم الخبراء أن حرب الخليج الناجمة عن الغزو العراقي أدت إلى كارثة حقيقية على البيئة في الشرق الأوسط وفي قسم كبير من آسيا، واعتبروا أن إزالة آثارها تتطلب سنوات عديدة ووسائل كبيرة.

١٩/٣/١٩٩١ م :-

ذكر وزراء البيئة في المجموعة الأوروبية أنهم يريدون من صناعة النفط في أوروبا مساعدة خبراء أمريكيين في مكافحة الحرائق.

٢٨/٣/١٩٩١ م :-

أ - قال خبير في الأمم المتحدة إن التأثير البيئي لمئات من آبار النفط المحترقة قد يتساوى مع كارثة مفاعل «تشرنوبيل» النووي.

ب - ذكر مسئولون كويتيون وخبراء من الأمم المتحدة أن قلة المعلومات الدقيقة صعبت من التكهن بنتائج الحرائق.

١/٤/١٩٩١ م :-

أعربت منظمة الصحة العالمية عن خشيتها من أن يولد تلوث الأجواء بسحب الدخان مشكلات صحية، ولا سيما في القلب والجهاز التنفسي.

٢٢/٤/١٩٩١ م :-

أظهرت أولى التحاليل التي أجراها فريق فرنسي أن التلوث الخطير لأجزاء في الكويت نتيجة للحرائق بلغ ٤٥٠ سيكرو حرام من السحب السوداء في المتر المكعب، أى ما يعادل مثل المعايير المعمول بها في دول المجموعة الأوروبية.

٢٨/٥/١٩٩١ م :-

ذكر مسئولون في كشمير وجامو أن الأمطار الحمضية الناجمة عن حرائق الآبار النفطية، يمكن أن تؤدي إلى نتائج بيئية بالنسبة لمنطقة جبال الهمالايا والأودية في الإقليم.

١١/١/١٩٩٢ م :-

أعلنت جماعة السلام الأخضر البيئية أن ما بين أربعة ملايين وثمانية ملايين برميل من النفط تسربت إلى مياه الخليج، مما أدى إلى قتل الحياة البحرية وتلويث ٧٤٠ كيلو مترا من السواحل الضحلة.

٢٨/٢/١٩٩٢م:

أعلنت منظمة السلام الأخضر البيئية أنه بعد عام من الحرب فإن المنطقة لا تزال تعاني من كارثة بيئية غير مسبوقة.. تركت آثارا خطيرة على البحر والتربة وفي الجو، وتحتاج لسنوات حتى يتم التخلص منها.

رابعاً: حقيقة أوضاع الكويت بعد عامين من الغزو:

استطاعت الكويت بعد مرور عامين على الغزو العراقي لأراضيها أن تنهض من جديد وتعيد بناء ما دمره العراقيون، بل واستطاعت أيضاً أن تخطو بثبات نحو إعادة ترتيب البيت الكويتي وتدارك أخطاء ما قبل الغزو، وتتضح الإنجازات التي تحققت فيما يلي:-

أولاً: على الصعيد الداخلي:

١- تشكيل الحكومة:

كانت أولى الخطوات التي اتخذت بعد عودة الشرعية إلى الكويت، الاستجابة لضغط قوى المعارضة داخل الكويت وتشكيل حكومة جديدة قادرة على مواجهة المشكلات الملحة التي خلفها الغزو العراقي كالكهرباء والماء، وإطفاء حرائق آبار النفط، إلخ.

- تم بالفعل في ٢٠/٤/١٩٩١ تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة ولي العهد الشيخ سعد العبد الله السالم.

- أثار تشكيل الحكومة ردود فعل وانتقادات واسعة لدى فصائل المعارضة التي تركزت مطالبها في:

أ- تقليل عدد أفراد الأسرة الحاكمة المشاركة في الحكومة، وهو ما روعى بالفعل عند تشكيل الحكومة، واحتفظت الأسرة الحاكمة بخمسة وزارات فقط بدلا من سبعة.

ب- أن يتم اختيار الحكومة على أساس الكفاءة وأمانة الأداء وشعبية التمثيل، وأن يكون لها برنامج واضح.

ج- إقصاء أعضاء الحكومة السابقة المسؤولين عن الفشل الذي حدث في مواجهة كارثة الغزو ومقدماته، ومعالجة الآثار المترتبة عليه، فضلاً عن محاسبة المقصرين.

- استطاعت الحكومة الكويتية الجديدة مواجهة التحديات والإمساك بزمام الأمور، وقامت بأداء واجبها تجاه حل مشاكل المواطنين، وإعادة البنية الأساسية من كهرباء وماء وطرق ووسائل اتصال إلى سابق قدرتها العادية بأسرع وقت ممكن، كما تمكنت من السيطرة على حرائق آبار النفط في زمن قياسي.

- تبذل الحكومة جهوداً مكثفة لحل مشكلة احتجاز العراق للأسرى الكويتيين وغيرهم داخل المعتقلات في العراق، وقد استطاعت استرجاع أعداد كبيرة من الأسرى الكويتيين، لكن العراق مازال يحتفظ داخل سجونته بنحو ٨٥٠ كويتي حتى الآن.

- تسعى الحكومة الكويتية لحل مشكلة أخرى من المشاكل الملحة والمزمنة التي يواجهها المجتمع الكويتي - حتى من قبل الاحتلال العراقي - وهي مشكلة ١٠٠ ألف شخص لا يحملون جنسية محدودة، وهم الذين أصطلح على تسميتهم فئة بدون، وقد وعد رئيس الوزراء الكويتي وولي العهد بحل هذه المشكلة، وبالفعل تشكلت لجان للجنسية. وقد صرح وزير التخطيط الكويتي بأن كل من تنطبق عليه الشروط - حسب القانون - له الحق في الحصول على الجنسية، وذلك حتى لا يحصل على الجنسية أى شخص دون التحقق من هويته.

- قامت الحكومة ببناء على أوامر أمير الكويت بأسقاط مديونية المواطنين المستحقة لدى البنوك التجارية وبنك التسليف والادخار، وصرف مبلغ ٥٠٠ دينار كويتي للموظفين كمنحة أميرية، الأمر الذي أثار ردود فعل سلبية لدى أوساط المعارضة الكويتية.

٢ - ترسيم الحدود الكويتية العراقية :-

- قامت لجنة ترسيم الحدود الكويتية العراقية يوم ١١/٥/١٩٩٢ بوضع العلامات المؤقتة على الحدود الكويتية العراقية.

- بوضع تلك العلامات أمكن لأول مرة القيام بعملية ترسيم فعلية للحدود بين الكويت والعراق.

- بموجب قرار اللجنة استعادت الكويت ١٠ أبار بترول كان العراق يقوم باستخدامها، كما أن هذا القرار حرك خط الحدود ٥٧٠ م باتجاه الشمال، حيث أصبح نصف «أم قصر» داخل الأراضي الكويتية.

٣ - الحياة النيابية: -

- تعالت الأصوات بعد عودة الشرعية إلى الكويت بعد تحريرها، مطالبة بعودة الحياة النيابية إلى الكويت وإجراء انتخابات حرة تمهيدا لعودة مجلس الأمة لمزاولة عمله كسلطة تشريعية طبقا لمواد الدستور، وإلغاء مرسوم ١٩٨٦ الذي قضى بحل البرلمان وتجميد عدد من مواد الدستور.

- أعلن أمير الكويت يوم ٧/٤/١٩٩١ أن عام ١٩٩٢ هو عام إجراء الانتخابات النيابية.

- افتتحت في فبراير ١٩٩٢ مراكز الانتخابات لتسجيل أسماء الناخبين، وتحدد شهر أكتوبر ١٩٩٢ موعدا لإجراء الانتخابات.

- أصدر أمير الكويت مرسوما أميريا بحل المجلس الوطني الحالي تمهيدا لإجراء الانتخابات.

ثانيا: على الصعيدين الاقليمي والدولي: -

- انطلاقا من اعتبار ان استمرار النظام العراقي لا يزال يشكل خطرا على أمن دولة الكويت، قامت بعقد عدة اتفاقيات أمنية دفاعية لضمان عدم تكرار تجربة الغزو العراقي لأراضيها. -

أ - جاءت مشاركة الكويت في «إعلان دمشق» - مع بقية دول مجلس التعاون الخليجي - دلالة على رغبة الكويت في تأكيد الأمن والاستقرار للكويت.

ب - في مجال تعزيز العلاقات مع ايران، سافر وفد كويتي برئاسة عبد العزيز المساعيد رئيس المجلس الوطني لزيارة ايران في فبراير ١٩٩٢، وأجرى عددا

من اللقاءات مع قادة إيران، واقترح المساعد تكوين لجنة صداقة كويتية - إيرانية مشتركة لبحث مختلف أوجه التعاون الممكنة، وإزالة أسباب أى خلافات جزئية قد تثار بين البلدين. وقد أكد مهدي كروبي رئيس المجلس الوطنى الايرانى فى لقاءه بالمساعد أن ايران مستعدة للمساهمة الفاعلة فى إعادة إعمار الكويت، مشيراً إلى أن «الخليج الفارسى منطقة حساسة لا يمكن أن يحفظ أمنه إلا الدول المطلّة عليه».

ج - وقعت الكويت والولايات المتحدة الأمريكية فى ٩/٩/١٩٩١ اتفاقية للتعاون الدفاعى تتضمن فى بعض بنودها: -

(١) تخزين معدات أمريكية فى الكويت.

(٢) منح تسهيلات للقوات الأمريكية.

(٣) إجراء مناورات مشتركة بالكويت.

- أكدت الكويت عدم وجود أى بند فى الاتفاقية يشترط وجود قواعد أمريكية فى الكويت.

- أشار وزير الدفاع الكويتى إلى أن عدد الجنود الأمريكين المتفق على تواجدهم بالكويت لن يتجاوز ٣٠٠ جندي أمريكى من الفنيين المختصين بصيانة المعدات.

- وفى إطار الاتفاقية، أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن سلاح المهندسين الأمريكى سيقوم بالاشراف على إعادة بناء وتجهيز قاعدتى على السالم وأحمد الجابر الجويتين، وبعد إعادة البناء سيكون باستطاعة القاعدتين المشاركة فى تنظيم وتبادل العمليات العسكرية بشكل تام بين سلاح الطيران الكويتى والقوات الأمريكية لمنع أى عدوان على الكويت.

د - خطت الكويت خطوة أخرى فى مجال الاتفاقيات الدفاعية، ووقعت مع بريطانيا مذكرة تفاهم أمنى على غرار الاتفاقية الدفاعية مع الولايات المتحدة، وقد تم توقيع المذكرة فى ١١/٢/١٩٩٢م.

- أكد وزير الدفاع البريطانى أن مذكرة التفاهم الموقعة تتضمن أساساً لاتفاقيات أخرى أكثر تفصيلاً، وأنها تشمل شراء الكويت لمعدات عسكرية وبريطانية،

وإجراء مناورات مشتركة بين قوات البلدين، بالإضافة إلى تدريب القوات المسلحة الكويتية.

– أشارت بعض المصادر إلى أن المعدات المطلوبة من بريطانيا تشمل طائرات «هوك» ودبابات «تشالينجر – ٢».

هـ – سوف توقع الكويت ثالث اتفاقياتها الدفاعية مع فرنسا خلال أغسطس الجارى، وذلك تنويجا للمفاوضات الدائرة بين البلدين منذ زيارة الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت لفرنسا في أكتوبر ١٩٩١، حيث طلب أمير الكويت من الرئيس الفرنسى توقيع اتفاقية دفاعية مماثلة للاتفاقيتين الموقعتين مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

التشكيل الوزارى فى ٩١/٤/٢١

- | | |
|--|--------------------------------|
| ١ - الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح | ولى العهد رئيسا للوزراء |
| ٢ - سالم صباح السالم | نائبا لرئيس مجلس الوزراء |
| ٣ - ابراهيم ماجد الشاهين | وزير الخارجية. |
| ٤ - أحمد حمود الجابر | وزير دولة للشئون البلدية |
| ٥ - أحمد على الجسار | وزيرا للداخلية |
| ٦ - أحمد محمد صالح العدسانى | وزير للتخطيط |
| ٧ - بدر جاسم اليعقوب | وزير للكهرباء والماء |
| ٨ - حبيب جوهر حیات | وزير للاعلام |
| ٩ - حمود عبد الله الرقبة | وزير للمواصلات |
| ١٠ - سليمان سعدون البدر | وزير للنفط |
| ١١ - ضارى عبد الله عثمان | وزير للتربية |
| ١٢ - عبد الله حسن الجار الله | وزير دولة لشئون مجلس الوزراء |
| ١٣ - عبد الله يوسف القطامى | وزير للتجارة والصناعة |
| ١٤ - عبد الوهاب سليمان الفوزان | وزير للاشغال العامة |
| ١٥ - عنبى صباح السالم | وزير للصحة العامة |
| ١٦ - على عبد الله الشمالان | وزير للدفاع |
| ١٧ - غازى عبيد السمار | وزير للتعليم العالى |
| ١٨ - محمد صقر المعشرجى | وزير للعدل والشئون القانونية |
| ١٩ - محمد عبد المحسن العصفور | وزير للاوقاف والشئون الاسلامية |
| ٢٠ - ناصر عبد الله الروضان | وزير دولة لشئون الاسكان |
| ٢١ - نواف الأحمر الجابر | وزير للمالية |
| ٢٢ - ناصر محمد الأحمد الصباح | وزير للشئون الاجتماعية |
| | وزير شئون الديوان الأميرى |

وبعد..

* ذلك كان هو واقع الحال قبل وبعد حرب الخليج الثانية، التي هزت أركان العالم وكان العرب كلهم هم ضحاياها وهم أول من دفع ثمنها، ما يزيد على ٦٢٠ مليار دولار.

* ترى ماذا حدث في هذه الحرب بوقائعها وتفصيلها السياسية والعسكرية، وبأسرارها العالمية المثيرة؟.

* ذلك ما تجيب عليه مذكرات (نورمان شوارتزكوف) التي نقدمها كاملة في السطور القادمة.

الأمر لا يحتاج إلى بطل

(النص الكامل لمذكرات نورمان
شوارتزكوف عن «حرب الخليج»)

الباب الأول

العمل في البنتاجون

والطريق إلى العراق

في أغسطس ١٩٨٧ التحقت بالبنتاجون تحت إمرة (فونو) رئيس أركان الجيش الأمريكي. كنت أعلم من خلال خبرتي معه - عندما كان نائباً لرئيس الأركان للعمليات والخطط - أنني اضطلع الآن بأصعب وظيفة في الجيش. ففي اليوم النموذجي، أصل المكتب في السادسة والنصف صباحاً، وأفلق في العودة إلى البيت - إذا كنت محظوظاً - بعد ٢٤ ساعة من ذلك. كنت مسئولاً عن السياسات والضوابط التي تتحكم بالعمليات اليومية لعموم الجيش - وهي منظمة تقارب حجم شركة جنرال موتورز. وأهم مهماتي هي أن أحدد الأولويات للجيش، ناصحاً فونو حول سبل انفاق الميزانية السنوية - ٧٥٣ مليار دولار لعام ١٩٨٧ - وأى العمليات والمشتريات تحظى بالسبق. وهذا يفسر السبب الذي يجعل نائب رئيس أركان الجيش للعمليات والخطط، الشخصية الأولى بين أقرانه في أركان الجيش. فخلافاً للنواب الذي يحملون ٣ نجوم - والذين يرجعون إلى نائب رئيس الأركان - كنت أصل مع فونو مباشرة، ولحق الدخول إلى مكتبه إن شئت.

ويخضع لى رؤساء خمس «مديريات» كبيرة، ضباط أركان يشرفون على الوظائف الأساسية للجيش، فمدير الخطط الاستراتيجية لا يرأس التخطيط بعيد المدى فحسب، بل كل نشاط يتولاه الجيش بالترابط مع الأسلحة الأخرى، إضافة إلى مئات الخطط التي تغطي، وكل حالات الطوارئ في العالم. أما مدير العمليات فيدير مركز عمليات الجيش، أى مجمع غرفة الحرب والاتصالات لخوض الحرب أو لمجابهة كارثة طبيعية أو شغب في المدن، فإنه الرجل الذي يصوغ الأوامر، ويتولى تدبير مستلزمات وصياغة جيش

المستقبل، محدد الأسلحة والتشكيلات التي يحتاجها لتحقيق النصر في ميادين قتال القرن الحادى والعشرين، كما يتولى أيضا - وفي الوقت نفسه - إعادة صياغة جيش الحاضر استجابة للتغيرات الحاصلة في تهديدات العدو، والقيود التي يفرضها الكونجرس على العد والميزانية. وتتحكم المديرية الرابعة في سياسات التدريب وصوابه بالنسبة إلى عموم الجيش، أما المديرية الخامسة فتضع سياسة الجيش في مجال الأسلحة النووية والكيمائية إضافة إلى الأسلحة في الفضاء. ذلك هو نصف المهمة^٧

كنت أخدم أيضا بوصفى ما يسمى نائب فونو للعمليات في هيئة الأركان المشتركة، إضافة إلى تمثيل الجيش في اجتماعات نظرائى، أى نواب العمليات من سلاح البحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية. كان اجتماع فونو ورؤساء الأركان المشتركة الآخرين ينعقد مرتين في الأسبوع في غرفة مؤتمرات لا يتسرب منها الصوت، تعرف باسم «الدبابة»، وتقع البداية في الطابق الأول من البنتاجون تماما وفي ويفر انترانس، وتعد بمثابة مكان مقدس. كنت أشعر بشيء من خيبة الأمل. كنت قد تخيلت شيئا استعدته في مسرحية «الخنق حبا». كانت غرفة اطلاق منحوسة، خافتة الاضاءة محشوة بخرائط ورسوم إلكترونية وامضة (مثل هذه الأشكال موجودة في مواضع أخرى من المبنى)، إلا أن «الدبابة» كانت - ببساطة - غرفة مؤتمرات أنيقة وفارحة تحتلها طاولة كبيرة من خشب الماهوجنى، وتزين جدرانها لوحات زيتية تصور القوات المسلحة في الميدان، ورسم بديع لويستمنستر أبى بمناسبة منح ايزنهاور لقب فارس. كان كل رئيس هيئة أركان يجلس في مكانه المقرر ونائبه إلى جواره، أما الرئيس ونائب الرئيس ومدير هيئة الأركان المشتركة فيجلسون متجاورين سويا. وثمة مقاعد إضافية مرسومة على جدارين لحاملى التقارير من الزوار والضباط المنفذين وكتاب الاختزال، وغير ذلك من المستخدمين. لم تكن الاجتماعات رسمية، إلا أنها كانت تتبع بروتوكولا صارما. فحين ينعقد اجتماع هيئة رؤساء الأركان المشتركة لا يتحدث أحد سواهم. فكنت أجلس صامتا إلى جوار فونو، مدونا محضرا تفصيليا بالنقاش، دافعا إليه بملاحظات مدونة على قصاصات كلما خطر لى أن هناك ما ينبغى له أن يطلع عليه أو يقوله.

كان الشرق الأوسط على رأس جدول الأعمال في ربيع تلك السنة. أما في الخريف السابق فإن إيران أخذت - وهى في عامها الثامن من حرب الحدود الدامية مع العراق - تطلق صواريخ مجنحة على السفن في الخليج العربى. رداً على ذلك عرضت إدارة ريجان تقديم سفن حراسة مرافقة لناقلات النفط العملاقة تحمل العلم الأمريكى، لحماية تدفق النفط. وتمخضت عملية الموافقة والحماية هذه - الموسومة باسم «الإرادة الجادة» - عن إرسال ٢٤ سفينة حربية رئيسية و١٦ ألف رجل. وحصل في الأسبوع الأول من مجيئى إلى واشنطن أن ناقلة نفط عملاقة - وتدعى «برد جنون» - اصطدمت بلغم، وارتاب البنتاجون في أن تكون إيران قد دسته في طريق الناقل، ويعد ذلك في معايير الأعراف الدولية إعلاناً للحرب، ولكن لم يتوافر لنا الدليل على أن إيران هى الفاعل، واقتصرت تحركات الولايات المتحدة على إرسال طائرات هليكوبتر من الجيش مزودة خصيصاً بمعدات رؤية ليلية، ساعدت على التحرى وضبط «إيران إير»، وهى سفينة إيرانية تقوم بزرع الألغام.

ونتيجة لذلك ازدادت ضرورة ردودنا على الهجمات الإيرانية، فقمنا بشن ضربات انتقامية في ماسبتين خلال فترة الأشهر الثمانية عشر تقريباً التى قضيتها في الدبابة. وفي شهر أكتوبر (تشرين الثانى) أصاب صاروخ إيرانى مجنح ناقلة نفط تحمل العلم الأمريكى راسية في ميناء مدينة الكويت، فقمنا بمهاجمة منصتى نفط إيرانيتين في الخليج، ولتحاشى الخسائر المدنية أفسحنا المجال أمام العمال للانسحاب قبل الضربة. أما عملية «السرعوف المصلى» - وهى ثانى رد انتقامى - فقد حصلت في أبريل (نيسان) بعد أن كاد لغم إيرانى أن يغرق الفرقاطة الأمريكية «صامويل ب. بورتس» ودمرنا فيها ثلاث سفن حربية إيرانية؛ ولما حاول الإيرانيون الرد على الضربة اندلعت معركة بحرية حامية الوطيس كلفتهم المزيد من السفن والطائرات.

إن دور هيئة رؤساء الأركان المشتركة في مثل هذه الأزمات، هو التوصية بعدد من الخيارات العسكرية التى يمكن للرئيس ومجلس الأمن القومى ووزير الدفاع أن ينتقون منها، وبينما كانت هيئة رؤساء الأركان المشتركة تراجع الاحتمالات كنت أحس بالقلق من إطلاعى على مدى محدودية قدراتنا في الخليج. لم يتغير الكثير منذ أيام خدمتى في قيادة المحيط الهادى، فبسبب العلاقات المتحفظة بين الولايات المتحدة

والدول العربية لم تكن قواتنا الجوية تحظى بإمكانية الهبوط في مطارات المنطقة، أما البحرية فكانت مازال تؤكد أنها لا تستطيع إرسال حاملات الطائرات إلى مياه الخليج الضيقة.

كما كان الاتحاد السوفيتي يحتل ساعات طوال من وقت رؤساء الأركان المشتركة. كانت الصحف تحفل بأخبار العلنية (كلاستوست) وإعادة البناء (بيروسترويك)، وكنا نتلقى تقارير اطلاق حول التغيرات الدراماتيكية الجارية. وفي نقطة معينة من عام ١٩٨٨ جرى كلام عن أربع مجموعات من محادثات خفض الأسلحة: محادثات حول معاهدة خفض الأسلحة الاستراتيجية، ومعاهدة الصواريخ باليستية متوسطة المدى، ومفاوضات الأسلحة في الفضاء، ومحادثات خفض المتوازن والمشارك للقوات، الهادفة إلى تقليص الجيوش المتجابهة في أوروبا. ولم يكن أحدنا ليصدق قبل فترة وجيزة أننا سنرحب بجنرال سوفيتي ضيفا علينا في «الدبابة»، ولكن المارشال سيرجي أخروبيف - وهو أعلى ضابط في السلك العسكري السوفيتي - دخل الغرفة الثانية في السادس من يوليو (تموز) ١٩٨٨ في إطار تبادل الزيارات مع الأدميرال كراو.

ورأيت محاربي الحرب الباردة حول المائدة يتحولون بالتدريج إلى الاقتناع بأن الصراع مع السوفييت كاد ينتهي، ووجدت نفسي أتساءل: كيف ستتكيف القوات المسلحة مع الواقع الجديد؟ فمنذ أن التحقت بالجيش - منذ أكثر من ثلاثين عاما - ومبرر وجودنا هو صد الشيوعية، وبتضاؤل ذلك الخطر، ستخفض الأموال المخصصة للدفاع وسيتمتع على البنتاجون أن يواجه تحديات إعادة النظر الجذرية في مهمته.

لم تكن سائر الاجتماعات في الدبابة مثيرة للاهتمام على هذا النحو، وكانت مسئولية هيئة رؤساء الأركان المشتركة أن تضمن «الكفاية العسكرية» لأية اتفاقية أسلحة، أي أن تكون قادرة على أن تخبر الكونجرس بأن هذه المعاهدة تتمتع بالضمانات الضرورية، ولن تترك البلاد مجردة من الدفاع، وكنا نتفحص المواقع التفاوضية للولايات المتحدة بتفصيل دقيق. وبالطبع حين تغدو تقارير الاطلاع مملّة، تشرّد عيناى إلى الحائط القابع خلف الأدميرال كروانتسمران على لوحتين زيتيتين حول فيتنام: مدفعية مشاة البحرية في حي سانة، ودورية للجيش تشق طريقها في مستنقع وسط الأحراش، وصرت كلما

عملت في البنتاجون تخزنى اللهفة إلى قيادة جديدة.

كان مكتب فونو في الطابق الثالث من الحلقة الخارجية للبنتاجون في الحلقة (٥)، حيث يستقر كبار المدنيين العاملين في وزارة الدفاع، إضافة إلى كبار حملة الرتب العسكرية. وكان بوسعه أن يطل من نافذة مكتبه على نهر بوتوماك الجارى نحو الكابيتول، وغالبا ما كان يعقد أهم اجتماعاته في وقت متأخر من العصر، وبعد اتمام مراسم التشريفات والعمل الروتينى، ويستبقينى بعد إنصراف المرافقين الآخرين ليسألنى عن رأى عما يدور من أحاديث. كنا نحب أن نتكلم، وكانت هذه الأحاديث تطول أحيانا إلى الليل.

وحصل في واحد من أيامى في أواخر يونيو (حزيران) ١٩٨٨ -أى بعد سنة تقريبا على عودتى إلى البنتاجون- أن أشار فونو إلى أن وظيفة جنرال بأربع نجوم توشك أن تشغر في القيادة المركزية لقوات الانتشار السريع المسؤولة عن سائر العمليات العسكرية الأمريكية في جنوب غرب آسيا، وأجزاء من الشرق الأوسط والقرن الأفريقى، وقال «على أن أرفع الترشيح، هل تهكم الوظيفة؟». من الوجهة التقنية يمكن لأى فرع من القوات المسلحة أن يرفع أسماء مرشحيه لوظيفة قائد عام، أما القرار النهائى فيرجع إلى وزير الدفاع والرئيس. إلا أن القيادة المركزية لقوات الانتشار السريع تراوحت تقليديا ما بين فرع الجيش وفرع مشاة البحرية، فمن المؤكد -تقريبا- أن اختيار خليفة سيترك إلى فونو.

وواصل كلامه: بالطبع هناك وظيفتان أخريان ستشغران في الصيف القادم فأيهما تفضل؟ كنت أعرف ما يقصد بالوظائف الأخرى، وهى قيادة القوات المسؤولة عن كل الوحدات القتالية التابعة للجيش في الولايات المتحدة، وقيادة القوات الموحدة في كوريا، المسؤولة عن سائر الوحدات الأمريكية وقوات الأمم المتحدة لحفظ السلام في كوريا، إضافة إلى مسؤوليتها عن القوات الكورية الجنوبية نفسها في حالة نشوب حرب. طلبت منه أن يمهلنى ٢٤ ساعة للتفكير في الأمر.

في الواقع كنت أعرف خيارى، فقد فكرت في القيادة المركزية بهذه الصورة أو تلك طوال حياتى، ولقد كنت مسحورا ومهتما بالشرق الأوسط، فجانب كبير من حياة أسرة شوارتزكوف استثمرت في ذلك الجزء من العالم. وبوسعى أن أرى سلفا تزايد الأهمية

الاستراتيجية للمنطقة. ثم إننا قد انخرطنا لتونا في حرب محدودة لحماية تدفق نفط الشرق الأوسط.

كما كنت أعرف أن فونو لايسلسل الخيارات كما أفعل أنا. ورغم أن أى جنرال سيثب ليقترض فرصة الحصول على منصب جنرال بأربع نجوم، فإن القيادة المركزية ليست بالمنصب المرغوب كثيرا، فهي تنطوى على العديد مما يسمى بالمسؤوليات السياسية العسكرية، وبالطبع ففى حالة نشوب حرب تفرد طائفة هامة من القوات للقيادة المركزية، وتتضمن هذه الطائفة الآن القوة الجوية الخامسة، قوة حملات مشاة البحرية الأولى، الجيش الثالث فى فورت ماكفرسون فى جورجيا (وهذا هو مقر قيادة التخطيط النشطة التابعة للفيلق المحمول الثامن عشر، وعناصر أخرى من جيش القيادة المركزية). أما فى زمن السلم فإن القيادة المركزية توجه عمليات التخطيط الخاصة بكل هذه القوات، فى حين أن القوة القتالية التى الوحيدة تحت سيطرتها العملياتية اليومية هى قوة مهمات البحرية فى الخليج، وهى على وشك التقليل بسبب انتهاء الحرب الإيرانية العراقية، كما كان القائد العام لهذه القوات مسئولا عن ضباط أركان قيادة المقر الذين يبلغ تعدادهم الألف، العديد منهم ينتقل موكيا بين مبنى مقر القيادة المؤلف من ثلاثة طوابق - الواقع فى قاعدة ماكديل للقوة الحوية فى تامبا بولاية فلوريدا - وبين منطقة مسؤولياتها التى تبعد ٧ آلاف ميل. يضاف إلى ذلك أن قرابة ٣٠٠ ضابط يخدمون فى ١٠ بلدان بصفة «مساعدى أمن» أو ضباط ارتباط (تتضمن المساعدة الأمنية تقديم المعونة العسكرية وتبادل العسكريين وبرامج التدريب والإشراف والدعم التكتيكي لمبيعات الأسلحة).

وقد يكون من بين أبرز مهماتى فى أرض السلم أن أعمل كمحكم شكاوى عسكرى فى ذلك الجزء من العالم، مشرفا على عمل المستشارين وموجها شئون إنفاق ١,٦ مليار دولار سنويا فى برامج عسكرية، ومعززا العلاقات مع الحكام والجنرالات.

كان معظم ضباط الجيش ينظرون إلى الجانب الدبلوماسى من عملهم نظرة بغض، بينما كنت أستطيع فرصة الاختلاط بأناس من بلدان أخرى، سواء فى إيران أو ألمانيا أو فيتنام.

ولتكن على يقين أن المنصبين الآخرين اللذين ذكرهما فونو ينطويان على قيادة عدد

أكبر من القوات، وستكون وظيفة أمر قيادة القوات حافلة بالمرح والسفر في أرجاء الولايات المتحدة كلها: زيارة الجنود، تفتيش وحدات الاحتياط والحرس الوطنى أيام عطلة نهاية الأسبوع، والتمتع بتودد الناس من حولي، إلا أن اتجاه هذه القيادة محدد بشكل مضبوط. ولم أر في الوظيفة أية تحديات تغريني بالقبول، كما أننى احترزت من إمكانية أن تشغل فعلا عندما يتقاعد رئيس الأركان الحالى في عام ١٩٨٩، فعندها تكون إدارة ريجان قد ذهبت ويكون الجنرال كولن باول مستشار الأمن القومى -آنذاك- قد عاد إلى الجيش باحثا عن موقع يشغله. لقد بدت قيادة القوات الخيار الطبيعى لكولن باول، على الأقل كطريقة لتمضية الوقت حتى يتقاعد الأدميرال كراو وتختار الإدارة الجديدة الرئيس الجديد لهيئة رؤساء الأركان المشتركة، وهى وظيفة كان الكثيرون يرون أنها ستكون من نصيب باول بسبب ارتباطاته السياسية.

لم يترك لى ذلك سوى قيادة القوات المشتركة في كوريا، وهى مهمة بدت لى شائكة. من الوجهة النظرية يفترض في مجمل المؤسسة العسكرية الكورية الجنوبية أن تتمثل للقائد العسكرى العام الأمريكى في حالة حصول غزو لبلادها. مع ذلك لم يكن لأمرىكا سوى فرقة واحدة على الأرض الكورية الجنوبية. لقد ساهمت في تمارين عسكرية في كوريا عدة مرات، وقد عاملنى جنرالاتهم معاملة رائعة، ومع ذلك كنت ارتاب ارتياها كبيرا في أن خضوعهم للقائد العام كان مجرد تظاهر، ولم أر نفسى سعيدا في وضع كهذا.

في اليوم التالى قلت لفونو أود أن أذهب إلى القيادة المركزية.

ألقي نظرة تعبر عن القلق: هل لديك مانع في أن تخبرنى بالسبب؟ شرحت له أننى رغم حبى لقيادة الجنود فإن التحدى الحقيقى -كما يبدو- متمثل في الشرق الأوسط، فهنا منطقة معقدة مهمة لنا بما فيه الكفاية، بحيث إننا دخلنا الحرب هناك أصلا نزاعة إلى الفتن إلى حد لا يعرف معه أحد ما سيحصل. ثانيا: إنها منطقة يمكن -وينبغى- عمل الكثير فيها من أجل تقوية الصلات الأمريكية. وبعد أن عرضت عليه تحليل للوظيفتين الآخرين، عدت إلى القول بأن القيادة المركزية هى الأكثر إثارة والأكثر مفاجأة، واختتمت حديثى بالتأكيد التالى من بين هذه المواقع الثلاثة: القيادة المركزية هى المكان الذى تستطيع فيه أن تصنع التاريخ.

كان فونو مرتتابا، وكدت أسمع أفكاره تقول «ها هو شوارتزكوف يعود إلى النهج نفسه»، إلا أنه وعدنى برفع اسمى إلى رئيس الأركان المشتركة.

اتضح لى فيما بعد أننى لم أحصل على الوظيفة إلا بعد صراع ضار، فالبحرية قامت -على نحو غير منتظر- بتقديم مرشحها الخاص، وهو أدميرال ونائب عمليات مثلى اسمه هانك موستن. وحين صوت رؤساء الأركان المشتركة حول الترشيحات، وصلوا إلى مأزق مسدود بسبب الانقسامات التقليدية. الجيش والقوة الجوية صوتا لصالحى، والبحرية ومشاة البحرية صوتا لموستن. أرسل «كراو» كلا الاسمين إلى وزير الدفاع مع ملحوظة دعم شخصى للأدميرال.

وأعادت معركة التسابق هذه تذكيرى بأسباب بغضى لواشنطن، فالبحرية لم تكن قط لتكثر بالشرق الأوسط (كانت دائما ترى أن أسطولها فى المحيط الهادى ومقر قيادته فى هاواى يمكن أن يقدم حماية كافية لمصالح أمريكا هناك)، بل كنت على قناعة بأنها كانت ستلغى القيادة المركزية لو استطاعت إلى ذلك سبيلا. ومما فاقم الوضع أكثر أن شخصا سرب كلمة عن توصية «كراو» لصحيفة الواشنطن بوست، التى نشرت خبرا يقول: إن الأدميرال موستن قد حصل على التعيين. وراح الناس يأتون إلى فى قاعات البنتاجون ضاحكين مازحين بالقول: شىء مؤسف أن تغلبك البحرية، لكن لا تقلق إن عاجلا أو آجلا ستحصل على نجومك الأربع.

واستمرت الصجة أسبوعين كاملين إلى أن قام وزير الدفاع «فرانك كارلوتشى» بمقابلتنا نحن الاثنين، وحدد الاختيار الذى أثنى عليه الرئيس فى الحال.. لم أعرف ما الذى حدا به إلى اختياري، ولا أحسب أن الإعلان السابق لأوانه فى واشنطن بوست قد ساعد فى إفشال سعى البحرية.

أعلن تعيينى فى أواخر يوليو (تموز) ١٩٨٨، فسجلت نفسى فى خريف ذلك العام فى -درة مكثفة عن الشرق الأوسط فى معهد الخدمة الخارجية فى أراجونتور بولاية فرجينيا، وهو المكان الذى ترسل إليه وزارة الخارجية دبلوماسيها قبل أن تعهد إليهم بالعمل فى الخارج. وعندما كنت أخبر أهل البنتاجون كيف كنت أتهاي للقيادة المركزية، كانوا ينظرون إلى باستغراب متسائلين: «لماذا؟». إن الشرق الأوسط بالنسبة إليهم لا يضم سوى ممرات بحرية وموجودات استراتيجية ونقاط ملونة على الخارطة.

يتولى التدريس في معهد الخدمة الخارجية بيتر بيكتولد -الألماني المولد والخبير في شئون السودان- ورحلت أدرس ثمانى ساعات في اليوم طوال أسبوعين خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) جالسا في الصف الأمامى، مدونا الملاحظات عن ثقافات المنطقة وعاداتها، والنفط والمياه والنزاعات الدينية فيها، وكنت أعود إلى البيت في قاعدة فورت ماير في المساء وكلى ابتهاج.

وفي الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثانى) ساعدت «بريندا» الجنرال «كارل فونو» في تثبيت نجوم الجنرالية الأربع على كتفى، وهى أعلى رتبة في جيش الولايات المتحدة، وشهد كل من جيسيكا وهى الآن فتاة بالغة في السادسة عشرة من عمرها، وكريستيان وهو فتى في الحادية عشر، مراسم الترقية في قاعة الأبطال في البنتاجون، حيث تزدان الجدران بصور الرجال الذين نالوا ميدالية شرف الكونجرس. لم تستطع سندی الحضور، فقد بدأت لتوها عامها الجامعى الأول في أوريجون، إلا أن شقيقتى سالى جاءت إلى الحفل شأنها شأن العديد من زملاء دراستى والأصدقاء المقربين من أمثال الجنرال توم واينشتاين والجنرال بوب ديسكاسى. كم كنت أتمنى لو أن أمى وأبى بين الحضور.. كما تمنيت لو أن روث هنا أيضا.

تسلمت مهام القيادة المركزية في الثالث والعشرين من نوفمبر في مقر قيادتى في تامبا، إلا أن مراسم تغيير القيادة تلك لم تتم .. إذ في الليلة السابقة تعرضت قاعدة ماكديويل الجوية لعاصفة استوائية مدوية اقتلعت أشجار جوز الهند التى ملأت المشهد تماما. وقد شاهدت «سندی» ذلك فيما هى تقود السيارة من أوبوزن تحت ذلك المطر المدار، فأدلت بملاحظة نافذة: أتمنى ألا يكون ذلك نذيراً بما سيأتى.

بعد أقل من أسبوعين وجدت نفسى واقفا في شرفة غرفة بفندق من فنادق القاهرة، ناظرا إلى النيل ومصغيا إلى صوت المؤذن يدعو إلى صلاة العشاء. كانت تلك أول رحلة لى إلى الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٧. وطفح خيالى بالذكريات، وفي ضوء القمر أمكن لى أن أتبين القباب والمآذن، أشكال مألوفة منذ صباى. وقتذاك كان المؤذنون يصعدون المنائر خمس مرات في اليوم ليرسلوا الدعاء المتكرر، أما الآن فإن أبراج المآذن مزودة بمكبرات صوت توفر عليهم عناء ارتقاء السدرج. وشممت النتانة المنبعثة من النيل بروائح الحمير والثيران التى تجر العربات في شوارع المدينة، وشممت أيضا عطر التبغ

التركي وشذا القهوة المخمرة والشاي.. فالكثير من الرجال يتجولون طوال اليوم في شوارع القاهرة، حاملين على ظهورهم أوعية نحاسية ضخمة يبيعون منها فناجين القهوة والشاي للعابرين، ولكن ثمة تحت ألوان الروائح كلها عتق خاص: رائحة عمر الكهولة. لقد عدت لفترة كنت صبيًا في المدرسة في سويسرا، حيث عاهدت نفسي - ولم يكن لي من العمر غير ١٤ عامًا - أن أعود، وها أنذا أفعل ولكن بعد ٤٠ عامًا.

لم أكن قد اعتدت على الزخارف والبهجة التي يحاط بها القائد العام، فقد تركزت في الفندق زمرة حماية أمريكية ممتازة مؤلفة من ستة أفراد، إلى جانب زمرة أمن مصرية من ٦٠ فردًا، لمرافقتي طوال الوقت. وهناك في الغرفة المجاورة مشغل لاسلكي مسئولًا عن إدارة الاتصال على مدار ٢٤ ساعة عبر الأقمار الصناعية مع مقر قيادتي في تامبا، في حين تجثم طائرتي النفثة الخاصة في مطار القاهرة، وهي نسخة عسكرية من طائرة بوينج ٧٠٧ إلا أنها عديمة النوافذ، وقد جهزت ليكون مقر القيادة طائرًا، وقد أقلتنا هذه الطائرة من فلوريدا عصر ذلك اليوم، ومضت تطير ١٧ ساعة بلا توقف متزودة بالوقود جواً، وكان لزاماً عليّ في المطار أن استقل سيارة ليموزين مصفحة، ترافقها وحدات حماية صاخبة من البوليس والعسكريين. لقد نسيت أن إصلاح المركبات هو العادة المتبعة في شوارع الشرق الأوسط، كما تبدو باستمرار قيد شعرة من اصطدام مميت. وفي وسط المدينة وجدنا أنفسنا في ازدحام مرور خانق، ورغم أن الصفارات راحت تعوي، ورجال الأمن المصريون يشرئبون من نوافذ السيارة ليصرخوا أو يضربوا بجميع اليد على جوانب سياراتهم، فإن السائقين الآخرين اكتفوا بالالتفاف وهم على مقاعدهم، ونظروا إلينا ولم يتحرك أحد منهم بسبب وجود عربة يجرها حمار كانت سبب انقطاع السير.

وتأملت كيف حددت وزارة الدفاع حدود الرقعة الجديدة لمسئولياتي. في عام ١٩٨٣ أمر الكونجرس وإدارة ريجان هيئة رؤساء الأركان العامة بإقامة القيادة المركزية كي ما يكون لدى الرئيس عصا يلوح بها فيما لو هدد عدو مثل الاتحاد السوفيتي أو إيران بتكبير حرية العالم في الوصول إلى نفط الشرق الأوسط. كانت مسئولية هذه المنطقة - حتى ذلك الحين - موزعة بين قيادة المنطقة الأوروبية ومقرها شتوتجارت بألمانيا، وقيادة منطقة المحيط الهادئ ومقرها هاواي، ورغم أن كلتا القيادتين لم تمنحنا الشرق

الأوسط الانتباه الذى يستحق، فإن القادة العسكريين فى كلتا القيادتين احتجوا بشدة حين تحققت مخاوفهم وصارت بلدان معينة - كانت من قبل تقع فى دائرة مسئولياتهم - مسنودة الآن إلى القيادة المركزية.

وهذا يفسر لماذا أن سوريا ولبنان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب لم تكن فى نطاق عمل القيادة المركزية، رغم أن العرب يعتبرون هذه البلدان جزءا لا يتجزأ من العالم العربى، لقد جادلت قيادة المنطقة الأوروبية قائلة: بما أن الأسطول الساحلى يحرس البحر المتوسط، فإنها يجب أن تحتفظ بمسئوليتها عن البلدان التى لها موانئ على ساحل هذا البحر. ورغم أن ذلك لا يعد خير الحلول من وجهة نظر القيادة المركزية وقيادة المنطقة الأوروبية، فقد تنسق العمل بصورة وثيقة فى كل القضايا المتعلقة بالأمم المتحدة للقيادتين، واحتفظت قيادة المنطقة الأوروبية بإسرائيل، وهذا مفيد تماما من وجهة نظرى، ذلك أنى كنت سأجد صعوبة فى إقناع العرب بتقبل الدقائق الجيوبوليتكية للقيادة المركزية لو كانت تل أبيب إحدى المحطات فى جولتى. وتتركز قيادتى من الناحية الجغرافية على شبه الجزيرة وحواف المياه الحاسمة التى تحيط بها (الخليج العربى - خليج عدن - البحر الأحمر) إلا أنها تمتد أيضا فى قوس أكبر من ذلك، يبدأ من مصر فالسودان إلى القرن الأفريقى، انتقالا إلى الشمال الغربى، إلى أفغانستان وباكستان التى تبعد حوالى ٤ آلاف ميل.

وعزمت على زيارة أكبر عدد من البلدان التى تقع فى دائرة مسئولياتى فى أقرب فرصة ممكنة، وفى ذلك الوقت لم تكن لدينا علاقات عسكرية مع إيران والعراق وأفغانستان وأثيوبيا او جمهورية اليمن الديمقراطية، ووضعت فى جدول رحلتى الأولى زيارة المملكة العربية السعودية ومصر وباكستان باعتبار أن السعودية هى أهم قوة استقرار فى منطقة الخليج، ومصر وباكستان هما ثانى وثالث أكبر المتلقين (بعد إسرائيل) للمعونة العسكرية الأمريكية. كانت اللقاءات فى القاهرة وفى إسلام آباد عاصمة باكستان ودية وصريحة، وأمضيت ساعات فى تبادل الحديث وتناول العشاء مع الفريق أول صفى الدين أبو شناف رئيس هيئة الأركان المصرية، وأحمد عبد الرحمن رئيس قلم المخابرات العسكرية.

وفى باكستان استضافنى الأدميرال افتخار أحمد سيروهى رئيس هيئة الأركان

الباكستانية المشتركة، وقدم لى خلاصات الاطلاع الجنرال ميرزا اسلام بك الرجل القوى الذى تسلم قيادة الجيش بعد اغتيال الجنرال محمد ضياء الحق فى اغسطس. بعد ذلك عقدت اجتماعات مطولة مع الرئيس غلام اسحق خان ورئيسة الوزراء بى نظير بوتو.

وفى الرياض كان الاستقبال أكثر برودة، فطوال سنوات دأب الكونجرس على تقليص حرية السعوديين بصرامة فى شراء الأسلحة الأمريكية، على افتراض أن أى سلاح يباع إلى العرب -حتى العرب المعتدلين- سينتهى إلى أن يستخدم ضد اسرائيل. ولا غرابة إذن فى أن يتوجه السعوديون -رغم تفضيلهم للمعدات الأمريكية- إلى بناء قوتهم الجوية بالاعتماد على المقاتلات البريطانية، وإدارات الدفاع الجوى الفرنسية، والمدفعية البرازيلية، والصواريخ الصينية. وأيا كانت طبيعة المعونة الأمنية الأمريكية التى يحتاجها السعوديون، فقد كانوا يفاوضون من أجلها مباشرة فى واشنطن على يد سفيرهم البارع الأمير بندر بن سلطان. ولزيادة الطين بلة قامت القيادة المركزية فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٧ -أى فى مبتدأ «حرب الناقلات» فى الخليج- بإرسال جنرال بنجمتين إلى الرياض -دون دعوة- لتوجيه قوة مشتركة من الطائرات السعودية والأمريكية مما كان أمرا محقا بطرده من السعودية.

لذلك، حين وصلت السعودية وجدت أن الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وزير الدفاع والطيران «غير متيسر»، وعقدت جلسات وجيزة رسمية مع الجنرال محمد الحمد ورؤساء القوات المسلحة. كان الحمد فى البداية فاترا معى، إلا أنه صار دافئا عندما أخبرته بأننى أطمح فى تحسين العلاقة بين بلدينا، على أن تكون علاقة منفعة متساوية للطرفين. أخيرا كان لى لقاء لمدة ٢٠ دقيقة مع الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود نائب وزير الدفاع والطيران، وكان الأمير واحدا من ٤٧ ابنا من أبناء الملك عبد العزيز آل سعود والزعيم البدوى العظيم الذى وحد المملكة العربية السعودية فى الثلاثينات. والأمير رجل جذاب طويل القامة ممتلئ الجسم، يقاربنى عمرا ويتحدث الانجليزية بطلاقة، وقدم لى مستهلا حين بادرنى بالسؤال بأدب جم: هل هذه زيارتك الأولى للعربية السعودية؟

وحين أفصحت له كيف زرت بلاده من قبل، تعجب وتضاعفت دهشته لما أخبرته

بأن زيارتي الأولى وقعت في عام ١٩٤٧، ورحت أوضح له أن والدي كان يقيم في إيران وأنه أرسلني إلى الدراسة في أوروبا وتوقفنا في مدينة طهران، وأضفت بلهجة رسمية نوعاً ما: إنها لمناسبة رائعة أن ألتقي بكم.. التاريخ يعيد نفسه.
فسألني الأمير: ما الذي تعنيه؟

ذكرته بالعلاقات الحميمة بين الأمريكيين والسعوديين عقب الحرب العالمية الثانية، التي كسب الرئيس روزفلت خلالها مودة الملك عبد العزيز. وأضفت: ونتيجة لذلك جاء والدي إلى الرياض عام ١٩٤٦ والتقى رسمياً بوالدكم.. لقد التقى بالملك عبد العزيز آل سعود، وأنا الآن ألتقي بكم. إنني أعتبر ذلك تجديداً للأواصر التي عقدتها عائلتي مع عائلتكم. قصدت كل كلمة قلتها، إلا أن الأمير سر لسماح مشاعر عربية تجري على لسان جنرال أمريكي.. واختتم لقاءنا بتقريعي تقريراً رقيقاً على جمل الأمريكيان ببلاده:
حين تأتون أنتم الأمريكيان إلى المملكة العربية السعودية، لا تغتزمون الفرصة لمعرفتها. في زيارتك القادمة سأضع هيلكوبتر تحت تصرفك لكي تستطيع أن ترى المملكة العربية السعودية. أجبته بأن ذلك سيكون من دواعي سروري.

وبالطبع فقد التزمت آداب الكياسة العربية في الحديث. فقد سمعت بيتر بيكتولد - المدرس في معهد الخدمة الخارجية - يقول «في العالم العربي موقعك كفيل بفتح باب الدخول، ولكن علاقاتك الشخصية هي التي تجلب لك العهود من العرب». لقد نما هذا الضرب من إدارة الشؤون من تقاليد الخيمة البدوية في الصحراء، حيث تلقى مباحثات العمل ساعات طويلة من سرد الحكايات في الليل، وحين يسألك مضيفك العربي «كيف كان طيرانكم» فليس من اللياقة أن تجيب «كان حسناً.. شكراً». إن الضيف الكيس يقول شيئاً من قبيل «استغرقت الرحلة ١٧ ساعة، كان صعباً علينا خلالها أن نميز الليل من النهار، واضطرب جسدي تماماً. أما الآن فأشعر بتحسن، لأننا نزلنا في عاصمتكم الجميلة، ولدي مرورنا من المطار إلى هنا رأيت المشاهد وسمعت الأصوات في مدينتكم، وأشعر كأنني عدت إلى بيتي». هذا ضرب من الدبلوماسية يتمتع حقاً.

بحلول ربيع عام ١٩٨٩ أنهيت ثلاث رحلات إلى الشرق الأوسط، ودهشت من بعض الأشياء التي اطلعت عليها. ففي يوليو (تموز) الماضي حين أجرى وزير الدفاع كارلوتشي المقابلة معي حول التعيين في القيادة المركزية، أخبرته باعتقادي بضرورة

الاهتمام بالجبروت العسكرى العراقى. وأردت أن أقيس إلى أى مدى استطاع النصر العراقى فى حروبه مع إيران أن يغير ميزان القوى فى الخليج العربى. إن وقف إطلاق النار الذى أشرفت عليه الأمم المتحدة فى أغسطس (أب) ١٩٨٨ قد ترك العراق بجيش من مليون جندى، وباقتصاد أضعف من أن يستوعب عودة هؤلاء الجنوب إلى الحياة المدنية. أجاب كارلوتشى «إننى أفكر بالشىء نفسه».

وعلى أية حال حين رحلت أجوب الخليج، دهشت لأن أرى معظم البلدان: السعودية، الأردن، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، قطر، متوجسة من إيران لا من العراق، وأن الحكمة السائدة هى أن وقف إطلاق النار مجرد فاصلة، وأنه حالما تعيد إيران تسليح نفسها جيدا ستعود إلى محاربة العراق وتهديد الجيران العرب الآخرين. أما بالنسبة إلى العراق، فإن الملك حسين - ملك الأردن - أفصح عن رأى الغالبية حين دعانى إلى الغداء فى يناير (كانون الثانى) ١٩٨٩. قال «لاتقلقوا بشأن العراقيين لقد أنهكتهم الحرب ولا يضمرون نوايا عدائية تجاه الأشقاء العرب»، وذكرنى، بأن الأردن ومصر واليمن والعراق قد أعلنت لتوها عن تشكيل مجلس التعاون العربى. وأكد لى أن الأردن ومصر ستقنعان العراق بالاعتدال فى نزعتة العسكرية.

أما دهشتى الثانية فجاءت لدى اكتشافى أن الكثير من القادة العرب كانوا يتوقعون ويرحبون بالمزيد من الاهتمام العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج. وكان التدخل الأمريكى فى حرب الناقلات قد ترك أثرا طيبا. وقد عبر الجنرال مزياد الصانع رئيس الأركان الكويتى عن ذلك بقوله «لم نكن نعتقد أنكم أيها الأمريكان ستأتون، ولكنكم أتيتم.. وحين جئتم اعتقدنا أنكم ستغادرون ما إن تقع إصابات فى صفوفكم، ولكنكم بقيتم، لقد بقيتم للدفاع عنا، ونحن الآن نثق أن الولايات المتحدة صديقة العالم العربى».

حتى ذلك الحين لم يحبذ أحد حضور الولايات المتحدة فى الخليج عسكريا سوى إمارة الجزيرة الصغيرة: البحرين، فلقد استضافت مقر قيادة قوة سلاح البحرية فى الشرق الأوسط منذ عهد ترومان. ورغم النقد الموجه من جانب الدول الخليجية الأخرى، بقى أمير البحرين ثابتا على التزامه، ولا ريب فى أن إمارته هى أفضل أصدقاء أمريكا فى الشرق الأوسط، وتذكر بعض جاراتها الآن أنه لو أن البحرين حرمت البحرية

الأمريكية من ميناؤها، لكان مآل حرب الناقلات مختلفا تماما.

لقد توليت مهام القيادة المركزية مشفوعة بأوامر من الأدميرال «كراو» بأن أقلص حجم القوات الأمريكية في الخليج إلى المستوى الذى كانت عليه قبل حرب الناقلات (قال: أعدّها إلى المستوى الطبيعى الأدنى). بيد أن كلمة «طبيعى» تعنى الاحتفاظ بقوة رمزية من أربع سفن حربية، لا تزيد مهمتها عن رفع العلم الأمريكى، وتوصلت إلى قناعة بأن هذا السبيل خاطئ، فإن كنا بحاجة إلى شىء حقا فهو زيادة تعهداتنا في الخليج. في أبريل (نيسان) ١٩٨٩ طرت إلى واشنطن لأحدث أعضاء لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ عن تخفيف القيود المفروضة على مبيعات الأسلحة إلى المعتدلين العرب، مثل البحرينيين والسعوديين والكويتيين. وشددت على أن المستشارين والتكنيكين الأمريكان سيوافقون على هذه الأسلحة ويمارسون تأثيرا قويا حول سبل استخدام هذه الأسلحة. آخر المطاف لم أحرز الكثير، إلا أن التنازلات الطفيفة التى فزت بها ساعدت على تدعيم مصداقية القيادة المركزية في المنطقة.

وكان العرب يرغبون باستمرار في بحث مواقفنا تجاه اسرائيل والفلسطينيين، وهنا رحت أسير فوق حبل مشدود: فالولايات المتحدة لم تكن ميالة لتقليص دعمها لاسرائيل، ومع هذا أردت أن يعرفوا أن بوسع الأمريكين أن يقدروا وجهة النظر العربية أيضا. وبرزت المسألة، على سبيل المثال، في خريف عام ١٩٨٩ حين التقيت بالنائب المناوب لقائد الحرس الوطنى السعودى، الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجرى، وهو بدوى ذو حكمة، وقد سعيت إلى لقياء بالذات جزئيا لأنه موضع ثقة ولى العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، الذى كانت موافقته هامة للتعاون بين البلدين. التقينا في منزله بالرياض، كان رحلا نحيف البنية، صغير القامة، ميالا للمزاح. وبدأ التويجرى الحديث بالنظر إلى طولا وعرضا وبالقول «إنه لشرف عظيم أن نكون بحضرة مثل هذه الجنرال الأمريكى الضخم».

فأجبت «بل إنه لشرف أعظم لهذا الجنرال أن يكون بحضرة رجل في مثل حكمتكم». وراح على الفور يضغط علىّ في موضوع اسرائيل، وأصغى باهتمام فيما رحت أشرح التزام أمريكا الأخلاقى والعاطفى. وسألنى أخيرا «أليس صحيحا أنه لو خيرت الولايات المتحدة بين المملكة العربية السعودية واسرائيل لاختارت دوما اسرائيل؟»

فأجبت «ولماذا يجب أن تواجه هذا الاختيار. لا أستطيع أن أتخيل ذلك. إن الولايات المتحدة صديقة للطرفين: السعودية وإسرائيل. أليس المرء ملزماً بأن يكون له أكثر من صديق واحد، أم أن عليه عقد صداقة واحدة؟».

ضحك الشيخ وقال «هذا قول حسن. أحب هذا القول». ولما خرجنا من القصر كان يمسك يدي، وهى إشارة إلى المودة كنت وما أزال أحاول الاعتياد عليها.

لقد وقعت متعثراً على حدود مهلة فالسفراء الأمريكيان في المنطقة - وهم دبلوماسيون حاذقون - من طراز تشارك فريمان في السعودية، وفرانك وايزنر في مصر وبوب أوكللي في باكستان، تفهموا ودعموا حاجتى إلى توثيق عرى الصداقة العسكرية، إلا أن ما جابهته في واشنطن أفرعنى.

فالمستعمرون لم يرتقوا إلى المناصب العليا في وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية (سى. إى. إيه)، أما في البنتاجون فهم نادرون تماماً. ولما تحدثت عن العرب مع زملائي من الجنرالات والأدميرالات ألفت سؤالهم الوحيد هو «ما هى التزامات المعاهدة المبرمة معهم؟»، ويقصدون بذلك أنه طالما لم توقع الولايات المتحدة معاهدات فليست لديها مسؤوليات. وكان اهتمامهم متركزاً على الوفاء بالتزامات أمريكا لحلف الناتو (الأطلسي) واليابان وكوريا، إلا أنهم لم ينظروا باتجاه ما كنت أرى أنه المستقبل. ولم يكن بوسعى أن أتصور وجود منطقة أكثر أهمية. فالنفط المستورد من الخليج العربى يؤلف أصلاً ثلثى ما تستهلك أوروبا الغربية، وعشر ما تستهلكه الولايات المتحدة، وتضم المنطقة ٦٥ فى المائة من احتياطي النفط العالمى المكتشف، وهذا يؤكد أن أهميتها للبلدان الصناعية ستزيد. ووقعت على تقرير فى معهد الخدمة الخارجية يبين أن منطقة الخليج ستظل تضخ النفط مدة قرنين على الأقل، فى حين أن احتياطيات النفط الأمريكى القابلة للاستثمار الاقتصادى قد تنضب فى بحر عقدين من الزمان. ولو افترضنا أن مصادر طاقة عملية جديدة لن تظهر إلى الوجود - وسجلنا فى تطوير هذه المصادر البديلة بائس - فإننا سنجد أنفسنا نتراكض متنافسين على نفط الشرق الأوسط، ليس فى الحال، بل لربما فى ظرف ٢٥ عاماً، تنافساً ضارياً مع نفس البلدان التى هى الآن خير الأصدقاء.. أعنى اليابان، وإنجلترا، وفرنسا، وألمانيا.

ورحنا بين سفرة وأخرى فى الشرق الأوسط، نعمل - هيئة الأركان وأنا - على إعادة

بناء القيادة المركزية من القاعدة إلى القمة. لقد ركزت القيادة المركزية كل انتباهها طوال عامين على الحرب، ليس فقط حرب الناقلات، بل أيضا الدعم الأمريكي السري للحرب في أفغانستان. في غضون ذلك جرى ترك عناصر زمن السلم في عمل القيادة المركزية - مثل رعاية العلاقات العسكرية مع حكومات الشرق الأوسط - إلى الضمور. وقد كف سلفى في القيادة الجنرال كريست - تحت ضغط الأحداث، عن زيارة العديد من البلدان. كالأردن مثلا.

أما قسم التخطيط والسياسة في القيادة المركزية فقد تحول إلى ورشة تخطيط حربى صرف. ولما سألت ضباط الأركان العاملين فيه ما هى أهدافنا لزمن السلم في كل بلد على حدة، اكتشفت أننا لم نحدد أى شىء.

واتخذت أول خطوة لعلاج هذا النقص، وهى تأسيس الفرع السياسى العسكرى كملحق بقسم التخطيط والسياسة. وفى خلال ستة أشهر حددنا أهدافنا ووضعنا برنامجا لكل بلد، وشرعنا في عقد الندوات لضباط أركان القيادة المركزية، التى حضرها أساتذة زائرون وموظفون حكوميون لبحث شؤون المنطقة. ورغم أن العديد من كبار ضباط الأركان التحقوا بالقيادة المركزية في نفس فترة التحاقى بها، ولم تكن لهم أية تجربة سابقة بالمنطقة، فقد انسحروا بالشرق الأوسط.

كان نائبى كقائد عام هو الليوتاننت جنرال كرافن سى «بك» روجرز، وهو طيار محارب مخضرم، ويشعر في مجال الشؤون الدولية بأنه في بيته، وقد خدم أخيرا بصفة قائد للقوة الجوية الأمريكية في كوريا. أما رئيس الأركان التابع لى فهو الميجور جنرال جوهوان، وهو محارب مخضرم في مشاة البحرية من نيو انجلاند. كنت أعرف منذ البداية أن بوسعى الاعتماد عليه لخبرته في عمليات مشاة البحرية والإنزال البرمائى، ولكنى تعلمت أيضا في فجر إعادة تنظيم القيادة، أن أعتمد على «جو» في كل شىء. لقد كان «جو» رجلا لامعا مندفعًا ذا شخصية ساحرة، هادئا في الأوضاع الضاغطة، وقد اعتبرته مسؤولا عن كل جزء من العمل يؤديه مقر القيادة. لقد كان يحقق من النتائج ما يتجاوز توقعاتى دوما.

وكانت بقية عناصر أركان القيادة قوية أيضا. فمدير الاستخبارات الميجور جنرال هانك دويفس وقد جاءنا حديثا من وكالة استخبارات الدفاع، وكان ذا معرفة، وثيق

الاطلاع على مجتمع المخابرات في واشنطن. أما الميجور جنرال جيم ويكورد فهو مخضرم القيادة المركزية، فقد خدم مديرا للعمليات خلال فترة حرب الناقلات بأسرها. وكان جيم - شأن العديد من الطيارين المحاربين - شديد الجموح، وكثيرا ما ألفيت نفسي مضطرا إلى أن أكبح جماحه، لكنى لم أضطر إلى حثه قط، وأحببت تلك الخصلة فيه. أما البريجادير جنرال دان توجيل - مديري لشؤون الاتصالات - فقد اشتهر بأنه أفضل المختصين في هذا المجال في القوة الجوية. وكان الميجور جنرال كريس بات مدير الشؤون اللوجستية، وهو صديق من أيام العسكرية الأولى في فورت كامبل، وقد مضت عليه سنتان في القيادة المركزية، وكان خبيرا معترفا به في ميدان المعونة الأمنية. وهناك واحد آخر من الحرس القديم هو العميد البحري بيل فوجارتى رئيس قسم التخطيط والسياسة، وقد حظى بمنزلة كبيرة في واشنطن لتحقيقه في الحادث المأساوى الذى أسقط فيه الطراد الأمريكى فنسفت طائرة ركاب إيرانية، وكان على وشك الاضطلاع بقيادة قوة الشرق الأوسط وقوة المهمات المشتركة للشرق الأوسط، أما بديله العميد البحري جرانت شارب فهو قائد شديد المراس ذو ذكاء ثاقب، وكان عليه أن يواجه في القريب العاجل المهمة العملاقة الخاصة بإعادة صياغة خطة حرب القيادة المركزية. أخيرا هناك البريجادير جنرال نورم ابهليرت المفتش العام، الذى لعب دورا أكبر بكثير مما يوحي به لقبه الرسمى. فمنذ أن بدأت القيادة المركزية توجه بهدوء سير التخطيط العسكرى الثنائى مع عدة بلدان في المنطقة، كان هو الجنرال الذى أرسلته لصياغة التفاصيل، وسرعان ما أبدى تفهما للشئون العسكرية المتعلقة بالشرق الأوسط أعظم ممن عده في القيادة المركزية.

وكان تحت تصرف طائفة من المستشارين من الوكالات في واشنطن. وكالة المخابرات المركزية (سى. آى. إيه)، وكالة استخبارات الدفاع، وكالة الأمن القومى، وكالة اتصالات الدفاع. أما أهم هؤلاء فهو رجلنا من وزارة الخارجية، المستشار السياسى ستانلى ايسكوديرو. ولم يكن صعبا علينا أن نستدل عليه في القيادة المركزية، فقد كان يرتدى بدلة مدنية من ثلاث قطع، ويطلق لحيته. كنا نسميه جاسوسنا في وزارة الخارجية، إلا أن ستانلى كان دبلوماسيا من الطراز الأول ويتمتع ببصيرة نافذة في الشئون السياسية لمنطقة الخليج، ورحت اعتمد على نصحه اعتمادا كليا.

وما إن مرت ستة أشهر حتى ذاع في واشنطن أن القيادة المركزية تركز على منطقتها بأسلوب جديد ومثير، ولما أدلينا بالشهادة في الكابيتول هيل، بدا قدامى الأنصار المتحمسين للقيادة المركزية – وهم السناتور سام نان وجون، ووارنر تيد ستيفنس، ودانييل أينوى – فخورين، وكانت القيادة قد وقفت أخيراً على قدميها وبدأ زملاؤنا في وزارة الخارجية يطرون على تفهمنا المتسع للعالم العربى. أما الوحيدون الذين لم يرق لهم ما أحرزناه من تقدم فهم العاملون داخل البنتاجون، ممن لديهم مصلحة قوية في تقليص القوات الأمريكية في الشرق الأوسط.

لم نأمل في إقامة قواعد عسكرية في المنطقة، فالحكومات العربية بوجه خاص كانت أحرص على سيادتها من أن تدع القوات الأمريكية تعسكر على أرضها، وبدلاً من ذلك حددنا هدف القيادة المركزية بضمان حرية استخدام المطارات والموانئ والقواعد العسكرية الهامة في حالة نشوب حرب، بل إنى لم أتوقع حتى تحقيق ذلك، خلال فترة قيادتي كنا ملتزمين بالسير قدماً على نحو تدريجى، مثل إرسال فريق خبراء إلى باكستان لتعليم اللاجئين الأفغان كيف يحمون أنفسهم من الألغام السوفياتية، وحفر الآبار في الصومال، واقتناع الكونجرس بزيادة المعونة العسكرية للأردن بمقدار نصف مليون دولار لدفع تكاليف إصلاح المدرجات، وغير ذلك من النفقات المتصلة بالعمليات العسكرية المشتركة. واتخذ أكبر نجاح لنا شكل مناورات عسكرية، ابتداء من مناورات التدريب الصغيرة المشتركة للقوات الخاصة الأمريكية والسعودية في جزيرة بحجم طابع البريد تقع في الخليج، إلى المناورات الصحراوية الكبرى في مصر التى يشترك فيها مظلليون من الفرقة المحمولة رقم ٨٢، ووحدات دبابات من فرقة المشاة الآلية رقم ٢٤. وقد بينت هذه المناورات أن هناك بلداناً أخرى مستعدة لتقبل حضور القيادة المركزية، حتى إن كان ذلك بصورة مؤقتة وعلى نطاق ضيق.

في جولة زيارتي الثانية في خريف ١٩٨٩ وجدت الكثير من الأبواب في الشرق الأوسط تنفتح. والآن وقد عرف نظرائى العرب مدى افتتانى بحضارتهم، فقد صاروا يستقبلوننى بترحاب في بعض قصورهم ومتاحفهم وجوامعهم، كما صاروا مستعدين لمكاشفة الأسرار العسكرية، فخلال زيارتي الأولى للكويت مثلاً أحجم الجنرال الصانع عن الدخول في تفاصيل خطته الدفاعية، وقلل – شأن البلدان العربية الأخرى في الخليج

- من فكرة نشوء خطر محتمل من صدام حسين. ولما عدت في شهر أكتوبر (تشرين الأول) أخذنى في جولة استطلاعية لمنشآته العسكرية، ولم استطع أن أمنع نفسى من ملاحظة أن سائر المدافع الكويتية مصوبة شمالا نحو العراق، وأخبرنى الصانع الآن - على المكشوف - بأن العراق هو الخطر رقم واحد على الكويت، وأوضح أن صداما قد فشل في إحراز واحد من أهدافه الكبرى في الحرب مع إيران وهو استعادة منفذ الوصول إلى الخليج العربى، وفي حين أعاد العراق سيطرته على شبه جزيرة الفاوقانه استكمل تدمير الجائزة التى سعى إلى نيلها، فممر شط العرب المائى - الذى لم ينظف أبدا طوال فترة الحرب - حافل الآن بالطمى والسفن الغارقة وقنابل المدفعية التى لم تنفجر، بحيث يتعذر استخدامه لسنوات. والآن - أضاف الصانع مبتثسا - بات العراق أكثر اعتمادا من ذى قبل على أم قصر، أى مينائه العسكرى القريب من جزيرة بوبيان الكويتية، التى قد يعتمد صدام حسين إلى احتلالها.

وسعت سفيرة الولايات المتحدة في بغداد، أبريل جلاسبى إلى رؤيتى في اليوم الثانى من زيارتى للكويت، كما لو أنها تسعى للتقليل من ذلك الخطر. كانت تقوم بمهمة عسيرة، إذ لا يقتصر الأمر على أن العلاقات بين الولايات المتحدة والعراق متوترة الآن، بل يتعداه إلى أنها امرأة تقوم بما يبدو في نظر العرب عمل رجل. ولربما أفضى ذلك إلى إثباط عزائم ضعفاء الشخصية، أما جلاسبى فلم تكن تبالي بذلك قيد شعرة، وتحدثت بتلك الخشونة التى يبيدها الدبلوماسيون الذين يعرفون أنهم ليسوا مضطرين للتفاوض. لقد وصفت نظام الحكم العراقى بأنه نظام قمعى فظيع يحرمها من حرية الحركة، إلا أنه أيضا بلد أقوى من أن تهمله الولايات المتحدة «فذلك كمن ينكر وجود السرطان». وافقتها الرأى، وأضفت: بما أن العراق دولة عسكرية، فإن قيام اتصالات عسكرية من خلال القيادة المركزية من شأنه أن يكون سبيلا فعلا لتطوير الاتصالات بين الحكومتين، وأعربت لها عن استعدادى للالتقاء بالجنرالات العراقيين إن استطاعت هى توفير فرصة مواتمة.

كان على جلاسبى أن تعود إلى بغداد على الفور، أما أنا فإن مشاغل القيادة المركزية استبقتنى ومرافقى في مدينة الكويت عدة أيام أضر، وأوجد الجنرال الصانع سبيلا لتلطيف الجو إلى حد كبير قبل مغادرتنا، وذلك بترتيب وليمة عشاء لى ولضباطنا نحن

الاثنين في مطعم شهير صمم على شكل الدهو، أى على صورة مركب شراعى عربى من طراز المراكب التى كانت تمرر أمواج الخليج فى الأيام الخوالى. جاء إلى غرفتى فى الفندق قبل يوم من الولاية ليخبرنى عن المطعم، ثم سألنى عرضاً: هل تفضل ارتداء ملابس مدنية أوروبية أم ملابس كويتية؟ إن فكرة ارتداء دشداشة عربية لم تخطر على بالى من قبل، ولكنى رأيت أنه لم يكن لي طرح السؤال لو لم يرغب فى أن يراى مرتدياً إياها. أود أن أرتدى ملابس كويتية إن لم يكن ذلك مزعجاً لكم.

أضاءت البهجة قسماته «لن يزعجنى ذلك إطلاقاً، بل سنسر بذلك، سأجلبها لك». وأشرت قائلاً: لكننى لم أر أى أناس غربيين يرتدون الملابس الكويتية. نظر إلى وأجاب فى الصميم: كلا لم تر أحداً، ولكنك ترى الكثير من العرب فى الولايات المتحدة يرتدون الملابس الغربية. فهمت مغزى الرسالة: ننتظر منهم التكيف حين يعملون فى بلادنا، ومع ذلك لا نشعر بالتزام مماثل فى بلادهم.

فى عصر ذلك اليوم وصلنى الثوب، وهو رداء طويل الأكمام على القبة، معمول من نسيج قطنى أبيض، «والبشت» وهو عباءة خارجية طويلة سوداء معمولة من ياردات من نسيج صوفى ناعم متباعد الخيوط فى الحياكة، يحف مطارفه قيطان ذهبى. كما استلمت غطاء الرأس التقليدى: قماشة مربعة بيضاء من القطن هى الفترة، وقيطان أسود مجدول هو العقال ليحفظ الفترة على الرأس، ارتديت الثياب ووقفت أمام المראה. كانت رائعة المنظر، واستدرت متأملاً نفسى من هذا الجانب ومن ذلك، ولم أتمالك أبعاد نفسى عن التفكير فى فيلم لورانس العرب، حين يرتدى بتر اوتول الثياب العربية أول مرة، ويروح يدور راكضاً على كثبان الرمل معجبا بنفسه.

جاء الصانع وصحبه لاصطحابى، فنزلنا بواسطة المصعد إلى الطابق الأسفل، حيث كان مجموع الضباط المساعدين لى هنا واقفين ينتظرون دون أن يرتابوا فى شىء. ورأى نورم ايهلبرت الجنرال الصانع يجتاز ردهة الفندق مع كل أولئك العرب، فتساءل أين الجنرال شوارتزكوف إذن؟ وقال لى فيما بعد إنه على كثرة الوقت الذى أمضاه فى الشرق الأوسط لم يخطر بباله أن أمريكياً قد يرتدى ثياباً عربية.

وفى المطعم صف الجنرال الصانع ضباطه فى خط واحد للترحيب بنا، وكانت بسمه عريضة ترتسم على محيا كل ضابط منهم فيما أنا أصفافحه، ذاكرنا لى مدى سروره

وتشرفه بأن يرانى مرتديا ثيابهم. قبل الجلوس إلى المائدة تجولنا قليلا على دلة مركب الدهو الشراعى متجاذبين أطراف الحديث، مرتشفين عصير الفواكه وشاخصين بأبصارنا على امتداد الخليج. كان مساء صافيا تهب فيه الريح قليلا، وأنا واقف وسط الكويتيين في مقدمة المركب وثيابى تطير، متسائلا: ما عسى يقول عنى زملاء دراستى في وست بوينت لو رأونى الآن؟.

إن الاسلوب الجديد الذى اتبعته القيادة المركزية أثمر أيضا في الامارات العربية المتحدة، ففي أواخر عام ١٩٨٨ كان ثمة نفور وتباعد عملى بين حكومتينا، فرئيس اتحاد الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهو بدوى حاذق ومخضرم وموحد الامارات، قد أعلن مرات عديدة أن الولايات المتحدة ليست صديق العرب لأنها صديق اسرائيل. وكانت القيادة المركزية قد امعنت في زيادة العلاقات حرارة بصفقة أسلحة أبرمت قبل بضع سنوات. كانت القيادة المركزية تشرف على بيع حكومة الشيخ زايد ما قيمته عشرات الملايين من الدولارات من صواريخ هوك - ٢ (ت ٢ = التعديل الثانى) للدفاع الجوى، دون أن تذكر له أن البنتاجون يوشك أن يعلن تقادم هذا النوع من الصواريخ والانتقال إلى صواريخ هوك - ٣، وشعرت الإمارات العربية المتحدة بأنها قد خدعت.

وكان نائب رئيس أركان القوات المسلحة في الإمارات - وهو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، الابن الثالث للشيخ زايد - غير راض عن هذا الوضع الذى آلت اليه الأمور. ولما أطلعه الجنرال ايهلبرت على أن طاقما جديدا يتولى الآن مهام القيادة المركزية، دعانى إلى عرض عسكري يقام في العيد الوطنى للإمارات العربية المتحدة في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٩. كان على أن أقوم برحلة خاصة إلى الشرق الأوسط لحضور المناسبة، وبالطبع فقد كانت تستحق ذلك كما بدا لى، فالامارات المتحدة تحتل موقعا استراتيجيا حاسما، زد على هذا افتتاحى بالتحديث السريع للبلاد في ظل قيادة زايد، ورغبتى في الاطلاع عليه بنفسى. وقد عرف محمد بأننى أحب الخروج في نزهات، لذلك جعل الدعوة مغرية بصورة مضاعفة بحيث لا يمكن الاعتذار عنها.. عرض أن يأخذنى في رحلة صيد بالصقور في الصحراء في اليوم التالى.

وتوافقنا - محمد وأنا - منذ مساء لقائنا على الفور، واتفقنا في الرأى على أن بلدنا

بحاجة إلى القيام ببداية جديدة، ووعدت بتعيين الكولونيل جاك ماك جينز - وهو واحد من خيرة ضباط مقر القيادة - كرئيس للبعثة العسكرية الأمريكية. وفي اليوم التالي ذهبنا لحضور العرض العسكري.

وجهت الدعوة إلى العسكريين من سائر البلدان، وكان هناك عدة جنرالات في قاطع منصة الجلوس، حيث كنت جالسا مع هوار وايهلبرت، إلا أنني كنت الأعلى رتبة، وكان الآخرون يأتون ويصافحون عند وصولهم باستثناء اثنين. وجلس إلى جانبنا اثنان من العسكريين العراقيين، اللذان لم يقولوا لنا كم الساعة، ولما ابتسمت وقلت صباح الخير لم يردا، كما لو أنني لم أكن موجوداً. وتذكرت حوارى مع السفارة جلاسبى قبل أسابيع مضت، وفكرت: مؤكداً أن علينا أن نقطع أشواطاً أخرى قبل أن نتصادق مع هؤلاء الناس.

تحددت القيادة المركزية - منذ إنشائها عام ١٩٨٣ - بوصفها قوة انتشار سريع، على أن تكون مهمتها في زمن الحرب أن تصد الجيش الأحمر عن احتلال حقول النفط الثمينة في إيران. وكان هذا السيناريو هو الأساس المنطقي لما يسمى خطة عمليات القيادة المركزية، والمخطط الأساسى الذى استخدمناه لتنظيم الوحدات واجراء المناورات وتكديس وخزن التجهيزات، والتنافس مع القيادات الأخرى على دولارات ميزانية البنتاجون. وكنت أعرف خوفاً وبواطن الخطة بفعل تسلمى قيادة فرقة المشاة الآلية رقم ٢٤، التى كانت مخصصة للقتال تحت إمرة القيادة المركزية فى حالة نشوب حرب. والواقع أن دبابات الجيش الوحيدة المموهة باللون الصحراوى المغربى - عوضاً عن اللون الغابى الأخضر - كانت هى دباباتنا.

وقد استخدمنا خطة العمليات هذه طوال تلك السنوات، إلا أن أغلب الجنرالات يعرف أن الخطة عديمة المعنى وأنها لابد من نبذها مع المهمات آخر الأمر. فى بادئ الأمر كانت الخطة انتحارية، فقد كانت تقضى بأن تزج القيادة المركزية قواتها فى جبال زاغروس شمال إيران. إن الممرات الضيقة والأراضى الوعرة هى أفضل مواطن

الدفاع، لكننا كنا ندرك أننا مهما أبلينا في القتال بلاء حسنا، فإن العدو سيكتسحنا بتفوقه العددي، ونحن بعيدون عن الوطن مسافة ٧ آلاف ميل ومحكومون بنفاد التجهيزات والجنود في ظرف أسابيع ولما كنا نتدرب على الخطة في تماريننا نصف السنوية كان الخبراء المراقبون يوقفون التمرين قبل أن تصل المعركة إلى تلك النقطة، قائلين لنا بغموض «لقد توصل الدبلوماسيون بالتفاوض إلى وقف إطلاق نار». ولم تكن الخطة تلهمنا كبير ثقة.

رغم ذلك استخدمت القيادة المركزية تلك الخطة سنوات وسنوات لتبرير انفاق الملايين من دولارات دافعي الضرائب، لشراء تجهيزات ومعدات خاصة. وفي وقت تسلمى للقيادة كانت قد كدست مئات الأميال من الأنابيب لمد خط للتزود بالوقود من إيران، وبدلا من أن تعتمد الخطة على مصافي النفط الإيرانية كانت تدعو القيادة - كما كنا قد وضعنا خططا - لشراء أعداد كبيرة من الحوامات والمراكب البرمائية وغير ذلك من المعدات المتخصصة، لكي يكون بمقدورنا نقل سائر تجهيزاتنا إلى الشاطئ. والمنطق الكامن وراء ذلك هو أن عداء الحكومة الإيرانية للولايات المتحدة لن يفسح لنا منفذا للموانئ. ورأيت أننا إذا لم نستطع تحديد هدف معقول للقيادة المركزية الجديدة التي أتولاهما الآن، فإننى على استعداد لأن أوصى وزير الدفاع بالغاء القيادة.

وذاذ مساء من أمسيات يوليو (تموز) ١٩٨٩، بعد مضي ثمانية أشهر على تسلمى القيادة العامة لهذه القوة، وبعد الزيارات الأولية للشرق الأوسط، تمددت في الفراش وأنا أحرق في السقف وفكرة خطة جديدة تتبلور في فكري. واسترجعت في عقلى ما خلصت اليه. كنت متيقنا من الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط، ومن كون الشرق الأوسط سبب وجود القيادة المركزية. وعدا قلة قليلة من المتصلبين المعاندين، لم يكن أحد يعتقد أننا سندخل الحرب ضد الاتحاد السوفياتى في الشرق الأوسط، فكل يوم يأتينا ببرهان جديد على نجاح محادثات الحد من الأسلحة، وتخفيف توترات الحرب الباردة. أما في منطقة مسئولية القيادة المركزية فإن القوات السوفياتية انسحبت فعليا

من أفغانستان بعد ثمانى سنوات من القتال.

كذلك سألت نفسى: ما هو الشيء الأكثر احتمالا؟ مواجهة أخرى على غرار حرب الناقلات؟ مواجهة دخلت فيها الولايات المتحدة فى نزاع محلى خرج عن حدود السيطرة وراح يهدد تدفق النفط إلى بقية العالم. وأحصيت مالا يقل عن ١٣ نزاعا جاريا فى المنطقة: حروب حدود، حروب أهلية، حروب قبلية، حرب دينية، ومن شأن أى نزاع بعيد مذهب أن يهدد مصالحنا بالخطر. وعليه. يجب أن تطور القيادة المركزية خطة عمليات تعالج أسوأ هذه النزاعات بعدها فكرت فى أن بوسعنا أن نتولى أية أزمة اقليمية فى أوجها.

ما هى أسوأ الحالات؟ العراق غازيا. إن رابع أكبر جيش فى العالم يتمركز على الحافة الشمالية لحقول النفط، التى يؤلف ما تنتجه مادة أساسية للعالم الصناعى. وتذكرت الكثير من العرب الذين نصحونى بألا أقلق بصدد العراق، كما تذكرت القلة الذين نصحونى بأن أقلق، وحسنت رأى فى أن القلق هو النهج الصائب جزئيا، لأن صدام لم يخط خطوة واحدة لتقليص حجم جيشه خلال العام الذى مر على وقف إطلاق النار مع إيران.

كنت أدرك أن الخطوة التالية التى يتعين أن أخطوها هى أن أشق طريقى عبر الجهاز البيروقراطى للبنتاجون، لكى نستطيع رسميا الامساك عن المزيد من التحضيرات بصدد غزو سوفياتى مفترض لإيران. ان قائد قطاع اقليمى لا يستطيع أن يضع على هواه خطة الحرب التى يشاء، فهئية رئاسة الأركان المشتركة هى التى تملى عليه مهمته وفقا للاستراتيجية الوطنية الموضوعية، ويأتى ذلك فى صورة وثيقة من ورق خفيف سرية للغاية - وتسمى مرشد تخطيط الدفاع - يسلمها وزير الدفاع. ويستخدم استراتيجيو البنتاجون هذا المرشد لتطوير سيناريو خطة حية، وهى وثيقة أخرى سرية للغاية تصور مختلف تعاقبات الأحداث الأكثر رجحانا التى تقود الولايات المتحدة إلى الحرب. وتتخذ هذه الوثيقة بدورها أساسا لوضع خطة أخرى تسمى خطة القدرات الاستراتيجية المشتركة، التى توجه مختلف القادة للشروع فى وضع خطط حرب تفصيلية، وتحديد القوات

التي تعمل مع كل قيادة. ومن الواضح أن علينا السعى إلى جعلهم يعيدون النظر في هذه الوثائق.

كنت أتوقع مقاومة فعلية، ليس بسبب كثرة المتعصبين لخطّة جبال زاغروس فحسب، بل بسبب أن البنتاجون كان يتعرض لضغوط هائلة كى يقلص ميزانيته الجارية مع انتهاء الحرب الباردة. وكان الأدميرال كراو يهيئ توصياته حول الاستراتيجية العسكرية الوطنية لكي يقدمها إلى الكونجرس قبل تقاعده في سبتمبر (أيلول)، ولم تكن مسودة التوصيات التي وزعها البنتاجون على القادة العاملين لإبداء ملاحظاتهم تحتوى على أى بند مهما كان عن الشرق الأوسط. وكان كراو يرى أن على وزارة الدفاع أن تركز مواردها للولايات المتحدة ومهامها القارية، وحلف الناتو (الأطلسي) والمحيط الهادئ. وكررت المسودات اللاحقة الشيء نفسه تماما، رغم المحاولات المتكررة - الرسمية وغير الرسمية - من جانب القيادة المركزية لحمل البنتاجون على الاقرار بتنامي الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط. وجادلت داعما لموقفنا - وفي مناسبات عديدة - نائب الأدميرال جون هاو مساعد كراو، الذي كان يشكرنى على الدوام دون أن يفعل شيئا (وكان من الصعب جدا لقاء كراو نفسه بسبب انغماره في عمل أسابيعه الأخيرة كرئيس لـ لاركان). حاولت اقناع الجنرالات والكولونيالات في مقر هيئة رئاسة الأركان المشتركة، مشيرا إلى ذلك بالقول: ما قيمة المحيط الهادئ بدون نفط الشرق الأوسط؟ لقد دخلنا الحرب قبل فترة وجيزة بسبب التدفق الحر للنفط.

أقر الكثيرون أن كلامى معقول ولكنهم قالوا «أنت لا تفهم أن الأدميرال كراو كتب الوثيقة بنفسه».

درست خياراتى، لقد انحشرت وراء الطاولة في مكاتب البنتاجون خمس مرات ولدى دراسة كافية بـ «الكونج فو» البيروقراطى تؤهلنى للمقاومة. ولو اقتضى الأمر فإن بوسعى مناشدة أنصار القيادة المركزية في الكابيتول هيل. كنت أعرف أنى لست بحاجة إلى إقناع السناتور «نان» مثلاً بأهمية الشرق الأوسط، إلا أنى لم أحبذ فكرة التحرك خارج تسلسل المراتب القيادية في وزارة الدفاع، ولم أكن مضطرا لذلك كما اتضح لى فيما بعد. حسب المجرى العادى للعمل قدمت خطتى لإعادة النظر في تحديد مهام القيادة.

المركزية إلى كبير الاستراتيجيين المدنيين عند وزير الدفاع ديك تشيني، وهو باول ولفويتز مساعد الوزير للشؤون السياسية، وهنري راون سكرتير مساعد الوزير لشؤون الأمن الدولي. لذلك حين قدم الأدميرال كراو استراتيجيته للوزير تشيني من أجل مراجعتها دعاني ولفويتز وراون، وسألاني بارتياح: هل تتفق مع هذه؟

أجبت بالطبع لا، وشرحت لهما مدى ما تعرضت له من إعاقة.

عرضا القضية مباشرة على تشيني، الذي أمر بإدخال فقرة عن الشرق الأوسط. في هذا الفاصل وجدت حليفا واحدا هو كولن باول. لقد عاد إلى الجيش كما هو متوقع وتولى قيادة القوات. زرتة في مقره بغفورت ماكفيرسون حيث كنت قد زرت المخططين المسؤولين عن نصيب الجيش الثالث من خطتنا للحرب. عند ذلك الحد كانت سمعة باول في المؤسسة العسكرية مختلطة، فالكثير من الناس يرون أنه نصف جنرال ونصف سياسى، ولم يسبق له في مجرى تدرجه الصاعد أن قاد فرقة، وهذه أرضية هامة لنيل الجدارة. عوضا عن ذلك جرى تعيينه مساعدا عسكريا لوزير الدفاع كاسبار واينبرجر أيام كانت رتبة جنرال بنجمتين وهى وظيفة ذات نفوذ سياسى هائل - ومن هناك ارتقى إلى رتبة ثلاث نجوم وتولى إمرة الفيلق الخامس في ألمانيا. وقبل أن تسنح له الفرصة لإثبات كفاءته في الوظيفة، سحب من جديد إلى واشنطن للخدمة في البيت الأبيض في ظل الرئيس ريجان، ليتولى آخر الأمر منصب مستشار الأمن القومى. وعليه فقد كان عمليا خارج السلك العسكرى لعدة سنوات، والان عاد إليه كجنرال بأربع نجوم، وفي موقع قيادى مهيب. ورغم أنه خدم مرتين في فيتنام، وشهد العديد من الضباط الذى عملوا معه في مهمات أخرى بقدرته في المجال العسكرى، فإن ارتقاءه السريع دفع العديد من الجنرالات الذين تجاوزهم سريعا إلى اللغط عن افتقاره النسبى إلى الخبرة العسكرية.

لم أكن أعرف «باول» معرفة كافية للحكم عليه، وتعاملى الوحيد معه اقتصر على اللقاء به في إطار جماعى في مؤتمرات كبار الجنرالات، حيث لفت انتباهى كرجل ذكى ثاقب الفكر، ويحمل نفس الرأى الذى أحمله حول العديد من القضايا الأساسية. وغالبا ما كان باول وشوارتزكوف وحدهما يتصديان لآراء العديد من زملائنا في مجرى النقاشات حول مستقبل الجيش، وجادلنا قائلين بوجوب إعادة التفكير في أسلوب بناء

وتجهيز الجيش طالما أننا لم نعد نتوقع الدخول في حرب مع الاتحاد السوفياتي.. ولكن كثرة من الجنرالات كانت ترى أن الإصلاحات سابقة للأوان.

وابتدأت نقاشا بيننا في فورث ماكفرسون، كبادرة كياسة ضمن عادات الجيش بأن يحيى الجنرال الزائر الجنرالات الكبار في الموقع. وكان الجيش الثالث واحدا من القوى الرئيسية تحت سلطة باول، وقد اغتنم الفرصة ليخبرني بأنه منزعج من قيام قوات القيادة المركزية بالتدريب على سيناريو غير واقعي، أى على الحرب في جبال زاجروس. كما كان يرى أن تكديس المعدات لتلك الحرب تبديد هائل للأموال.

قلت له: لا تقلق، إننى في مجرى إعادة النظر جذريا باستراتيجيتنا وخطط حربنا، وأظن أن بوسعنا تقليص النفقات كثيرا، ثم أوجزت له التغييرات التى أود إحداثها. تحمس «باول» وتطوع للمساعدة بكل ما يتيسر له.

لو التزمنا بحرفية النصوص لاستغرقت إعادة صياغة وجهة القيادة المركزية - وفق ما كنت أعزم - سنتين كاملتين، فكل فرع من فروع القوات المسلحة يجب أن يقطع حصته من خطة الحرب الجديدة، كما يجب على القيادة المركزية أن تقيم الامكانية العملية لايصال القوات والتجهيزات الضرورية إلى منطقة الحروب. بعد ذلك يجب إعداد خطة لحرب لوجستية مرافقة تتألف من الاف الصفحات من جداول الكمبيوتر، وتحدد كيف وبأى تسلسل يتم شحن الجنود وقطع المعدات والتجهيزات فعليا. ويطلق البنتاجون على هذه الخطة اسم «قزنق»، وهى مختصر لعبارة (القائمة الزمنية لنشر القوة). ولا تستطيع القيادة عادة أن تتبنى خطة عمليات قبل إتمام كل هذه الخطوات المستهلكة للوقت، وكان على الآن البحث عن طريقة لحمل العاملين في القيادة المركزية على التفكير في أمر المخطط الجديد بأسرع ما يمكن.

وتحدد موعد اللعبة الحربية السنوية المسماة بالاسم الرمزي «النظرة الداخلية» في الصيف القادم، وتستغرق اللعبة التى تعرف بـ «تمرين موقع القيادة» ثمانية أيام مضمنة بعشرين ساعة انهاك في اليوم الواحد، تتدرب فيها أركان القيادة المركزية - إضافة إلى أركان الجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية - على إدارة حرب مبلورة، ومصدرة الأوامر، ومعدة لتقارير الميدان، وموجهة تدفقات الذخيرة

والتجهيزات، ومنسقة مناورات القوة الجوية والجيش والأساطيل باستخدام برامج الكمبيوتر بدلا من القوات الفعلية في الميدان. وهذا الأسلوب الذي تتدرب عليه مقرات القيادة هو المعادل لتدريب الطيار في غرفة تحليق وهمية. وكان دخول السوفييت من خلال إيران والاشتباك معنا في حرب هو السيناريو المعد، إلا أن العراق قد خيب توقعاتنا، وبدلا من السوفييت صار هو العدو القادم لنا من مياه الخليج.

وكان أركان العمليات التابعون لي قد بدأوا العمل في «لعبة النظرة الداخلية» لعام ١٩٩٠، مهئين تدريبا يرتكز على فرضية دخول السوفيات من خلال إيران في سيناريو جبال زاغروس. وسألت جيم ريكورد: لماذا نجهد أنفسنا في عمل منهك لمدة أسبوع في خطة نبذت مع القمامة؟ وشرح لي قائلا: طالما أن الخطة الجديدة لم تقرر رسميا بعد، فإن الواجب يقضى بالسير على الخطة القديمة. وقلت له أن ينسى جبال زاغروس، وأن يختبر الخطة التي كانت

الباب الثاني

الشرك الأمريكي للعراق

كان هدفنا هو إحداث (شرك أمريكي للعراق)، وهذا هو ما حدث تحديداً، فلقد لعبنا مناورة النظرة الداخلية على شاشات الكومبيوتر في أواخر تموز (يوليو)، مقيمين مقر قيادة سوريا مجهزا بالكمبيوتر ومعدات الاتصال في قاعدة إيطن الجوية الواقعة في اللسان الأرضي لولاية فلوريدا، الذي يشبه يد المقلادة. وبينما كان التمرين الوهمي جارياً، كانت القوات البرية والجوية العراقية في العالم الحقيقي توازي في الخفاء السيناريو المتخيل في لعبتنا. كنا قد صورنا قوة ضخمة تتألف من نحو ٣٠٠ ألف رجل و ٣٢٠٠ دبابة و ٦٤٠ طائرة مقاتلة، تحتشد في جنوب العراق وتهاجم شبه الجزيرة العربية. أما القوة الأصغر التابعة للقيادة المركزية، فيفترض فيها أن تصد الغزو وتوقفه قبل أن يحتل حقول النفط ومصافي النفط والموانئ السعودية الهامة.

ولإضفاء مزيد من الواقعية على هذا السيناريو، طلبت من مركز المراسلة في قواتنا -قبل عدة أسابيع- أن يبدأ سلفاً بإرسال دفق من البرقيات الوهمية عن التطورات العسكرية والسياسية في العراق إلى مقر قيادة وحدات الجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية، المقرر لها أن تشارك في لعبة المناورة. ومع بدء لعبة مناورة الحرب، راح مركز المراسلة أيضاً يبعث نشرة المعلومات المخبرانية المعتادة عن الشرق الأوسط الحقيقي، وكانت التقارير المتعلقة بالعراق على شبه كبير بالبرقيات المزيفة في اللعبة، بحيث اضطر مركز المراسلة إلى أن يختم على التقارير الوهمية بحروف بارزة: «للتمرين فقط».

قضيت الأسبوع متوتراً.. قدم في عالم التمرين الخيالي وقدم في عالم الواقع الفعلي، حيث الأزمة الحقيقية تتنامى. ففي السابع عشر من تموز وجه صدام حسين علناً -وبلهجة غاضبة- تهديداً بالحرب إلى الكويت والإمارات العربية المتحدة، واتهم

الاثنين بغرز خنجر مسموم في ظهر العراق بتجاوزهما حصص الانتاج المقررة في الأوبك، مما أدى إلى خفض أسعار النفط. ومضى إلى القول بأن جشعهما قد دفعهما إلى التآمر مع الإمبرياليين الأمريكيين والإسرائيليين لتخريب العراق، وكفوا عن التصرف كأشقاء عرب. وفي اليوم نفسه وصلت أولى التقارير عن وجود تحركات مريبة للقوات العراقية شمال الكويت تماما.

إن الصراع على حصص الأوبك هو بمثابة قبعة بالية، فصدام المثقل بديون حرب تناهز ثمانين مليار دولار، كان يريد منذ فترة بعيدة رفع الأسعار، أما قادة الخليج الآخرون فقد رفضوا باستمرار مجاراته في ذلك. بل إن رجالا ذوي ثقافة عالية مثل الملك فهد عاهل السعودية والسلطان قابوس بن سعيد عاهل سلطنة عمان، كانوا يعتبرون صداما بمثابة قاطع طريق، إلا أنهم لم يكونوا قلقين تماما بسببه. فبعد كل شيء تصرف العراق كدولة عسكرية على مدى أحد عشر عاما دون أن ينقلب على جيرانه العرب (الإيرانيون آريون وليسوا عربا)، وظلوا متمسكين بالاعتقاد بأن العرب سيواصلون تسوية خلافاتهم بينهم سلما- وهو ما دأبوا على تكرار قوله قرونا- إلا أن صدام حسين صعد تهديداته الفظة إلى مستوى لم يسبق له مثيل في العالم العربي، وتوقعت أن نرى ردود فعل سريعة من الدول العربية الأخرى.

كانت الإمارات العربية المتحدة أول من طلب العون، وتوجه الشيخ محمد -بموافقة والده- إلينا بطلب اثنتين من طائرات نقل الوقود لتزويد المقاتلات بالوقود جوا. كان محمد يبغى الاحتفاظ بقوته الجوية محلقة باستمرار وجاهزة للدفاع فورا، لمواجهة أي هجوم عراقي. كما سأل أيضا إن كان بمقدورنا تزويده بطائرة انذار مبكر تحسبا لقيام العراق بشن غارة. كان كلا الطلبين دفاعي والطابع ومعقولا، وأدركت أن الامارات تعد ذلك امتحانا صارما للعلاقة الجديدة التي وعدتهم بها، كما كنت أدرك أن طلب المعونة الأمريكية يتطلب قدرا من الشجاعة، لأن الإمارات كانت تعرض نفسها بذلك إلى الازدراء من جانب الدول العربية الأخرى. قلت: بالطبع سنفعل.

بعد ذلك تقدمت الإمارات بطلب رسمي إلى واشنطن، إلا أن وزارة الخارجية أوصت برفض الطلب وصرفوا النظر عن محمد باعتباره أميرا مانعا. جاء هذا الحكم من خبير في الشئون المصرية لا يعرف إلا النذر اليسير عن الإمارات، ولقد أخافهم اسم الرجل،

فمحمد الإماراتى مسلم ورع وضابط عسكرى كفاء وابن وفى مخلص لأبيه. ولاقت احتجاجاتى أذانا صما، فالتجأت أخيرا إلى كولن باول. قلت له إن ذلك هام جدا بالنسبة لنا، إنهم لا يطلبون الكثير، ويجب أن ندعم هذا الطلب إذا كنا نريد الحفاظ على أية علاقة عسكرية مع الإمارات.

وافقنى الرأى بحماس شأن وزير الدفاع ديك تشينى، إلا أن تغيير موقف وزارة الخارجية تطلب يومين. فى غضون ذلك اتصل بى محمد وقال: هل ستدعمون الطلب أم لا؟ كما أن السفير الأمريكى فى الإمارات -الذى كان قد وعد بتقديم العون أيضا، وكان الآن فى وضع دقيق وحرج- اشتكى إلى وزارة الخارجية قائلا: إننى أصرخ بأعلى صوتى: لماذا لا ندعم هذا الطلب؟ ما هو فحوى الالتزام؟ مجرد طائرتى نقل وقود. إننا سنكسب ثقة هؤلاء الناس إلى الأبد.

كانت هذه المعارك نموذجا مميزا لأسلوب عملنا فى الشرق الأوسط، فليس ثمة ما هو عين أبدا.

أخيرا.. وفى حوالى أواخر تموز، أرسلنا بهدوء طائرتى نقل وقود من أجل ما أسميناه التدريبات المشتركة مع القوة الجوية الإماراتية، كما نشرنا ثلاثا من سفننا الخمس فى قوة الشرق الأوسط لتشكيل سياج خفارة على امتداد الخليج، بحيث إذا شن العراق غارة جوية أمكن لنا التقاطها على شاشات الرادار فى الوقت المناسب لتحذير الإمارات.

أما فى الكويت، فإن صديقى الميجور جنرال الصانع والميجور جنرال جابر الخالد الصباح وضعا القوات الكويتية فى حالة الإنذار القصوى، ونشراها فى مواقع دفاعية شمال مدينة الكويت، وهى خطة سبق لى أن اطلعت عليها فى العام المنصرم.

إلا أن أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح اعترض ملغيا القرار، وأعاد القوات إلى ثكناتها، وافترض الأمير -استنادا إلى خبرته- أن بالوسع استرضاء صدام بالثقود. لقد أسهمت الكويت من قبل بمليارات الدولارات دعما لمجهداته الحربى ضد إيران، فكمما يزعم صدام الآن أن الكويت قد سرقت ما قيمته ٢,٥ مليار دولار من نفط حقول الرميطة المشترك بين البلدين، واتفق الدبلوماسيون الأمريكان على أن صداما لن يهاجم.

واستلمنا خلال الأسبوع الأخيرة من تموز تحليلا للوضع من وزارة الخارجية

ومن الأوساط الدبلوماسية الدولية، يقول ما معناه أن صداما يلوح بالسيف ليس إلا، ليستقوى على الكويت في معركة أسعار النفط، وأنه ما من دولة عربية ستهاجم دولة عربية قط.

إلا أن الله حبانى بضباط مخابرات يبلغون من المهارة مبلغا، بحيث إن أوساط المخابرات العسكرية في واشنطن كانت تعطى الأولوية لتقارير القيادة المركزية، مؤيدة تقديراتنا للتطورات في الشرق الأوسط. وكان ضباط المخابرات يطلعوننى كل صباح على آخر التحركات العسكرية العراقية، وتوفرت لنا معطيات مذهلة يمكن الاعتماد عليها. فمنذ حرب النافلات والولايات المتحدة تخضع تلك المنطقة لمراقبة متناسبة بواسطة البشر والمعدات المتطورة، فكان كل يوم جديد يحمل لنا تكدسا من المعلومات الطازجة. ورحنا نتعقب أثر القوافل العسكرية والقطارات المحملة بالدبابات فيما هى تتحرك من بغداد إلى البصرة جنوب العراق، ثم تنطلق من هناك إلى مناطق الحشد.

لقد سبق للعراق أن استخدم الصحراء المتاخمة للبصرة لأغراض التدريب العسكرى، وحسبنا بادىء الأمر أن الحشود الحالية قد تكون لغرض إجراء تدريبات عسكرية أخرى. كانت القوات العراقية تقيم هناك في خيام، أما دروعها ومعداتنا وتجهيزاتها فتجثم بعيدا في المؤخرة، أما في نهاية تموز فلم تعد القوات مقصورة على منطقة التدريب، بل راحت تنتشر كالمروحة جنوب شرق وجنوب غرب البصرة ووجهها إلى الحدود الكويتية، واختفت الخيم الآن وتقدمت الدروع إلى الأمام، فيما حشدت المعدات إلى جوار الوحدات القتالية التى يمكن أن تستخدمها. فالهليكوبتر تجثم بجوار الوحدات الخاصة، والجسور العائمة إلى جانب مشاة البحرية. ولم يكن ثمة سبيل للتوهم بأن ما نراه هو محض استعراض للقوة، بل هو خطة حرب تتبلور.

ولما عدنا إلى تامبا، انتقلت هيئة أركانى - دون توقف - من التوتر الاصطناعى للعبة الحرب على شاشات الكمبيوتر، إلى التوتر الفعلى الناجم عن الأزمة. وحصل تغيير في كادر الضباط الذين اعتمد عليهم اعتمادا بالغا. فمثلا جوهان رئيس أركانى، رقى إلى رتبة جنرال بثلاث نجوم ونقل إلى مهمة في البنتاجون تضعه على المسار السريع الصاعد إلى قيادة بأربع نجوم. كنت فخورا بأن أراه يصعد ومسرورا بالبديل الذى جاءنى، وهو الميجور جنرال بوب جونستون، الذى كان على قدر مساو من الكفاءة. وكنت قد سمعت

جنرالات آخرين يصفون جونستون باعتباره القائد المقبل لفيلق مشاة البحرية، وعرفت من أدائه في مناورات «النظرة الداخلية» سبب ذلك. إن رئيس الأركان يلعب دورا محوريا في تدريبات موقع القيادة، كما في الأزمة الفعلية. ورغم أنه أمضى في القيادة المركزية شهرا واحدا فقط، فقد نفذ وظيفته على أحسن ما يمكن أن تنفذ.

وجاءنا أيضا الميجور بوت مور - وهو ضابط قوة جوية محنك - ليعمل كمدير جديد للعمليات عندى. وهى وظيفة لا كسب فيها، خصوصا حين يكون القائد العام حصان حرب قديم مثلى، يعتقد في نفسه أنه خير ضابط كضابط ارتباط للقوة الجوية بالكونجرس، ووجد نفسه الآن على مقعد ساخن منذ أول لحظة، ابتداء بمناورات النظرة الداخلية، وانتهاء بالأزمة الفعلية، واجتاز المصاعب الناشئة بفضل خبرته كطيار مقاتل. في هذه الأثناء تلقى قسم المخابرات عندها - وهو الأفضل في الأمور المتعلقة بالشرق الأوسط أصلا - دعما بعقل جديد، هو الرئيس الجديد للقسم البريجادير جنرال «جال لايدا». كان «لايدا» مختصا بالشرق الأقصى، وقد عمل ملحقا عسكريا في الصين أيام مذبحة ساحة تيان ان مين، وانتقل الآن إلى القيادة المركزية متوقعا فترة مستحقة من راحة البال. ولكن ما إن اندلعت الأزمة حتى سارع إلى تعليم الضباط الشباب كيف يزيدون كفاءتهم في ظل جبال ساحقة من العمل.

ورد إلينا من الكويتيين طلب المعلومات حول التهديد العراقي، فأجبناهم بإرسال أحد خبراء لايدا، وهو الميجور جون. ف، فيلى، إلى مدينة الكويت، حاملا حقيبة ملاءى بصور فوتوغرافية سرية للغاية. وأبلغنا واشنطن - بعد الظهر بقليل من آخر يوم من أيام يوليو - بأن الحرب بين العراق والكويت تبدو وشيكة، ودعم المحللون في وكالة مخابرات الدفاع - الذين كانوا يتابعون نفس المعطيات - استنتاجنا هذا. وأمرنى كولن باول عصر ذلك اليوم نفسه بالمجيء إلى واشنطن، لإطلاع وزير الدفاع تشينى وهيئة رؤساء الأركان المشتركة على الخيارات المتاحة أمامنا فيما لو بدأ إطلاق النار.

في عصر اليوم التالى دخلت التخوم المألوفة لغرفة الاجتماعات المعروفة باسم «الدبابة»، مقدما الرسوم البيانية وصور المراقبة لمواقع القوات العراقية، ومدليا بحديث مدته ٩٠ دقيقة. وسألنى تشينى وهو يشير إلى خارطة الكويت المعروضة على الشاشة، عن رأيى فيما سيفعله العراق. قدمت تنبؤا اتضح فيما بعد أنه ينقسم إلى نصفين:

نصف صائب ونصف خاطيء، «لا ريب في أن هذه خطة عسكرية، وأظن أنهم سيهاجمون». هذا ما قلته، لكنني أضفت أنني لا أعتقد أن صداما سيلتهم البلد كله، وتوقعت أن يكتفى بنقل مواقعه إلى الجنوب من خط العرض رقم ٣٠، مستوليا على الجانب الكويتي من حقل نقطة الرميطة، إضافة إلى جزيرة بوبيان التي تسيطر على المسار البحري إلى الميناء العراقي الجديد «أم قصر»، والتوقف عند هذا الحد.

وقدتمت عرضا بخطط تفصيلية كنا قد صنعناها حول هجمات جوية وبحرية يمكن لنا أن نشنها على العراق، وقدتمت قائمة بما يسمى بالأهداف الثمينة: مقرات القيادة العسكرية، محطات توليد الطاقة، المصانع التي نملك أن ندمرها بسرعة. وفي الختام، وبما يشبه المراجعة في التفكير وأوجزت خطة الطوارئ لإرسال قوات للدفاع عن العربية السعودية. وانتهى الاجتماع بدون أي إحساس بأن الوضع يتطلب عملا عاجلا. ففي هرم الأزمات العالمية كانت أزمة الخليج مجرد ومضة ثانوية على شاشة الإنذار.

واتصلت بمقر قيادة قواتنا في تامبا مسبقا، وأنا في طريقي إليه، مبلغا بأن جلسة الاطلاع سارت سيرا حسنا، وأمرت ضباط أركانى بالانفضاض، تاركا فريق العمل في الأزمات في الخفارة، وكانت تلك أول فترة راحة لأركان فريقنا منذ اسبوعين. وشعرت بالرضا لأننا قمنا بكل ما نستطيع القيام به، إلى أن يقوم صدام بنقلة جديدة. ولما حطت طائرتي في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم ذهبت إلى بيتي.

بعد ساعة واحدة فقط - وفيما أنا أركب دراجة التمارين الرياضية متهيئا لصرف العراق عن فكرى - رن جرس التليفون. كان كولن باول على الخط، وقال لي مقرا بالواقع: لقد كنت مصيبا، لقد عبروا الحدود.

هرعت إلى مركز القيادة وأنا مازالت مرتديا بدلة الاحماء الرياضى. اطلعنى ضباط فريق الأزمات على تقارير الاستخبارات الأولية، التي أشارت إلى أن الهجوم العراقي الرئيسى قد تجاوز حقل الرميطة وتغلغل في عمق الكويت. يبدو أن صداما سيمضى إلى أبعد مما توقعت، بعد ذلك انقطعت الاخبار طوال ساعتين، وانتظرنا سماع شىء من

فريننا للمساعدة الأمنية في الكويت أو من الميجور فيلي. أخيرا بعد الساعة التاسعة مساء - الرابعة فجرا بتوقيت الكويت - اتصل بنا فيلي، لقد استيقظ من النوم في غرفته بالفندق على دوى انفجارات بعيدة، فعبر الشارع قاصدا السفارة الأمريكية حيث تحتفظ القيادة المركزية بجهاز اتصال عبر الأقمار الصناعية يربط فيلي بمقر القيادة في تامبا. وكان فيلي الآن على الخط يتحدث مع الجنرال لايدا، الذي نقل لنا تقريره أن الجنود العراقيين في وسط مدينة الكويت.

من الواضح أن ذلك ليس بالاختراق المحدود الذي تكهنت به صباح ذلك اليوم. رحت إلى التليفون الأحمر - وهو الخط السري للغاية مع واشنطن - لأحذر الجنرال باول، إلا أنه أخذ يرن قبل أن التقط السماعة. لقد سمع باول الأخبار نفسها عبر قنوات وزارة الخارجية من السفير هاويل في الكويت، وقد اتصل ليخبرني. لقد دهش الجميع، فثمة عربى يهاجم شقيقا عربيا. أضاف باول: قد احتاجك أن تأتى إلى هنا صباح الغد لإطلاع الرئيس.

في غضون ذلك ارتقى الميجور فيلي إلى سطح مبنى السفارة، وقدم لنا وصفا حيا لمعركة الفجر في مدينة الكويت، فإن موقع السفارة كان ممتازا، فهو على مبعده ربع ميل من القصر الرئيسى: أحد الأهداف الأساسية للعراقيين. وصف لنا فيلي الدبابات والمقاتلات والهليكوبترات العراقية التى رآها تهاجم، وقال إن الهليكوبترات كانت تفرغ جنود القوات الخاصة في مواقع استراتيجية في عموم المدينة، وشاهد أناسا بملابس مدنية يعطون لها إشارات في مناطق الهبوط. لقد أعد العراقيون للغزو إعدادا دقيقا، وذهبوا إلى حد زرع العملاء للعمل كمنظمين على الأرض للقوات الداخلة.

وأتضح صورة الغزو في الساعات القلائل التالية. لم يزد الهجوم إلا قليلا عن التقدم على الطريق العام الذى يوصل شمال الكويت بجنوبه وصولا إلى مدينة الكويت، وهنا واجهوا مقاومة أبطأتهم. في هذه الأثناء التف طابور من الدبابات حول المدينة واتجه جنوبا نحو القاعدة العسكرية وحقول النفط الجنوبية. وفي ذلك الصباح نفسه - كما علمت فيما بعد - حاول الجنرال جابر نائب رئيس الأركان أن يحرك الجنود خارج الثكنات وينقلهم إلى مواقع المعركة، إلا أن وحدات الكوماندوز العراقية دمرت مقر

قيادته، لذلك قضى ساعات الفجر متنقلا بسيارته المرسيديس ليوجه القوات من تليفون ببطارية خلوية. فيما بعد ذهب هو وأركانه إلى مخبأ تحت الأرض، لا لشئ إلا لتوقف ثلاث من دبابات الحرس الجمهوري فوق سقفه. ولما رأى جابر أنهم سيؤسرون لا محالة قرر أن يسلم نفسه افتداء لحرية ضباط أركانه، وأرسل أحد مساعديه إلى الأعلى ليفاوض على التسليم. ولحسن الحظ فإن الدبابات العراقية في هذه الأثناء تحركت بعيدا، ففر جابر من المخبأ وانتهى إلى توجيه بقايا الجيش لعدة أسابيع أخرى.

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، أبلغت مكتب كولن باول في البنتاجون عن وجودى مستعدا لمرافقته إلى اجتماع مجلس الأمن القومي، حيث سأقوم - لأول مرة في حياتي - بإطلاع رئيس الولايات المتحدة. رمقني باول نظرة متفحصا التعبير المائل على وجهي، وحذرني من عقد آمال كبيرة على الاجتماع قائلا: إن اجتماعات مجلس الأمن القومي هي في الأساس منبر يجمع الرئيس منه المعلومات، وسيشعر كل شخص في الوزارة بأن عليه أن يتحدث، لذلك قد تسمع أشياء حمقاء. لا تتوقع اتخاذ أى قرار، فحين يتوجب على الرئيس أن يتخذ قرارا فإنه سيفعل ذلك بالتشاور مع مجموعة أصغر بكثير. وتصفح - بعجل - «سلايدات» تقارير الاطلاع التي عمل ضباط مقرنا بمشقة طوال الليل في تهيئتها. نصحني بأن أقصر عرضي للوضع على ما يمكن أن تقعله القيادة المركزية في الحال، وبخاصة الضربات الجوية والضربات البحرية التي وصفتها لهيئة رؤساء الأركان المشتركة. ونبهني باول بوضوح إلى أنه لا يريدني أن أدخل في تفاصيل خطتنا للطوارئ - القاضية بإرسال القوات - قبل أن نعرف نوايا صدام. وأضاف أن تدخل الولايات المتحدة عسكريا أو عدم تدخلها يتوقف على التالي، وهو إلى أى مدى سيمضى العراق؟ أوجز قائلا: أظن أننا سندخل الحرب من أجل العربية السعودية، ولكنى أشك أن ندخلها من أجل الكويت. أخيرا نصحني قائلا: إننى ضيف على الاجتماع، وبصفتي هذه ينتظر منى أن أبقى على الهامش، وألا اتحدث حتى يطلب منى. استوعبت كل توجيهاته، لقد كان باول مستشارا للأمن القومي، وبصفته

هذه فقد كان يعرف ما يقول، والبروتوكول الذى وصفه يشبه البروتوكول السارى فى اجتماعات الدبابة. بعد الفراغ من ذلك صعدنا إلى السيارة الفارغة التى انطلقت عبر نهر بوتوماك إلى البيت الأبيض.

كانت تكهنات باول فى محلها تماما، فالقاضى وليم ويست - رئيس وكالة المخابرات المركزية - ابتدأ بأحداث المعطيات الاستخباراتية. ورغم أن فى متناول الوكالة نفس المعلومات المتوفرة لدى القيادة المركزية، فإن ما قدمه ويست لم يزد عن وصف بانث للقوات العراقية قبل بضعة أيام من الغزو، وقدم معطيات شحيحة عن الهجوم نفسه، دون أن يذكر كلمة واحدة مثلا عن المعركة حول القصر الأميرى فى الليلة السابقة. وقدم الليو تاننت جنرال برانت سكوكروفت مستشار الأمن القومى وتوم بيكرنج سفير الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة ووزير الدفاع ديك تشينى، مدخلات مثيرة للاهتمام، إلا أن موظفى الوزارة الآخرين - الذين كان يفترض فيهم أن يسهموا فى تقييم التطورات الجديدة - بدوا غير مهتمين بالمرّة.

كان الرئيس بوش يريد معاينة كل وجه من وجوه الأزمة، هل هناك احتمال بأن تدخل إيران الحرب إلى جانب العراق؟ هل تستطيع قطع تدفق النفط العراقى والكويتى؟ ما تأثير ذلك على الاقتصاد العالمى؟ لماذا امتنعت اليمن عن التصويت فى مجلس الأمن مع قرار شجب الغزو؟ ما الذى نستطيع القيام به للحيلولة دون اخذ المواطنين الأمريكان كرهائن؟ وأعجبت باستعداده للإصغاء لكل ما يريد أى واحد قوله، وإحجابه عن إصدار حكم أو قرار متعجل قبل أن يرى الصورة كاملة.

وراح يدور بانتباهه حول طاولة الاجتماع باحثا عن معلومات محددة، دون أن ينال الكثير منها. وكبت رغبتى القوية فى الوثوب على قدمى وإلقاء محاضرة. كنت أعرف الجواب البسيط عن السؤال المتعلق باليمن: أن دورها فى مجلس الأمن هو تمثيل الجامعة العربية، والقادة العرب فى هذه الأزمة لم يتوصلوا إلى إجماع فى الرأى. ووفقت فى ضبط جماح نفسى إلى أن أعلن ويست توقف سائر الاتصالات مع السفارة

الأمريكية في الكويت.

قلت «لا أظن أن ذلك صحيح» وأوضحت أننا كنا نتحدث مع الميجور فيلي بالراديو طوال الليل. ولم يبد أن تدخل في الحديث جرح مشاعر الحاضرين، فقد خمنت أن ما يقصده ويستتر تحديدا هو أن وكالة المخابرات المركزية لم تستطع الاتصال مع مسئول محطتها هناك، ورأيت أن من المهم طمأنة الرئيس على أن سفارتنا لم تمنح من على وجه الأرض.

ولما قدمنى باول إلى الحاضرين، وقفت وعرضت الخيارات العسكرية المتاحة حسب توجيهاته، وحذرت قائلا: على حين أننا لا نستطيع القيام بشيء لوقف الغزو، فإن باستطاعتنا القيام ببعض التحركات بقواتنا الجوية والبحرية لظهار عزيمة الولايات المتحدة، ولعاقبة العراق إن دعت الضرورة.

ورغم أن عمر غزو الكويت شارف لتوه على الأربع عشرة ساعة، فقد كان واضحا أن الرئيس بوش عازم أصلا على وقف عدوان صدام، وإصدار توجيهاته بأن نكون على استعداد للقتال إذا ما أخذ العراق طاقم السفارة الأمريكية كرهائن، ثم وجه باول سؤالاً: هل ندرس قضية وضع خط أحمر فيما يتعلق بالسعودية؟ فأجاب الرئيس بالإيجاب، معتبرا الهجوم على السعودية إعلانا للحرب..

بعد يومين من ذلك استدعانى باول ثانية لاطلاع الرئيس، وقال: هذا الاجتماع يختلف عن سابقه، ستذهب إلى كامب ديفيد وستتحدث مع الرئيس ومجموعة صغيرة جدا، وستكون نجم الاستعراض، خذ قدر ما تشاء من وقت الاجتماع واعرض خطتك للعمليات. في الصباح كان الرئيس متهيبا لدراسة أمر إرسال قوات.

لقد تحقق أسوأ السيناريوهات التي تخيلتها، فغزو واحتلال كامل للكويت لم يستغرق سوى أقل من ثلاثة أيام، وبدا كما لو أن العراقيين لا ينوون التوقف عند ذلك الحد. وفي مسعى لتهدئة الأزمة، تحركت مصر والإردن والسعودية يوم الجمعة للتحضير لعقد قمة عربية، إلا أن الفرق الثلاث من الحرس الجمهورى التى قامت بالهجوم الأول على الكويت أخذت الآن تحشد الدبابات وقطع المدفعية على طول الحدود السعودية، وتقرب التجهيزات من هذه المواقع الأمامية، وكان علينا الافتراض بأنهم يستعدون للعبور.

كان مقر القيادة المركزية مثل قدر الضغط، فسفننا الحربية في الخليج تنتشر مشكلة حاجزا راداريا لحماية الامارات كما وعدناها، وفرق المساعدة الأمنية الموجودة في السعودية ومصر تهيب الطائرات لإجلاء المدنيين من الكويت إن سنحت الفرصة، ونحن نتهيب لتولى قيادة حاملة الطائرات اندبندنس والسفن الحربية الست المرافقة لها، وكانت هذه القطع تبحر قبل نشوب الأزمة باتجاه جزيرة ديجو جارسيا في المحيط الهندي، أما الآن فقد غيرت مسارها شمالا نحو الخليج. ورحنا في الوقت ذاته تعمل مع البحرية على تنظيم حصار بحري على العراق، ونطلب من القوة الجوية أن تضع على أهبة الاستعداد وحدات معينة في الولايات المتحدة، يتعين عليها التحليق إلى منطقة الحرب.

وأخذ ضباط الاستخبارات العاملون تحت إمرة لايدا يجلبون لي تقارير طازجة كل ساعة، ليس فقط عن العراق بل كذلك عن ايران ودول الشرق الأوسط الأخرى التي كانت نواياها ما تزال غامضة.

أخيرا كان علينا أن نحضر الأجوبة على التساؤلات القادمة من واشنطن، وأغلب هذه التساؤلات يتخذ شكل مخابرات تليفونية من كولن باول، وقد كان يتصل عدة مرات في اليوم فيسأل: كم يستغرق الإعداد لشن عملية إنقاذ لطاغم السفارة؟ أو يسأل ماذا تظن أن الجامعة العربية فاعلة؟

ورغم أن هيئة ضباط المقر ارتفعت بشكل رائع إلى مستوى الحديث حقا، فإنني لم أكن ذلك الأمر الهين، ورحت أسوقهم بلا رحمة مقرعا إياهم مرارا وتكرارا، قائلا: هذا ليس بتمرين مناورات، هذا شيء حقيقي. وحين نقول لرئيس الولايات المتحدة إن القيادة المركزية تستطيع أن تفعل شيئا ما عسكريا، فإن من المحتمل جدا أن يلتفت إلينا ويقول: حسنا افعلوا ذلك. ولا أريد منا أن نجرح ولا أريد أي تظاهر زائف بالشجاعة.

لقد اتهم العسكريون الأمريكيون في فيتنام بستر الحقيقة المرة بالحوى باستمرار في سعى لإرضاء الرئيس، واتخذ الرئيس بناء على معلومات فاسدة بعضا من القرارات الفاجعة، ونحن لن نكرر هذا الخطأ، فكل ذرة من المعلومات التي سنقدمها للرئيس ينبغي أن تكون على أكبر قدر من الدقة المتاحة لنا، حتى لو كانت تنعكس سلبا. فلو قلنا

له إننا نستطيع أن نفعل شيئا، فيجب ان نكون قادرين على الوفاء بهذا القول.

وفي وقت مبكر من يوم السبت المصادف الرابع من آب (أغسطس) التقيت بباول وتشيني في البنتاجون، ورحت أعرض عليهم تصوري خلال ٢٠ دقيقة من طيران الهليكوبتر إلى تلال ماريلاند. وقد اصطحبت معي الليوتاننت جنرال تشاك هورنر قائد القوة الجوية العاملة بإمرتي أردت أن يطلع الرئيس على قدراتنا الجوية، وبما أن القدرة الجوية هي الخيار الأرجح المتاح فورا، فقد أرتأيت أن يسمع تشاك كل ما يقال. ولما اقتربنا من الأرض رأيت مجمعا من مباني جميلة من خشب البلوط الأحمر على قمة جبل مكسو بأشجار قصيرة، وهو يختلف اختلافاً النقيض من النقيض بالقياس إلى ميادين المعارك في الشرق الأوسط على قدر ما يحلق خيالي. وركبنا عربات جولف - وسيلة النقل الأساسية في كامب ديفيد - من سفح التل إلى المنزل الرئيسي على مبعدة ربع ميل صعودا. كان الرئيس بوش قد عقد جلسة مع دائرته الضيقة في غرفة مريحة للاجتماعات: نائب الرئيس توابل، وزير الخارجية بيكر، وزير الدفاع تشيني، الجنرال سكوكروفت، كبير موظفي البيت الأبيض جون سنونو، القاضي ويستر رئيس وكالة المخابرات المركزية.

لقد عاد بيكر في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم من رحلة إلى الاتحاد السوفيتي، حيث أصدر هو ووزير الخارجية إدوارد «شيفرنادزة» بيانا تاريخيا مشتركا شجبا فيه الغزو العراقي. كنا نحن الثلاثة: باول وهورنر وأنا في اللباس العسكري، أما الباقون فيرتدون ملابس عادية كيفما اتفق. فالرئيس يرتدي قميصا رياضيا مع سترة جلدية قصيرة لمنع برودة المكيف الهوائي. لم يكن يبدو على الاجتماع مظهر مجلس حرب، كان الرئيس يقود الاجتماع تماما، وعبر باستمرار عن قلقه على الكويت ومحنة الأمريكيين المحاصرين هناك، وبيّن أيضا أنه لا يمكن السماح للعدوان العراقي بأن يمر بدون أن تتصدى له الولايات المتحدة وبقية دول العالم. ولما جاء دوري في الكلام وقفت ناظرا حول الطاولة وبينت ما نحن في مواجهته، فجيش صدام - قياسا إلى جيوش بلدان العالم - هو الرابع في العالم، تسبقه الصين والاتحاد السوفيتي وفيتنام (تحتل الولايات المتحدة المرتبة السابقة) وتضم الماكينة العسكرية العراقية ٩٠٠٠٠٠ رجل منظمين في ٦٣ فرقة، بما في ذلك ست فرق من نخبة قوات الحرس الجمهوري. ويمتلك

«صدام - على وجه التقريب - ضعف القوات اللازمة للدفاع عن بلاده من الجيران، وتضم ترسانته بعضاً من أفضل الأسلحة العالمية المتاحة في أسواق الأسلحة العالمية: دبابات ت - ٧٢ السوفيتية، المدافع الثقيلة عيار ١٥٥ ملم من جنوب أفريقيا، قاذفات صواريخ متعددة الفوهات من الصين والاتحاد السوفيتي، صواريخ سيلكورم الصينية، وصواريخ إيكزوسيت الفرنسية المضادة للسفن، مقاتلات ميغ ٢٩ السوفيتية، والقاذفات السوفيتية بعيدة المدى من طراز سوخوى ٢٤، ومقاتلات ميراج م - ١ الفرنسية، واستطالت القائمة أكثر وأكثر.

واستغرقت وقتاً قصيراً في تبيان مواطن القوة العسكرية العراقية، مثل القدرة التي تجلت في حملة تحرير الفاو - خلال الحرب الإيرانية العراقية - على الهجوم بالأسلحة الكيماوية، ومواطن الضعف فيها، وبخاصة الضعف اللوجيستي والنظام الممرکز للقيادة والسيطرة، حيث لا يمكن لأحد أن يتخذ قراراً - حتى في لهيب المعركة - سوى صدام شخصياً.

وعدت إلى خيارى الضربة الجوية والضربة البحرية، اللذين سبق أن قدمتهما قبل يومين، لأنقل إلى إمكانية لم نبحتها: إرسال قوات برية، إن الخطة الدفاعية التي قدمتها آنذاك هي نفس الخطة التي تمرنت عليها القيادة المركزية في لعبة الحرب المسماة «النظرة الداخلية» مع فارق أنها تتضمن الآن جدولاً زمنياً بنشر القوات، تصببنا عرقاً من أجل أن ننجزه، لكى نستطيع بكل ثقة أن أقدم مشروعاً كاملاً للرئيس، مع ضمانات تؤكد أن هذا هو ما نستطيع إنجازه.

وأشرت إلى أننا بحاجة إلى تعاون السعودية من أجل تنفيذ الخطة، لأنها تتوقف على استخدام مطاراتها وموانئها. بعد ذلك إذا أصدر الرئيس الأمر، أمكن لنا أن نضع الفرقة ٨٢ المحمولة جواً - وهي مؤلفة من ٤٠٠٠ جندي - على الأرض فوراً، وستكون مهمة الفرقة تأكيد حضور الولايات المتحدة، وهي مهمة خطيرة لأن العراق إذا هاجمها فإنها لن تضاهى دبابات صدام بأسلحتها الخفيفة. بعد اسبوعين نستطيع أن نزيد عدد القوات إلى ثلاثة أمثال تلك القوة البرية بلواء من مشاة البحرية ومجموعة قوات خاصة والمزيد من القوات المحمولة. وفي ختام الشق الأول تبدأ وحداتنا الثقيلة بالوصول: لواء الهجوم الجوى المزود بهليكوبترات أباتشى، ولواء المشاة الآلى المزود بدبابات أبرامز.

وأوضحت أن هذه هي معدات تدمير الدبابات التي نحتاجها فعلا لصد العراقيين وإفنائهم في ممراتهم وابتعاد حماية القوات فيما هي تتدفق، ستنشر القوة الجوية مئات الطائرات الحربية في المطارات السعودية، وستبدأ البحرية بدفع مجموعتين من حاملات الطائرات على مقربة من الخليج لتكون كافية لتوجيه الضربات، وسنحتاج إلى ثلاثة أشهر لحشد قوة قتالية كافية مطلقة لصد أى هجوم عراقى شامل.

كان هناك أصلا من حذر الرئيس من أن نشر القوات ليس حلا راهنا. ففي إطار أزمة لا يزيد عمرها على ثلاثة أيام، تبدو الأشهر الثلاثة بمثابة الأزل. مع ذلك أردت أن أتأكد بصورة مطلقة إن كان يتفهم المدنيون الجالسون حول الطاولة مدى جبروت العدو الذى نواجهه.

وأضفت أن ما بحثته حتى الآن هو خطة طوارئ للدفاع عن السعودية، أما إذا خطر لنا أن نزيح العراقيين من الكويت فإن علينا الانتقال إلى الهجوم، وهذا يتطلب الكثير من القوات والكثير من الوقت. وعرضت سلايدا صور الوجه الثانى من حساباتى: علينا أن نزيد عدد القوات إلى أكثر من ضعف القوات المقترحة، وأن نسحب على الأقل ست فرق إضافية من الولايات المتحدة وأوروبا، وأن ننقلها - إلى جانب وحدات إسناد إضافية - إلى الخليج. وأقرب وقت لجمع مثل هذا الجيش وتهيئته للقتال، هو الوقت المسجل على آخر سطر في السلايد (الاطار الزمنى ٨ - ١٠ أشهر).

وسمعت همهمات بعض الجالسين إلى الطاولة، فهذا الالتزام بإرسال القوات هو أكبر بكثير مما كان يتصوره أحد منهم متوجها إلى الشرق الأوسط، كما أن المدى الزمنى للحشد أطول بكثير مما كانوا يتصورون أنه يلزم لحل الأزمة بالقوة، ودعم كل من تشينى وباول موقفى.

كنت قد أتيت لأؤكد للرئيس أن القيادة المركزية مستعدة، لكن لو عن له أن يسألنى عن رأى ذلك الصباح، لقلت له إننى أرى أن الوضع لن يقود إلى الحرب. كنت أشعر بالقلق على سلامة الناس في الكويت، ليس فقط اصدقاء العرب الكثيرين بل أيضا سلامة نات هاويل السفير الأمريكى والمستشار السياسى السابق للقيادة المركزية وأعضاء فريق المعونة العسكرية. ولكن طالما أن العراقيين لم يمضوا أبعد من

ذلك، فقد بدا لي أن الأوساط الدبلوماسية والبلدان العربية ستجد مخرجا لحل الأزمة بصورة سلمية.

وما كدت أعود إلى تامبا عصر يوم السبت، حتى اتصل كولن باول هاتفيا وقال. الملك فهد يطلب أحدا لكي يطلع على الخطر المحيى بمملكته، نريدك أن تنضم إلى الوفد وأن تشرح للملك ما نحن مستعدون للقيام به، واصطحب معك المطلوب من الضباط لاطلاع العسكريين السعوديين أيضا على التفاصيل.

وحين هبطت في واشنطن صباح اليوم التالى مع فريقى الذى جمعته على عجل، اكتشفت أن باول يريدنى الآن أن أترأس الوفد، وأوضح لى أنه كان من المفترض أن يذهب الوزير تشينى، إلا أن السعوديين لم يجيزوا ذهابه بعد لأنهم يريدون إبقاء الاجتماع فى مستوى أدنى. ثم أضاف بعد تفكير: ارتجل تصرفك حسب مقتضيات الوضع عندما تصل إلى هناك.

كنت فى منتصف الخروج من البال، لما فكرت أرتجل التصرف حسب مقتضيات الوضع؟ وعلى أن أعرف ما نقترح عليهم فعلا أن نقوم به نحن. وسألت: هل تقول حكومة الولايات المتحدة أننا مستعدون لإرسال قوات؟

أجاب باول جوابا محكما: نعم، إذا أعطانا الملك فهد الأذن.

اندهشت.. لابد أن الكثير من الأشياء قد حصلت منذ كامب ديفيد ولم يخبرنى باول بها. لقد عزم الرئيس بوش على إرسال قوات.

انتظرنا فى المطار مجيء تشاس فريمان السفير الأمريكى فى السعودية، وهو دبلوماسى لامع وباحث مختص بالشرق الأدنى، وقد عمل مترجما للرئيس نيكسون فى رحلته التاريخية الأولى إلى بكين، وبسبب نشوب الأزمة قرر فريمان إلغاء أجازته فى موطنه نيوانجلاند ومرافقة وفدنا.

بعد أقل من ساعة على الإقلاع خفضت رتبتي كرئيس للوفد، فالسعوديون وافقوا على أن يترأس الوفد وزير الدفاع تشينى آخر الأمر. وانتقلنا إلى طائرة تشينى - وهى طائرة مهمات خاصة تابعة لسلاح الجو الأمريكى ومجهزة بقاعة اجتماعات وجناح للشخصيات الهامة - متوجهين فى رحلة طويلة شرقا. وضم الوفد بول وفوتيز كبير

الاستراتيجيين المدنيين العاملين للبنتاجون، بين وليامس رئيس الشؤون العامة للبنتاجون، وأرت هيجس خبير البنتاجون لشئون الشرق الأوسط، والميجور جنرال مارتى براندتنر نائب مدير العمليات لهيئة رؤساء الأركان المشتركة، وبوب جيتس نائب مستشار الأمن القومي، وكان هناك أيضا محلل من وكالة المخابرات المركزية جاهزا مع ملف باخر الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية لعرضها على الملك. واصطحبت معى القادة العسكريين وضباط الأركان الذين أحتاجهم لإطلاع السعوديين، أو عند الحاجة لوضع القوات على الأرض، وقد سبق لهم جميعا زيارة الشرق الأوسط، وهم الليوتاننت جنرال تشاك هورنر - وهو طيار محارب وقائد القوة الجوية الخامسة - والليوتاننت جنرال خون بوسك - وهو صديق قديم وقائد الجيش الثالث - والميجور جنرال دان ستيرالينج - رئيس هيئة أركان الشؤون اللوجستية التابعة للقيادة المركزية، وأفضل المخططين اللوجستيين الذين رأيتهم في حياتي - والعميد البحري جرانت شارب - كبير المخططين والاستراتيجيين عندي، كما جلبت ضابطى التنفيذ: كولونيل فرسان الجيش الذكى المندف القادم من تنيسى بورويل - باكستربيل (ونسمة ب. ب) وأسندت إليه مسئولية مسك سجلى الشخصى خلال الأزمة، وهو تسجيل كامل للنشاطات والقرارات، التى ملأت آخر الأمر ثلاثة آلاف صفحة مضروبة على الآلة الكاتبة بدون فراغات بين الأسطر.

كان وزير الدفاع تشينى قد أكمل عامه الأول فى البنتاجون وزاد عليه قليلا، مثيرا أعصاب الكثير من الجنرالات بتنحيته جنرال بأربع نجوم، وتحذير العديدين ممن شعر أنهم يعملون باستقلالية أكبر مما ينبغى، مع ذلك، فيما رحت أرقبه وأصغى إليه أثناء تحليل الطائفة، وجدتنى أعجب كثيرا بذكائه وانتباهه وسهولة العمل معه، وأبدى فضولا لمعرفة كل تفصيل صغير من دقائق آداب البروتوكول العربى. وبينما كان الوفد يبحث كيفية التعامل مع عرض الوقائع على الملك، تساءل هو فى لحظة معينة عما سيكون عليه رد فعل السعوديين إزاء عرض أمريكى بارسال القوات، وحذرت قائلاً: إن العرب ينزعون إلى النظرة للقرارات الكبرى باحتراس بالغ، فإذا تمسكوا بالأصول فلن تحصل منهم على رد مباشر. سيوجهون أسئلة ثم يقولون: شكرا جزيلاً، نود الآن أن ندرس المعطيات التى قدمتموها وسنعلمكم بقرارانا.

توجهنا إلى قصر الضيافة، وهو مبنى بديع شيد على غرار الفنادق الفخمة التي تحمل خمس نجوم، وزين بزخارف يدوية شرق أوسطية لا تقدر بثمن.

كان الوقت أواخر العصر، وقضينا ساعة نداول في جناح الوزير تشيني، ثم ركبنا قافلة السيارات بمسيرة (٥) دقائق إلى القصر الملكي.

ولما أدخلونا إلى الردهات، لم يتثنى لي إلا أن ألمح بشكل خاطف الأشياء الخضراء والذهبية والسجاد الحريري على مد البصر. وصلنا إلى غرفة كبيرة تحتوي على مقاعد كثيرة حولها، وهى الغرفة التي يجرى فيها الملك اللقاءات الرسمية. كان الملك فهد - وهو رجل ممتلئ البنية، بملامح صقرية وعينين عطوفتين - جالسا في الطرف الأيسر، ووقف مرحبا بوفدنا لدى اقترابه. وبعد أن قدمنا السفير فريمان إليه راح أعضاء في البلاط يدلوننا على أماكن الجلوس الممتدة على طول الجدار، أما الوزير تشيني فقد جلس على يمين الملك.

ورأيت ولي العهد عبد الله، والأمير الفيصل وزير الخارجية، والأمير بندر السفير لدى الولايات المتحدة، والأمير عبد الرحمن نائب وزير الدفاع والطيران، إضافة إلى واحد أو اثنين آخرين من أفراد العائلة المالكة. كان الملك فهد يعرف بعض الإنجليزية، إلا أن سائر الأعمال الرسمية كانت تتم باللغة العربية، لذلك قام بندر بالترجمة. وضم وفدنا: الوزير تشيني جيتسى وفوررتيز وليامس وهوجيز وهورنر براندتنر وأنا، وتقرر أن يتولى الكلام تشيني وأنا فقط. ولما جلس الكل في مكانه نقل تشيني تحيات الرئيس بوش، وتحدث بإيجاز عن قلقنا إزاء الوضع في الكويت، ثم أشار إلى قائلا: سيطلعكم الجنرال شوارتزكوف على الوضع الاستخباراتي كما نراه.

ولما كنت أحمل صورا فوتوغرافية وخرائط ورسوما تخطيطية لأعرضها على الملك، فقد قمت من مكاني ومشيت إليه، ولم يكن ثمة مكان للجلوس فبركت على ركبة واحدة، ولاحظ الملك ذلك فقال شيئا ما على عجل بالعربية، فركض حاجب على الفور جالبا مقعدا. صرت الآن أجلس على يسار الملك والأمير عبد الله على جانبي الآخر ناظرا من فوق كتفى، أما الأمير بندر فيقف بيننا للترجمة.

أريت الملك سلسلة من الصور الفوتوغرافية عن الدبابات العراقية على الحدود

السعودية. الواقع أن اثنتين من الصور كانتا تبيينان عبث الحدود السعودية. عند ذلك الحد قال الملك شيئاً للأمير عبد الله لم يترجمه الأمير بندر. وأوضحت قائلاً: بينما نحن لا ندري إن كان العراقيون ينوون مهاجمة المملكة العربية السعودية، فإننا نستنتج من انتشارهم ومن نشاطات عراقية مماثلة خلال الحرب الإيرانية العراقية أنهم - فيما نسميه نحن وقفة استراتيجية - منهمكون في مواصلة جلب السلاح والمعدات قبل استئناف العمليات الهجومية، ذلك أن أفضل وحداتهم في المقدمة ومهياة للهجوم، ومؤكد أن وقفهم ليست دفاعية.

بعد ذلك عرضت خطتنا للدفاع عن السعودية، ورحت أقلب سلسلة من الخرائط والرسوم البيانية توضح أسبوعاً بأسبوع القوات التي يمكن أن نقدمها، ولم أفصل في الحديث عن الكيفية التي يستطيع بها انتشار كهذا للقوات أن يصد بالفعل هجوماً ويهزمه، فالرسالة الأساسية التي أردت إيصالها هي نطاق العملية، لكي أكون على يقين من تفهم الملك أننا نتحدث عن إغراق مطاراته وموانئه وقواعده العسكرية بعشرات الآلاف من الأمريكان.. أى بأعداد لم يسبق للسعودية أن شاهدتها.

عدت إلى مقعدي وتحدث تشيني ثانية. أبدى بضع ملاحظات عن خطورة الموقف، ثم قال: ها هي الرسالة التي أمرني الرئيس بوش أن أنقلها إليكم. نحن مستعدون لنشر هذه القوات دفاعاً عن المملكة العربية السعودية. إذا طلبتم فسنأتي. لن نبحث عن قواعد دائمة، وحين تطلبون منا العودة إلى بلادنا سنغادر، ثم أطبق عليه الصمت.

بدأ الملك ومستشاروه يتداولون فيما بينهم محاسن ومساوئ استدعائنا إلى المملكة. كنت أعلم بما فيه الكفاية لكي أحس بعدى المجازفة في قرار الملك فهد، وأنه إن دعا الأمريكان - حتى مع وجود تأكيد رئاسي سنحترم السيادة السعودية - فإن صداماً وقادة عرباً آخرين سيصمونه بممالة الغرب، زد على ذلك المخاطر الكامنة في عودة جيش من الأجانب إلى مملكة لا تأمن الغرباء، وتتمسك بقوة بالحفاظ على نقائها دينياً وثقافياً. كنت واثقاً من أن الملك فهد سيحتاج إلى أيام لبحث هذه المخاطر مع بقية أفراد الأسرة المالكة قبل أن يحزم رأيه، وأنه سيختار في نهاية المطاف أن يزوج بنا بأقل قدر ممكن.

كان التداول بين أفراد العائلة المالكة الحاضرين وجيزا للغاية. تحدث الأمراء الواحد بعد الآخر. إلا أن بندر لم يترجم شيئا من ذلك، ورد الملك فهد بشدة على أحد الحاضرين، ثم التفت إلى تشيني وقال باللغة الانجليزية: حسنا، لو قبض لأحد أن يلتقط صورة لتلك اللحظة لظهرت فيها وفمى فاعرا إلى أقصاه، لقد اتخذ الملك فهد واحدا من اشجع القرارات التي شهدتها حتى تلك اللحظة كان النشر الضخم للقوات الذي أعدناه يبدو مثل تمرين آخر، أما الآن فقد أدركت في ظرف خمس دقائق أنى سأدفع ذلك الجلود من قمة التل ليبدأ بالتدحرج.

عدنا إلى سياراتنا هادئين كل الهدوء، التفت إلى تشيني وسألتها: هل تريدنى أن أبدأ تحريك القوات؟ فأجاب بالايجاب. تطلعت إلى الجنرال هورنر الذى كانت لديه أربعة أسراب من المقاتلات التكتيكية جاهزة في قاعدة شولا نجل الجوية للإقلاع إلى المملكة العربية السعودية، قلت له: تشاك ابدأ بتحريكها.

عقدنا اجتماعا قصيرا لمراجعة ما حصل، وأخبرنا السفير فريمان الذى تابع حديث العائلة المالكة العربية بأن الأمراء نصحو في الغالب بالاحتراس، ونقطة الانعطاف الوحيدة جاءت لما أشار أحدهم «يجب أن نحذر من التسرع في اتخاذ قرار» فبدى ذلك بالملك فهد إلى الرد قائلا: الكويتيون لم يسارعوا إلى اتخاذ قرارهم اليوم جميعا ضيوف في فنادقنا.

واعتذر تشيني عن الانصراف لإبلاغ الرئيس. بعد ذلك تباحثنا في الخطوة التالية: سنذهب - تشيني وأنا - في الصباح التالى لإطلاع الرئيس المصرى حسنى مبارك قبل العودة إلى واشنطن، واستدعيت ضباطى الكبار إلى غرفتى، لم تكن ثمة كراسى كافية فجلس الأدميرال شارب والجنرال ستارلينج على السرير، أما الكولونيل بيل فقد وقف في الزاوية بدون الخلاص من حزم أمتعتى لرحلة تدوم أكثر من ثلاثة أيام. وكان على أن أعلن نبا أننى سأتركهم ورائى في السعودية للبقاء خمسة أسابيع على الأقل، وتحدثت بصوت هادىء ومنظم محددا مهماتهم: «تشاك» بما أنك الضابط الكبير هنا فإنك ستعمل بصفة قائد أمامى للقيادة المركزية، وتحتاج في الوقت نفسه إلى القيام بالترتيبات اللازمة لاستقبال الطائرات المتجهة الآن إلى هنا وتلك التى ستليها.

والتفت إلى الجنرال يوسوك الذى كان كان جالسا على مقعد إلى جوار النافذة: جون بما أن الفرقة ٨٢ المحمولة ستكون هنا في الحال، فإننى أريدك أن تجتمع بالسعوديين وترتب موقع قواتنا طبقا للخطة. بعد ذلك عليك أن تنظم الوحدات البرية أثناء تدفقها.

كان على الجنرال ستارلنج أن يتولى التدابير لاستيعاب التدفق الهائل للقوات المسلحة والأسلحة والتجهيزات، وقلت له: «دان» أنت تعرف حجم التحديات اللوجستية المقبلة علينا. أريدك أن تضع المرتكزات العملية، وأريدك على وجه الخصوص أن نتأكد من أن الموانئ جاهزة لاستقبال أولى سفن التجهيزات. إن السفن الموجودة في المحيط الهندي قد تصل في أى يوم».

والتفت إلى الأدميرال شاع: «جرانت: لقد طلب بول ولفوويتزان تسافر معه أثناء زيارته لبلدان الخليج الأخرى بنىة إطلاعها على خططنا لنشر القوات».

أخيرا ضحكت.. لم يتوقع أحد منكم أن يظل هنا، سأحاول أن أعيدكم إلى الولايات المتحدة في ظرف ثلاثة أسابيع تقريبا لكى تستطيعوا حزم حقائبكم. في غضون ذلك أعدكم بأن أتصل بزوجة كل واحد منكم لأشرح لها سبب البقاء.

بعد أن انصرف الجميع لتنفيذ الأوامر من الكولونيل كان على إجراء مكاملة هاتفية ما كنت أتوقع إجراءها. تحدثت بالتليفون الأمنى الذى يربطنى بمقر القيادة المركزية في تامبا، حيث كان الوقت ظهر الاثنين السادس من أغسطس، وأخبرت نائبى في القيادة الجنرال «روجز» أننا سنرسل القوات وأوعزت له بأن يبلغ هيئة الأركان المشتركة كى تعطى الأمر بنشر الوحدة الأولى، اللواء المتأهب للفرقة المحمولة رقم ٨٢ في معسكر فورت براج.

في اليوم التالى اجتمعنا بوزير الدفاع والطيران السعودى الأمير سلطان، الذى لم يكن حاضرا في الليلة السابقة، ثم طرنا -تشيلى وأنا- إلى الاسكندرية بمصر لإطلاع الرئيس حسنى مبارك على خططنا لنشر القوات ولطلب العون منه. كنا بحاجة إلى مرور سفننا الحربية سريعا عبر قناة السويس، إضافة إلى استخدام المطارات المصرية والمجال الجوى المصرى إذا أردنا السير وفق برنامجنا الزمنى. كان الرئيس مبارك قد وطد نفسه منذ أمد بعيد كزعيم قوى ذى صوت مسموع في صناعة القرار العربى، وكان واثقا من سلطته وثوقا يكفى لقيامه بشجب العدوان العراقى علنا، والسعى بنشاط في

الوقت نفسه إلى تسوية عبر المفاوضات استقبلنا في شرفة قصر الأسكندرية المطل على البحر المتوسط، وبعد أن استمع إلى ما كان علينا -تشيلى وأنا- أن نخبره به، وافق على كل طلب بطيب خاطر، إلى أن قلت: قد نحتاج إلى استخدام مصر كقاعدة للطائرات الحربية.

فسأل: «أى نوع؟»

قلت: «حسنا لعلنا سنحتاج إلى استخدامها لطائرات ب ٥٢». ارتفع حاجبا مبارك، فرغم سخطه على العدوان العراقى لم يكن مستعدا للسماح للقاذفات الأمريكية بالانطلاق من أرضه، وقال بهدوء. لا أضن أننا بحاجة لأن نقرر ذلك الآن.

وطرنا عبر الأطلسى عائدين فى تلك الليلة، وإذا بالبيت الأبيض يبلغنا بأن مهمتنا لم تنته بعد، علينا الانعطاف إلى المغرب. لقد أدركت وزارة الخارجية - متأخرة - أن الالتقاء بالملك فهد والرئيس مبارك وحدهما يعرضنا لخطر القطيعة مع عرب الشمال الأفريقى مالم نقم بإطلاع الملك الحسن وأن ننشد عونته، ووصلنا إلى قصره فى الدار البيضاء -وهو يفتقر إلى مكيفات الهواء- فى أواخر المساء، ومكثنا ساعة فى حجرة انتظار خانقة، بينما يمحطنا موظفون حكوميون مرتابون بالأسئلة. ثم بعد ذلك التقينا -أنا وتشيلي- بالملك الحسن الذى وعدنا بالدعم الكامل. ثم بعد ٧ سنوات سفر حطت الطائرة فى قاعدة اندروس الجوية فى واشنطن، وكان تشيلى يشد من أزرى وأنا أحكى له أننا أمام مهمة صعبة يتحدد بها مستقبل أمريكا.

تجاوز الوقت بكثير منتصف ليل الأربعاء المصادف ٨ أغسطس، وكانت هناك طائرة نفائة أصغر بانتظار أن تقلنى إلى تامبا. وقفنا لحظة فى ليل واشنطن الرطب الحار على أسفل سلم الطائرة قريبا من سيارة تشيلى، شكرنى على خلاصات الاطلاع التى قدمتها، وأشار: نحن منخرطون فى حدث تاريخى.

شعرت بشيء من الرهبة أجل سيدى أعرف، لقد أطلقنا أكبر حشد عسكري أمريكى منذ فيتنام، وهو عمل قد يقود بسهولة إلى الحرب، وأنا القائد العام لهذا الحشد كما أننى الشخص الذى صاغ خطة الدفاع التى تغامر الآن بحياة الجنود وهيبة الولايات المتحدة، وصليت متضرعا أن أكون قد فعلت ذلك بصورة صائبة.

صافحنى تشيلى وقال: حظا سعيدا يا نورم، ثم استقل سيارته فيما عدت أدراجى إلى القيادة المركزية.

الباب الثالث

طلائع القوات الأمريكية والتنسيق السرى

في صباح الاربعاء حطت أولى الطائرات المحملة بالجنود الأمريكان في القاعدة العسكرية القريبة من مدينة الظهران، فيما كنت أعود إلى غرفة الحرب في تامبا. وظهر الرئيس بوش على التليفزيون في التاسعة صباحا بالتوقيت الرسمي الشرقي، معلنا أن الولايات المتحدة الأمريكية ترسم خطأ في الرمال يواجه العدوان العراقي، أما في القيادة المركزية فقد توصلنا أخيرا إلى ابتكار اسم «درع الصحراء» الذي يعكس الأمر بالدفاع عن شبه الجزيرة العربية، وحددنا يوم الثلاثاء السابع من اغسطس «أب»، اليوم الذي تسلمنا فيه قرار التحرك من هيئة رؤساء الأركان المشتركة بأنه يوم «ب»، أى يوم البدء بنشر القوات.

تتركز الثروات النفطية للمملكة العربية السعودية على جهة ساحل الخليج وعلى بعد ٢٠٠ ميل من الكويت، لذلك كنت متوجسا من خطوة صدام التالية، وكان همى الأول هو أى نوع من الحرب البرية سنواجهه، وبينما كانت مصادر البنتاجون تخبر الصحفيين بأن قواتنا منيعة بعد أول أسبوع، كنت أعرف أن بوسع العراقيين اكتساح منطقة النفط السعودية في بحر أسبوع، وكان جنودنا يعرفون ذلك أيضا. فالمظليون من الفرقة المحمولة رقم ٨٢ في الظهران - الذين أطلقوا على أنفسهم لقب نتؤات تخفيف السرعة العراقية - في حال وقوع هجوم لم يكن لهم من خيار سوى الانسحاب إلى جيب على الساحل بأمل أن نرسل لهم تعزيزات أو نجلبهم.

وسيكون وضعهم شبيها بالتهقر الأمريكى في خط بوسان خلال الأيام الأولى من الحرب الكورية.. فكرة مقلقة تماما.

كنا نتمتع بكل القوة اللازمة للحيلولة دون حصول كارثة كهذه، سوى أن هناك

مشكلة واحدة هي أن هذه القوة لاتزال في الولايات المتحدة. كان لدينا سرب يضم سربين من الكوبرا الهليكوبترات المزودة بصواريخ مضادة للدبابات في فورت بليس بتكساس ولدينا لواء من هليكوبترات «الاباتشي» الهجومية في الفرقة رقم ١٠١ بقيادة الميجور جنرال بين. بي، المستقر في معسكر فورت كامبيل بولاية كنتاكي، ولدينا أربع كتائب دبابات مموه، بلون صحراوي ضمن الفرقة الآلية رقم ٢٤ بقيادة الميجور جنرال بارى ماكفى في معسكر فورت ستيوارت بولاية جورجيا، ولدينا ما يزيد على مائة من طائرات «أى - ١٠» - وهى طائرات حربية مصممة لمهاجمة الدبابات - ضمن القوة الجوية التاسعة بقيادة تشاك هورنر جاثمة في قواعد منتشرة حول البلاد، وكل ما علينا فعله هو دفع القوات إلى رقعة الأزمة. لقد وعدنا الرئيس بجدول زمنى معين، وهذا يعنى نقل خمس فرق وثلاث الفرقة - أى ١٢٠ ألف رجل - مسافة ٧ الاف ميل في بحر أربعة أشهر.

إن علم اللجوستيات قد قطع شوطا بعيدا عن البطاقات المثقبة ولوحات تعليق المعلومات والموظفين المتخصصين في الإحصاء والحساب أيام الحرب العالمية الأولى والثانية، وصار للبنتاجون الان نظام كمبيوتر قادر على تعيين خط الرحلة لأى قطعة منفردة من المعدات اللازمة: من الدبابات إلى خيم قاعات الطعام، وكل ما يتعين على فعله من الناحية النظرية هو الضغط على أحد الأزرار. فبعد ساعات من بدء «درع الصحراء» كان ينبغى إغراق فرقنا بألاف الصفحات من جداول الكمبيوتر حافلة بتعليمات من قبيل: أرسل الدبابة رقم «١٢٣» من الكتبة «س» من اللواء «ص» بالقطار إلى نورفولك بفرجينيا، لتشحن في السفينة التى ستبحر مدة ٢٠ يوما وتصل ميناء الظهران في ٣٠ أغسطس.

وعلى أية حال فقد برزت مشكلة كبيرة: بما أننا كنا في غمرة إعادة النظر بخطة حرب القيادة المركزية عند اندلاع الأزمة، فلم يتيسر لنا بعد خزن المعلومات في بنوك الكمبيوتر - وهى عملية مضمّنة تستغرق في الأوضاع الاعتيادية عاما كاملا. كان بديلنا الوحيد هو جدولة النقل الجوى والشحن البحرى باليد. إن نقل فرقة واحدة فقط هو عمل معقد على نحو مريع، فمثلا إذا كانت الفرقة المشاة الآلية رقم ٢٤ كاملة العدد والعدة - وهى أولا، فرقة تابعة للقيادة المركزية تقرر نشرها - فإنها تتضمن أربع

كتائب دبابات، وخمس كتائب مشاة آلية، وثلاث كتائب مدفعية، ملحقاً عليها كتيبة إصلاح معدات وكتائب اتصالات وكتائب طبية وكتائب إشارة وأسراب هليكوبتر، وكل واحدة من هذه تحتاج إلى طريقة نقل خاصة. ولكيما تصل الفرقة ٤٢ إلى المملكة العربية السعودية جاهزة قتالياً، فلا بد من تنسيق حركة هذه الوحدات تنسيقاً متزامناً ودقيقاً، فما الحكمة من إرسال دبابات إذا وصلت بدون ذخيرة وفرق صيانة وأدوات احتياطية.

كنت أقول: أرسلوا قوات قتالية وطائرات صيد دبابات وهليكوبتر. بعد ذلك - وبالتنسيق مع مختلف فروع الأسلحة - يضع المخططون قائمة طويلة بالقوات التي يجب نشرها، ثم يخطرهم قيادة النقل العسكري الأمريكي المسئولة عن تنفيذ النقل الجوي والشحن البحري، وتقوم قيادة النقل هذه بدورها بدفع طائرات نقلها العملاقة - التي كانت قليلة العدد - إلى القاعدة العسكرية المطلوبة لأخذ القوات.

يحصل ذلك عندما يتم ضبط الطبيعة البشرية، ولكن يحدث أن هذا الضابط الكبير أو ذاك على الأرض، يرى لكى يكون على بر الأمان أن وحداته تحتاج إلى بشر ومعدات أكثر مما كان مخططاً له بالأصل. وبدأت تقلع الطائرات ناقلة حمولات لم تكن مقررة لها، وصعقت لما علمت أن أول وحدة تحط في المملكة العربية السعودية هي هيئة أركان مقر قيادة الفيلق المحمول. كنت أتخيل مشاة مقاتلين سيخرجون من هذه الطائرة لا حفنة من الجنرالات وضباط الأركان والكتيبة.

ماذا لو كان صدام قد هاجم؟

وسرعان ما اتضح أننا سنكون بمنأى عن بلوغ الهدف المقرر للأسبوع الأول بنشر لواء محمول كامل التجهيز، ورحت أتصل بضباط أركانى ملوحاً لهم بالرسوم الايضاحية والجداول التى أريناها للرئيس، ومطالباً إياهم: هذه القوة وعدنا بإرسالها، لماذا لم تصل؟ وبدأت أصابع الاتهام المحتومة تؤثر. أخبرنا ضابط من قيادة النقل أننا نرسل الطائرات باستمرار إلى قاعدة فورت براج وهم يواصلون شحن المواد الخطأ، وأصر قائد القوة المحمولة في فورت براج قائلاً: إننى جالس هنا أنظر إلى مطار فارغ. لدى قوات مصطفة تنتظر وليست هناك طائرة نقل واحدة في أى مكان.

لاح خطر الضياع.. اتصلت بكل جنرال ليجازى مؤسسه: الجنرال جونسون القائد

العام لقيادة النقل الجوي العسكري، والجنرال «ايدبوربا» الذى خلف «باول» كرئيس لقيادة القوات، والليفتاننت جنرال «جارى لاك» قائد الفيلق ١٨ المحمول.

شرحت لهم الصعاب التى نواجهها، وقلت دعونا نكف عن توجيه أصابع الاتهام. لا أحد يرغب فى أن ينحو بالمسكلة إلى الحل. لقد أن الأوان لتحريك القوات، لقد كان كل واحد من هؤلاء الجنرالات صديقا طيبا ومهنيا مكينا، لذلك كنت أعرف الاستجابة التى سأحصل عليها. لقد وجهوا الأوامر المطلوبة، ومنذ ذلك فصاعدا أخذت فوضى النقل العسكرى تتبدد.

أما القوة الجوية فنقلها مسألة أخرى، فأسراب مقاتلات ف١٥ وف١٦ التى وعدنا بها فتدفقت بشكل رائع على السعودية، ولكن بصورة أروع قليلا مما ينبغى كما اتضح لاحقا، ذلك لأننا فى ختام الأسبوع الأول أصبح لدينا لا الأسراب الخمسة التى كنت أتوقعها، بل أسراب عشرة. وبمعنى ما كان ذلك عظيما، فسلامة القوات الواصلة تتوقف إلى حد كبير على هذه المقاتلات التى يفترض بها - بالتعاون مع المقاتلات السعودية ف-١٥، والمقاتلات البريطانية من طراز تورنادو- أن ترد أى هجمات جوية عراقية، وأن تضرب أى طابور دبابات يأتى للغزو، لكن يلزم كل سرب من الأسراب - الذى يضم ٢٤ طائرة - أكثر من ١٥٠٠ مهندس وتكنيكى ملقم ذخيرة الطائرات، ونقل كل هؤلاء الناس مع معداتهم يشغل عشرات الرحلات التى كنا قد خصصناها لوحدات أخرى.

لم يسبق لى فى حياتى أن عالجت أمرا على هذا القدر من التعقيد، ولا اضطررت إلى اتخاذ هذا القدر الكبير من القرارات بسرعة، فالمشاكل كانت تترى علينا من واشنطن ومن الرياض ومن الوحدات المتمركزة فى أرجاء الولايات المتحدة، ومن ادميرالاتنا الذين كانوا يعدون العدة لفرص حصار بحرى تطبيقا لقرار الأمم المتحدة بفرض حظر تجارى على العراق اتخذ فى السادس من أغسطس، كنت أتشاور فى العادة مع ضباط أركانى حول المسائل المهمة، أما الان فلا وقت لدى لذلك. كنت أكتفى بإصدار الأوامر الواحد بعد الآخر، وقام ضباط المقر بعمل خارق لنشر وتفسير الأوامر لمقرات القيادة الأخرى التى لم تكن على معرفة بالشرق الأوسط وبخطتنا. ورغم أن هذه ليست الطريقة المفضلة لدى للعمل، فقد أحسست أن دقة الموقف تستدعيها. لقد قضيت فى

موقعي ردحا من الزمن طويلا بما فيه الكفاية لمعرفة الكثير من الأخطاء التي يتوجب علينا تفاديها، ومن بين أول الأوامر التي أعطيتها هو منع جلب الكحول أو الصور الخليعة إلى السعودية «الخلاعة هنا تعني مجلات صور النساء العاريات، إضافة إلى المجلات المصنفة في باب المحظورات». كنت أعرف أن بعض الجنود - هم ورجال الكونجرس الذين يمثلونهم - سيجارون بالشكوى، إلا أن المشروبات وصور الخلاعة محظورة بموجب القانون في السلطنة العربية السعودية، وما من شيء سيخرب استقبالنا عاجلا أكثر من أن ندع هذه الأشياء تعلق وتظهر على غرار ما فعل بعض الأمريكيين في فيتنام.

اتفقنا - هورنر ويوسوك وأنا - على أن التحالف لكي يعمل بشكل معقول، فإننا بحاجة إلى نظام مختلط على غرار ما كان معمولاً به في فيتنام، حيث يقاتل الأمريكيان تحت إمرة قادة أمريكيان، ويقاوم الفيتناميون الجنوبيون تحت إمرة قادة فيتناميين جنوبيين، على أن يجري تنسيق نشاطات الجيشين على مستوى القمة، ورغم أن هذه الطريقة تخرق مبدأ قديما من مبادئ الحرب اسمه وحدة القيادة، فقد رأيته مطبقا في ميدان المعركة، واعتقدت أن باستطاعتى أن أطبقه في الخليج خيرا مما كان مطبقا في فيتنام. عرضت الفكرة على واشنطن فيما كان هورنر ويوسوك يطرحانها على السعوديين. وبعد بضعة أيام واثق الطرفان، وكانت مصر وبريطانيا العظمى وأمر أخرى تتحدث أيضا عن عزمها على إرسال قوات.

لقد كان من شأن التقدم المحرز أن يسعدني، لولا أن صداما بدا عازما على زيادة المخاطر، فقد دأب على ضخ قواته إلى الكويت. وجد السعوديون المتمركزون في نقاط الحدود إنهم الآن أمام فوهات مواسير مدافع تسع فرق عراقية (١٣٠ ألف جندي و١٢٠٠ دبابة، ٨٠٠ قطعة مدفعية، يستطيع الكثير منها أن يطلق قذائف كيماوية سامة). وابتغاء الدفاع المناسب بإزاء قوة كهذه، كنا نحتاج إلى ٥ أسابيع على الأقل لتدعيم قدرة قواتنا، وانتابني قلق ممض من أن يكتشف العراقيون ذلك ويهاجموا في الحال. وقد أعطيت تشاك هورنر أمرا دائما مفاده: قبل أن تتوجه إلى فراشك ليلا تأكد بصورة قاطعة من أن كل قائد من قواد وحدتك على البر وفي البحر يعرف تماما ما ينبغي أن يفعل إذا وقع هجوم علينا.

في التاسع من أغسطس أمر صدام بغلق الحدود العراقية والكويتية، محتجزاً أكثر من ١٣ ألف غربي وأجنبي ومغيراً بذلك كامل طبيعة الأزمة. إن احتجاز رهائن أمريكي يمكن أن يكون سبباً لإعلان حرب، وشعرت بالغثيان يعتصر أحشائي لدى سماعي بهذه الأنباء. ففي أيام اختيارنا لدرع الصحراء أنجزنا خطة لتوجيه ضربات جوية ورمزية، ولكن لم تكن أكثر من رمزية، فلو شرع العراقيون بإعدام موظفي السفارة مثلاً وطلب الرئيس أن نرد، لما كان لدى القيادة المركزية ما تفعله إلا القليل عدا توجيه ضربة نووية لبغداد، وما كنت لأوصي بوجهة كهذه للعمل، وحتى لو عني أن أوصي فإنني على يقين من أن الرئيس ما كان سيصدق عليها.

في صباح اليوم التالي اتصلت «بكرين باول» وطلبت منه أن يقوم المخططون الجويون بإعداد حملة قصف استراتيجي للمؤسسة العسكرية العراقية تعطينا خيارات الرد الانتقامي اللازم، وأطلق على الخطة التي صاغوها اسماً رمزياً هو «الرعد اللوشيك»، وقد تحولت فيما بعد لتغدو الطور الأول من «عاصفة الصحراء».

في هذه الأثناء ظهر منشق عراقي فر إلى القاهرة حاملاً خارطة يدعي أنها تبين خطة عراقية لغزو المملكة العربية السعودية. لم تتوفر معطيات تؤكد أو تنفي أن الخارطة صحيحة، غير أنني رحت أدرسها، وأدركت على الفور أنني لو كنت أقود قوات الطرف المناوئ وأمرت بالاستيلاء على السعودية، فإنني سأضع نفس هذه الخطة بالضبط. ينطوي المخطط على هجوم مثلث الأطراف ينطلق من الكويت، الأول يندفع على طول الطريق العام الساحلي المفضي إلى حقول ومصافي النفط السعودية وصولاً إلى ميناء الجبيل، والثاني يندفع غرباً على طول الطريق العام وصولاً إلى القاعدة السعودية المنتشرة في مدينة الملك خالد العسكرية، والثالث يمضي عبر الصحراء إلى الرياض مباشرة على مبعدة ٢٨٠ ميلاً إلى الجنوب. غير أن البدء بمثل هذا الهجوم يقتضي أن يزيد صدام قواته في الكويت إلى أكثر من ضعف عددها الحالي، وهذا يستغرق بضعة أسابيع، ولكن لو بدأ مثل هذا الهجوم لرحنا نتزاحم بالمناكب من أجل إعادة ترتيب القوات ونشرها على خط دفاع واسع. أمرت القادة الأمامين بأن يتخذوا أوضاعاً قتالية

على كل أطراف الغزو الثلاث.

١٤ أغسطس ١٩٩٠ م يوم ب + ٧

الساعة ١٠٠٧ قام ق.ع (القائد العام) بتنبيه الليفتاننت جنرال هورنر حول الوضع السكنى للقوات الأمريكية، وذكر الجنرال هورنر بالهجوم الإرهابى على ثكنة مشاة البحرية في بيروت، محذرا إياه من وقوع القوات الأمريكية في وضع مماثل.

بعد مضى أسبوع واحد على البدء بعملية درع الصحراء، جاء كولن باول إلى تامبا ووجدنى أعض على اللجام، فبعد الانتهاء من حل مشكلة الفوضى الأولية للنقل الجوى والشحن البحرى، كنت تواقا للتوجه إلى السعودية، ولكنى علمت لتوى أن على التزام مكانى في تامبا أسبوعا آخر، إذا ينبغي انتظار الفراغ من نصب شبكة اتصالات هناك. كان بوسعى أن اتصل من غرفة الحرب في تامبا بأى قائد، وأن أتصل تبعا لذلك بأى طائرة في الجو أو أى سفينة في البحر أو أى وحدة من البر من الطائرات والسفن والوحدات التابعة للقيادة المركزية في الشرق الأوسط.

غير أن أنظمة الاتصالات العسكرية الأمريكية المتاحة في السعودية فقيرة إلى حد أنه كان يتعين علينا بناء شبكة اتصالات مرتبطة بالأقمار الصناعية من العدم.

ورغم أننا - باول وأنا - كنا نتشاور عدة مرات في اليوم على التليفون، فإننا لم نتلاق منذ بدء درع الصحراء، وما إن جلسنا في مكتبى حتى أثرت الهم الذى انتابنى طوال الاسبوع. لم أكن لأرى أين يفترض بالعملية أن تؤدى؟ قلت لباول إنه كلما تريث صدام أكثر في شن غزوته، كلما كانت قدرتنا على الدفاع عن المملكة العربية السعودية أقوى.

ولكن هب أن الغزو لن يحصل، لا أستطيع أن أتصور أن الولايات المتحدة تنسحب ببساطة فيما العراق يواصل احتلال الكويت، كما لم يكن بوسعى أن أتصور قواتنا جاثمة عاما أو يزيد بانتظار أن يسفر الضغط الدبلوماسى أو الاقتصادى عن إقناع صدام بالانسحاب، فامهات وآباء الجنود الأمريكان لن يتحملوا فكرة اكتواء أبنائهم وبناتهم تحت الشمس الحارقة كل هذا الوقت، كما أنى لست واثقا من مدى قدرة الجنود أنفسهم على احتمال تبعات مهمة كهذه. البديل الوحيد - كما قلت لباول -

ينطوى على التزام عسكري أكبر بكثير مما هو عليه الآن. أجاب باول بأنه يشعر بنفس القلق الذى ينتابنى بشأن ما ستقود إليه عملية درع الصحراء، إلا أن البيت الأبيض لم يقرر أكثر من ذلك. ولما غادرنا فكرت أننا على الأقل متفقان فى الأمر الاساسى.

بعد يومين دعيت إلى البنتاجون لمساعدة هيئة الأركان المشتركة فى إطلاع الرئيس بوش على التقدم المحرز فى درع الصحراء، ولما انفض الاجتماع المعقود فى «الدبابة»، توجه الرئيس ووزير الدفاع تشينى إلى مكتب تشينى فى الطابق الأعلى، حيث دعانى باول إلى مكتبه. كنت أعرف أن الرئيس سيلقى خطاباً على مسئولى البنتاجون، وينبغى لنا - باول وأنا - أن نحضره.

سألنى باول حالما جلسنا على مقاعدنا: إذا كان عليك أن تطرد العراقيين من الآن، فيكف بوسعك أن تفعل ذلك؟

ماذا؟ لن أفعل، لا أستطيع، لقد قلت للجميع بوضوح إننا لم نرسل قوات كافية لهذا الغرض».

سرت فى جسدى رعشة باردة، فلقد سبق لى أن طلبت من المخططين أن يدرسوا القضية وجاءونى بالرد قائلين: لا يمكن تنفيذ ذلك، والإمكانية الوحيدة التى قدموها لى هى خطة هجوم مباشرة على الكويت تقضى بقطع خطوط الإمدادات العراقية، لكننا كنا نعرف جميعاً أن تلك المهمة تنطوى على مجازفة كبيرة قد تودى بحياة الآلاف من الأمريكين.

- «سأريك كيف؟»، قلت لباول مكتباً، ورسمت تخطيطاً للكويت على قصاصة ورق مشيراً إلى موضع الهجوم: بوسعنا أن نحتل مفترق الطرق الحاسم هذا قرب الجهرة شمال غرب مدينة الكويت، ونسد تدفق الإمدادات للخطوط الأمامية، وإذا استطعنا التمسك بهذا المفترق فإنهم سيضطرون إلى الانسحاب، ولكن مثل هذه العملية جحيم مسعور، فقد نخسر كامل القوة المنفذة.

هز رأسه وانتقلنا إلى مشاغل أخرى. نهضت متأهبا للانصراف فقال لى «هل لديك مانع إذا احتفظت بقصاصة هذا المخطط».

بعد عشرين دقيقة استدعانى ثانية إلى مكتبه وأخبرنى أنه التقى مع بوش وتشينى،

ثم أضاف: لقد اطلعت الرئيس على خطتك للهجوم.

شعرت كمن وقعت عليه صاعقة. لحظة من فضلك، هذا ليس ما أوحيت به. حسب تسلسل المراتب القيادية يشغل باول موقع الصلة التي تربطنا بالقمة، وقد خشيت أن يكون قد تطوع بنا لكي نعمل في وجهة تقود إلى كارثة، إلا أنه طمأننى: لا تقلق يا نورم، لقد استخدمت القصاصة كوسيلة إيضاح. غادرنا المكتب إلى القاعة التي يوشك فيها الرئيس على إلقاء خطابه، واثقين معا أن عرض القوة الأمريكى في السعودية قد يحمل العراق على التراجع والتقدم بنوع ما من المساومة. وقال باول ثانية: لا أظن أننا سندخل الحرب من أجل الكويت، من أجل السعودية نعم إذا اضطررنا، لكن ليس الكويت. وافقته الرأى.

تجمعت حلقة من موظفى البنتاجون والمراسلين الصحفيين خارج «باب البهو»، واتخذ باول مكانه على المنصة مع الوزير تشينى، وجلست أنا فى الصف الأمامى، وظهر الرئيس بوش وألقى خطابا عنيفا دعا فيه إلى الانسحاب الفورى الكامل وغير المشروط لسائر القوات العراقية من الكويت، وتابع واصفا صدام بالكذب ومقارنا إياه بأدولف هتلر.

رمرت باول بنظرة ذات مغزى تقول: لا تبدو هذه لهجة زعيم عازم على المساومة، فالتقت عيناه بعينى دون رد على التساؤل بالنظر. لقد كان رد الولايات المتحدة على الأزمة فى تصاعد.

وإذ واصل بوش خطابه شعرت بأن كلماته تهزنى رغما عنى، فقد التهمنى سماع رئيس الولايات المتحدة يتحدث عن موقف لا يتعلق ببساطة بحماية الموارد والممتلكات بل حماية حرية الأمم، ونظر باتجاهى مرتين وقال: أخيرا ليس ثمة بديل عن القيادة الأمريكية، والقيادة الأمريكية لا يمكن أن تكون فعالة فى ظل غياب القوة الأمريكية، ووجه كلاما إلينا قائلا إنه يعتمد علينا، وأنا لهذا المشروع العظيم.

بعد ذلك لما تهيأ الرئيس لركوب سيارته، توقف وأصلح هندامه وتوجه مصافحا يدي. سجل المصورون جميعا تلك اللقطة على شريط الفيديو وهو يقول لى: حظا طيبا نورم.. نحن معك على طول الخط.

فأجابه مستعيراً مفردات خطابه إننى فخور بأنك قائدنا الأعلى.

فى طريق العودة إلى تامبا عصر ذلك النهار، دخلت المقصورة الامامية من طائرة القوة الجوية وحدى.. أول مرة أنفرد فيها بنفسى منذ بدء الأزمة. تطلعت من خلال النافذة إلى النهار المشمس البديع، وانتشيت بحسن تقرير الاطلاع الذى قدمته للرئيس، وباحتلالى مقعدا فى الصف الامامى أثناء خطابه وحديثه الشخصى معى أمام عدسات التلفزيون الموجه لعموم أمريكا. لقد انطبع ذلك كله فى عقل، وللحظة نسيت كل الهموم التى تنتظرنى عند العودة إلى مقر القيادة المركزية، وفكرت: إذا ظهر أن ذلك صحيح، فعلى أن أعيد النظر فى خططى للتقاعد. لقد دفع بى وسط الأضواء، وقد انتهت إلى رئاسة أركان الجيش. لقد أخبرنى أناس كثيرون - أبرزهم كولن باول - أننى أحد المتبارين على منصب فى الجيش.. بغتة بدا لى ذلك مثل إمكانية حقيقة مغرية.

دام الإغراء بضم دقائى فحسب، إذ رحت أذكر نفسى فى مجرى التحليق: شوارتزكوف لم تكن ترغب قط فى أن تكون رئيس أركان، فأولا يعنى ذلك أن تعيش وتعمل فى واشنطن أربع سنوات أخرى.. الأهم من ذلك هو الحصول على ذلك المنصب. لقد سرت على درب الترقى إلى المناصب من قبل خلال الحقبة السوداء من حياتى عقب خدمتى فى فيتنام، ولم أسمح لنفسى بتكرار الخطأ نفسه. لقد قررت من جديد قرارا لا عودة فيه هذه المرة أن أتقاعد فى أغسطس عام ١٩٩١، وإذا دامت عملية درع الصحراء أطول فسأبقى حتى إنجاز المهمة أو حتى أطرده منها.

١٨ أغسطس ١٩٩٠ يوم ب + ١١

الساعة ١٧١٠ حديث مع الجنرال دينى رايمر نائب رئيس أركان الجيش للعمليات. يتضح اليوم بجلاء أكبر أنهم يحضرون مواضع تترس فى الكويت.

٢١ أغسطس ١٩٩٠ يوم ب + ١١

رد صدام على خطاب الرئيس فى البنتاجون بهجوم خطابى على طريقته: أنت يا رئيس الولايات المتحدة قد كذبت على الشعب الأمريكى، سنهزمكم. الواقع أنه لم يلق الخطاب نفسه، بل جاء على شكل رسالة مفتوحة تلاها ناطق رسمى من على شاشة التلفزيون العراقى. كنا نقوم فى غرفة الحرب بالتنصت على البث مستمعين إلى تهديدات

الرئيس العراقي العاصفة: إن الالاف من الأمريكان الذين دفعتم بهم إلى هذا النفق المظلم سيعودون إلى بلادهم ملفوفين بأكفان الحزن.

أدركت أن جل الخطاب قطعة من الدعاية، فقد كنت أرى الواقع الفعلي هناك في غرفة الحرب على لوحة عرض ايضاحي كبيرة، تقدم لنا بالدقة صورة انتشار وحشد القوات العراقية، والشئ الذي عكسته هذه اللوحة بعد ٤٨ ساعة من ذلك هو انسحاب فرق الحرس الجمهوري من على الحدود السعودية الكويتية. ورغم أن خبراء الاستخبارات العسكرية حذروني من أن وحدات مدرعة أخرى حلت محل المنسحبة على الخطوط الأمامية، وأن الحرس الجمهوري يستطيع العودة إلى وضع تشكيل هجومي في ظرف ٢٤ ساعة من توجيه الأمر بالهجوم، فقد بدا لي أن أعين العراقيين قد طرفت خوفاً، وأن احتمال وقوع غزو مباشر قد تناقص لأول مرة. وشعرت بالامتنان لأية فسحة تتيح لنا التقاط الأنفاس. وتقف بجوار لوحة العرض المخصصة لرصد تحركات القوات العراقية خارطة تبين مواقع انتشار قواتنا، وهي تشير إلى أن حقول النفط السعودية لاتزال مكشوفة، وأن مواقعنا مقصورة على خط دفاعي يحيط بالمطارات والموانئ الأساسية. لقد كان درع الصحراء لا يزال في بداية تشكله ليس إلا.

ولعل أشد ما كان يشغل بالي هو الخطر الذي لم يتحدث عنه صدام: التفجيرات الإرهابية. لقد كانت قواتنا تتدفق بسرعة كبيرة، بحيث إن ثلاثة الاف من أفراد قواتنا الجوية في الرياض وحدها جرى إيواؤهم في فنادق فاخرة. راحت تقارير الاستخبارات تتوالى علينا مؤكدة أن هذه الفنادق قد اختيرت أهدافاً للضرب، ورحلت أرواحهم بالصياح قادتي الأمامين لينشروا هذه الأعداد في خيام إن استدعت الضرورة، حتى لا يتكدسوا فوق بعضهم في هدف عمودي يمكن تدميره بقنبلة واحدة.

وبذلت جهداً كي أنفادي تكرار حوادث ٢٣ أكتوبر ١٩٨٣، حيث أودت شاحنة متفجرة بحياة ٢٤١ من مشاة البحرية الأمريكية وهم في ثكناتهم في بيروت.

في يوم الخميس السادس عشر من أغسطس، جاء الكولونيل جون واردن وفريق من ضباط القوة الجوية من واشنطن لإطلاعهم على خطة «الرعد الوشيك»، أي حملة الناز الجوية.

كنت حذرا من «واردن»، فهو من مدرسة «ريتس لوماي» في قضايا التخطيط الجوي، وهؤلاء أناس يظنون أن القصف الاستراتيجي يحقق كل المعجزات، وأن الجيوش شيء عفا عليه الزمن، فقد نشر في عام ١٩٨٨ كتابا بعنوان «الحملة الجوية تخطيط للقتال» يتضمن مقطعا بعنوان «يمكن الفوز بالحرب من الجو»، ومن دواعي سعادتي أني وجدته مفكرا مرنا وعارفا بشئون الدعم الجوي الوثيق، ذلك النوع من الضربات الجوية المستخدم لدعم الجنود على بر المعركة قد عرفته بالقصف الاستراتيجي.

كان واردن قد جاب معه اثنين من المخططين الشباب، أما أنا فقد جلبت بوب جونستون وبدت مور، وب.ب. بيل وحددنا موعد جلسة الاطلاع في التاسعة مساء، الرابعة فجرا في منطقة الحرب، فتلك هي أهداف فترات النهار. والتقينا في غرفة اجتماعات صغيرة عارية مضاءة بالنيون في آخر الرواق المفضي إلى غرفة الحرب.

لم يمض على طلبى العودة من البنتاجون سوى أقل من أسبوع ومع ذلك فإن واردن وفريقه حضروا خطة ممتازة حقا. ورغم أن أحدا لم يقل لنا إننا لا نريد تدمير العراق كأمة، فإن فرضيتي في توجيه المخططين تقوم على أن الولايات المتحدة ستظل بحاجة إلى العراق كقوة موازنة لإيران، وقد خرج واردن باستراتيجية مصممة لشل المؤسسة العسكرية العراقية دون محق البلاد.

صنفت الأهداف إلى مجاميع متفرقة، كانت القيادة العراقية في المقدمة منها. لقد أكدنا مرارا بعد بدء القتال أن الولايات المتحدة لن تحاول تصفية صدام حسين. الرئيس بوش قال ذلك بنفسه، وكان ذلك صحيحا بحدود، فقد كانت في مقدمة الأهداف المدرجة في القائمة المخابية، التي نعرف أنه سيلجأ إليها - في الأغلب - مع كبار القادة لإدارة العمل. وبسبب نظام القيادة والسيطرة وتشديد المركزية في العراق، فقد كان صدام في عرف المنظرين العسكريين مما يدعى بمركز ثقل العدو، وهو موضع في القوة المعادية يتسبب إذا استطعت تدميره في فقدان العدو القدرة على القتال (قام الفيلسوف العسكري البروسي العظيم كلاوزفيتز بتحديد مفهوم مركز الثقل في كتابه عن الحرب الصادر عام ١٨٣٢). وابتغاء تحقيق أغراضنا كان يكفيننا إسكات صدام بتدمير قدرته على قيادة قواته الموزعة ضدنا، ولو صادف أن قتل في أثناء هذه العملية لما ذرفت عليه

دمعة. كما وضعنا في قائمة الأهداف معدات الاتصال ومحطات البث الإذاعي والتليفزيوني، لمنع صدام من إيصال الأوامر إلى جنوده.

بعد ذلك استعرض «واردن» كيف أن القوة الجوية تقترح تحطيم المنشآت المضادة للطائرات والمطارات ومواقع خزن الصواريخ ومصانع الذخيرة ومختبرات الأسلحة ومصافي النفط والجسور ومحطات سكك حديد، وخرج المخططون بمائة هدف أساسي، ودهشت من جديد من المدى الكبير الذي حول به صدام بلاده إلى معسكر مسلح.

واستفسرت عن المدة التي تلزم القوة الجوية لتنفيذ كل ذلك القصف، فأجاب واردن: ستة أيام، مفترضاً أن تحت تصرف القيادة المركزية ٣٥ سرباً من الطائرات أو ما يقارب ضعف العدد الذي قررناه حتى الآن، وبدأ لي تقديره مغالياً في التداول، حتى لو توفر لنا ضعف القوة الجوية المتاحة فعلاً، ولكن كان هناك شيء آخر في ذهني الآن.

قلت: إذا كسونا هذه العظام باللحم، فسيكون لدينا برنامج الرد الذي نطمح إليه، والان دعنا نتحدث عما سيحصل إذا كان علينا أن نوسع ذلك إلى حملة هجومية. تطلعت إلى الجالسين حول الطاولة، لم يطرف رمش. ماذا سنفعل لو أردنا لطائراتنا أن تعمل بحرية فوق ميدان المعركة في الكويت.

أجاب واردن. تدمير دفاعاتهم الجوية فوراً. وأضاف أن ذلك صعب التنفيذ في الكويت. إن منظومة الدفاع الجوي في العراق تتألف من منشآت ثابتة يسهل تحديدها، وبالتالي ضربها، أما منظومة الدفاع الجوي في الكويت فمؤلفة من أسلحة منقولة جلبتها القوات الغازية، وتتضمن صواريخ سام ٨ وسام ٣ السوفياتية الموجهة بالرادار، ومدافع زس يو - ٢٣، وزس يو - ٢٤ المضادة للطائرات والموجهة بالرادار. وخلص إلى القول: نستطيع أن نفعل ذلك، لكنه يستغرق من يومين إلى أربعة أيام أخرى.

قلت: جيد بما يكفي الآن، لكن بعد ذلك إذا أردت أن تدك وتضعف جيشهم كي نستطيع الهجوم بنجاح؟ واختلقت رقماً من الهواء كيفما اتفق، وقلت: أريد تدمير خمسين في المائة من قوات الاحتلال العراقية قبل شن أي هجوم برى قد نقدم عليه آخر الأمر.

في أثناء الحديث رحت أخربش ملاحظات، مسجلاً الخطوط العامة لتصوري عن

حملة من أربع مراحل:

١- الردع الوشيك.

٢- إسكات الدفاعات الجوية في الكويت.

٣- إنهاك قوة العدو بنسبة خمسين في المائة.

٤- الهجوم البري (٩).

أطلعت واردين على الملاحظات قائلا: إليك كيف قد يبدو الهجوم؟ لكن هناك شيئا آخر: إن الحرس الجمهوري هو نقطة جذب أخرى في الجيش العراقي، ففي أثناء تنفيذ المرحلة الأولى من حملتك على العراق لماذا لا تقصف الحرس الجمهوري في الكويت؟ هز رأسه نفيا.. هذا أخطر مما ينبغي، فلن نكون عند ذلك قد أسكتنا الدفاع الجوي في الكويت بعد.

- «وماذا عن قاذفات ب ٥٥ هل يستطيع العراقيون إصابتها؟».

اعترف قائلا: «كلا لن يستطيعوا».

إن قاذفات ب ٥٥ تحلق على ارتفاع ٣٠ ألف قدم، وهي مزودة بأحدث أجهزة التشويش، وعليه فإنها منيعة تماما.

- «طيب إذا اقتضى الأمر، أريد أن تقصف الحرس الجمهوري منذ اليوم الأول، وأريد أن تقصفهم بعد ذلك كل يوم. إنهم قلب وروح جيشه وبالتالي سيدفعون الثمن».

في ختام الاجتماع وزعت المهام.. أرسلت واردين وفريقه إلى السعودية لتسليم المراحل التالية في تخطيط الحملة الجوية إلى الجنرال هورنر وأركانته. لم يكن هورنر مرتاحا لطلب المساعدة من البنتاجون في التخطيط. الواقع أنه انفع بقوة: سيدي، إن آخر ما أريد تكراره هو تجربة فيتنام حين كانت واشنطن تقرر الأهداف، هذه مهمة قائد القوة الجوية العاملة بإمرتك. وذكرته بأنه القائد الأمامي لقواتي في الرياض، وأن بين يديه كثرة كاثرة من المشاغل ووعدته بأن يضطلع بالأمر ما إن يتم العمل الابتدائي.

وطلبت من الجنرال جونستون أن يشرح مفهوم الحملة على أربع مراحل إلى كبار ضباط الأركان، والآن - وقد حددنا الإطار العام - نستطيع الشروع في عملية التخطيط

الطويلة اللازمة لتحويل المفهرم إلى شيء قابل للتنفيذ. أخيراً أعطيت ملاحظاتي إلى الكولونيل بيل ليدونها في سجل اليومى. وسأل بيل أى اسم ستطلق على ذلك؟ قلت: لا نريد خلطها بموضوع درع الصحراء، لم لا نسميها عاصفة الصحراء؟ وافق الكل على ذلك، كما وافقوا على الاحتفاظ باسم الرعد الوشيك كرمز للمرحلة الأولى.

في الصباح التالى أبلغت كولن باول أنني توصلت إلى مفهوم للحملة الهجومية، ووضعت المراحل الأربع التى دونتها، وقلت له إنه ليس لدينا عملية هجوم برى نقترحها للمرحلة الرابعة، مبدئياً ارتياحاً من قدرتنا على الخروج بخطة مرضية بدون المزيد والمزيد من القوات، ولكنى اعتزمت أن أطلق حرية المخططين لمعالجة هذه القضية ما إن تطأ قدمى أرض الرياض، ثم أخبرته بالاسم الرمزي الجديد. بدأ مسروراً وقال إنه سينقل المعلومات إلى الوزير تشينى.

بعد أيام قلائل من خطاب الرئيس فى البنتاجون، أخذت الأحداث تتحرك بسرعة كبيرة، فالبيت الأبيض مضى إلى فرض الحصار البحرى رغم أن مجلس الأمن لم يعط الإذن بعد بفرض الحظر بالوسائل العسكرية. زاد ذلك من التوتر فى القيادة المركزية بدرجة ملحوظة، فالحصار فى عرف القانون الدولى هو إعلان حرب، وإذا ما قمنا بإغراق واحدة من ناقلات صدام العملاقة فإنه سيتخذ ذلك ذريعة للبدء بالغزو، أو للرد الثأرى بطريقة من الطرق. وما إن يبدأ الجنود بإطلاق النار على بعضهم فإن من الصعب البقاء دون الدخول فى الحرب.

فى مساء اليوم التالى التقطنا فى الخليج وجود أولى السفن العراقية، وهما ناقلتا نفط صغيرتان فارغتان عائدتان إلى وطنهما، كانت سفننا مستعدة لنسفهما من على وجه المياه. اتصل بى نائب الأدميرال هانك ماون - وهو قائد القوة البحرية العاملة بإمرتى - بواسطة الراديو مستفسراً: «ماذا نفعل؟».

لم تكن أوامرنا تنص على شيء يخص السفن الفارغة. حاولت الاتصال بالجنرال باول تليفونياً، إلا أنه لم يكن فى مكتبه. سألنا ضباط مقره فأتضح أنه ليس هناك تعليمات إضافية لنا. أخيراً بحثت عن نسخة من قرار الأمم المتحدة ووجدتها، ينص القرار على أن الهدف من الحظر هو وقف كل الصادرات والواردات.. هذا يعنى - حسب

ما بدا لي - أن العراق يجب أن يمنع من بيع ما غنمه في الكويت، وأن يمنع من الحصول على امدادات لدعم جهوده الحربية، وارتأيت أن الناقلات الفارغة لا تخرق أيما من الشرطين، لذلك اتصلت بالأدميرال ماوز وقلت له: دعهما تمران، لا فائدة من بدء الحرب العالمية الثالثة بسبب ناقلات نفط فارغة.

بعد بضع ساعات اتصل بآول بالتليفون ليخبرني بأن وزير الدفاع يشعر بأنني لا أطيع الأوامر، وكان بآول نفسه كمن يقف على الحافة، كنا جميعا نعمل تحت ضغط هائل، فأنفجرت قائلا: لم يكن لدى أي توجيه، حاولت الاتصال بك ولم تسعفني هيئة الأركان المشتركة، وأنتم تدفعون لنا الرواتب كي نحسن التقدير في العمل. الشيء الوحيد الذي توفر لدى كي استرشد به هو صياغة قرار الأمم المتحدة.

- «طيب، ولكنك اتخذت قرارا خاطئا».

- «حسنا، الآن وقد أوضحت ما تريد بالضبط، فإن الناقلة التالية التي ستمر ستنسف نسفا».

بعد ١٤ ساعة من ذلك، في عصر يوم السبت في الشرق الأوسط، جاءت سفينة عراقية محملة بالنفط في طريقها لمغادرة الخليج، اعترضتها الفرقاطة الأمريكية «رايد» وأطلقت عليها سلسلتين من طلقات التحذير فوق القوس، لكن الناقلة لم تتوقف. في هذه الأثناء تلقينا مكالمة هائلة من هيئة الأركان المشتركة تعدل الأوامر: لن نغرق أية سفينة بدون موافقة البيت الأبيض. أطلقنا سلسلة طلقات تحذير ثالثة، اتصل القبطان العراقي بالراديو وقال إنه لن يتوقف، مضيفا بلهجة ملغزة إن لديه طاقما دوليا على السفينة. اتصلنا بالبنتاجون ثانية وقلنا نحن مستعدون وبانتظار الإذن بإطلاق النار. في الوقت نفسه أبلغت السفينة العراقية مراجعها في بغداد بأنها تعرضت لإطلاق نار من الأمريكيان. اتصلت بالجنرال هورنر في الرياض لأحذره من أن هجوما عراقيا قد يقع وشيكاً، وأن يضع القوات البحرية والجوية في أقصى حالات الاستنفار جاهزة لشن ضربات انتقامية.

كان الرئيس في كينيديكورت متمتعا بأجازة، لذلك استغرق الأمر فترة كي تستطيع واشنطن التشاور معه ومع الجنرال سكوكروفت. جاءنا القرار بعد ساعة ونصف الساعة: أعطوا القبطان العراقي تحذيرا واحدا أخيرا بواسطة الراديو، أخبروه أنه إذا لم

يتوقف فستطلقون النار على منصة القيادة ومقود الدفة في السفينة لشلها عن توجيه المسار، وإذا لم يتوقف رغم ذلك أنذروه بنقل طاقم البحارة إلى مقدمة السفينة.. أعطوهم الفرصة لإخلاء مقود الدفة ثم أطلقوا طلقة تمر من فوق مقود الدفة كإنذار أخير.. قولوا له هذه فرصتك الأخيرة، القذيفة التالية ستصيبك، ثم أطلقوا لإعطاب السفينة ولكن لا تغرقوها.

لما عادت الأوامر إلى الخليج كان الظلام قد خيم، وقال الأدميرال «ياه». لا نستطيع أن نرى بوضوح كاف، بتنفيذ ذلك.

وهكذا تحللنا من الالتزام حتى انبلاج النهار، بعد أن عوملنا في نموذج كلاسيكي لما يحصل حين تسعى واشنطن إلى توجيه عمليات الاشتباك من بعيد. إن التحكم التفصيلي كان سيثير سخطي في أغلب الظروف، أما في هذه الحالة فلم أعبأ به. من الجلي أن شخصا ما في واشنطن أدرك في وقت متأخر أن إغراق باخرة عراقية سيشكل تصعيدا كبيرا، لذا قرر أن على الولايات المتحدة أن تبذل كل جهد لرد الناقل على أعقابها قبل الهجوم عليها.. لا ضير في ذلك بالنسبة لي، بل لقد ضاعف ذلك سروري من القرار الذي اتخذته بعدم ضرب الناقلتين الفارغتين في اليوم السابق.

خلال الليل سادت الرؤوس الباردة، اتصل «باول» ليغير الأوامر للمرة الرابعة خلال ٢٤ ساعة: لا تشبكووا مع تلك السفينة.. واصلوا تعقب أثرها، فإن سفيرنا في الأمم المتحدة يحرص دائما للحصول على تأييد للحصار من مجلس الأمن، ولا نريد تخريب أي شيء.. اقتصرنا بعد ذلك على ملاحقة ظل السفن العراقية إلى أن أعطى مجلس الأمن أخيرا التحويل بفرض الحصار بعد أسبوع من ذلك.

إن الناقلات التي كدنا نهاجمها أبحرت إلى اليمن، حيث أعلن اليمنيون أنهم سيلتزمون بالخطر ولن يفرغوا النفط. لقد كان القبطان العراقي يعرف أنه كان على شفا أن ينسف نفسه، وقد التقطنا مكالمته المفزوعة مع بغداد حيث قيل له ما معناه «امض يا صديقي، وحيث تصبح شهيدا فإن صدام سيمنحك وسام الشهادة». ولما وصل المسكين إلى اليمن أصيب بمرض غامض، وتوجب إجلاؤه إلى العراق، وراهن أن مرضه يرجع إلى عدم رغبته في العودة على نفس الطريق ومواجهة مدافع البحرية الأمريكية.

الخطوة التالية التي اتخذها الرئيس هي استدعاء الاحتياط. ويتمتع الرئيس بصلاحيات إعادة تعبئة ٢٠٠ ألف من جنود الاحتياط لمدة ١٨٠ يوما دون الرجوع إلى الكونجرس، وبهذه الخطوة أعطى إشارة قوية لشعب الولايات المتحدة بأن أماننا مهمة علينا أن ننجزها كاملة.. وقفت إلى جانب هذه الخطوة، فقد كنت على قناعة دائمة بأن واحدة من أفظع الأخطاء التي ارتكبتها في حرب فيتنام هي إحجامنا عن تعبئة الشعب، وكانت واشنطن ترسل الجنود إلى المعركة دون أن تدعو الشعب الأمريكي إلى تأييدهم.

لقد أدى استدعاء الاحتياط إلى إطلاق مشاجرة بيروقراطية عامة في البنتاجون، اشترك فيها رؤساء فيالق الجيش والبحرية ومشاة البحرية والجنرال المسئول عن قيادة القوات والجنرالات المسئولون عن مختلف عناصر الحرس الوطني، الكل يساجل ويناقش حول أي من وحدات الاحتياط يجب أن تتوجه إلى الخليج. ولما كانت خطة حرب القيادة المركزية نصف منجزة، فبنينا لم نصل بعد إلى نقطة تعيين وحدات احتياط خاصة، لذا راح رؤساء فيالق الجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية يصوغون التقديرات عن حجم الاحتياط الذي يظنون هم أنه يلزمنا، وكان الرقم الكلي أكثر من ٣٠٠ ألف شخص، وهو أكبر من سائر العدد المخصص لدرع الصحراء وأضعاف ما كان الرئيس يحمله في ذهنه. أخيرا اتصل بي باول ياشا ووضع - بصواب كامل - القضية بين يدي: إن فروع الأسلحة خرجت عن طورها ويصعب ضبطها، قم أنت بحل القضية وسأصادق فقط على الوحدات التي تطلبها.

كنت أعرف بالضبط ما نحتاج: سائقي شاحنات، مفرغى سفن، مراقبي ذخيرة، مركبي تليفونات، ميكانيكيين، عمالا يتولون المهام الأساسية لإسناد الانتشار في منطقة القتال.. والجزء الأصعب من ذلك هو إيصال تلك الرسالة من خلال البعض في واشنطن. ووقعت لي مناقشة حادة مع رئيسي السابق الجنرال فونو وأركانته حول الوحدات القتالية للحرس الوطني المعروفة باسم «الألوية الملتوية». لقد ابتدعت هذه الألوية خلال العشرين عاما الماضية بهدف زجها في الخدمة زمن الحرب لاستكمال الفرق الدائمة بثلاثي نصابها الاعتيادي توفيراً للطاقة البشرية والمالية، وأراد فونو أن يبرهن أن هذا المشروع فعال، أما رجال الكونجرس القادمون من ولايات تمركز وحدات الحرس هذه فقد راحوا يضجون مطالبين ضمها إلى درع الصحراء، غير أن استدعاء

هذه الأولوية لمدة ١٨٠ يوما التي قررها الرئيس لا معنى له، فما إن يلحق هؤلاء بالخدمة حتى يكونوا بحاجة إلى أشهر من التدريب لاكتساب الاستعداد للقتال، وحين يأتي الأوان وترسلهم إلى الشرق الأوسط يتعين على أن انشغل باعادتهم إلى الوطن. وانتهيت مع فونو إلى القول: إننى أفهم قضيتك السياسية، ولكننا نخوض الآن حربا.

ساندنى «باول» شأنه شأن قائد قيادة القوات الجنرال «إد بوريا»، فشطببت الأولوية الملتوية من دعوة الاحتياط، وبما أن جاهزية الحرس الوطنى هى واحدة من مسؤوليات بوريا فقد كان يعرف خيرا من سواد إن كانت الوحدات متهيئة للانتشار.. ومما يشرفه حقا أنه وقف ضد استخدام هذه الوحدات رغم ما ينطوى على ذلك من مضار على مستقبله، فقد فضّل الإقرار بمحدودية قدرة هذه الوحدات على أن يرسل رجالا مفتقرين إلى الجاهزية، وظل الخلاف ناشبا في الكونجرس والصحف - حتى بعد اتخاذ القرار - إلى أن جرى في شهر سبتمبر إرسال واحد من هذه الأولوية الملتوية من جورجيا إلى مركز التدريب الوطنى في صحراء موجاف، لتحديد الوقت اللازم لاستعادة جاهزيتها القتالية، ولم تستعد هذه الجاهزية حتى بعد تدريب دام ستين يوما. عند هذا الحد اضطر حتى بعض رجال الكونجرس ممن أدلوا بدلوهم في القضية إلى الاعتراف بأن هذه الأولوية قد تناسب حربا أطول.

كانت قضية استدعاء الاحتياط آخر القضايا الكبيرة التى كان على أن أحلها قبل أن أغادر تامبا.. ففى ذلك الوقت كان النقل البحرى والشحن البحرى يسيران سيرا فاعلا إلى حد أن الجنرال جونسون - من قيادة النقل وقيادة النقل الجوى - عقد مؤتمرا صحافيا موسعا في ٢١ أغسطس تبجح فيه أن طائراته وسفنه قد نقلت أعدادا هائلة من الجنود، وأن مازنته مليار رطل من الأسلحة والذخائر والتجهيزات الأخرى قد وصلت إلى الخليج أو في طريق الوصول إليه. وشبه ذلك بنقل سائر رجال ونساء وأطفال مدينة جيفرسون بولاية ميسورى إلى السعودية، هم وسياراتهم وشاحناتهم ومتاعهم المنزلى وطعامهم وامدادات مائهم وكان الجهد وقتذاك هائلا حقا، بحيث كان على مراقبى السيطرة في قيادة النقل العسكرى أن يتعقبوا أثر ٨٠ طائرة في وقت واحد محلقة عبر سماء الأطلسى (وقد اطلقوا على النقل الجوى اسماً رمزياً هو: جسر ألونيوم الشرق الأوسط). في غضون ذلك كانت حمولات هائلة من الدبابات والمعدات الثقيلة وسفن

الشحن البحرى السريع والناقلات العملاقة تبجر بسرعة تزيد على ٣٠ عقدة (ما يعادل ٣٥ ميلا فى الساعة) تلك السفن التابعة لقيادة الشحن البحرى العسكرى، على أن تعقبها سفن شحن أخرى كما هو مقرر.

أخيرا اكتمل نصب شبكات الاتصالات فى السعودية. وفى الثالث والعشرين من أغسطس أخطرت 'بولز' باول بأنى مستعد لنقل مقرى إلى الرياض، وأخبرته بأن نائبى ربك روجرز قد وافق على البقاء فى تامبا لإدارة المقر، وأعرف أننى استطيع الاعتماد عليه لإبقاء تدفق القوات سلسا من جهة الولايات. أيد باول وجوب ذهابى، لكنه اعترف بأنه يحبذ بقاءى قريبا من واشنطن خشية أن يتعذر عليه الاتصال بى لحظة تركى الولايات المتحدة. لقد استطعنا معا فى مجرى اتصالاتنا اليومية أن نطور قاعدة عمل مشتركة خارقة للعادة، قىض لها أن تستمر فى مجرى عملية عاصفة الصحراء. كنا نتداول على التليفون الأمن بضع مرات فى اليوم عادة، وإذا دعت الضرورة لتبادل المعلومات تحريريا فقد كنا نفعل ذلك خارج القنوات الاعتيادية للبنتاجون. وقد كان لدينا نحن الاثنين جهاز فاكس مربوطا بخط التليفون الامن، فإن كانت لدى وثيقة مهمة أو تخطيطا ايضاحيا أرغب فى أن يطلع عليه، أعطيت الورقة إلى الكولونيل بيل ليبلغ مكتب باول بأنها ستبث إليهم، ثم يقف بجانب جهاز الفاكس حتى يكتمل البث، ويقف الضابط التنفيذي لباول على الطرف الاخر من خط الفاكس ليلتقط الرسالة ويسلمها إلى باول باليد مباشرة.

كنا نرى أن تلك هى الطريقة الوحيدة لضمان السرية، فطوال عام ونصف العام من اشتغالى فى (الدبابة) سمعت سلف باول - الاميرال كراو - يقولها المرة تلو المرة: ما إن تدون شيئا على الورق فى واشنطن حتى تستطيع أن تعتبره قد انفضح، فما إن ترد رسائل إلى الأركان المشتركة - وهى رسائل بالغة السرية موجهة للحلقة الضيقة فى البنتاجون - حتى تدون فى السجل وتستنسخ وتوزع لمختلف مديرى الأقسام، الذين يستنسخونها بدورهم إلى نوابهم، والنواب إلى مساعديهم، وهكذا إلى أن تظهر المعلومة حتى قبل أن تعرفها فى الـ «واشنطن بوست» إن معالجة كل شىء بواسطة التليفون الأمنى والفاكس الأمنى قد ضمن عدم تسرب أى شىء، وهذا يعنى أيضا عدم وجود محضر رسمى للعيد من اتصالاتنا.

كنت من الوجهة الرسمية أخضع لوزير الدفاع تشينى بصفتى القائد العام، إلا أن باول هو حلقة الوصل الوحيدة عمليا مع الإدارة. وكان باول يقول: إن مهمتى هي أن أبقى الرئيس والبيت الأبيض ووزير الدفاع على اطلاع بمجريات الأمور.. اهتم أنت بمسرح الحرب واترك الاهتمام بواشنطن. كان هذا التدبير فعالا، إذ كنت أخبر باول بحاجتنا إلى قيام واشنطن بشيء ما، وكان هو يعمل على تحقيق ذلك، وليس لدى أدنى شك في أن الجنرال باول كان خير رجل لذلك المنصب خلال الأزمة، ولم يسبق لأى ضابط غيره بعد الجنرال جورج مارشال - أيام الحرب العالمية الثانية - أن حظى باتصال مباشر بالدوائر العليا في البيت الأبيض، ناهيك عن ثقة الرئيس. كان بوسع باول أن ينتزع في ظرف ساعات قرارات لا ينتزعها غيره إلا بعد أيام أو أسابيع، ولكن وجدت هذا الترتيب مثيرا للأعصاب لأنه يبقينى في الظلام، فغالبا ما كان يحصل أن يتصل بى باول بعد اجتماعات البيت الأبيض ليوجه لى أسئلة تجعلنى احتارا، متسائلا إن كان رؤساؤنا المدنيون يدركون الحقائق العسكرية.

فمثلا حين أعلن صدام في التاسع عشر من أغسطس أنه سيستخدم الرهائن الغربيين كدروع بشرى لمنع الولايات المتحدة من قصف العراق، اتصل بى باول على الفور ليعرف التالى: ماذا ستفعل بعدد الدروع البشرية؟ لقد كنت أطلع على الأمور أولا بأول، وحسبت أنه يعرف الجواب المحزن. أيضا كنا ندرس امكانات إنقاذ الرهائن منذ بدء الأزمة، واتضح لنا سريعا أنه ليس بوسع الولايات المتحدة أن تفعل الكثير لإنقاذ المحتجزين في العراق، والأسباب كثيرة أبرزها: ضعف مصادر استخباراتنا البشرية، ناهيك حتى عن صعوبة تحديد موقع الرهائن. كان على أن أخبر باول هذا النداء: لا نستطيع إخراج معظمهم.. سنبذل كل جهد لمعرفة مكان احتجازهم، ولكن إذا دخلنا الحرب وكان الرهائن في مواقع أساسية للضرب فإن على الرئيس أن يتخذ قرارا صعبا للغاية. لم يكن بوسع القيادة المركزية أن تحل المشكلة التى سببها صدام لنا، فتلك قضية خيار أخلاقى وسياسى.

عندما اتصلت بباول في البنتاجون لأخبره بأننى حاضر للمغادرة إلى الرياض، راح يستفسر منى بالتفصيل حول ما إذا كان بوسعه أن يتصل بى تليفونيا: «هل أنت واثق

أن الاتصالات جاهزة؟ لا أستطيع أن أجازف بفقدان الاتصال بك». ثم أضاف بعبارة متأنية: «في طريق ذهابك أود أن تتوقف هنا في واشنطن لتطلعني بالكامل على خطة حملة الهجوم الجوي والبري معا».

استغرقني تسجيل ماقاله ٥ دقائق.. أخبرت ضباط المقر بأنى بحاجة إلى التحدث مع رئيس هيئة الأركان المشتركة على انفراد، وطلبت إليهم إخلاء غرفة الحرب، ثم عدت إلى فتح الخط مع باول.. قلت محاولا الاحتفاظ بهدوء نبرة صوتي: أريد أن أتأكد من شيء أظن أننا قررناه من قبل.. لقد أطلعت الرئيس على موجز خطة دفاعية، وأنا أنفذ الأوامر بوضع قوات دفاعية في مكانها، وفجأة تسألونى — أنتم المسئولون في واشنطن — أن أعد العدة لهجوم باستخدام تلك القرة الدفاعية.. ثمة خطأ في الأمر. أستطيع أن أقدم لك تصورى التحليلي، ولكن هذا هو كل ما في الأمر، عدا المرحلة الأولى — مرحلة الهجوم الجوي — ليس هناك من شيء آخر أوصيت بفعله أو خططنا له فعلا أو أسير بموجبه، إننى أخشى أن يظهر شخص لا يفهم ذلك ويستدير على عقبيه ويقول لى: نفذ هذا الهجوم.

قال باول: نورمان ضع ثقتك في، عليك أن تثق في. هل تظن أنى سأسمح بحصول ذلك؟ مشكلتى هى أن لدى كل أرباب القصور في مجلس الأمن القومى الذين يواصلون القول: إن علينا أن نطرد صدام من الكويت إلا ويجب أن يكون عندي ما أستطيع به ضبطهم.

بدأ لى أن باول يقامر بأنه إذا استطاع إقناع البيت الأبيض بأن العسكريين يسيطرون على الأزمة، وأنهم يمضون قدما في تطوير خطة طوارئ الحرب، فإن أحدا لن يأمرنا بالتعجل للقيام بشيء. وقررت أنه على حق، لا لأن ذلك يهم.. بل لأنه لم يكن من خيار آخر سوى أن أجاريه.

التقيت بباول صباح السبت الموافق ٢٥ أغسطس في البنتاجون شبه الخالى،

وأوجزت له آخر تطورات خطط التصف الاستراتيجى، وأوضحت كيف أن حملة جوية كهذه قد تخدم ممهدة للهجوم البرى، لكنى أكدت المرة تلو الأخرى أن فكرة دفع قواتنا البرية الحالية إلى الكويت لا يقل غباء عما كان عليه الوضع من قبل. وفى يوم ٢٤ أغسطس أخفيت عن عائلتى سر مغادرتى وموعده، وسألتنى زوجتى: هل ستعود إلينا فى عيد الميلاد القادم.. إنه لن يكون عيداً بدونك^٩. قلت لها. فى كل الحروب التى خضتها قبل ذلك خارج الولايات المتحدة كنت أتصور أنى لن أعود، ولكنى دائماً كنت أعود.

الباب الرابع

القدوم إلى أرض المملكة

(لقاءات وتجهيزات كبرى)

كان الأمير خالد بن سلطان — الذى أقبله لأول مرة — فى استقبالى على باب الطائرة القادمة من واشنطن، وكان فى استقبالى أيضا تشاك هورنر وجون يوسوك — ولقد قدمنى هورنر إلى الأمير خالد الذى عينه الملك فهد كضيف لى فى هذه المهمة.

إن خالد رجل مثالى ضخم الجسم مثلى، تلقى تعليمه فى ساند هيرست — الكلية العسكرية البريطانية — ودرس فى كلية الحرب الجوية التابعة للقوة الجوية الأمريكية فى قاعدة ماكسويل الجوية بولاية الاباما، وهو يحمل درجة الماجستير فى العلوم السياسية من جامعة أوبورن. ويعتبر الأمير الأعلى رتبة فى القوات المسلحة السعودية. رتب خالد — ترحيبا بى — مراسيم تقليدية لتقديم القهوة. فى قاعة الاستقبال بالقاعدة.. افترشت الأرضية سجادة ضخمة. جلسنا على الأريكة — خالد وأنا — فى الطرف الأقصى من القاعة، وجلس تشاك وجون على يسارى وقائد القاعدة الجوية وأفراد هيئة خالد على يمينه.. قدموا لنا قهوة عربية معطرة بالحبان، ورحنا — الأمير وأنا — نتبادل المزاح، وبرز خالد بنظرى رجلا صريحا ودودا مرحابا أنيسا، وقد نبهنى هورنر ويوسوك إلى أنه كان بالغ الاهتمام بهذا اللقاء. ورغم أن الأمير كان مريحا فى العمل معهما — قريئيه الحاملين رتبة جنرال بثلاث نجوم — فإنه راح يطرهما بالأسئلة لما اكتشف أننى قادم، وبات شديد الاحتراس.

وظن هورنر ويوسوك أنه قلق من أن رتبتي الأعلى وخبرتي الواسعة ستدفعنى إلى الضغط عليه أو توجيه الأوامر له. لم تكن لدى مثل هذه النوايا، ولما أدرك خالد ذلك فى الأيام التالية انعقدت بيننا أواصر صداقة حميمة ورفقة مؤثرة اختتم الترحيب الوجيه بالقول سيتصل ضباطى بضباطك حول موعد لقائنا.

انطلقنا في سيارة مرسيدس ثقيلة التصفيح إلى وسط المدينة نحو مبنى وزارة الدفاع - مقر قيادة درع الصحراء - حيث خصص لي السعوديون مكتباً امبراطورياً - في سعته - في الطابق الثاني من المبنى، زينت جدرانها بـرسوم زيتية للملك فهد وولي العهد الأمير عبد الله والأمير سلطان، وفي هذا الطرف ثمة طاولة اجتماعات خشبية حديثة، وكان تليفوني الأمنى الأحمر على الرف وراء المكتب، ورصت على الجدران الثلاثة الأخرى مقاعد وثيرة بقماش مقصب ومكعبات كبيرة من المرمر، تقوم مقام طاولات للقهوة. وتجاور المكتب غرفة نوم وحمام صغيرة مع دوش، وهى جميع بسيطة المظهر. وتطل غرفة النوم على واحة مبلطة بالأسمنت أوت إليها حمامات.

في هذه الأثناء حجز لي ضباطى جناحاً في فندق «حياة» الفخم عبر الشارع قبالة وزارة الدفاع، حيث ينزل العديد من كبار الضباط هناك. ولكنى كنت الشخص الذى ظل يضرب على وتر إخراج العسكريين من الفنادق، فكيف يسعنى أن أنزل في فندق.. الاحتمال الثالث هو النزول في جناح بنادى الضباط السعودى الذى يبعد ثلاثة أميال.

أعلنت اختيارى: سأنام هنا الليلة، بيد أنى انتهيت إلى المبيت في ذلك المكان تسعة أشهر.

كانت أول رغبة لى هى أن أزور غرف الحرب. نزلنا بمصعدين ومررنا برواق طويل محاط بحراسة مشددة، ونزلنا مجموعة درجات متلاحقة من السلم، وأخيراً اجتزنا أبواباً ثقيلة. لقد قام السعوديون بتهيئة مستلزمات بناء مقر قيادة كبير تحت السرداب على عمق ٥ طوابق تحت الأرض، إلا أن بناءه لم يكتمل، فقبل ثلاثة أسابيع فقط كان هذا المكان أجرد، أما الآن فقد بات مركز عصب «درع الصحراء».

قادنى الميجور جنرال بول شاورتر - وهو نائب يوسوك - إلى قاعة كبيرة ذات سقف شاهق يعلو طابقين وتزدحم بالعسكريين والمكاتب. لقد سررت لما عين الجيش شوارتز لاللتحاق بدرع الصحراء. لقد سبق له أن خدم كمدير مشروع لدى الحرس الوطنى السعودى، وهو يحب السعوديين ويعمل بصورة حسنة معهم، وكانت هذه القاعة من إبداعه، وهى مركز تنسيق يستطيع فيه ضباط الارتباط السعوديون والأمريكيون - من أى فرع واختصاص - العمل جنباً إلى جنب: ضباط القوة الجوية

مع ضباط القوة الجوية، حرس الساحل مع حرس الساحل، مخطوط الدفاع الجوي مع مخططي الدفاع الجوي، وهكذا دواليك. وتنبجس من أحد الجدران عاليا غرفة اجتماعات زجاجية مثل طابق وسطي، تطل على كل القاعة وتكون بمثابة موقع قيادة أمريكي حتى ينتهى التكنيكيون من وضع النلمسات الأخيرة على منشأة كاملة للقيادة والسيطرة. أما المنشأة الأكثر تعقيدا فكانت مركز الاستخبارات وغرفة الاتصالات ومكاتب للأركان وقاعة محاضرات صغيرة تتسع لأربعين شخصا من أجل تقارير الاطلاع.. والأهم من ذلك أنها تتضمن غرفة حرب ستكون مقر قيادتي لدرع الصحراء إذا نشبت الحرب. وكان السعوديون في هذه الأثناء قد جهزوا مقر قيادتهم في الطابق الأعلى فوقنا.

قدمنى باول إلى الكولونيلات السعوديين والأمريكيين المسئولين عن تشغيل مركز التنسيق. طلبت تقريرا عن مسار نشر قواتنا، فوجهوا نظرى إلى خارطة كبيرة على الجدار - ورائى ته أما - كانت تصور خطة أعدھا هورنر وخالد وأركانھما، ونشرت القوات الأمريكية والسعودية على طول الحدود السعودية الكويتية في إطار خطة الدفاع الأولى عن المملكة.. وعلى الفور لقطت عينى مشكلة كبيرة، لقد سبق وأن أرسلنا بجهاز الفاكس خطة المعركة العراقية التى حصلنا عليها من المنشق قبل أسبوعين - الخطة التى تنص على غزو شامل مثلث الرؤوس - ومع ذلك - وبسبب نقص القوات - تركوا أحد ممرات الاقتحام إلى الجبيل محميا، شأنه شأن الطريق العام الغربى المفضى إلى مدينة الملك خالد العسكرية، ولكن في وسط الحدود - حيث رسم العراقيون رأس الحربة الثالث - هناك فجوة فاغرة بلا حماية - لا يقل عرضها عن أربعين ميلا - ولو أراد صدام أن يفعل شيئا لكان بوسعه دفع ألف دبابة على ذلك المحور، ولما انتبه أحد لذلك قبل أن يكون صدام قد تغلغل عميقا في مؤخرتنا..

لما حللت في الرباض كنت متهيئا - إن اقتضى الأمر - للعمل على مدار الساعة بغية الوفاء بالعهود التى قطعناها للرئيس، والسهر إلى أقصى حد ممكن للعمل على عودة قواتنا بلا مساس. وأشارت التقديرات الاستخبارية الآن أن بوسع صدام حسين أن يزوج بقوة نابضة ضدنا قوامها ١٥٠٠٠ جندي و١٢٠٠ دبابة، وخشيت أن يدفعنا إلى البحر وأن نفقد حياة آلاف المؤلفة، وأدركت أن أولى أولوياتى أن أزيل هذا الخطر بأسرع

ما يمكن.

ولكن كان يتعين على أن أغلف إحساسى بحراجة الموقف فى مجرى تعاملى مع السعوديين، ومما اثار ذعري أن همهم الأول لم ينصب على الخطر المحدق مع صدام، ولا على المشروع العسكرى الضخم المشترك الذى شرعنا فيه، بل انصب أساسا على أزمة الأعراف والتقاليد التى اندلعت بفعل السيل المياغت للأمريكيين المتدفقين على مملكتهم. لقد فعلنا ما بوسعنا لاستبأق المشكلات قبل مجيء القوات: حظرنا الكحول، والمجلات الخليعة ووعينا الجنود بالحساسية الثقافية، ووزعنا كراسا توجيهيا بعنوان «المرشد العسكرى للأعراف والتقاليد العربية». الذى وضعه على عجل أركان القيادة المركزية. يبدأ أحد الفصول بالقول لا يمكن للرجال والنساء أن يمسوا بعضهم فى العلن، ولكن هناك قدرا كبيرا من التماس بين الأفراد من الجنس الواحد، وما كان بوسع أى شىء نفعه أن يزيل الصدمة الثقافية كليا.

خطة الدفاع الأولية

اعتمدت خطة الدفاع الأولية على استخدام سائر القوات المتاحة أو المنتظرة، وتضمنت هذه القوات:

كتائب الحرس الوطنى السعودى.

القوات السعودية الكويتية المصرية السورية والألوية الفرنسية والبريطانية، إضافة إلى فرق مشاة البحرية والجيش الأمريكى (الفرق ٢٤ و٨٢ و١٠١).

فحين تسلمت مهام القيادة المركزية عام ١٩٨٨، كان هناك جنرال بنجمتين مسئولا عن بعثة التدريب العسكرية الأمريكية، وكان يؤذن له بدخول الرياض عند القيام بأعمال رسمية، ولكن كان يتوجب عليه أن يغادرها قبل حلول الظلام ليعود إلى مقره فى الظهران، أما الآن فإن آلافا من العسكريين يجوبون الرياض.

ورحت أذكر نفسى باستمرار بأن الكثير من الضباط قادرون على القيام بالتخطيط العسكرى، لذلك كنت أذهب إلى مكتب الأمير خالد بوزارة الدفاع فى تمام العاشرة من

مساء كل يوم، ويمتد بنا الحديث عادة إلى مابعد منتصف الليل، وهو أمر ليس بالغريب في المملكة العربية السعودية حيث يعمل الملك فهد نفسه طوال الليل حتى صلاة الفجر. كنا نجلس معا - خالد وأنا - على مقاعد وثيرة ذات لون مارونى، بينما مرافقه يقدم لنا عصير الفواكه والقهوة والكابوتشينو. من المعروف عنى أنى لست صبوراً، ولكن القيام بالعمل هناك أرغمنى على التحلى بالصبر.. فالقرارات التى تتطلب فى العادة ١٥ دقيقة فى تامبا أو واشنطن، وكانت تستهلك فى الغالب ٣ ساعات فى الرياض، مادمننا نرتشف القهوة ونسرد الحكايات، ونضرب الأمثال الحكيمة.

وغالبا مايكون عسيرا علينا أن نعرف مرام خالد من البداية، فالأعراف السعودية لاتحضر على المكاشفة الفورية، ولقد تعلمت من تجربتى الطويلة كيف أصغى طويلا إلى أن أتيقن من أننى فهمت المراد، وأبدى الاستعداد للمساومة، وأمرتهم. تحققوا من جليلة هذا الأمر.

اعترض أحد القادة على مجلات الجنس مدعيا أن للجنود حقا دستوريا فى قراءة المطبوعات التى يذمتعون بها فى الولايات المتحدة، فقلت: «أمل أن تعترف بأن دستور الولايات المتحدة يطبق فقط على الأرض الأمريكية، وعليه فإننا لانملك أنة حقوق دستورية فى المملكة العربية السعودية، وقانون هذه البلاد هو القانون السعودى كما تعلمون، وعليه مثلما نطلب منهم أن ينصاعوا لقوانيننا فى الولايات المتحدة، فإنهم يطلبون أن ننصاع لقوانينهم هنا». وأثر هذا الكلام كثيرا فيهم.

وقررت أيضا أننا بحاجة إلى نظام لحل المشكلات المتعلقة بالتباين الثقافى قبل أن نتفاهم، ووضعنا برنامج العلاقات الاجتماعية وهو شبيه بالبرنامج الذى استخدمناه فى أوروبا، فقد عينا الضابط الكبير فى كل مدينة رئيسية بصفة قائد جماعة، وقلت لهؤلاء: تحدثوا مع السعوديين.. حددوا المسئول المدنى عن المدينة والقائد العسكرى فيها.. نظمواهم بهيئة مجلس يجتمع على أساس دائم لكى تستطيعوا حل هذه المشكلات عندما تنشأ لقد نجح التدبير، فما إن تأسست المجالس المحلية حتى انخفض عدد المشكلات انخفاضاً كبيراً رغم استمرار تدفق القوات الأمريكية.

فى هذه الأثناء كان خالد يواصل البحث عن سبيل لاستيعاب قواتنا وتخفيف ضغط

الكثرة المتدفقة من الأمريكان على الرياض، واقترح على قائلاً: لماذا لا تنتقلون إلى قرية الاسكان، اتضح لنا أن السعوديين في أيام مجد الأوبك حين كانت البترو دولارات تتدفق على المملكة، كانوا قد قرروا بناء منزل لكل بدوى، لذلك شيدوا مجمعا من منازل وبنيات حضرية شاهقة على مبعدة ١٥ ميلا عن الرياض. كانت المنازل الحضرية زاهية مبلطة بالمرمر وسطية بالجبس ومكيفة الهواء ومزودة بوسائل الراحة الحديثة ومفصولة بحيطان شاهقة عن العالم الخارجى. أخذنا واحدة من هذه القرى السكنية الخالية لايواء العاملين، ناقلين إياهم بالباص إلى العمل كل يوم، أو إلى السوق حين يريدون التبضع. ارتاح السعوديون إلى هذا الترتيب، حيث لم يعد حضور الغرباء في الرياض مستديما أو طاغيا، وارتاح الجنود أيضا لأن بوسعهم وراء هذه الجدران العالية أن يلبسوا ويعيشوا كما يفعلون في الوطن، وارتحت لذلك لأنه أتاح لى أخيرا أن أجلى الناس عن فنادق وسط المدينة، حيث كنت أخشى عليهم من أن ينسفوا نسفا.

ومن دواعى فخر كلا الطرفين أن هذه الأزمات الثقافية لم تخرج عن نطاق السيطرة إلى حد يهدد مهمتنا، وقد استوعب الشباب اللامعون والشابات اللامعات في قواتنا المسلحة بسرعة واجبههم حيث احترام تقاليد وعادات مضيفهم، في حين اكتشف السعوديون أن الأمريكان ليسوا أولئك الملاحدة المهووسين بالجنس والمدمنين للمخدرات كما كانوا يمشون، وراح أغلبهم يعتبرنا أصدقاء جاءوا المعون.

٢٢ أيلول - (سبتمبر) ١٩٩٠

يوم ب + ٤٦ رحلة ق. ع للظهران الساعة ١٢٣٠

التقى حاكم الظهران الأمير محمد بن فهد آل سعود و (ق. ع). شرح للحاكم كيف أنه عين قائدا واحدا في كل منطقة يكون مسئولا عن تصرفات جنودها والحساسيات الثقافية.. ق. ع قال: إننا نعتزم كسب الحرب ولن نخسر السلام وقال إنه رأى الشعب السعودى يرحب بالقوات في الشوارع، وأن الشعب سعيد لأننا هنا.

تناغمت القوة الجوية السعودية - من الناحية العسكرية - مع قوتنا الجوية تناغما سلسا إنه أمر غير متوقع، نظرا لأننا بعنا السعوديين بعض طائراتنا، وساعدنا على تدريب طيارهم وقادتهم والمراقبين الجويين، إلا أن لجيشهم الصغير البالغ تعداده ٦٦ ألفا قصة أخرى. فهد قال خالد بصراحة في أول أسبوع نلتقى فيه: يجب أن تساعدنا في

قواتنا البرية، إنها في وذع سيء. لقد كانت القوات المسلحة السعودية تحظى برواتب جيدة وطعام جيد ومعدات رائعة. دبابات وناقلات جنود ومدفعية حديثة أمريكية وفرنسية وبريطانية، إلا أنها مربوطة بشكل مطلق بقواعدها لأنها لا تملك تنظيماً للقيام بالعمل التفصيلي اللازم لإدامتها في الميدان. إن أية فرقة برية أمريكية تحمل معها منظومات الإسناد الخاصة بها، فهناك بين جنودها مئات من الميكانيكيين والتكنيكيين وسائقو الشاحنات وعناصر الطبابة والطباخين، إلا أن السعوديين يديرون جيشهم مثلما يديرون مجتمع المدنيين فيستأجرون المتعهدين للقيام بالعمل اليدوي. وحينما اشتروا الدبابات مثلاً اشتروا عقود إدامة أيضاً، حتى إذا عطبت الدبابات فلأنهم لن يتوجهوا إلى مستودع المحركات القريب لإصلاحها، بل يتصلون بالأحرى بشركة جنرال موتورز. مثل هذه الترتيبات تسير سيراً حسناً في القاعدة، حيث يوجد تكنيكيون مدنيون، ولكن ليس هناك من فني تصليح جيد في ميدان المعركة.

٢٠ سبتمبر ١٩٦٠ - يوم ب + ٢٦ الساعة ٢٠١٥

في تجديد المعلومات المسائي طلب ق. ع من الجميع الانتباه للجنود في المنطقة - بخاصة الظهران - الذين يلبسون مثل رامبو. هذا غير مرض، وطلب منهم أن يجعلوا سلسلة القيادة تعمل.

بحلول أواخر أغسطس استوعبت المملكة العربية السعودية من القوات والمعدات العسكرية مايزيد على حجم قواتها المسلحة هي، وكان انتشارنا مايزال في سرعة متزايدة، وانشغلت بالشئون الإدارية انشغالاً كبيراً، إلا أنني أردت أن أشرف بنفسي على طريقة رعايتنا للجنود حال نزولهم على الأرض، فقد توجهت بعد عدة أيام من مجيئي إلى القاعدة الجوية في الظهران التي تؤدي وظيفة نقطة دخول رئيسية لقوات الجيش الأمريكي، فعناصر الفرقة ٨٢ المحمولة وفرقة الهجوم الجوي ١٠١ وفرقة المشاة الآلية ٢٤ كانت تتدفق على متن طائرات مدنية استأجرها البنتاجون.

وكنت ارتفع بنظري إلى الأعلى وأرى على مد البصر نصف دزينة على الأقل من طائرات ضخمة تحوم في شكل دائري فوق المطار على ارتفاع معين منتظرة دورها للهبوط. وشخصت بنظري إلى المدرج لأرى ٨ أو ١٠ طائرات نقل عملاقة فاخرة أبوابها الخلفية أو مقدمتها، مفرغة كل أنواع المعدات من هليكوبترات الهجوم إلى صناديق جرافيات المؤن. وتوقفت بالقرب من مكاني طائرة من شركة نورث وست

٧٤٧، وراقبت جنود فرقة المشاة الآلية ٢٤ يخرجون منها إلى حرارة تناهز ١٣٠ فهرتهايت وهم يحملون على أكتافهم جعبا ثقيلة، ويمسكون أسلحتهم وقناني الماء التي أعطيت لهم توا. ووقف ضباط الاستقبال وأفراد الضباط وكبار ضباط الصف ووجهوهم إلى حيث سيجري إطلاعهم، أما الجنود فقد اصطفوا في طابور وأخذوا طريقهم إلى خيام الاستقبال الكبيرة على شفا ساحة المدرج، كان ذلك يقيهم من الشمس رغم أن درجة الحرارة في الخيم أسخن من ٤٠٠ جحيم.

ولو جاءوا قبل أسبوعين لما حظوا حتى بمنافع الظل، والشخص الذي ابتكر فكرة نصب الخيم - والذي كان مسئولا عن طعام الجنود ولباسهم ومأواهم ونقلهم ومعداتهم وطلقاتهم - هو الميجور جنرال جاس ياجونيس رئيس القسم اللوجستي للقوات البرية العاملة في درع الصحراء، والرجل الذي يطوف بي في أرجاء القاعدة لتفقدتها.

كان ياجونيس رجلا قصيرا ينحدر من بنسلفانيا حيث يدير أبواه مطعما، وهو أيضا بمثابة أينشتاين في ابتكار طرق تحقيق الأشياء. لقد حط في مطار الظهران في اليوم الأول من بدء عملية درع الصحراء، ولما لم يجد مكانا يمكث فيه لف نفسه في كيس نايلون ورقد على الأرض الأسمنتية، أما في الوقت الذي التقيته، فكان قد حصل على بناية من الأمر السعودي للقاعدة الأمير تركي بن ناصر، وأحاطها بخيم بدوية كبيرة.

توجهنا معا - ياجونيس وأنا - إلى زاوية خلفية في القاعدة، حيث أشار إلى عشرات العمال الأجانب يربطون بالمسامير شرائح من الخشب الرقيق. لقد تعاقد مع مقاول سعودي لبناء حمامات منقولة تتغذى بالجاذبية، ومراحيض تشبه تلك التي استعملناها في فينا نام، وشرح لي مفتخرا: إن الجنود سيتمتعون بالماء الساخن متى شاءوا، لأن الشمس ستسخن الخزان العلوي المظلي بلون فضي.

واتضح فيما بعد أن هذه المنظومة عملت أفضل مما يجب بعض الشيء، فشمس الصحراء سخنت الماء إلى حد كبير بحيث لم يستطع الجنود الاستحمام إلا في الليل.

رحت خلال الأسابيع التالية أراقب ياجونيس وهو يبتدع كل شيء من العدم: مكاتب بريد، عيادات ميدان، أكشاك تليفون للاتصال بالوطن، منشآت راحة واستجمام، أكشاك همبرجر متنقلة، بل إنه ارتجل منظمته الخاصة. ففي ذروة عملية

درع الصحراء كانت بإمرته ٩٤ وحدة مختلفة من وحدات الاحتياط والحرس الوطنى. لقد كان ياجونيس قائد مجموعات الإسناد التى طلبت من البنتاجون أن يستدعيها من عموم أمريكا. سائقى شاحنات، ناصبى تليفونات، ميكانيكيين، وغير ذلك ممن تتطلب منطقة الحرب خبرته. واستطاع بطريقة ما أن يتدبر دمجهم جميعا فى منظومته، ولو ظهرت وحدات تفريغ السفن فى وقت لا يحتاج فيه إلى مفرغى سفن فإنه يقول: «أعلن بهذا منح الوحدة. ثوب وحدة نقل.. أيها الفتيان. ستذهبون لقيادة الشاحنات». ويبدأ هؤلاء الاحتياطيون بالتذمر: لم نأت إلى هنا لقيادة شاحنة. إلا أن موقف ياجونيس يكون: سنتحدث عن ذلك عندما تنتهى الحرب، أما الآن فليس لدينا وقت لذلك.

وتوجهت بالطائرة فى نفس الظهيرة التى تفقدت خلالها القاعدة الجوية إلى ميناء الجبيل، حيث كان جزء من قوة حملة مشاة البحرية الأولى يفرغ لوازمه من نصف درزينة من سفن الإسناد القتالى التابعة للبحرية الأمريكية (وهى من الوجهة التكتيكية سفن ملاحية تتقدم غيرها) راسية فى الميناء، وكان كل سرب من السفن مزدحما بما يكفى من الأسلحة والمعدات ومؤن الطعام والتجهيزات اللازمة لإدامة ١٦٥٠٠ فرد من مشاة البحرية فى القتال ٣٠ يوما. كانت السفن تتمركز منذ سنوات فى ديجو جارسيا - وهى جزيرة بريطانية صغيرة فى المحيط الهندى - محملة بالمعدات الجديدة ومستعدة لمثل هذه الطوارئ.

برنامج النشر هذا موضع خلاف بعد الحرب الفينامية. وعلى حين أن بعض أعضاء الكونجرس اعترضوا على فكرة ترك لوازم قيمتها عشرات الملايين من الدولارات عائمة هناك بدون استعمال، فإنهم لاشك سعداء بتوفرها الآن. وراقبت الليفتاننت جنرال والت بومر قائد مشاة البحرية التابع لى، فيما يخرج موكباً من دبابات م - ٦٠ المتوسطة من إحدى السفن، فملأنى مرآها حبورا.

لقد قطع لواء حملة مشاة البحرية السابع ذاته - ويتألف من ١٥ ألف رجل - طيارنا مسافته ١٠ آلاف ميل من قاعدته فى توينتى ناين بالمز فى كاليفورنيا كى يقرن بمعداته. وتحركت بعض قطاعات مشاة البحرية إلى مواقع قتالية شمال الجبيل ليحلوا محل مظليى الغرقة المحمولة ٨٢، الذين حرسوا الخط منذ بدء عملية درع الصحراء. وزرت واحدة من السرايا المتقدمة على الخط.. كان الجنود يعملون ويتدربون ليلا فى الغالب،

ماكثين على الأرض تحت شبكات التمويه في حر النهار، ونائمين أو مكتفين بالتحديق في الصحراء الخاوية. وتحلق حولي شباب من مشاة البحرية للتحدث معي، كان بوسعهم التشكى من كثير من الأشياء: الحر، نقص تسهيلات الراحة، جريات الطعام. ولكن بالدهشتى ان ماأأدوه هو معرفة الأخبار فقد أعلن السكرتير العام للأمم المتحدة بيريزدى كويلار في السابع والعشرين من أغسطس أنه سيتوجه إلى الأردن لاللقاء بوزير الخارجية العراقية، وأراد الجنود معرفة إن كان قد أحرز أى تقدم في حل الأزمة. وقلت لنفسى: «أنت أيها الغبى ماذا عن محطات الراديو؟» فيتنام كنا نستطيع الاستماع إلى الأخبار من شبكة راديو القوات المسلحة، ولكن لم يخطر لى أننا سنحتاج إلى نصب مرسلات لأجل درع الصحراء، ووعدت الجنود بتوفير الصحف وأجهزة الراديو في الحال.

في أواخر النهار عدت لأحضر مؤتمرا صحفيا في فندق الظهران الدولي، ورغم أنه لم يمض على وجودى في السعودية إلا أقل من أسبوع فقد شعرت بضرورة ألا نكرر الخطأ المرتكب في جرينادا، حين قام العسكريون بالإعاقة . كانت لدى بضع دقائق سلفا لكى أجلس في جناح صغير من الغرف واستعيد رباطة جأشى. لقد كنت طوال النهار مع الجنود وسط حرارة تبلغ ١٣٠ درجة فهرنهايت، وهذه هى اللحظة الأولى التى أختلى فيها.

بنفسى. كنت أتوقع استقبالا وديا خاصا. رغم أن وسائل الإعلان حظيت بحرية لم يسبق لها مثيل في بلوغ قواتنا منذ بدء الأزمة، فقد سمعت شكاوى عن تعذر الوصول إلى القادة العسكريين الأمريكان. كنت أعرف أنه ستأتى أوقات أتعرض فيها إلى أسئلة لا أعرف أجوبتها، ولن أقوم باختراع أجوبة.. عوضا عن ذلك سأكتفى بالقول ببساطة: لا أعرف، وستأتى أوقات تكون فيها معلوماتى ناقصة، ويجب أن أقاوم إغراء استخلاص استنتاجات وردية وتقديمها على أنها واقع، كما كنت أدرك أيضاً أن أى محاولة للتستر على الأنباء السيئة ستقود إلى كارثة. وكان الجنرال كاريتون ابرامز مغرما بالقول: الأخبار السيئة لا تتحسن بتقدم العمر. كنت مؤمنا بأننى إذا تمسكت بالحقيقة فإن الجمهور الأمريكى سيعرف كيف يزن مايتناهى إلى سمعه، ويحتفظ بالأنباء حسب أهميتها.

لقد عقدت خلال سنوات العمل مؤتمرات صحفية، إلا أنها لم تضم في أقصى الحالات أكثر من عشرة مراسلين ومصور فيديو واحد، ولم أدرك أن أصول اللعبة قد تغيرت إلا بعد أن دخلت قاعة المؤتمر، فالمكان مزدحم بحوالى ٢٠٠ صحافي أغلبهم من أمريكا وبريطانيا، وهناك نصف دزينة كاميرات تليفزيون منتشرة على الجدار الخلفى ونصفها يقوم ببث حى للعالم كله. ورحت أجيب على الأسئلة طوال ساعة تقريبا، وأبقتنى معايرى فى وضع جد مهم، وبخاصة مع صحفى أمريكى سألنى على المكشوف إن كان صحيحاً أننا مانزال بعيدى أسابيع عن التمكن من الدفاع إزاء هجوم برى. أعطيت أشد جواب أقدر عليه: «إذا كان العراقيون على قدر كاف من الغباء للهجوم فإنهم سيدفعون الثمن باهظا». وبوجود تلك الكاميرات وهى تدور بصريها كنت أعرف أنني لم أكن فقط أخطب جمهورا صديقا، بل إن صداما وأزلامه المتنمرين يراقبوننى الآن على شاشة سى. إن. إن. من مقراتهم، لذلك حرصت على أن يفهموا مغزى الرسالة، ولكنى حسب المعيار الرابع أضفت بعناية: «لست مستعدا لأن أعطى توكيدا مائة فى المائة عن أية نتيجة فى هذه اللحظة، وقد أفعل ذلك فيما بعد .» لم يكن بوسعى أن أقول إننا مستعدون للدفاع عن المملكة، وأننا لا نملك القوات الكافية فى المكان لتقديم ذلك التوكيد. الواقع أن حقول النفط كانت وماتزال مهددة إلا أن تكاليف الاستيلاء عليها تتزايد كل يوم بالنسبة للمهاجم.

١٥ سبتمبر (أيلول ١٩٩٠ يوم ب + ٣٩ الساعة ٩٠٠)

رحلة قطر: الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أخبر ق.ع أنه معجب بردنا السريع، وقال إن أولئك الذين يساعدون الأصدقاء فى المحنة تبقى ذكراهم مدى الزمان وتحدث الأمير عن صورة العرب لدى الشعب الأمريكى حيث يؤكدون جهودنا فى الخليج، رغم أنك لا تستطيع أن تحصل على ٨٠ فى المائة ممن يحبون الايس كريم.

لم أكن أعتبر صداما على قدر كاف من الطيش (التهور) للبدء فى حرب مع الولايات المتحدة، لكننى لم أكن على استعداد للمراهنة على ذلك بحياة جنودى، فصدام طاغية محاط بحفنة من الخاضعين له الذين يقولون نعم دائما، وبما أن أيا من الواقفين إلى جانبنا لا يعرف نواياه، فقد كان علينا أن نفترض أنه إذا كان قادرا على شىء ما من

الناحية العسكرية فإنه قد يفعله.

رصدنا قواته عن كثب، وكان ضباط استخباراتي يقدمون لي كل ليلة آخر المستجدات، وكان وضع القوات العراقية كل ليلة يبدو وقد اختلف قليلا. راقبنا تحركات قواتهم في مواضعها وهم يمدون الطرق من أراضيهم إلى داخل الكويت، وكنا نأمل بتحليل مثل هذا النشاط أن نفرز خططهم، ولكن فائدة ذلك كانت تبدو لي خلال أسابيعي الأولى في الرياض كفاءة فرز وريقات الشاي، فالعراقيون منتشرون على نحو يتيح لهم الانتقال من الدفاع إلى الهجوم في ظرف ٢٤ ساعة، لكن ما كان واضحا هو أن القوات ظلت تتدفق على الكويت والأجزاء المجاورة لها من العراق، وكان ضباط استخباراتي يرسمون باستمرار دوائر على صورهم تحيط بتجمعات جنود ومعدات تمثل وحدة جديدة، وتضاعفت الأرقام بشكل مخيف، لقد تحدثت سابقا لدى قيامي بإطلاع الرئيس في منتجع كامب ديفيد عن قوة عراقية قوامها ١٠٠ ألف جندي و ٨٥٠ دبابة في الكويت، لكن سرعان ما وجدنا أنفسنا نواجه أكثر من ثلث مليون جندي و ٢٧٥٠ دبابة، كما زج العراقيون قرابة ١٥٠٠ قطعة مدفعية قادرة، -كما كنا نعرف- على إطلاق قذائف كيماوية سامة.

ولم نلمح مؤشرا واحدا على تخلي العراق عن فكرة غزو السعودية واتخاذ موقع دفاعي إلا في منتصف سبتمبر (أيلول).. قبل ذلك كانت فرق الحرس الجمهوري قد تراجعت قليلا عن الحدود السعودية، أما الآن فإن الوحدات المدرعة قد ابتعدت عن الحدود هي الأخرى، وتقدم محلهم الآلاف من جنود المشاة الذين راحوا يحفرون التحصينات والاستحكامات متهيين - كما هو جلي - لحصار طويل.

وأقامت الوحدات المدرعة مواقع تعزيز خلف المشاة مباشرة. في هذه الأثناء انتقلت وحدات الحرس الجمهوري إلى مواقع أبعد، إلى المؤخرة تاركة الكويت كليا، ومتمركزة داخل العراق (لربما كان القادة العسكريون العراقيون يعتقدون أننا حتى لو حاولنا استعادة الكويت، فإننا لن نهجم قط على أرضهم، وهذا الانتشار كان يعطيهم الخيار إذن في أن يندفعوا إلى الكويت في هجوم مضاد، أو إذا كان ذلك يشكل مجازفة أكبر مما ينبغي أن يظلموا أمنين على جانبهم من الحدود، مثل القوات الفيتنامية الشمالية التي

اختبأت في كمبوديا).

لو كان باستطاعة صدام أن يتجسس علينا في مطلع سبتمبر، لرأى كم هو مصيب في نأيه عن الهجوم (من بين أكبر مثالب العراق بالطبع افتقاره إلى تكنولوجيا المراقبة الحديثة).

وتبلورت عملية درع الصحراء عسكريا كما رسمناها في خطتنا، ففي منتصف سبتمبر أخذت الطائرات المقاتلة، بإمرة تشاك هورنر تقوم بأكثر من ٧٠٠ دورية ومهمة تدريبية في اليوم، انطلاقا من ٢١ قاعدة جوية كاملة التجهيز رغم أن بعضها لم يزد عن كونه مدرجا عاريا قبل شهر، وحسب. ولو خطر للعراقيين أن يهاجموا برا لتولاهم هورنر بقوة عاتية من طائرات (ف - ١٥ - ١٦) وأ - ١٠.

إن طائرة أ - ١٠ نفثة قبيحة ثقيلة التسليح، يلقبونها بـ «الخنزير الوحشى» بسبب شكلها الغريب. إن هذه الطائرة مزودة بصواريخ هلفاير ومسلحة بمدفع فعال بما فيه الكفاية لاخترق درع ثقيل، ولها غرض واحد لاغير أن تحلق على ارتفاع منخفض وتمضى بسرعة بطيئة فوق ميدان المعركة لتمزق الدبابات.

كما بنينا ستارا فولاذيا ضد الهجمات الجوية العراقية، فلو أن قاذفة عراقية غامرت بالتحليق فوق الأرض السعودية فإن مقاتلات هورنر من طراز ف - ١٥ - وف - ١٦ - كانت ستسقطها على مبعدة ١٠ أميال من الحدود. علاوة على ذلك، تحلق في أعالي الأجواء السعودية طائرات الأواكس (نظام الإنذار والسيطرة المحمول) وعلى متنها ضباط سيطرة يرصدون كل ما يحلق على كلا الجانبين، وينسقون العمليات الجوية الأمريكية مع العمليات الجوية لسبعة أطراف حليفة على الأقل، وكلما ازداد عدد البلدان الملزمة بإرسال قوات قتالية تضاعف احتمال أن يهاجم صدام السعودية.

وقويت عزائمي كلما تنامت أعدادنا، فالقوة الجوية المتحالفة من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا والكويت والمملكة العربية السعودية والبحرين والإمارات، وقطر، فاقت القوة الجوية العراقية عددا بنسبة ثلاثة إلى واحد.

وفي ميناء الدمام قرب الظهران، وصلت سفن الشحن البحرى السريعة ملأى

بملايين الأطنان من معدات وتجهيزات القتال، وتدفقت قوافل الشاحنات البحرية المدرعة من أرصفة الميناء إلى منطقة تجمع فرقة المشاة الالية ٢٤ بقيادة الجنرال بارى ماكفرى، حيث التحمت ألويته المقاتلة بدباباتها وناقلات الجنود المدرعة. وفي قاعدة الملك خالد الجوية شمال الظهران التحمت الألوية القتالية لفرقة الهجوم الجوى ١٠١ بقيادة الجنرال بينى بى مع هليكوبتراتها، وتضمنت هذه عشرات من طائرات الأباتشى الحاملة للصواريخ، والمزودة بمعدات، رؤية ليلية والقادرة على تدمير دبابات العدو في الظلمة الدامسة من مسافة ٥ أميال.

وإذا جمعت هذه الوحدات ذخائرها وتجهيزاتها وانتقلت إلى الميدان، باتت مهمة الجنرال ما كفرى أن يثبت مع هذه الوحدات مسافة ٣٠٠ ميل شمالا، ليحتل رقعة بطول ٨٠ ميلا وعرض ٦٠ ميلا غرب مواقع مشاة البحرية المتمركزة حول الجبل. وكان على الجنرال «بى» أن يؤسس قواعد على طول مسيرة ما كفرى، حيث تستطيع هليكوبتراته وجنوده من هناك الدفاع عن قوس صحراوي طوله ١٠٠ ميل إلى الشمال والغرب، ويتوجب على لواء من الفرقة ١٠١ أن يقوم مؤقتا بمهمة الشاشة العاكسة، متوغلا في مقدمة المواقع الأمريكية بهدف رصد وإعاقة وإفشال أى هجوم للعدو. أخيرا يفترض أن يصل فوج الفرسان المدرع الثالث بقيادة الكولونيل «دوج ستيورات» ليتولى هذه المهمة.

في غضون ذلك دفع السعوديون قواتهم على طول الطريق إلى الحدود الكويتية، وكانت المسألة بالنسبة إليهم مسألة شرف أن تكون أولى قطرات الدماء المسفوحة دفاعا عن المملكة هي دماؤهم هم، لذلك نشر خالد لواءين آليين ولواء مشاة على طول الممر الساحلى المفضى إلى البلد، ولواء آخر يتألف في غالبية من وحدات مقاتلة من بلدان الخليج الأخرى على طول الطريق العام الغربى المفضى إلى مدينة الملك خالد العسكرية. ورغم أن هذه القوات كانت أخف من أن تحتمل هجوما عراقيا، فقد أمرت بالدفاع عن مواقعها حتى الموت.

واخترقت الصحراء قليلا كل يوم وأنا أرى وحداتنا تستقر في المواقع المطلوبة. كنت أدرك أن هناك قدرا هائلا من العمل ينتظر الإنجاز من أجل تقوية دفاعنا.. كان مقررا

وصول فرقة أمريكية أخرى، وكان علينا أن نحدد كيف نحبك قوات قتالية من مصر وسوريا وبريطانيا العظمى وفرنسا حبكا متناغما في خطة القتال. وبحلول منتصف سبتمبر وتصادف ذلك - عرضا- مع انتقال العراقيين إلى تشكيلات دفاعية، كان بوسعى أن أقول لكونن باول «لاداعى لأن نقلق من وقوع هجوم علينا بعد الان، فليس من سبيل أمامهم لاحتلال حقول النفط بأية صورة».

وحتى لو خطر للعراق أن يهجم بكامل دباباته البالغة ٢٧٥٠ على طول المدخل الأوسط إلى المملكة - أى عبر الثغرة التى صعقتنى في اليوم الأول لوصولي، فقد كان بوسعى أن أضمن إيقافه. وأمرت جون يوسوك أن يصنع من باب الاحتراز المؤقت - حتى بناء المزيد من القدرة القتالية في المملكة العربية السعودية - خطة طوارئ، لتحويل عناصر من الفرقتين ٨٢ و ١٠١ لسد الثغرة قبل أن يتوغل العراقيون أبعد مما ينبغي.

وقد كان في مقدور تلك الوحدات - معززة بالقوات الجوية - أن تؤدي المطلوب.

وكانت تكتياكتنا المرسومة - حال وقوع غزو عراقى - تتضمن الإذعان للهجوم الأولى، وجر طوابير العدو إلى الصحراء السعودية والإغارة عليها بطائرات أباتشى وطائرات (أ - ١٠) فيما هي تتقدم، وقصف خطوط إمدادها بحيث إذا وصلت القوات العراقية للتصادم مع المواقع الدفاعية بقيادة الجنرالات ماكفرى وبى وبومر ١٢٥ ميلا جنوب الحدود الكويتية، فإنها قد تكون قد استنزفت من قواها الكثير ولا يعود في مقدورها السيطرة. وكانت هذه المعركة ماثلة في خطة العمليات الأصلية التى وضعناها، وكانت ستنزّل بصدام هزيمة ساحقة.

١٩ سبتمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٤٣ الساعة ١٣٤٥ ق.ع

يلتقى وزير الدفاع الكويتى الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح.. أخبر الوزير أننا جلبنا في ستة أسابيع قوات أكبر مما جلبناه في سبعة أشهر إلى فيتنام. استطلع (ق.ع) والوزير الخرائط ومواقع في الكويت، حيث حفر العراقيون مواضع تمركز. قال الوزير متى؟ ق.ع قال إن الأوامر المعطاة له محصورة في الردع والدفاع.

ازدادت التوترات ثانية، فـقرب نهاية سبتمبر هدد صدام بـشن ضربة وقائية ضد إسرائيل وإيذاء بعض رهائنه، وطلب المجلس الحاكم من الشعب العراقي أن يتهياً إلى «أم المعارك»، إلا أن الخطاب المنذر بالهلاك ما كان ليزعجني الآن قدر ما كان يقلقني لو جرى سحب الحرس الجمهوري وقبل نقل طلائع وحداتنا المدرعة في الأماكن المرسومة. ولما سألتني الصحفية تشاوا لين هنتر جلوت - من صحيفة «ماكنيل ميرر نيوز أورر» في مقابلة أجرتها معي، إن كنت أعتقد أن صدام يحاول إشعال فتيل الحرب، أجبته: أظن أن اليأس يستولى عليه، وأعتقد أن العقوبات بدأت تؤذيه. وقلت لها: إنه يرفع وتيرة الخطاب اللفظي لتخويفنا ليس إلا، فذلك هو كل ما بقي في جعبته.

إن الهزيمة الوحيدة التي كانت تقلقني الآن هي هزيمة رمزية، فلو استطاع صدام تسريب بضع طائرات خلسة عبر خطوطنا الدفاعية، فمن شأن ذلك أن يسبب حرجاً كبيراً للولايات المتحدة، فلقد حشدنا عدداً هائلاً من الطائرات في قاعدة الرياض - الجبهة - على سبيل المثال، بحيث بدت مثل رصيف حاملة طائرات، وكان بحوزتنا ما قيمته مليار دولار من طائرات الأواكس مصطفة على ساحة المطار، ناهيك عن عشرات النفاثات الأخرى. لم يكن ثمة من سبيل لحل مشكلة الازدحام الفائق، فلا مكان آخر لدينا لوضع الطائرات، ولكني كلما طرت أو نزلت في ذلك المطار خطرت لي هذه الفكرة: إذا استطاعت طائرة واحدة للعدو أن تخترق خطوطنا وتضرب هذا المكان، فإن الانفجارات الثانوية وحدها كافية بتدمير الأسطول الجوي بأسره، وعندها أجدني مضطراً للاتصال بتشاك هورنر لأقول: اضمن لي ألا تخترق طائرة واحدة شبكة دفاعك الجوي. فيقول: «لن تتمكن حتى طائرة واحدة من اختراق الشبكة، لاداعي لأن تقلق حول ذلك».

٢٧ سبتمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥١ الساعة ٩٠٠

ارتحل ق. ع إلى منطقة الحدود الشمالية في نقطة التوقف الأولى. لم يستطلع ق. ع الأرض فحسب، بل واجه على نحو غير متوقع مجندين عراقيين هدهما الجوع والعطش.

لقد جاء هذان الجنديان إلى مخفر شرطة سعودي طلباً للطعام والماء.. أخذناهما إلى

غرفة معزولة وتفقد ق. ع شاحنتهما ومعداتها.

كانت الشاحنة في حالة مزرية من الصيانة وأقنعة الوقاية من الغازات السامة محشورة بمادة أوراق الرزم. مما يشير إلى أن الجنديين لم يحضرا الأقنعة للاستعمال. لقد كان في مقدور القيادة المركزية أن تتباهى بالنجاح الكبير الذي أحرزته.. لقد نقلنا من القوات أكبر عدد لأبعد مسافة وبأقصى سرعة، ولم يحصل مثل هذا في التاريخ من قبل، كما نفذنا الأوامر المعطاة لنا حرفيا بردع العدوان العراقي وبناء دفاع منيع في المملكة العربية السعودية.

بعد فترة قصيرة من وصولي إلى الرياض قمت بجولة لزيارة البلدان الأصغر في الخليج، التي فتحت حدودها للقوات الأمريكية: البحرين - قطر - عمان - والإمارات العربية المتحدة. أردت أن أشكر قادتها شخصيا على توفير المطارات والموانئ التي نحتاجها حاجة ماسة، كما أردت أن أتأكد من أن التدفق الهائل للقوة القتالية الأمريكية لم يربكهم، فالبحرين - على سبيل المثال - جزيرة صغيرة وتتألف مجمل قواتها الجوية من ١٨ طائرة، أما الآن فإن مئات الطائرات الأمريكية تستخدم مدارجها، وعشرات السفن الحربية تجوب شواطئها.

وقد أدهشني ما وجدت دهشة عظيمة، فرغم أن عرب الخليج ليسوا في العادة صقورا عدوانيين، فإن كل زعيم تحدثت معه أراد أن يهاجم ويدمر القوات العراقية في الكويت.. فالشيخ حمد بن عيسى ال خليفة ولي عهد البحرين عبر عن ذلك ببساطة قائلا: «لقد بدأت حربنا مع العراق أصلا»، وسمعت الرأي نفسه يتردد في الخليج من أقصاه إلى أقصاه، ولم يكن بينهم من يذرف الدموع على الضربة الماحقة التي تعرضت لها أسرة الصباح الحاكمة في الكويت، فجيران الكويتيين يرون - بالحق أو بالباطل - أن الكويتيين متغطرسون بثروتهم، والخطرة خصلة تثير الاستهجان في العالم العربي، إلا أن صداما اعتدى على شقيق عربي دون أي يعتدى عليه، وراح الآن يهدد بلدانهم بعدوان مماثل، وما كان بمقدور أي منهم أن يحيا في ظل خطر كهذا. ولم يقتصر الشيخ حمد على حث الولايات المتحدة على إزاحة الشر المستطير الجاثم في العراق، بل وعد أيضا بأن تقاتل قواته إلى جاذبنا وقال: «على أمريكا أن تقود، ونحن مستعدون للسير وراءها».

لقد أشار ذلك أعصابى لسببين، أولاً. إن السعوديين أنفسهم لا يبدون اهتماماً كبيراً بالانتقال إلى الهجوم، لذلك فإن مهاجمة العراقيين من الأرض السعودية بدت خارج السياق، وكان سلوك خالد يعكس موقف الملك فهد والأمير سلطان وبقيّة الأسرة المالكة. كان خالد يقول في بعض الأحيان: «لا بد من تدمير صدام ولا يمكن أن نتركه يفلت من العقاب»، ولكنه كان يتحرج من مهاجمة (الأشقاء العرب). وفي أمريكا كان المزاج العام للشعب يتغير راقصاً للحرب، إلا أن عرب الخليج كانوا يريدونها حتى لا تحدث تسوية دبلوماسية يظل بعدها صدام وترسانته العسكرية خطراً جاثماً يهددهم سنة ١٩٩٠، وكانت كل هذه التطورات يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٩٠.

الباب الخامس

الخطط السرية للحرب القادمة..

من «الرعد الوشيك» إلى «عاصفة الصحراء»

كانت خططنا السرية تتزايد يوماً إثر يوم، وفي يوم أول أكتوبر أعدت التقارير السرية منذ الساعة ١٠,٠٠ ضابط الشؤون العامة أبلغ ق.ع أن الميجور جنرال باجونيس سيفتح مركزاً للراحة والاستجمام للفرقة المحمولة ٨٢. ق.ع لسماع هذا التقرير بسبب عدم توفر تجهيزات لإقامة مثل هذه التسهيلات لقوات الجيش الأخرى المنتشرة في عمق أبعد في الصحراء.

٢ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥٦

الساعة ١٠,٠٠ خلال الاستماع إلى التقارير حول آخر المستجدات، اطلع ق.ع على خطة لبناء قواعد مخيمات عديدة في أرجاء السعودية، وأبلغ أن الأركان صادقت على بناء ستة مخيمات منها.. ق.ع أبلغ الأركان أنهم لا يتمتعون بصلاحية المصادقة على تشييد المخيمات، وطلب تقريراً مفصلاً حول ذلك قبل صرف فلس واحد.

كانت خطة «الرعد الوشيك» جاهزة منذ مطلع سبتمبر «أيلول»، وقد عمل الجنرال بستر جلوسون - كبير المخططين العاملين بإمرة تشاك هورنر - على توسيع مخطط الرد الثأري الذي صاغته أركان الجو في البنتاجون، ليحوّله إلى أفضل حملة جوية سبق لي أن شاهدها. توفر لنا الخطة مدى واسعاً من خيارات الهجوم، ويمكن تنفيذها كعملية قائمة بذاتها، أو كجزء من حرب أوسع. وقد أطلعوني على فحواها بعد وصولي إلى الرياض. وقد أخبرت «باول» متحمساً على التليفون: لدينا خطة قصف الآن، وإذا أردت تنفيذ ضربة جوية فقط فنحن مستعدون.

إلا أن قوات صدام زادت استحكاماتها ومتاريسها، ولا حاجة بك لأن تكور

كلاوزفيتز كى تدرك أننا بحاجة إلى خطة هجوم برى، فلم تكن دول الخليج تحثنا على طرد العراق من الكويت فحسب، بل إن باول نفسه أوضح - وإن كان بدون إصدار أمر رسمى - أن واشنطن تنتظر بفارغ الصبر ورود «خيار هجومى» من القيادة المركزية، ووجدنا أنفسنا - هيئة أركانى وأنا - مربكين حقا، فمهما دوّرنا وقلّبنا الأمر مرات ومرات لم نر سبيلا إلى دفع قواتنا المتاحة إلى هجوم ناجح.

ولم استحسن تفكيرنا، ورأيت أن الإبداع هو ما ينقصه. بعثت برقية إلى الجيش في مطلع سبتمبر «أيلول» طالبا فريقا جديدا من المخططين. وفي منتصف الشهر نفسه حصلت على مبتغى: فريق من أربعة ضباط من خريجي مدرسة الدراسات العسكرية المتقدمة، وهى برنامج أمده سنة للنخبة من الضباط فى كلية القيادة والأركان العامة، ويتركز أصلا على تخطيط الحملات العسكرية. أطلعنا أفراد الفريق على تفكيرنا حتى الآن، ثم أوعزت لهم التوجيه التالى: افترضوا أن هجوما برىا سيلى الحملة الجوية، أريدكم أن تدرسوا أوضاع العدو وطبيعة الأرض، وأن تخبرونى بأفضل السبل لطرد العراق من الكويت، بشرط استخدام القوات المتاحة. أمهلتهم أسبوعين لإعداد الجواب.

بعد عدة أيام تلقيت مكالمة هاتفية من سفيرنا تشارلز فريمان، الذى قال إنه بحاجة إلى أن يتحدث معى. أخذت طريقى إلى السفارة الأمريكية فى اليوم التالى، حيث كان مبنى مكاتب السفارة الحديث المؤلف من عدة طوابق يقع على شارع طويل فى ضواحي الرياض تحفه أشجار النخيل.

كان ذلك الجانب من المدينة قد خصص للسفارات، مقلصا على هذا النحو عدد الأجانب فى وسطها. كان مكتب تشارلز - وهو مكتب متواضع فى الطابق العلوى - حافلا بالمصنوعات اليدوية العربية والصينية، وتتوسط رقعة الجلوس فى المكتب صورة فوتوغرافية مؤطرة للقاء الرئيس فرانكلين روزفلت والملك عبد العزيز السعودى، على ظهر باخرة أمريكية فى قناة السويس فى فبراير «شباط» ١٩٤٥.

كان تشارلز رجلا متوسط الطول فى أواخر عقده الرابع ويتميز بعينين ثاقبتين وابتسامة لطيفة وصوت لين، وهو واحد من القلة فى السعودية ممن كانوا يعرفون منذ البداية أن القيادة المركزية تعمل على وضع خيار هجومى. بدا تشارلز الحديث: إننى

قلق بصدد تخطيطكم الهجومى قبل أن تقطعوا شوطا بعيدا جدا على هذا الدرب. يتوجب أن أسألك: هل أنت قانع بأنك مدرك لما نحاول إنجازه على الصعيد الاستراتيجى.

قلت: كلا، إننى أؤمن بعمل فى الظلام.. الأوامر الوحيدة المعطاة لى هى الردع والدفاع، وافترض أن الهدف من الهجوم هو تحرير الكويت وتدمير القدرة العراقية على تهديد دول الخليج، ولكن لم يبلغنى أحد بأن ذلك هو ما نحاول القيام به.

قال: إذا دخلت الولايات المتحدة الحرب ضد العراق، فإن ذلك يمكن أن يسبب نوعا من الهزة فى العالم العربى، ولا أدرى إن كان أحد فى واشنطن قد فكر فى ذلك مليا.

أجبت: طيب، من الأفضل أن نبدأ بمعاينة ذلك. كان تشارلز يردد صدى القلق الذى استبد بى منذ وصولى إلى الرياض. كنت أحرص حرصا مطلقا على أننا إذا هجمنا على صدام فيجب أن نفوز لا فى ميدان المعركة وحده بل فى كتب التاريخ أيضا، وهذا يشمل كتب التاريخ العربى. لم يكن ذلك شأننا عسكريا صرفا بحرفية التعبير لا مجازة، وكان يجب علينا أن نتحاشى إعطاء الانطباع بأن الاستعماريين الغربيين قد فرضوا إرادتهم من جانب واحد، لذلك عازمت على التخطيط بذكاء، ولذا نظمت القيادة المركزية ما أسميناه «ندوة رد الفعل العربى»، واجتمعت دزينة من الخبراء فى غرفة تقارير الإطلاع، وهم خبراء من السفارة والقيادة المركزية، دبلوماسيون، وضباط جيش وبحرية وقوة جوية، ممن عاشوا سنوات فى العالم العربى. جلست إلى طرف طاولة كبيرة وجلس إلى الطرف المقابل جوردون براون، الذى خلف ستان ايسكود يرو كمستشار سياسى للقيادة المركزية، وراح يدير النقاش. تركز جدول العمل على معاينة قائمة طويلة من الأعمال العسكرية المحتملة التى قد تتخذها الولايات المتحدة ضد العراق، وتخمين نتائج أى عمل إذا نفذ، وهل سيكون مقبولا للحكومات والشعوب العربية؟ فلو اكتفينا مثلا بشن هجوم جوى واسع النطاق، هل تبقى دول الخليج على علاقاتها مع الولايات المتحدة والقيادة المركزية بعدئذ؟ وهل سيكون هناك هدير شعبى يرغم الحكومات على الابتعاد عن الولايات المتحدة؟ وماذا بشأن هجوم برى يرغم العراق على الانسحاب من الكويت، ولكنه يترك الماكينة العسكرية العراقية الضخمة بلا مساس؟

رحنا نزن مخاف الخطط على مدى أكثر من أربع ساعات، أدركت بعدها أنني طرحت السؤال بصورة مغلوبة. إن أى هجوم سيكون من الناحية الفعلية مقبولا إذا لبي شرطين: أولا: أن تقاتل قوات عربية بأعداد معقولة إلى جانبنا، ثانيا: يجب أن ننتصر .. عندها ستذكر الحرب على أنها حرب أمم أوروبية مع أمم عربية ضد صدام حسين. انطلاقا من ذلك لم يبق لنا سوى أن نجتاز خطوة قصيرة للوصول إلى ما صار مبدأ ثابتا في تخطيطنا في أى حرب برية ضد العراق. قلت لأركانى: يجب أن تتولى القوات العربية أمر تحرير مدينة الكويت.

٣ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥٧

الساعة ٨,٠٠ غادر ق.ع لزيارة حاملة الطائرات الأمريكية «اند بندنس» في الخليج.. كانت تلك رحلة بحرية تاريخية لأننا لم ندخل حاملة طائرات إلى الخليج منذ ١٩٧٤.

٥ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٥٩

الساعة ١٦,٦٠ ق.ع خرج في جولة في منطقة قرية الإسكان.. خلال الزيارة لم يرتح ق.ع لمستوى المعنويات، الترفيه، وتسهيلات الراحة، لأن حمام السباحة لا يعمل. وجّه القوة الجوية لحل المشكلة.

أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٦٠

الساعة ١٧,٣٠ ق.ع تلقى تقرير اطلاق عن مخيم قاعدة. أوصت الأركان باستكمال ستة مخيمات قاعدية جرى التعاقد عليها أصلا، مع خطة لبناء ٢٤ مخيما. اخر المطاف ق.ع حذر الأركان من السماح لقواتنا بـ «الجلوس ثقالا» على غرار أسلوب مخيمات القاعدة في فيتنام. قال إن ذلك لا يجعلها فقط أهدافا مريحة، بل يجعلها أيضا أقل استعدادا للحركة. في الختام أعطى إذن الشروع بأول ست مخيمات، وأوعز بأن نمضى في المخيمات الأخرى ببطء.

في السادس من أكتوبر قدم لنا سحرة التخطيط خطة المعركة المقترحة من جانبهم، واتضح لنا أنها تماثل بالضبط ما «خربشت» خطوطه العامة على قصاصة الورق قبل شهرين من الهجوم مباشرة على الكويت: استيلاء على مفترق الطرق العام شمال شرق العاصمة الكويتية والاحتفاظ به. أصغيت إلى شرح المخططين وأيقنت بصورة قاطعة أن

هذا هو أفضل سبيل ممكن ما لم يرسل الرئيس المزيد من القوات. وقد أعجبتني الخطة الان أقل مما أعجبتني حين فكرت بها من تلقاء نفسي، فأولا إن الهجوم يفتقر إلى أى عنصر مفاجأة، فهو اندفاع مباشر في الوسط بين أشدّ الدفاعات العراقية تماما. وحتى لو افترضنا أن الأمور سارت سيرا حسنا، فإن الإصابات ستكون كبيرة، إذ إن فريق مدرسة الدراسات العسكرية المتقدمة قد قدر الإصابات «بتفأول، كما أظن» بـ ٨ الاف جريح و ٢٠٠٠ قتيل في صفوف القوات الأمريكية، دون أن يتضمن ذلك الإصابات الجماعية المحتملة من جراء الأسلحة الكيماوية التي يستحيل تقدير حجمها. جلست هناك متخيلا نصف دزينة من السيناريوهات التي يعجز فيها الهجوم عن التقدم، فإن وقعت فرقة من الفرق في ورطة مثلا فلن يكون هناك إلا زج كل الوحدات المدرعة الأمريكية والحليفة دون أن تتمتع أية واحدة منها بسند احتياطي، وحتى لو نجحنا في الاستيلاء على مفترق الطرق فإن بوسع العراق أن يرمى بجيشه الضخم إلى شمال الكويت، ليوأجهنا بهجوم مضاد، تتبع ذلك حرب استنزاف يتمتع فيها العراق بأفضلية حاسمة من جراء تفوقه العددي.

كما خامرتني الريبة أيضا في أن القوات التي وعدنا بها حلفاؤنا ستأتى إلى مسرح الحرب في الوقت المناسب، أو أن حكوماتها ستسمح لها بالاشتراك في الهجوم.. فاللواء البريطاني المدرع السابع «جرذان الصحراء»، الشهير منذ الحرب العالمية الأولى لن يأتى حتى منتصف نوفمبر (تشرين الثاني)، أما الفرقة الفرنسية المدرعة الخفيفة السادسة، فقد وصلت إلا أنه لم تنتشر بعد، والفرقة الآلية المصرية الثالثة كانت لاتزال في مصر بانتظار إذن القدوم من السعوديين، أما الفرقة المدرعة التاسعة السورية فقد كان يفترض أنها في طريقها إلا أن موعد وصولها غير معروف. وضمنت أن ديسمبر «كانون الأول» هو أقرب تاريخ لتمرکز هذه الوحدات في الموقع الصحيح.

اتصل «كولن باول» عصر ذلك اليوم موجهها الأمر لى بإرسال فريق لتقديم تقارير الإطلاع إلى هيئة رؤساء الأركان المشتركة والوزير تشينى، ولربما الرئيس، حول عاصفة الصحراء.

حذرته قائلا: يجب أن أقول لك إننا بقدر ما يتعلق الأمر بالهجوم القوى، لانزال ! نمتلك أى شىء.

أجاب: طيب، ولكن خطة هجوميك الجوى جيدة تماما، إلى حد أننى أود أن يسمعها هؤلاء الناس، ولا يمكن بالطبع أن تطلعهم على الخطة الجوية فقط، ويجب أن تطلعهم على الخطة البرية أيضا.

شعرت بشيء يغوص في جوف معدتى، فإزاء تمنع العراق عن إبداء أية بادرة في الاستجابة لحظر الأمم المتحدة، وإزاء وجود أكثر من ٢٠٠ ألف شاب أمريكي يتحمصون في المبحر السعدي، ارتبت في أن تكون واشنطن أخيرا على وشك مواجهة السؤال المبحر: ما الخطوة التالية؟ وعادت إلى مخاوفي القديمة في أن نؤمر بالقيام بفعل أحقق. قلت بحدّة. «أود أن أتولى تقديم تقرير الاطلاع بنفسى».

– « لا، ابق في مكانك، إذا جئت أنت إلى واشنطن فسوف يتسبب ذلك في رواج الكثير من الشائعات».

– نرسل تشاك هورنر؟

– كلا، تتكرر نفس المشكلة

– دعنى أرسل رئيس أركانى على الأقل. هكذا رحت أحته. وافق باول أخيرا.

تركت التليفون وأنا أتميز غيظا، وأمرت جوب جونستون أن يهبط فريق اطلاع جاهزا للرحيل في ظرف ٢٤ ساعة.. بدا لي رفض باول لجيئى إلى واشنطن لا معنى له، ففى كل حرب يستدعى قائد الميدان إلى الوطن للتشاور دوريا، فايزنهاور استدعى وماك آرثر استدعى. وويستمولاند وابرامز استدعيا طوال الوقت، الأنكى من ذلك أننى خاضع لأوامر تقضى بأن أرسل لهم خطة كنت موقنا أنها ستنتهى إلى حمام دم.

في صباح اليوم التالى ظهر كارل فونو في زيارة للميدان محددة منذ أمد بعيد.. حاصرته تماما منفسا عن شعورى بالإحباط: «كارل»، أنتم يا رجال هيئة الأركان المشتركة يفترض فيكم أن تكونوا المستشارين الأساسيين للرئيس حول أمور الحرب، لماذا يطلب منى أن أرسل إلى واشنطن خطة هجوم لا تؤمن بها؟ إن هؤلاء الذين نتحدث عنهم هم جنود جيشنا. أنت، بصفتك رئيس أركان الجيش يجب أن تخبر الرئيس بأننا لسنا في وضع يتيح لنا الانتقال إلى الهجوم ما لم تتوفر قوات أكثر».

رد على فونو - الكاره للمصادمات - ببساطة قائلا: «نورم، إنك تقوم بعمل رائع ونحن جميعا نقف وراءك مساندين إياك مائة في المائة». ونشرت الصحافة فيما بعد تقريرا يقول إنه اشتكى من أن اجتماعنا الذي استغرق ساعة كان أشبه بجلسة علاج نفسى طولها ٤ ساعات.

ونظرا لأننى لم استطع الذهاب إلى واشنطن بنفسى، فقد وجهت ضباطى وبرمجت تقرير الإطلاع الذى سيقدمونه بدقة من يرمج معركة كبرى. إن يستر جلوسون سيعرض الهجمات الجوية للأطوار: الأول والثانى والثالث، يعقبه الليوتاننت كولونيل جو بورفيس، رئيس فريق التخطيط من مدرسة الدراسات العسكرية المتقدمة ليستعرض الطور الرابع من العملية وهو الهجوم البرى. وبعد أن أصفيت جيدا إلى استعراضاتهما، ألقى نظرة على كل واحد منهما وقلت: «إن أحد الأشياء التى تدور لصالحنا هى أننا لن نخدع الرئيس بهراء القول وسخيفه، يجب أن تشرحوا ما هى قدراتنا، لكن لا تقولوا للرئيس إننا قادرون على فعل شيء لا نستطيعه، فليس هذا وقت الإدعاء بالقدرة. لا تعطوا تخمينات عند الإجابة على الأسئلة. أقصروا ردودكم بدقة على ما قمنا بتحليله. لا تعطوا آراءكم الشخصية، وإذا سمعت أن أيا منكم فعل ذلك فسأعفيكم من واجباتكم وأعيدكم إلى بيوتكم.. لا أريد من أى واحد أن يقول شيئا قد يؤدى إلى مقتل الآلاف من الأمريكيين بلا داع». كنت واثقا تماما من أن الجميع فهموا مقاصدى بجلاء.

لقد اعتاد جونسون وجلسون على أسلوبى هذا فى الحديث مرارا من قبل، واكتفيا بإيماءة من الرأس، أما الضباط الشباب من جماعة مدرسة الدراسات العسكرية المتقدمة فقد اصفرت وجوههم.

لكننى لم أكمل كلامى بعد، طلبت من جونسون أن يأتى إلى مكتبى حيث أعددت له ثلاثة سلايدات ليعرض ويلخص تحفظاتى على مشاركة الحلفاء، وعن غياب الاحتياطى، وعن واقع أننا بحاجة إلى إقناع السعوديين بالموافقة على الهجوم، وعن خطر استصغار القدرة القتالية العراقية. بعد ذلك كتبت سلايدا ختاميا، مشيرا إلى أن القيادة المركزية قد أنجزت المهمة التى أسندها إلينا الرئيس: الدفاع عن المملكة العربية السعودية، وعدت إلى النقطة التى رفعتها فى كامب ديفيد قبل أيام من الشروع فى عملية

درع الصحراء: التخطيط لهجوم لا يتمخض عن كارثة عسكرية يتطلب «فيلقا ثقيلًا»
آخر مؤلفا من فرقتين مدرعتين، ومما جاء في النص الذي كتبه على السلايد:

تقرير القائد العام

خطة الهجوم البري هشة، لا نملك القدرة على الهجوم في البر في هذا الوقت، نحتاج إلى
فيلق ثقيل إضافي لضمان نتيجة موفقة. خطة الدفاع متينة، ومثلما وعدنا الرئيس خلال
الأسبوع الأول من أغسطس فإن القوات المسلحة الأمريكية قادرة الآن على الدفاع عن
المملكة العربية السعودية وتنفيذ طائفة واسعة من الهجمات الثأرية ضد العراق.

التفت إلى جونستون وقلت: حين ينهى بورفيس شرح الهجوم البري، أريدك أن تقف
وتختتم تقرير الاطلاع بهذه السلايدات، أو ما بوب برأسه موافقا وعلى وجهه إمارات
تجهم. كان يشاطرنى تحفظاتى حول الخطة، ولكن ليس من المؤلف أبدا أن ينهى قائد
عسكري تقريره بالتشكيك بصحة الوصف الذى يقدمه. واصلت الحديث قائلا: لا
أعرف ماذا ستواجه في واشنطن، ولكن تستطيع أن تقول لهم إن الجنرال شوارتزكوف
يرى أنه إذا كان ينبغي استعراض الخطة، فيجب أن يتم ذلك مع هذه السلايدات.
وأريدك أن تعرض السلايدات بنفسك، لا من جانب أى شخص آخر من هيئة الأركان
المشتركة، لا تكثر بالأوامر التى تتلقاها من أى إنسان آخر، إنك تعمل بإمرتى وأنا
أعتمد عليك للتحدث باسمى. فهم جونستون بوضوح ساطع مكنم الخطر، ولم يكن
قائدا مخضرمًا فحسب، بل إن ابنه البالغ ٢٤ عاما في وحدة من وحدات مشاة البحرية
المتجهة إلى الخليج.

٩ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٦٣

الساعة ١٦،٠٠ في الصباح بلغنا أن الاسرائيليين قتلوا ٢١ فلسطينيا خلال أحداث
شغب في القدس القديمة، في الوقت نفسه كنا قد تعرضنا في اليوم السابق إلى حادث
طائرة ذات أجنحة ثابتة وأخرى هليكوبتر أدى إلى مصرع ١٠ أمريكيين.

١٢ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٦٦

الساعة ١٦،٣٠ ق.ع تلقى تقرير اطلاع عن سياسة المناوبة. الاقتراح يوصى بأن

تتم مناوبة وحدات القتال البرية كل سنة إلى ثمانية أشهر، وأن تتم مناوبة ضباط مقرات القيادة كل ستة أشهر «لضمان المساواة». ق.ع رفض الاقتراح وأبلغ الأركان أن أى اقتراح بتبديل الضباط العاملين في الرياض أيضا بوصفها وحدة تعيش في الصحراء هو هراء. عرض القائد العام على ضباط المقر فرصة العيش في خندق والنوم في كيس نوم لمدة ستة أشهر، وبعدها يكونون في وضع يحق لهم فيه بحث المساواة. أوعز. ق. ع إليهم بمراجعة الاقتراح ثانية.

... قام الفريق بإطلاع الرئيس في البيت الأبيض عصر يوم الخميس الموافق ١١ أكتوبر، وتلقيت أول مكالمة لى من باول: «ضباط الاطلاع عملهم بشكل لطيف. البيت الأبيض مرتاح إلى الخطة الجوية ولكن كان هناك الكثير من النقد للهجوم البرى». وأضاف بغموض: «ثمة أشياء، يريدان أن يعرفا لماذا لم تخرج بخطة فيها خيال إبداعى أكبر».

قلت بأكبر ما استطيعه من الهدوء: «لقد دأبت على أن أقول لكم أيها الناس طول الوقت إننا لا نملك قوة كافية للقيام بحملة برية».

«ذكرت لهم ذلك». خيم الصمت قليلا، ثم سألتني بغتة: «كم من القوات تحتاج حقا لتقوم بها بصورة «سحيحة»؟»

وحثتته: «دأبت على القول إننى أحتاج لفيلق ثقيل إضافي، ولكن دعنا نقوم بتحليل دقيق». واتفقنا على أن نواصل النقاش حالما تنتهى الأركان عندي من دراسة المسألة، فحتى ذلك الحين كان يطلب إلينا التخطيط على افتراض عدم توفر المزيد من القوات. وسألني باول أيضا أن نقدر منهج العمل المعاكس: «أبلغني عن الحد الأدنى من القوات اللازم للدفاع عن المملكة العربية السعودية بلا أجل». شعرت بالاطمئنان نوعا ما وأنا أعيد سماعه التليفون.

في الصباح التالى جاءنا بوب جونستون بعد طيران طوال الليل، ليضيف لى بضعة تفاصيل أخرى قائلا: إن باول قد غادر على عجل، وحضر اللقاء إضافة إلى الرئيس بوش، كل من نائب الرئيس كوبل، الوزيران بيكر وتشيني، جون سنونو، الجنرال سكوكروفت وبوب. جيتس نائب مستشار الأمن القومى. وأخبرني جونستون قائلا: إذا

حكمتنا على الأمور من الأسئلة التي وجهوها خلال جلسة الإطلاع، فقد رأوا مشاكل كبيرة في خطة الهجوم البري، ولما وصل الدور على تقديم تقديرائك كانت أغلب اعتراضاتك أنت قد أثرت من جانبهم.

وتردد جونسون في القول وهو يهز رأسه: لن تصدق ذلك - حينما عرضت آخر سلايد - السلايد الذي يبين أننا بحاجة إلى فيلق إضافي - قال أحد مستشاري الرئيس: «يا إلهي إن بحوزته كل القوات اللازمة، فلماذا لا يهاجم؟»

قررت ألا أترك ذلك دون متابعة، ولما اتصل باول غصر ذلك اليوم استفسرت منه عن النقد، فأجاب: هذا صحيح، بل إن أحدهم قال إن شوارتزكوف هو ماكليان آخر. إن الشخص الذي عقد هذه المقارنة هو مدني لا يفقه ذرة في الشؤون العسكرية، إلا أنه كان يتابع الفيلم الوثائقي «الحرب الأهلية» في التلفزيون العمومي وصار الان خبيراً، فقد عرف كيف أن جورج ماكليان توقف خارج ويتشموند في ربيع ١٨٦٢ رافضا الهجوم على جيش روبرت أي. لي. وقد أغفل في مقارنته هذه حقيقة واحدة صغيرة: بينما كان جيش ماكليان يفوق قوات «لي» عدداً إلى حد هائل، فإن القوة العراقية تفوق قوتنا في السعودية عدداً إلى حد هائل. وهذا المستشار هو واحد من صقور البيت الأبيض وكان باول يشتكي منه باستمرار. الواقع إن هذا الرجل أخذ يلوح بعد الاجتماع - حسب قول تاول - إلى أننا تعمداً إرسال خطة ذات نسبة عالية من الخسائر البشرية لنفزع الرئيس ونبعده عن فكرة شن حرب برية.

ولو أن البيت الأبيض أراد خطة هجوم جريئة لعرفت كيف أسلمها، فثمة خارطة على حامل بجوار مكتبي في وزارة الدفاع اسمها «موقف العدو»، تشير إلى مواضع القوة العراقية داخل الكويت وإلى جوارها. وكان ضباط المخابرات العاملون بإمرتي يضيفون إليها آخر المستجدات ثلاث مرات في اليوم ابتداء من الساعة ٤,٣٠ فجراً. هذا هو أول شيء اتفحصه حالما أخرج من غرفة نومي عند الساعة السادسة، فهناك دبابيس حمراء براقية تمثل الفرق العراقية، وعلى حين أن صدام كان يغير باستمرار مواقع وحدات منفردة في مسعى لتضليلنا بالتخمينات، فإن كامل الاصطفاف في المسرح الكويتي بقي على حاله مدة شهر: فرق مشاة تحفر مواضعها على طول الحدود الجنوبية وساحل الخليج، مع فرق مدرعة في مواقع تعزيز خلنية مباشرة.. أما قوات الحرس الجمهوري

فتنتشر على طول الحدود العراقية الكويتية شمالا، وكان العراقيون متمركزين بطريقة متيح رمى كامل ثقلهم ضد أى هجوم نشنه من الجنوب أو الشرق، وقد وضعوا الحشود في المكان المقرر بما يوازى ضعف عدد جنود وثلاثة أضعاف الدرر المخططة بالأصل لعملية درر الصحراء.

إن الطريقة المستمدة من نصوص الكتب لإنزال الهزيمة بمثل هذه القوة العراقية هو أن يبقوها المرء في مكانها بهجوم على طول الجبهة، مع إرسال جيش أكبر لالتفاف من حولها وتطويرها وسحقها بإزاء البحر. نظرت إلى الدبابيس الحمراء البراقة التي تمثل الجيش الذي يحتل الكويت.. هناك على طول جناحها الغربى رقعة من الأرض العراقية تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة الكويت، وعدا وجود بضع بلدات صغيرة وقواعد جوية فإنها لا تزيد على صحراء. الأهم من ذلك في ضوء ما ابتغيه، أنها غير محروسة إلى حد كبير. لقد بحثنا من قبل إمكانية دفع وحدات مدرعة عبر ذلك القطاع، إلا أننا ركنا الفكرة على الرف لأن ذلك يعنى انتشار قواتنا انتشارا نصف ما ينبغي، ولأننا لم نكن متيقنين من القدرة على إمداد الوحدات بالذخيرة والمحروقات لمثل هذه المسافات الشاسعة. ولكن يبدو أن واشنطن الآن راغبة في التفكير في إرسال المزيد من الفرق، وهذا غير كامل الوضع حقا، إن ذلك سيتطلب أكبر مناورة التفاف صحراوية بالدروع في التاريخ العسكري الأمريكى، إلا أنها بدت لنا السبيل الأرجح لإنهاء الحرب البرية بصورة حاسمة وسريعة. في الخامس عشر من أكتوبر أبلغت مخططة القيادة المركزية أن يفترضوا وجود فيلق مدرع آخر، وأن يطوروا فكرة هجوم التفاف جانبى.

١٨ أكتوبر ١٩٩٠ ب + ٧٢

الوقت غير محدد. ق. ع سأل رئيس هيئة الأركان المشتركة إن كان بوسعه تقليص عدد الزيارات، فلدينا ١٨ وفدا رئيسيا سيزورون التشكيلات المسلحة في الأسابيع القليلة المقبلة، وبحث ق. ع أيضا المسألة مع السفير، الذى وافقه الرأى واقترح - علاوة على ذلك - أن تصدر القيادة المركزية والسفارة رسالة مشتركة تطلبان فيها وقف سيل الزيارات غير الضرورية.

١٩ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٧٣

الوقت غير محدد. صادق ق. ع على إرسال سياسة التناوب المقترحة، وركزت هذه

— لمن نقدم فواتيرنا؟

قال «لا، لا» نادراً إلى مستفخلاً ذلك. لا ترسل الفواتير لي، أعطني قائمة بما تحتاج وسيقوم ضابطي بعمل اللازم. أبرم العقد معه وسنشرف على سير العقد من مقر قيادتي.

حاولت أن أشرح له أن هذا الترتيب غير عملي، وأن ضباط الشئون اللوجستية الأمريكيين العاملين في الميدان ما كانوا ليطبقوا عملية صنع قرارات مركزية فاقدة المرونة. قلت لخالد إن لكل وحدة نسخة مصغرة من جاس باجونيس، ومهمة هذا الشخص هنا هو أن يعتني بشئون جنوده، وتكهنت بأن الأمريكيين سرعان ما سيتحركون ويشتركون في كل أرجاء المملكة، وكنت مصيياً في ذلك. ففي الرياض وحدها على سبيل المثال، ذهب أحد ضباط الشئون اللوجستية إلى منشأة المياه السعودية وتعاهد على شراء مقدار ضخ من الماء المقطر، وفي الجبيل وقع ضابط الشئون اللوجستية لقوات مشاة البحرية عقد إيجار مجمع لإيواء جنوده بقيمة ١٠ ملايين دولار.

وكان جواب خالد في كل مرة: كان بإمكانني أن أحصل لكم على ذلك بخمسة ملايين، لا توقعوا المزيد من العقود. إلا أن العاملين في الميدان يحثوننا «يا أنتم علينا أن نوقع هذه العقود، لأن المزيد والمزيد من الجنود يتدفقون ويجب أن نضعهم في مكان ما».

قلت لخالد «إن الطريقة الوحيدة لإجراء ذلك هي أن تعين ضباطا يستطيعون العمل معنا ويوقعون هذه العقود فور التوصل إليها. رأى خالد أن الاقتراح معقول، وحتى حين أمر ضباط شئونه اللوجستية بدفع الأموال إلى ستارلنج وفريقه راحوا يتحاشون الأمور المهمة، ولم نتلق قرشاً واحداً.

إن النظام المالي في واشنطن لا يقل عن ذلك في مركزيته وصرامته، فرغم أننا كنا نوقع العقود باليمين وذات الشمال، لم تكن لدينا سيولة نقدية للدفع، وتعمل وزارة الدفاع الأمريكية بموجب قاعدة صارمة تقول. إن إنفاق ٢٢٠ ألف دولار يتطلب موافقة الكونجرس في الأحوال العادية، والاستثناء الوحيد هو حالة الاستنفار الوطني العام. وفي ضوء حجم القوات المرسلّة وارتفاع الأسعار في الشرق الأوسط فإن بوسعك

الافتراض بأن كل ايجار أو عقد مبرم في المملكة العربية السعودية يكلف أكثر من ٢٠٠ ألف دولار.

ولولا مساهمة اليابانيين لأفلس درع الصحراء في شهر أغسطس، فبينما كانت الصحف الغربية تتشكى من امتناع طوكيو عن زيادة تبرعها البالغ مليار دولار للحامية السعودية، حولت السفارة اليابانية في الرياض بهدوء عشرات الملايين من الدولارات إلى الحساب المصرفي للقيادة المركزية. واستطعنا بذلك أن نغطي مصاريف أعمالنا اليومية قبل أن يستطيع أى إنسان في واشنطن أن يدعى حق التصرف بهذه النقود.

في هذه الأثناء تحول محل فريق ستارلنج إلى شركة تصفيات مالية عملاقة حافلة بالايرالات، طالما أننا وثقنا صرف كل دولار وعدنا السعودية بتغطيته. وتنامي الانفاق حقاً، فبين منتصف أغسطس ومنتصف أكتوبر أنفقنا ٧٦٠ مليون دولار. ولما جاء الميجور جنرال بيل راي الخبير المفاوض في شئون الدعم من البلد المضيف من واشنطن في ١٩ أكتوبر، جلب معه أيضاً فواتير وزارة الدفاع بمصاريف النقل الجوي والشحن البحري، مما رفع الرقم إلى ما يقارب ١,٩ مليار دولار. كان ذلك قطعة من بنات أحلام واضع، الميزانية في البنتاجون، فحسب علمي تعهد الملك فهد بدفع تكاليف نقلنا داخل المملكة وليس إليها.

ولما أعلمت خالد بوصول الجنرال راي مع فاتورة شاملة بدا عليه الارتياح. لم أحضر لقاء الاثنين، لكن راي أبلغني أن السعوديين وافقوا في الحال على تسديد المبلغ (٧٦٠ مليون دولار) للقيادة المركزية، إلا أنهم اعتذروا كما توقعت عن عدم دفع مصاريف النقل الجوي والشحن البحري.

الأهم من ذلك أن السعوديين وافقوا بتردد على طريقة دفع الفواتير المرفوعة إليهم في المستقبل.

علقت على ذلك لشبههاط الأركان قائلًا «يبدو أننا نهبط أخيراً على نفس الموجة» وشعرت بالاطمئنان على غرار من يقال له إن الشريك في طريقه إلى البيت بالبريد.

٢٠ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٧٤

الساعة ١٨,٣٠ ع.ع التقى مع الميجور جنرال جابر من الكويت. طلب جابر العون في تجهيز ثلاثة ألوية مشاة خفيفة. كان جابر يخشى أنه إذا لم يجمع بقايا مختلف الوحدات من الكويت فإنها قد تنشط لوحدها فتشعل صدامات غير متعمدة. وأضاف أنه سيأتي يوم تحرر فيه الكويت وتكون القوة المدربة والجاهزة ضرورية لاستعادة النظام والخدمة العامة. ق. ع وافق.

٢٢ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٧٦

الساعة ١٠,٠٠ خلال الاطلاع على المستجدات، أبلغ ق. ع أن الكثير من مواد التبرعات تستمر في التدفق من الولايات المتحدة ومن أرجاء العالم. ق. ع نبه كامل الأركان كيف احمرت أنوفنا في فيتنام بسبب ظهور مؤسسات غير قانونية راحت تسرق من المعدات وتبيع المسروقات في السوق السوداء. لا يمكن أن نسمح بحصول ذلك في عملية درع الصحراء. وأوعز القائد العام للجنرال ممثل النيابة العامة العسكرية أن يكتب برقية يرسلها القائد العام، تقول إن كل مواد التبرعات سوف يتم حصرها وفقا للإجراءات النظامية وأن القادة سيعدون مسئولين عن تطبيق الإجراءات.

جاء كولن باول إلى الرياض في ٢٢ أكتوبر، وأقر من جديد أن القوات المتوفرة حتى تلك اللحظة غير كافية لإزاحة العراق من الكويت، وعرض ضباط أركانى مختلف الخيارات العسكرية، بما في ذلك التي سبق أن طلبها باول فيما يخص الحد الأدنى من القوات لوقاية المملكة العربية السعودية إلى أمد غير محدد. أخيرا كشفنا النقاب عن خطتنا الجديدة لتطويق وسحق الجيش العراقي بحركة التفاف ضخمة غربى الكويت، وهى ممكنة - كما أكدنا - فقط إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة لإرسال فريق مدرع إضافي. لم يكن ذلك مفاجأة لباول، فطالما كنا - هو وأنا - نتبادل الأفكار على التليفون طوال الأسبوع حول السبل الممكنة للتطبيق، إلا أنه سرعان ما سدد إلينا السؤال البديى الذى لم نتناوله: «ل تستطيع نقل تجهيزات كافية للحفاظ على استمرارية الهجوم؟ وقال: قد يكون الجانب اللوجستى كعب أخيا لكم.

إن باستطاعة الدبابات وناقلات الجنود المدرعة أن تسير على الرمال الرخوة، لكن شاحنات نقل المحروقات الضخمة التي تسع ٥٠٠٠ جالون- والتي تسير في أعقاب الدبابات والمدرعات إلى المملكة - بحاجة إلى شوارع أو أرض صلبة، كما أن هجوم التفاف سيبدو في "عالم مجرد وهم. لم يتفوه باول بشيء عن المخاطر السياسية الناجمة عن زيادة القوات الأمريكية في السعودية إلى مستوى يضارع القوة المرسلة إلى فيتنام، ولكنى كنت موقنا أن الفكرة تجول في رأسه.

بعد ذلك شكرنا باول كثيرا على ما قمنا به من عمل، ولكنه حذرنا من أن الرئيس بوش سيستغرق زمنا في اتخاذ القرار، وأوضح لنا أن المزاج في واشنطن يتغير كل أسبوع.. قبل عشرة أيام كان المزاج صقريا، أما خلال الأيام الأربعة أو الخمسة الأخيرة فقد راح المسؤولون يتحدثون عن إفساح المجال أمام العقوبات الاقتصادية لكي يظهر أثرها، ولكن ليس هناك من هو مستعد لاتخاذ قرار جازم، فالكمل مشغول بأزمة الميزانية وانتخابات الشهر المقبل، ومضى إلى القول بأن الرئيس سيعمد - بعد انتخابات نوفمبر - إما إلى تبني خطة الاحتواء العسكري، أو يحاول الحصول على تخويل من الأمم المتحدة والكونجرس لشن هجوم. وسألنا عن المدة اللازمة لجلب القوات المدرعة التي طلبناها، فقدرت المدة بثلاثة أشهر. واختتمنا الجلسة بالاتفاق على أن شهر فبراير هو الموعد المحتمل للهجوم البري.

رغم أن باول ركز حديثه على تزويدنا بقوات إضافية، فإنه لم يقل شيئا عما كنت أريد سماعه من أن نطرح جانبا خطة الهجوم بما لدينا من قوات، فهي خطة تنطوي على مجازفة كبيرة. هذا يعنى أنه لم يسقطها كلية من قائمة الممكّنات، لذلك لم أفاجأ في الصباح التالي حين طلب منى أن أطلعه ثانية على ذلك الخيار. طلبت من أركان المقرر أن يتركوا غرفة الحرب، ورحت أحثه قائلا: دعنا نلغى خطة الهجوم تلك، فلديك هواجس ريبة بصدها مثل أنا. وأوضح أن المخاطر تزداد كل يوم، إذ ينقل العراق المزيد والمزيد من قواته إلى الكويت، وإذا كان علينا الانتقال إلى الهجوم فإننى أحتاج إلى المزيد من القوات.

رد على قائلا: «إننى واثق من أننا نستطيع إرسال المزيد من القوات إلى الخليج بدون أى تفويض صريح من الكونجرس والجمهور الأمريكى». هزرت رأسى موافقا: ولكن لا أحد يريد فيتنام أخرى. وفهمت عزم باول على تفادى الأخطاء السياسية والأخطاء العسكرية أيضا، ومن الأفضل ألا نشن الهجوم أبدا ما لم نكن واثقين من دعم الجمهور.

وفى مجرى المحادثة اتخذ قراره، وودعنى قائلا: «إذا دخلنا الحرب فلن ندخلها نصف دخول. إن المؤسسة العسكرية للولايات المتحدة ستقدم لك كل ما تحتاجه لتفعل ذلك بصواب». لقد عبر الجسر أخيرا، وغادر الرياض وهو يحمل طلب قواتنا، فشعرت كما لو أنه رفع عن كاهلى العبء الكبير.

٢٩ أكتوبر ١٩٩٠ يوم ب + ٨٣

الساعة ١٠,٠٠ أو عز ق. ع إلى ضباط الاستخبارات بإجراء دراسة مفصلة عن تأثير الطقس على العمليات العسكرية، وبخاصة صلاحية الأرض للسير في الكويت وجنوب شرق العراق. يريد ق. ع معرفة كل شئ: من المطر إلى العواصف الرملية إلى درجات الحرارة.. إلخ، على أن تغطى الفترة من الآن إلى مارس (آذار) وأبريل (نيسان). وقال ق. ع إننا يجب أن نستخدم كل المصادر المتيسرة بما فيها أخذ المعلومات من الناس الذين سافروا إلى المناطق المقصودة.

لم يدم إحساسى براحة البال طويلا، ففى ذلك السبت عاد باول أدراجه إلى واشنطن ليتصل بى على التليفون حاملا قنبلة، وبدأ كلامه. الأفضل ألا أغادر واشنطن بعد الآن. - تم لا؟

- حسنا، بينما كنت مسافرا، عاد الوزير تشينى من رحلته إلى روسيا حاملا فكرته الخاصة عن خطة للهجوم، وقد صاغها له بعض العاملين فى الأركان المشتركة، وقد أطلع الرئيس عليها.

- وهل لديك مانع فى أن تخبرنى بفحواها؟

كانت الخطة على أكبر قدر ممكن من السوء. اتضح أن تشينى كان قد شعر بالإحباط من استمرار بوب جونسون لخطبنا فى اجتماع البيت الأبيض، لذلك قرر أن يخرج بخطة أكثر جرأة من خطتنا. وأخذ خارطة العراق واختار

موقعين رئيسيين لإطلاق الصواريخ يقعان في الجزء الغربي الأقصى من البلاد على بعد ٥٠٠ ميل كاملة من الكويت، ويقترح أن تنزل الفرقة المحمولة على الموقعين بالمظلات، وأن ندعمها بالوية الهليكوبترات من فرقة الهجوم ١٠١ وسرايا الدبابات من فوج المشاة المدرع الثالث، ونحتل موقعي الصواريخ هذين، ثم نتجه على الطريق الدولي (غرب - شرق) لنهدد بغداد.

قلت غير مصدق: «ألم تقم هيئة الأركان المشتركة بالكشف عن أغلاط هذه الخطة؟». وذكرت له بعضا من الأغلاط مثل استحالة إمداد عملية كبيرة بعيدة كل ذلك البعد عن الخطوط الصديقة، والواقع أن قلب القوة العسكرية العراقية يقع في الشرق. وأشار بأول بجفاف إلى أن الوزير رجل يصعب أن تقول له كلا، إذا كنت ضابطا شابا في هيئة الأركان ممن يحرصون على مستقبل الترقية. قال: «أريد أن تقيم هذه الخطة، وتقدم لي شيئا تستطيع أن استخدمه لاستعيد السيطرة على الوضع».

وضعت سماعة التليفون وأنا متضايق. لقد عملت لسلة القيادة الأمريكية حتى الآن كما ينبغي أن تعمل، خلافا لما كانت تسير عليه الأمور أيام فيتنام، ولم يحصل أن تكرر عرض ليندون جونسون وهو يمسك سماعة اللاسلكي أثناء حادث بويلو ليصدر أوامرا إلى رامى المدفع الرشاش في مؤخرة قاذفة قنابل، فقد اقتصر الرئيس على الأمور الرئاسية، ووزير الدفاع على وضع السياسة العسكرية، ورئيس هيئة الأركان المشتركة على تسهيل الصلة بين القيادة المدنية والقيادة العسكرية، أما أنا فقد كنت أتمتع بكامل الصلاحية لأداء المهمة بصفتي قائدا في الميدان، ولكنني أخذت الآن أتساءل إن كان تشيئي قد وقع فريسة المرض الذي كنت ألاحظه على بعض سكرتاريي الجيش: ضع مدنيا في موقع المسؤولية عن عسكريين محترفين، وإذا بك تراه غير قانع بوضع السياسة بل يريد أن يصبح جنرالا يفوق الجنرالات.

أطلقنا على خطة وزير الدفاع اسم «النزهة الغربية»، وطلبت من أركان التخطيط عندنا أن يتفحصوها بإنصاف فقاموا بعمل رائع. وبعد ثمان وأربعين ساعة أرسلنا رسالة بالفاكس إلى باول تتضمن تحليلهم الذي أعلن أن الخطة «جسر أبعد مما ينبغي»، مقارنة إياها بالمخطط الطموح زيادة على اللزوم في الحرب العالمية الثانية، الذي كلف الجيوش الأمريكية والبريطانية ثمن الهزيمة في نيجميجين في هولندا. إلا أن «النزهة

الغربية» لم تدفن رغم نقدنا لهم، فخلال ذلك الأسبوع وحده اتصل باول ثلاث مرات ناقلا تعديلات جديدة من طاقم تشيئي، وأكثر هذه التعديلات غرابة يتضمن الاستيلاء على بلدة غربى العراق، نعرض على صدام إرجاعها له مقابل الكويت. أخيرا أقتنعنا واشنطن أنه يتنذر إسناد هذه النزعات لوجستيا، وأنها لن تخدم قضيتنا خطوة واحدة إلى الأمام.

لقد أحسست من ذلك أن واشنطن كانت تتلمس الطريق بحثا عن حل فوري، ولم تكن لى سلطة لثنيهم عن ذلك، وقرعت باول قائلا: «لا يمكن أن نظل نظور مجموعات جديدة من الخطط بين ليلة وضحاها». فيوما نتحدث عن الهجوم، واليوم التالى عن الاحتواء، واليوم الذى يليه عن سحب الكل وابقاء قوة ردع. لقد أمرت بصياغة خطة مناوئة القوات، ولكن ما إن تقدمت بتوصياتى حتى أمرت بسحبها، لأنها قد تعطى الناس الانطباع بأن أمريكا ستتعهد بإبقاء القوات فى الخليج على مدى طويل. وبدأت أحس كما لو أن القيادة المركزية أرسلت إلى حدث رياضى مهم دون أن تعرف أية لعبة ستتبارى فيها، فهم يدفعوننا إلى الميدان مرتدين الخوذ والكشافيا مستعدين للعبة كرة الركبي، لا لشيء إلا لتسلمنا واشنطن قفازات كرة البيسبول، فنروح امتثالا للواجب ننزع خوذنا وكتافياتنا ونستعد للعب البيسبول، لا لشيء إلا لترمى بنا واشنطن فى ملعب كرة قدم. والفارق الوحيد أننا لسنا فى لعبة رياضية، بل فى عمل جدى فأتك، يحقق حياة البشر بالموت. ففى يوم الاثنين الموافق ٢٩ أكتوبر لقي ٢٩ بحارا مصرعهم على متن سفينة أيوجما الأمريكية، وهى مخصصة للهجوم البرمائى فى الخليج، والسبب هو انفجار انبوب بخار أدى إلى تسرب غاز ضاغط درجة حرارته ٨٥٠ فهرنهايت.

كما بدأ حلفاؤنا بالتساؤل عن الوجهة التى نقصد، بعد أن بنى التحالف الآن قوة كافية للدفاع عن السعودية. لقد قالها صدام حسين بوضوح إنه لن يغفر للقادة العرب الذين استقدموا القوات الغربية إلى الخليج، وفى خطبه التى بثها راديو بغداد وصم الملك فهد والرئيس مبارك بأنهما خانا القضية العربية، وهما الآن يطلبان ضمانات بألا تنسحب أمريكا قبل القضاء على الخطر العراقى. فى هذه الاثناء اثار البريطانيون مسألة التوقيت، فقد أخبرنى السير ديفيد تريج نظير باول، لدى مجيئه إلى الرياض ذلك الأسبوع، أن الفرصة مواتية لشن الهجوم قبل شهر مارس وقبل حلول شهر رمضان،

الشهر الاسلامى المبارك، وإذا كان التحالف ينوى الهجوم، فإننا نحتاج إلى تحديد أهدافنا ووضع خطة الهجوم قريبا حسب قوله. وأبدى خالد الرأى نفسه، زد على هذا، كان علينا أن نفكر بالطقس، فلن يفيد قواتنا ومعداتنا فى شىء أن نتقهقر حتى عودة الصيف.

وإذ كنت استشيط غيظا حول ذلك، فقد ادركت أن هواجسى تماثل الهواجس التى عبر عنها قادة ميدان ألمع بكثير. فايزنهاور وماك آرثر كانا يخشيان من أن تكون القرارات فى واشنطن خاضعة لاعتبارات السياسة أكثر من خضوعها للواقع العسكرى. ولم أشأ أن أصيب أركانى بعدوى شكوكى، كما أن بحث هذه الأمور مع نظرائى من الحلفاء سيكون بمثابة عمل من أعمال الخيانة. ولكنى شعرت بأننى مدين لقادتنا فى واشنطن بالتعبير عن مخاوفى.

وارتبت أن الوقت قد حان لتثبيت ذلك بكتب رسمية. وفى ظهيرة يوم الأربعاء الحادى والثلاثين من أكتوبر، أملت مذكرة طويلة موجهة إلى باول مسهبأ فى نجاح درع الصحراء حتى ذلك الوقت، وسائلا من جديد إلى أين نتجه انطلاقا من ذلك؟ وكنت أمل أنى برفع طلبى حول التوجيهات اللاحقة تحديدا قد استطيع أن أرحزح واشنطن. ومما جاء فى المذكرة أيضا:

«إننا نواصل السعى إلى وضع خطة عمليات هجومية، ولكن لكى أكون صريحا صراحة تامة معك، إننا نفعل ذلك فى ظل فراغ كامل من التوجيه وفى ظل فرضيات تتغير كلما خطرت لواحد فى واشنطن فكرة لامعة أخرى. والنتيجة النهائية هى أن الأركان التى تقوم بعمل مضمّن أنجزت من خلاله الكثير، تعمل الآن تحت ضغط متزايد وتحت أوامر متواصلة تحدد مواعيد قصيرة الأجل إلى درجة الإحباط، لا يرافقها إلا النذر اليسير من التقدير الخارجى. لعل هذه هى الطريقة المتبعة دوما، ولكنى لا أذكر فى أى وقت من التاريخ العسكرى أن هناك قائدا ميدانيا طلب إليه أن يضع خطط هجوم لثلاثمائة أو أربعمائة رجل ويقال له أن يفعلها فى ظروف بضعة أيام، بدون أى إرشاد استراتيجى، ثم يطلب منه أن يدافع عن الخطة بالتفصيل. أعرف أن هذا ليس عالم الكمال وسنواصل نحن فى القيادة المركزية تنفيذ ما يطلب منه، ولكن فيما يتعلق بمسألة كهذه على قدر كبير من الأهمية، مسألة لا تتعلق بها مصائر الالاف من الرجال

والنساء الأمريكيين في الخدمة العسكرية فحسب، بل تتعلق بها هيبة الولايات المتحدة «مستقبل العالم الحر» في الشرق الأوسط.. فيما يتعلق بمسألة كهذه ينبغي أن نكون على الأقل قادرين على القيام بها بشكل صحيح».

ورغم اتمام طباعة المذكرة، تركت مقر القيادة لأزور أحد مجتمعات جنودنا. ولما عدت وجدت باول على التليفون «لقد اتخذ الرئيس قراره. في الأسبوع المقبل سيأتي بيكر ليطلب من الملك فهد وحلفائنا الاتهين الموافقة على عمليات هجومية. بعد ذلك سنطرح الفكرة في الأمم المتحدة ونطلب توجيه انذار نهائى للعراق كي يترك الكويت. يجب أن تستعد لبناء القوة والدتهول في الحرب».

سألت بعناية «ما حجم البناء الذى تعنيه؟».

- «سيكون بناء دراماتيكيًا. ستحصل على كل ما طلبته وأزيد». وعدد لى نصف دزينة من الوحدات الرئيسية التى أفرزتها هيئة رئاسة الأركان المشتركة، وأوضح باول أن القرار يقضى بمضاعفة حجم قوة درع الصحراء تقريبا. ووعدنى ببحث التفاصيل لاحقا.

لم أكن لأصدق أنى سأشعر بالثقة يوما بأن أرى الولايات المتحدة تتحرك نحو الحرب، ولكنى الآن -رغم أنى بقيت أتمنى السلام- تنفست الصعداء لأن لدى مهمة واضحة. أتهطرت قوادى الكبار، وأرسلت مختلف ضباط المقر للتعجيل بوضع تهطة الهجوم وللتحضير لاستقبال السيل المقبل من القوات الإضافية، وصياغة الطلبات للوزير بيكر ليبحثها مع الملك فهد.

نزلت تلك الليلة إلى غرفة الحرب في الدور السفلى لأتلقى تقارير الاطلاع المسائية، فوجدت دين ستارلينج رئيس قسم الشئون اللوجستية، وبيل راى، جامع القوات من البننتاجون، واقفين تهارج الغرفة في الرواق وهما مكشران في ضحكة عريضة كقطط تشيشابر.

وقال ستارلينج «لدينا شىء لك». وسلمنى قصاصة ورق.

كان ذلك شيكا مشحوبا على مورجان جارانتى ترست لحساب «حكومة الولايات المتحدة» بمبلغ ٧٦٠ مليون دولار. والشيك مزيل بتوقيع تهالد. وأشار راى «لقد التزم

السعوديون بكلمتهم».

فقلت لاهثاً «ماذا سنفعل به؟»

كان ستارلنج ورأى قد رتباً كل شيء، فقد صوراً نسخة من الشيك للحفظ ثم أعطيا الشيك إلى مراسل هرع به إلى المطار، وطار على متن نفثة تابعة للقيادة المركزية إلى باريس، وحول على متن كونكورد متجهاً إلى نيويورك في الوقت المناسب لإيداع الشيك قبل إغلاق البنوك يوم الخميس، مما أتاح للخزينة الأمريكية أن تجني فائدة على الإيداع خلال أيام عطلة الأسبوع.. وفي ارتياح كبير بقينا برهة ناظرين إلى صورة الشيك، متخيلين كم كنا نحن سنكسب لو احتفظنا بالنقود واستثمرناها مدة أسبوع قبل تحويلها إلى واشنطن.

بعد الاجتماع سألني ب. ب. بيل: «سيدى، ماذا عن رسالتك إلى الجنرال باول؟» وهو يحمل مذكرتي الياثسة بالأوامر التي أمليتها عليه مطلع النهار. نظرت إلى المذكرة التي لم تعد ضرورية وقلت: «للحفظ». وتغير كل شيء في ظروف بضع ساعات. احتفظت بالمذكرة كهدية للذكرى، ولأذكر نفسي بأن قادتنا لم يخذلونا قط، رغم أنهم لم يكونوا يستجيبون لطلباتنا بالسرعة أو الحزم اللازمين.

١١ نوفمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٨٦

الساعة ١٤,٤٥، في مخابرة قصيرة قال رئيس الأركان المشتركة للقائد العام إن الرئيس أكد عزمه على السفر إلى السعودية في عيد الشكر. وسيصل إلى جدة يوم الحادى والعشرين ويذهب بعدها إلى الظهران يوم الثانى والعشرين، حيث يقضى النهار لتفقد القوات ثم يتناول أكثر من وجبة من وجبات عيد الشكر مع الجنود.

الساعة ١٩,١٥ في عرض المستجندات المسائى، اطلع ق.ع على تفاصيل حادث عبرت فيه طائرة «ميج ٢٥» عراقية الحدود السعودية وتوغلت مسافة ٦ إلى ١٠ أميال. وردا على ذلك سدت طائرتنا عليها الطريق واستعدت لإطلاق النار، لكن الـ «ميج ٢٥» استدارت وعادت إلى أدراجها عبر الحدود. ق.ع ذكر ضابط العمليات أننا لا نريد إشعال الحرب بسبب طائرة واحدة، وأننا يجب أن نراجع قواعد الاشتباك بعناية.

٢ نوفمبر ١٩٩٠ يوم ب + ٨٧

الساعة ١٥,٣٠، ق.ع أخبر رئيس هيئة الأركان المشتركة أنه سيذهب إلى البحرين لتناول العشاء مع ولي العهد وأخذ قسط من الراحة.

وما إن جاء وزير الخارجية بيكر إلى المملكة العربية السعودية وطلب الإذن من الملك فهد بالمضى قدما، حتى أعلن الرئيس بوش عن زيارة جديدة للقوات. كان ذلك هو القرار الصعب الثاني الذي اتخذه الملك فهد في الأزمة، ولكننا في هذه المرة كنا متيقنين أكثر من النتيجة. لقد تجاوز صدام الحدود كلها في خطابه، فقد اتهم الملك فهد خادم الحرمين الشريفين بالمروق عن الإسلام وادعى أنه «أى صدام» سليل الرسول محمد «صلى الله عليه وسلم»، وتحول الاجتماع العربي إلى القنعة بضرورة معاقبة العراق. فخلفا للاجتماع الأول في أغسطس، كان العرض عرضا خاصا بوزارة الخارجية، وبقيت في قصر الضيافة متخلفا عن الركب فيما دخل بيكر وتشارلز فريمان لمقابلة الملك.

وقال الملك في هذا الاجتماع. من الأفضل للجميع لو بقيت اسرائيل خارج الأمر، إذن تسمح القوات العربية لنفسها -أي كانت الظروف- أن تظهر تحت مظلة الحليف الاسرائيلي.

وانتقل بيكر إلى مسألة النقود وقال: نحتاج إلى أن يحدد الملك فهد بالضبط مقدار ما ستدفعه المملكة العربية السعودية. كنت قد أخطرت الوزير عصر ذلك اليوم بأن السعوديين يزودوننا بالسوقود والماء والنقل علاوة على السكن والطعام الطازج، وقلت له: «إذا كنا سنقدم بطلب رسمي فيجب أن تدرج هذه الحاجات». فعل بيكر ذلك ووافق الملك فهد.

وفي يوم ٧ نوفمبر ١٩٩٠ تم تحديد منتصف فبراير ١٩٩١ كأفضل يوم للهجوم على العراق وتحرير الكويت، وكان ذلك بناء على توصية الاستخبارات.

الباب السادس

ما قبل الحرب مباشرة

لقد برد الجو في نهاية أكتوبر ١٩٩٠، وكان الجنود يريدون العودة إلى أرض الوطن مع أعياد الميلاد، ولقد تم توفير جميع سبل الراحة والمعيشة والرعاية الطبية للجنود، ولكنهم كانوا قلقين، وكنت أطلب منهم أن يكونوا سعداء بوجبات الغذاء الساخن، وبالراحة المتوفرة بقدر المستطاع، مع شكرهم على التضحيات التي يقدمونها من أجل مصالح وطنهم.

ولم اتفاجأ بأن يواجه الوزير بيكر ببعض الجنود والجنديات النزقين والنزقات لدى وصوله إلى القاعدة الصحراوية لفرقة الفرسان الأولى يوم الرابع من نوفمبر. ألقى بيكر كلمة قصيرة، جاهداً لأن يشكر الجنود على التضحيات التي يقدمونها لبلادهم، ثم بدأ يصافح الضباط الواقفين في مقدمة التشكيل. فجأة أخذ بعض الجنود الواقفين إلى الوراء يصيحون باستياء من قبيل «هل أشرب ماء حاراً» مشيرين بذلك إلى قنّان الماء التي كان يتعين أن يشربوها، ثم صاحوا فيما بعد: «كل الوجبات جاهزة». بعد ذلك لم أخذ بيكر يتجول بين الجنود، توجهت إليه جنديّة برتبة سرجنت وسألته على المكشوف «متى نعود إلى الوطن؟»

بعد أربعة أيام جاءها الجواب: لن نعود قريباً، فقد أصدر الرئيس بوش الأمر بزيادة القوات العسكرية الأمريكية في الخليج، وكانت هذه الزيادة أضخم حتى مما وصفه لي باول. كنت قد طلبت فرقتين مدرعتين إضافيتين، في حين قررت واشنطن إرسال ثلاث فرق، بالإضافة إلى لواء إضافي، وهذه الوحدات كلها مزودة بأحدث الدبابات قاطبة، هي دبابة ١٤ / ١. علاوة على ذلك تقرر أن تحصل القيادة المركزية على فرقة ثانية من مشاة البحرية، وسفينة حربية أخرى وثلاثمائة من طائرات القوة الجوية.. لقد قام الرئيس بزيادة قواتنا على البر إلى الضعف، ودباباتنا إلى ثلاثة أضعاف، أما قوتنا الجوية فزادت

بنسبة ٣٠ في المائة، فيما تضاعفت قوتنا البحرية.. كل ذلك لضمان ما أسماه «كفاية الخيار العسكري الهجومي».

وصلت الأنباء إلى الجنود في الصحراء متزامنة مع إعلان وزير الدفاع تشيني أنه لن تتم مناوأة أحد خلال هذه المدة في البدء أثار ذلك فزع البعض، إلا أنه على الأقل أزال حالة الغموض، وأدرك الجنود: «طيب، هكذا الأمر إذن.. لن نعود إلى الوطن في عيد الميلاد». وأخذ القادة وحداتهم إلى الصحراء للتدريب على الهجوم وساد شعور بالتصميم. كنت أسمع أقوالاً مثل: حسناً، لنبدأ تنفيذ هذا الأمر ويطرد العراقيون، ونعود إلى بلادنا حتى لا نبقى هنا مضطرين إلى عيد الميلاد اللاحق.

١١ نوفمبر - يوم ب + ٩٦:

الساعة ١٧,٤٥ محادثة هادئة من رئيس هيئة الأركان المشتركة. ق.ع بحث زيارة وفد بقيادة رجل الجونجرس مورثا، وأشار إلى أنها ناجحة جداً.

فالوفد أكد للقائد العام ضرورة أن يعلن الكونجرس الحرب. ق.ع قال إن الشئون السياسية ليست من مجال اختصاصه، وأن خشيته الأكبر هي أن يؤدي إعلان الحرب قبل الأوان إلى تنبيه العدو، وقال إن إعلان الحرب في الساعة ١٤,٥٥ وشنها في الساعة ١٥,٠٠ معقول، أما إعلان الحرب قبل ٤ أسابيع من البدء بها فغير معقول. وقال ق.ع إن الوفد فوجيء بتعليقه هذا. ومن وجهة نظر ق.ع فإن الوفد عاد بعد أن تمت الإجابة على أسئلته، وأن مخالف الوفد قد نزلت.

وصل الرئيس بوش لقضاء فترة عيد الشكر مع القوات، وقد رحبوا به بحماس هائل واستقبله الملك فهد عصر يوم الأربعاء في مطار جدة، وبدأت الزيارة بمأدبة عشاء رسمية. وأمضينا عيد الشكر نتنقل في شرقى العربية السعودية، وفي زيارات خاصة للجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية.

وفي الطريق من جدة إلى محطة التوقف الأولى في القاعدة الجوية بالظهران، جلس الرئيس إلى طاولة العمل في طائرة القيادة رقم واحد وراح يستجوبني عن كتب حول شركائنا في التحالف، وسلامة السفارة الأمريكية في مدينة الكويت، وغير ذلك من الموانع، ويبدل قصارى جهده كي يجعلني أشعر وكأنني في بيتي. وشعرت بقليل من

الرهبنة لأن أجد نفسي وحدي مع رئيس الولايات المتحدة وحده. أصفى بانتباه لما أوضحت له خطة معركة الحملة البرية. بعد لحظة نظر إلى وسأل بدقة: كيف يمكن خوض أقصر حرب برية في تصورك؟

قلت له: إن هناك العديد من العوامل المتغيرة غير المعلومة، ولذلك لا أستطيع أن أقدم لك جواباً واحداً. إلا أنه أصر: «قدم لي سيناريو أفضل حالة، وسيناريو أسوأ حالة».

– «الحالة الأفضل تستغرق حوالي ثلاثة أيام، وهذا يفترض أن العراقيين سينكفئون بسرعة ويستسلمون جماعياً. أما الحالة الأسوأ فهي وضع نخوض فيه معركة عسيرة أشبه بالمأزق، وقد يستغرق ذلك عدة أشهر».

«ألا يوجد سيناريو ثالث بين بين؟».

ولما كان هذا السؤال موجهاً لي من الرئيس، فقد شعرت أن الواجب يلزمني بالإجابة إذا استطعت، مع ذلك كنت أخشى أن يأخذ إجابتي على أنها تعهد. اخترت إجابة حذرة: «أستطيع أن أتصور حملة تستغرق من ٣ إلى ٤ أسابيع، نواجه فيها مقاومة ضارية، ولكن نستطيع فيها تحقيق كل أهدافنا وتحطيم الحرس الجمهوري».

وقال مستغرقاً في التأمل: «ثلاثة أسابيع».

أكدت له: «هذا مجرد تخمين» بعد أن رأيته يتمسك بالرقم، مما جعلني أتوتر. حطت الطائرة في الظهران حيث كان حشد من جنود وضباط القوات الجوية الأمريكية والبريطانية والسعودية والكويتية يحيط بمقطورة منصة نصبت أمام ثلاث طائرات حربية وارتفعت فوقها رايات حمراء وبيضاء وزرق. تولى الكولونيل جون ماكبروم أحد قادة أسراب القوة الجوية الأمريكية تقديم الرئيس الذي قام ببادرة كبيرة باصطحاب جورج ميتشيل، زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ، وتم فولي المتحدث باسم مجلس النواب، إلى المنصة معه وقع بوش العديد من الاوتوجرافات وصافح مئات الأيدي.

وأعين الرئيس على العودة إلى الهليكوبتر. ولكن ما إن صار على متن الطائرة حتى سلمه جون سنونو بريده اليومي الذي يتضمن تقارير تقول: إن الكونجرس قد يعقد جلسة خاصة لمناقشة عملية «درع الصحراء»، إضافة إلى تقارير عن نتائج آخر استطلاعات الرأي التي تبين أن مستوى شعبيته منخفض طول الوقت.. عندئذ شعر

الرئيس بخيبة أمل.

واشتكى قائلاً: «حقاً لا أفهم كيف يمكن لأى إنسان أن يعارض الموقف الذى اتخذناه»

ورفع أوراق الخلاصات الاخبارية مشيراً إلى موجز يلخص مقابلات أجراها مع صدام حسين مراسلون من التلفزيون الأمريكى «انظر إلى هذا.. هل تستطيع أن تتخيل أحداً يجرى مقابلة مع هتلر فى الحرب العالمية الثانية كما نجرى نحن مقابلات مع صدام؟» وشبه بوش الغزو العراقى للكويت بغزو ألمانيا النازية لتشيكوسلوفاكيا. وشعرت بالتوتر لما أضاف: «إذا استطعنا أن نطرد العراقيين فى ظرف ٣ أو ٤ أسابيع، فإن كل هؤلاء النقاد سيغيرون رأيهم فوراً». ثم واصل الرئيس متحدثاً مع نفسه ومع الآخرين الموجودين فى الطائرة، أنه لن يدع نتائج استطلاع الرأى العام تخيفه لن يدع الكونجرس يخيفه. كان يعرف أنه لا يحتاج - طبقاً للدستور - إلى موافقة الكونجرس لى يمضى فى قراره، وكان مقتنعا فى أعماق فكره أن الولايات المتحدة تنتهج مساراً أخلاقياً. وكان موقناً بأن العالم المتمدين سيقف إلى جانب ذلك.

هبطنا فى موضع متوغل فى الصحراء حيث تحتشد قوات الفيلق الثامن عشر المحمول، وألقى الرئيس كلمة قصيرة أخرى وسط تهليل الجنود. وفى النهاية أهداهم طقماً من حدوات الحصان وتحدى أبطالهم لمباراة فى حدائق البيت الأبيض بعد عودتهم للوطن. أحب الجنود هذه البادرة. ووقفنا فى طابور الطعام لأخذ قطع من لحم الديك الرومى مع البطاطا المهروسة، ووقف الرئيس معنا فى الطابور مازحاً مع الجنود، وانتشر الجمع الرئاسى لتناول الطعام معهم على موائد خشبية، وجلسوا على أكياس الرمل تحت الشمس. كانت المعنويات عالية رغم حرارة الجو.

أعقبت ذلك مراسيم صلاة عيد الشكر فى موقع آخر يبعد ٧٥ ميلاً، على متن حاملة طائرات الهليكوبتر الأمريكية ناسا، التى جرى وضعها - احتراماً للمشاعر السعودية - خارج المياه الإقليمية للمملكة، واحتشد البحارة حول الرئيس والسيدة عقيلته فيما بعد، وظلوا هناك مشغولين بمصافحة الأيدى بحيث اضطروا لتجاوز جولة فى السفينة نظمتها البحرية لهم.

وما إن ركب الرئيس الطائرة إلهيكوبتر حتى سلمه سنونو برقية تحمل نبأ استقالة رئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر. شعر الرئيس بوقع الصدمة فتاتشر هي أوثق صديق وأقوى حليف له من بين سائر رؤساء الدول في العالم، وقد ساعدته بأقصى ما يمكن في الأيام الأولى من أزمة الخليج. وقام الرئيس بترتيب أمر الاتصال بها تليفونيا في أقرب فرصة ممكنة، ثم راح يسأل موظفيه عن خليفتها جون ميجور.

الموقع المتقدم لفيلق مشاة البحرية كان آخر المحطات، وهو يقع على مبعدة ٦٥ ميلا من حدود الكويت المحتلة. وكان التحشيد العسكري يضم مشاة البحرية الأمريكية وجنودا من الفرقة المدرعة الأولى البريطانية المعروفة باسم «جرذان الصحراء». وقف الرئيس على جانب تل وألقى أشد خطبة له في ذلك اليوم «لسنا هنا للعب. ولسنا هنا للقيام ببعض التمارين. لن نغادر حتى يخرج الغازي من الكويت»، وأضاف وسط تهليل الجنود. «وهنا بالضبط يأتي دوركم».

غرق الرئيس في النوم أثناء رحلة العودة إلى الظهران، وكنت أنا أيضا مرهقا لمجرد مراقبتى اياه وهو يشق طريقه بين كبار الناس وصغارهم، كما شعرت بالآثر العاطفى الذى تركته زيارته على جنودى، فلم يكن فى الحشد ذلك اليوم جمهوريون أو ديمقراطيون بل أمريكيون وحسب، أمريكيون فى مقتبل العمر أو منتصفه، مغتربين برؤية رئيسهم. وشعر بذلك هو أيضا، وقد التفت فى أحد اللحظات إلى سنونو قائلا «أين فولى وميتشيل؟ آمل أن يريا حماسة الجنود».

كانت زيارة الرئيس دعما كبيرا لنا، إلا أن ما أمد الجنود والجنديات بأسباب الصمود فى عملية درع الصحراء فيما الحرب تقترب، هو التأييد الساحق داخل الوطن. ففى أواخر نوفمبر، ومع بدء فترة الأعياد، تدفق علينا البريد فى المملكة العربية السعودية بمعدل ٣٠٠ طن يوميا. وحمل لنا هذا البريد ليس فقط الرسائل والرزق من العائلات والاصدقاء، بل أيضا مئات الالاف من الرسائل الموجهة، لا على التعيين بل إلى «أى جندى». رسائل وهدايا وبسكويت من أشخاص، ومدارس، واتحادات عمالية، وشركات، وكنائس، ومجموعات حقوق مدنية، ومن دور العجزة. كانت أغلب الرسائل واردة من أمريكيين يساندون عملية درع الصحراء، وهى تحمل عبارات من قبل: رعاكم الله فى قتالكم من أجل الحرية وحماية مصلحتنا القومية. ولكن بعض الرسائل

أيضا جاءت من أناس يرون أن لا مصلحة للولايات المتحدة بإرسال القوات، وكانت هذه الرسائل تقول مثلاً: «لا أتفق مع قرار إرسالكم إلى هناك، ولكن لا تقلقوا بشأن موقفى، فأنا معكم ما دمت في الميدان. شكرا للتضحية التي تقدمونها لبلادكم».

لقد تغير أمر جوهري منذ فيتنام، حين جندنا الشباب الأمريكي وأمرناه بالقتال ثم ألقينا ذنب الحرب عليه لما عاد إلى الوطن. لقد نضجنا كأمة نضجا كافيا لفصل السجال السياسي عن الاهتمام بسلامة الرجال والنساء الذين أرسلوا لخوض الحرب.

إن سائر الجنرالات في عملية «درع الصحراء» تقريبا سبق لهم أن قاتلوا في فيتنام، وكنا نتذكر جميعا كيف شعرنا بأن أبناء بلدنا قد أحاطونا بالخذلان، لذلك فإن البريد الذي تدفق على السعودية كان بالنسبة لي وبالنسبة إلى غيرى من قدامى المقاتلين في فيتنام، يتسم بقيمة كبيرة يصعب التعبير عنها بالكلمات وهناك رسالة معينة ذات دلالة بهذا الخصوص، وهى من أختي روث. لم استطع من قبل التغلب على معارضة العنيفة للحرب الفيتنامية، ولم تكن قد التقينا أو تحدثنا مع بعض كثير منذ جنازة أمى قبل ١٥ عاما، كانت رسالتها تنتهى بالعبارة التالية «الرجاء أن تغفر لى لأننى لم أكتب لك شيئا خلال كل تلك السنوات في فيتنام»، قرأتها وأنا جالس إلى طاولة مكتبى بمبنى وزارة الدفاع، فانفجرت الدموع من عيني.

ما إن عرفنا بأن الوحدات اللازمة ستأتينا، حتى صغنا بسرعة ملامح خطة الحرب البرية. وفي يوم الرابع عشر من نوفمبر، أى بعد أقل من أسبوع على إعلان الرئيس بوش عن زيارة القوات الأمريكية في الخليج، دعوت كبار الضباط العاملين بإمرتى إلى الظهران لتبيان الطريقة التي سنهزم بها العراق. كنت أعرف أن هذا هو أهم اجتماع في هذه الحرب، وأن هؤلاء هم الرجال الذين سيضطلعون بتنفيذ الخطة في المعركة. وقفت أمام خارطة كبيرة عرضها ١٥ قدما للكويت والعراق في «خان الصحراء» وهى بناية مقبوضة حولها الجيش إلى قاعة طعام.. نظرات مراقبا الضباط فيما هم يتخذون مقاعدهم. كان أغلب الجنرالات الحاضرين، وعددهم اثنان وعشرون برتبة نجمتين أو ثلاث نجوم، قد لعب الكثير منهم أدوارا هامة في عملية «درع الخليج» ومن بينهم ضباطى المباشرى، هورنر يوسوك، بومر، ماوتز، جارى لاك قائد الفيلق الثامن عشر المحمول، وقادة الفرق عند ماكفرى، بى، وجيم جونسون، وجون هـ. تيللى جونيور،

قائد فرقة الفرسان الأولى. واصطحب بومر معه الجنرالات مايك ميات ورويال مور، وهما على التوالي قائد فرقة مشاة البحرية الأولى وقائد الجناح الجوي الثالث التابع لمشاة البحرية. وكان القادمون الجدد هم قادة الوحدات الرئيسية المقاتلة، التي أضيفت إلى قوات «درع الجزيرة». أما الليوتاننت جنرال فريد فرانكس، قائد الفيلق البري السابع، فقد جاء بالطائرة من مقره في شتوتجارت بألمانيا، مصطحبا معه الميجور جنرال رونالد جريفيتوبول وقائد الفرقتين الأولى والثالثة على التوالي. وجاءنا أيضا الميجور جنرال توم رهام، قائد فرقة المشاة الأولى المعروفة بالفرقة الحمراء الكبيرة، من معسكر فورت ريلي بولاية كنساس، لحضور الاجتماع، كما كان الميجور جنرال باجونيس حاضرا بالطبع. ووقف الكولونيل بيل في ركن القاعة مع جهاز التسجيل. وإذا رحت انظر إلى وجوههم أحسست أنه ما من قائد ميداني في كل التاريخ حظى ببركة هذا الحليف الواسع من المواهب.

كنت قد هيات نفسي لملاقاة وضع عصيب. فهناك قلة قليلة من القادة لديها فكرة عن الخطة التي كنت بصدد عرضها، أو عن المهمات الصعبة التي كنت بصدد توزيعها عليهم، كنت بحاجة إلى أن يستوعب كل رجل في القاعة مهمته وأن يتحمس إلى حد أن ينفث النار حين يخرج من الباب.. بدأت بالتأكيد على ضرورة الحفاظ على سرية ما نحن بصدد بحثه.. ووصفت كيف أن صحيفة من واشنطن سربت أخبارا عن تدريبات إنزال برمائي في الخليج، مما دفع العراق إلى تحميل إحدى قاذفاته بصواريخ سيلكورم المضادة للسفن: «ستتعرضون لوابل من الأسئلة من جانب الصحافة. ولا أريدكم أن تذكروا العمليات الحربية. ولا أريدكم أن تتناولوا قدراتنا العسكرية. ويجب أن تعلموا كل واحد من ضباطكم أن يقوم بالشئ نفسه. ولا يهمني ما يقول، ولكني أهتم إذا شغل أحد الضباط بالصحافة وراح يطلق للسانه العنان، لأنني - وأقول - لكم سأعامل بقسوة، بقسوة مطلقة، مع أي شخص أشعر أنه مصدر خطر على سرية المعلومات». كنت شديد الغظاظ، ولكني كنت مقتنعا أيضا أن مراسلي صحفنا وتليفزيوناتنا قد أصبحوا أفضل مصدر للمخابرات العسكرية العراقية. وكان يتوجب قطع دابر كل مصادر التسرب الأخرى.

وتذكرت الصراع المريع الذي خاضته القيادة المركزية لحمل واشنطن على الاقرار

بأن طرد العراق من الكويت يتطلب المزيد من القوات. أما الآن فإن الفيلق السابع معنا، لذلك قلت «إن الأوامر المدونة من واشنطن لاتزال تنص على ردع العراق لمنع من مهاجمة العربية السعودية، ولكن لا ريب أننا نتخذ التحضيرات لكي نكون جاهزين للهجوم، وهذا هو ما نحن بصدد الحديث عنه اليوم. انسوا الهراء الدفاعي، إننا نتحدث الآن عن الهجوم. وسنظل نتحدث عن الهجوم من الآن حتى عودتنا إلى الوطن».

ودرت بهم في ثانيا تحليل لوضع القوات العراقية ووضع قواتنا، مشيرا باقتضاب إلى ما يواجهنا. «هناك عدد هائل من القوات العراقية - ٤٥٠ ألفا - الآن في مسرح العمليات الكويتي، وهذا يعادل ٢٦ فرقة، وحجم الفرقة العراقية بحجم الفرقة الأمريكية، لذا فإن الكثرة العددية لصالحهم. وهناك نقطة أخرى هي السلاح الكيماوي. لقد استخدموه في الماضي، وليس ثمة ريب في رأيي في أنهم سيستخدمونه ضدنا. وبينت مكامن ضعف العراق، وذكرت القادة بنقاط قوتنا العسكرية. أخيرا عرضت الأهداف الميدانية للقتال.

«أول شيء يتوجب علينا القيام به هو -وأنا أكره استخدام هذه الكلمة- قطع رأس القيادة، لذلك أظن أنني سأستخدم كلمة «الهجوم» على القيادة، وأن نلاحق منظومات القيادة والسيطرة التابعة له. ثانيا. يجب أن نفوز بالتفوق الجوي ونحافظ عليه. ثالثا، نحتاج إلى قطع خطوط امداداته كليا، كما نحتاج إلى تدمير منشآته الكيماوية والبيولوجية والنووية. وأخيرا اصغوا لي أنتم يا أصحاب الدبابات، نحتاج إلى تدمير، وأعني تدميرا وليس مهاجمة أو ضربا أو تطويقا، بل تدمير الحرس الجمهوري. وحين تفرغون من ذلك لا أريد أن أرى وحدة من الحرس الجمهوري قادرة على القتال بعد، لا أريد أن يكونوا موجودين كتشكيل عسكري. وأكدتحديثي لقدامى المقاتلين في فيتنام - أي عمليا كل الحاضرين في القاعة - قائلا «لن ندخل هذه المعركة وواحدة من أيدينا مقيدة إلى ظهورنا. لن نقول إننا نريد أن نكون لطفاء على أحسن ما يكون اللطف، وأنهم إذا انسحبوا عبر الحدود فلا بأس. هذا هراء، يجب أن ندمر الحرس الجمهوري»، وإذا ما صدرت الأوامر ببدا الهجوم فإنها ستكون مشفوعة بإعطائنا كامل الحرية في استخدام كل قدرتنا العسكرية وعبور الحدود داخل العراق».

«سأخبركم الآن ببعض الأمور التي لا يعرفها الكثيرون من الناس، وبخاصة في

واشنطن». ثم رحت أصف المراحل الأربع للهجوم والتي وضعناها لعملية «عاصفة الصحراء»: القصف الاستراتيجي أولاً، بسط السيطرة على الأجواء الكويتية، ثم قصف مواقع المدفعية، وخطوط الاستحكامات والقوات، وأخيراً الهجوم البري. ثم انتقلت إلى خطة الهجوم البري - وهي نسخة كاملة التجسيد من خطة الالتفاف والتطويق التي عرضتها على باول قبل ثلاثة أسابيع - واستخدمت الخارطة لأبين للقادة الموضع الذي أريد لهم أن يقوموا بالمانورة بوحدهاتهم فيه. كانت الخطة تغطي مساحة واسعة، ولكي نضمن أن نقوم بالقتال في الحملة حسب شروطنا، فقد وسعنا حدود ميدان المعركة إلى الغرب، بحيث صار المربع الذي يضمها يساوي مساحة ولاية بنسلفانيا تقريباً، وكانت قوات صدام متمركزة في الطرف الشرقي داخل الكويت وحوله.

وستتولى قوات «درع الصحراء» مهمة منع القوات العراقية من التحرك جنوباً، أما إلى الشرق من هذه القوات فهناك عائق طبيعي هو الخليج، وإلى الشمال، فهناك نهر الفرات الذي سيتحول إلى عائق طبيعي ما إن تدمر قوات تشاك هورنر الجوية الجسور المقامة عليه، أما إلى الغرب فهناك مئات الأميال من الصحراء التي ستكون ممرنا الأساسي للهجوم.

وقلت إنني انتظر هجوماً برياً رباعى الرؤوس. ويجب على مشاة البحرية الأمريكية وقوة المهمات السعودية أن تندفع إلى داخل الكويت بهدف تقييد قوات صدام وتطويق مدينة الكويت آخر المطاف. وأومأت باتجاه بومر قائلًا: سأترك الأمر إلى والت بومر كي يحدد بأية طريقة يريد أن يتحقق ذلك، كما أن الأمر متروك له في أن يختار الدخول من جهة البحر بقوات الإنزال البرمائي.

وكنيت قد خصصت ممراً ثانياً في الجزء الغربي من الكويت لشحن هجوم مواز تقوم به القوات العربية بقيادة فرقتين مدرعتين من مصر وفرقة أخرى سعودية، وسيكون هدف هذه القوة هو احتلال مفترق الطرق الواقع شمال غرب مدينة الكويت، والقيام بالمهمة الصعبة بمقاتلة العراقيين من بيت لبيت إذا دعت الضرورة.

في هذه الأثناء، تأتي ضربة الجيش الأمريكي القوية من جهة الغرب. نظرت إلى «جاري لاك» وأشارت إلى قطاع من الحدود السعودية - العراقية بعمق أكثر من ٣٥٠

ميلا داخل العراق، وقلت «قد أرسل الفيلق الثامن عشر المحمول في العمق العراقي»، وبينت كيف أريد من فرق لأك أن تسرع شمال تلك الرقعة الحدودية نحو نهر الفرات، لتسد على الحرس الجمهوري آخر طرق الانسحاب، وحتى نضمن السيطرة على هذا القطاع - قلت له: إن عليه الانعطاف بقواته شرقا، استعدادا للمشاركة في الهجوم على الجسم الرئيسى للجيش العراقي. أخيرا توجهت إلى فريد فرانكس بالقول: «أظن أن من الواضح جدا ما ستكون عليه مهمتك»، ومررت بيدي على الممر الصحراوي غرب الكويت. «عليك أن تهجم عبر هذا الممر وتدمر الحرس الجمهوري». كنت أريد أن أشل الحرس الجمهوري في مواقعه وظهره إلى البحر، وأن نقتحم ونسحقهم عن بكرة أبيهم، ولم استطع منع نفسي من القول على سبيل الإضافة: «ما إن تجهز عليهم، حتى يتوجب أن تستعد لمواصلة الهجوم باتجاه بغداد، لأنه لن تكون هناك قوات أخرى في الطريق تقف بوجهك»، وأشارت إلى أن الاستيلاء على بغداد قد لا يكون ضروريا لأن الحرب تكون قد انتهت عند ذلك الحد.

تكهرب الجو، ولما انفض الاجتماع وذهبنا لتناول القهوة، هرع القادة جميعا متجمهرين على الخارطة. لقد أسندت إلى بي وماكفري مهمتين صعبتين على الجناح البعيد، وقال لي أحدهما: «هل تعرف سيدي، كنا نظن أننا مانزال متمسكين باستخدام تلك الخطة الهزيلة باقتحام الكويت مباشرة، أما هذه الخطة فإنها مذهلة». أما والت بومر الذي كان على مشاة البحرية التابعين له القيام بذلك الاقتحام ليترك لقوات الجيوش البرية حرية المناورة على الجناح، فقد رضى بمهمته لمجرد أنه كان يجب تنفيذها. الاعتراض الوحيد جاء من فريدي فرانكس: «تبدو الخطة جيدة. ولكنى لا أتمتع بقوات كافية لإنجاز مهمتى»، وجادلنى مطالبا بأن أعطيه فرقة الفرسان الأولى التى كنت احتفظ بها كاحتياطى. فقلت له إننى سأدرس طلبه في الوقت المناسب.

ولما عدنا إلى الاجتماع قلت لهم أن يتوقعوا «يوم البداية» في منتصف فبراير، فأدى ذلك على الفور إلى شد انتباه الجميع إلى مهمتين لوجستيتين ضخمتين تشكلان تحديا: الأولى أن جلّ دروعنا لا يزال في ألمانيا والولايات المتحدة، ويتعين علينا أن ننقل حوالى ٣ فرق إلى الخليج، وأن نفسح المجال أمام الجنود للتأقلم، لننقلهم بعد ذلك مع معداتهم مسافة مئات الأميال شمال السعودية. والثانية هى قرارى بإرجاء التمرکز في المواضيع

المطلوبة لشن الهجوم على الجناح ريثما تبدأ الحملة الجوية. لم أكن أريد أن يعرف العراقيون بخطة المعركة، فلو عرفوا لاستطاعوا نقل دفاعاتهم. وكنت أدرك تماما أنه ما إن تتمكن قواتنا الجوية من وقف تحليقات الاستطلاع الجوى العراقية فإن العراقيين سيصابون بالعمى، وحتى لو حذروا الخطة أخيرا، فإن القوة الجوية ستمنعهم من تحويل قوات كافية لصد هجومنا على الجناح. لذا كنت أصر على أن تبقى فيالق فرانكس ولوك في مناطق تجمع قرب الكويت، ووعدتهما «سيؤذن لكما بالتحرك حالما نبدأ حملتنا الجوية. كونا على ثقة من أنني سأعطيكما جميعا الوقت الكافي». هذا ذلك من روعهما بعض الشيء، إلا أننا كنا جميعا ندرك أن نقل فيلقين بكامل المعدات والذخائر مسافة ٢٠٠ ميل أو أكثر عبر الصحراء هو عمل عملاق. وقلت لهما «سأتولى الإشراف على تدريبكم أيها الرجال بلا شفقة من الآن وحتى «يوم البداية»، لا بد أن أكون متيقنا من أنكم مهيئين لوجستيا».

بعد جلسة السؤال والجواب، حاولت أن أحدد التوجه للأشهر القادمة: «دعوني أغرس في أذهانكم فكرة واحدة أيها الرجال. لكي ننجح في خطتنا هذه - لأن العدو يفوقنا عددا - فلا بد من أن تتوفر لدى كل القادة هناك - واغفروا لي لأني لم أجد تعبيرا أفضل - غريزة القتال»، وأشارت إلى الخارطة مرة ثانية: «قصدي من هذا القول إنه حين يجتاز رجال مشاة البحرية هذا الشريط الواقع هنا، وحين تجتاز قوات الجيش البرية الشريط الواقع هناك، فلن يكون هناك شيء من هذا الهراء.. أظن أننا بحاجة إلى قادة يقفون في الطليعة ويفهمون بصورة واضحة وجازمة أنهم سوف يشقون طريقهم قدما. وأنهم سيتوجهون إلى هناك لتدمير الحرس الجمهوري. لا أريد قادة لا يفهمون أن الأمر هو الهجوم.. الهجوم وتدمير كل عثرة في الطريق».

«إذا كان بينكم من لا يستوعب ذلك، فلنني أوصيكم بقوة أن تزيحوه عن موقع القيادة وتضعوا محله من هو قادر على تنفيذ هذه المهمة. والسبب - دعونا نتكاشف - هو أن هيئة القوات المسلحة الأمريكية تقع على كاهلنا، والأهم من ذلك أن هيئة الولايات المتحدة الأمريكية كلها على كاهلنا، ولن يتحمل أحد هذا الوزر غيرنا نحن. فليست هناك قوات إضافية، وما جاءنا منها هو ما سيقوم بالمهمة. ولأجل بلادنا لن نجرؤ على الفشل، لا يمكن أن نفشل، وسوف لا نفشل. إذا كان هناك بين الحاضرين من لا

يستوعب ذلك، فليغرب ويتنحى عن الطريق. هل من أسئلة؟ حسنا، حظا طيبا.. تعرفون ما ينبغي عمله».

كنت لا أزال محلقا على جناح البهجة من مؤتمر القادة، عندما ذهبت لإطلاع خالد بعد يومين من ذلك، وصدى في البدء من مدى عمق غزونا المزمع للعراق، إلا أنه سرعان ما تقبل الخطة بحماس. ولم أترك ذلك للصدفة، كنت قد سمعته يتحدث مرارا عن رغبته في أن تقوم القوات السعودية بتحرير الكويت، ولذلك نصت الخطة على أن تشارك قواته في اتجاهين من الهجوم داخل إمارة الكويت.

وسيقاتل لواءان سعوديان مدرعان إلى جانب المصريين والسوريين في الاندفاع الغربية، ويقوم لواءان سعوديان أخران بالهجوم من الشرق، على طول الطريق العام الساحلي وصولا إلى مدينة الكويت، بموازاة مشاة البحرية بإمرة بومر. وعبر خالد عن خشيته من العوائق الحدودية التي أقامها العراقيون: سدود رملية عالية، حقول ألغام، سياجات، أسلاك شائكة، وغير ذلك من العقبات. ووعده بإرسال مستشارين سيعلمون السعوديين التكتيكات اللازمة لاختراق خطوط العدو، إضافة إلى حفارة مدرعة وكاسحات ألغام، وغيرها من معدات اختراق الموانع.

والان التفت إلى المهمة الشائكة، وهي كسب دعم شركائنا في التحالف، فرغم أن الولايات المتحدة قدمت ثلثي القوات البرية لعملية «عاصفة الصحراء»، فإن نجاح الخطة يتطلب كامل القدرة القتالية لمجمل أطراف التحالف. ولما أعلن العراق يوم ١٩ نوفمبر أنه سيزيد قواته بـ ٢٥٠ ألف جندي إضافي «كإجراء دفاعي في جنوب العراق، في محافظتي البصرة والكويت» شعرت بضرورة أكبر بمشاركة الكل في العملية. وإذا ما واصل صدام زيادة حشوده العسكرية، فإن قواته قد تناهز ٦٨٠ ألف جندي. ارتاب ضباط المخابرات عندي بهذا الإعلان الصادر عن صدام، إلا أننا سرعان ما التقطنا حركة بناء عسكري محموم على طول الحدود الكويتية، حيث راح العراقيون يعززون الدفاعات القائمة بالأصل، وتدفقت أيضا قوات عراقية إضافية، رغم أنها كانت أقل مما أعلن عنه: وصل حجم القوات العراقية إلى ٥٤٥ ألفا.

بعد عيد الشكر توجهت إلى البريطانيين وعرضت خطتنا للمعركة على الليوتاننت جنرال السير بيتر دي لا بيلير، القائد العام للقوات البريطانية في الخليج. إن السير بيتر عسكري أسطوري ومحِب للمغامرات وقد كان قائد قوات العمليات الجوية الخاصة وأكثر ضباط القوات المسلحة البريطانية تكريماً بالأنواط والنياشين، ولم يكن من باب المصادفة أن يكون أول من أزوره، فبريطانيا العظمى هي أوثق حليف غربي لنا في هذه الأزمة، كما أن عرى الصداقة توطدت بيننا. كنت أثق بعقله وحصافته إلى حد أنني كنت أطلب مشورته حتى في أدق المسائل العسكرية وأشدّها حساسية.

كنت أريد من فرقة دي لا بيلير - وهي الفرقة المدرعة الأولى، التي وصلت حديثاً، والمعروفة باسم «جرذان الصحراء» - أن تهاجم مع والت بومر في عمق الكويت. أوما برأسه موافقاً عندما عرضت عليه تفاصيل خطة الهجوم، إلا أنه لاحظ في الختام بهدوء أن النخبين البريطانيين سوف يحتجون لدى رؤية أولادهم منحدرين إلى مرتبة ثانوية هي المشاركة في هجوم ثانوى للدعم، وسأل إن كان بوسعى أن أعيد توزيع المهمات لكي تشارك الفرقة البريطانية مع الفيلق السابع في الهجوم الرئيسي؟ وكما قلت لباول فيما بعد: كيف لي أن أرفض طلباً رقيقاً من حليف وثيق، رغم أن دوافعه سياسية صرفاً لا عسكرية. لذلك أجرينا التعديل. ورغم اعتراضات بومر الشديدة، فقد كان معجباً بأداء جرذان الصحراء، وحرص على الاحتفاظ بالقدرة النارية لدبابات هذه الفرقة. تعويضاً له عن ذلك، نسبت إليه لواء «فراء النمر» من الفرقة المدرعة الثانية في ألمانيا، إضافة إلى دعم جوى مساند لهجومه.

كما أرسلت الحكومة البريطانية طلباً رسمياً مباشراً إلى وزير الدفاع تشيني يرغبون فيه في الحصول على تحديد واضح للأهداف الاستراتيجية والسياسية لحرب التحالف. ولما أبلغني وزير الدفاع البريطاني توم كنج بهذا الطلب خلال زيارة له للقيادة المركزية، تكهنت أن ذلك قد يثير بعض الذعر في واشنطن، لذلك أوعزت إلى جرانت شارب - وهو رئيس قسم الخطط والسياسة - بالأمر التالي: «ضع مسودة توجيهات استراتيجية نستطيع أن نتقدم بها كتوصية للجنرال باول إذا ما طلب ذلك».

وكما هو معلوم، اتصل باول بعد أسبوع من ذلك طالباً توصيات القيادة المركزية، فسلمه شارب تقريرى المؤلف من ثلاث صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة. ويحتوى

التقرير على نص رائع من نصوص التوجيهات الاستراتيجية، وأعجوبة صغيرة، فلقد فصله على نموذج الأمر التاريخي للحلفاء إلى دوايت إيزنهاور في فبراير ١٩٤٤، محددين «يوم البدء»، ومما جاء في النص الذي وضعه شارب:

مسودة توجيهات استراتيجية مقترحة إلى القائد المشارك:

(١) المهمة. القيام بالعمليات سعياً إلى الانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت طبقاً لبنود قرارات الأمم المتحدة ولقرارات العقوبات. والقيام - عند الضرورة والأمر بذلك - بعمليات عسكرية لتدمير القوات المسلحة العراقية، وتحرير الكويت وضمان أمنها بما يسمح باستعادة حكومتها الشرعية، وبذل كل جهد معقول لإجلاء الرعايا الأجانب المحتجزين ضد إرادتهم في العراق والكويت، وتعزيز الأمن والاستقرار في منطقة الخليج العربي/الفارسي.

(٢) التحويل: لدى الأمر بذلك، فأنتم مخولون بالقيام بالعمليات الجوية في العراق كله، وبالعمليات البرية والبحرية داخل الأراضي والمياه الإقليمية العربية، بما هو ضروري لتحرير الكويت وضمان أمنها، وتدمير القوات العراقية التي تهدد أرض الكويت وغيرها من دول التحالف. ويجب أن تستعد القوات لبدء عمليات الهجوم في موعد لا يتجاوز فبراير ١٩٩١. وأنتم مخولون، في أي وقت، باستثمار الانسحاب الكلي أو الجزئي للقوات المسلحة العراقية من الكويت بإدخال القوات العاملة تحت إمرتك لضمان سيادة أرض الكويت ومياهها، والدفاع عنها ضد أي عدوان جديد، والسماح باستعادة الحكومة الشرعية في الكويت.

✳️ صلاحية مشروطة لتنفيذ العمليات لتدمير القوات العراقية وتحرير الكويت والدفاع عن المملكة العربية السعودية، إذا قامت القوات العراقية بالهجوم على المملكة العربية السعودية، فأنتم مخولون بالقيام بالعمليات جواً وبراً وبحراً في كل أرجاء الكويت والعراق، وأجوائهما، ومياههما الإقليمية.

(٣) توجيهات عملياتية: إن أهداف حملتكم الهجومية ستكون تدمير منشآت الانتاج العراقية النووية والبيولوجية والكيمائية، وأسلحة الدمار الجماعي، واحتلال جنوب شرق العراق حتى تحقيق جميع الأهداف الاستراتيجية، وتدمير وتعطيل قيادة قوات

الحرس الجمهوري، وتدمير وتعطيل قيادة السلطة العراقية، وتأمين الرعايا الأجانب - في الحدود الممكنة عمليا - المحتجزين في العراق والكويت، وإضعاف الدفاعات الجوية الاستراتيجية العراقية أو إيقاع الفوضى بها.

في الثامن عشر من نوفمبر أرسلنا مسودة التوصيات بالفاكس إلى باول، واختفت دون اثر يذكر، وفي حدود علمي فإن واشنطن لم تقدم إلى لندن أي رد رسمي. وبعد يومين من ذلك عرضت نسخة من المسودة على دي لابلير قائلا «ستبين لك هذه المسودة على الأقل ما نعتقد أننا يجب أن ننتهي له».

٢٧ نوفمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١١٢ :

الساعة ١٠، ١٥، جلسة تنفيذية مع وفد الكونجرس برئاسة مافرولس. الحد الفاصل للجلسة أن الوفد بين أن أعضاء مجلس النواب ينقسمون إلى واحد من صنفين: الصنف الأول يضم الذين يريدون عملا عسكريا الآن، والصنف الثاني يضم أولئك الذين يريدون إعطاء المزيد من الوقت للعقوبات كي تفعل فعلها، حتى لو دام ذلك مثلا عامين. أشار ق.ع إلى أن رجال الكونجرس منقسمون انقسامًا دفعهم إلى البدء عمليا في المناقشة فيما بينهم، بينما هو لا يزال في منتصف حديثه إليهم.

الساعة ١٠، ٢٠، ق.ع أبلغ رئيس هيئة الأركان أن وفد الكونجرس لا يدرك أن العرب يحتلون مواقع متقدمة، وهم يتوهمون أن العرب غير مشاركين.

٢ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١١٧ :

الساعة ٩، ٠٠، التقى ق.ع مع وزير الطاقة جيمس واتكنس. الغرض من زيارة الوزير لـ ق.ع هو البحث عن ضمانات بأن هجوما على السعودية لن يؤدي إلى إنزال أضرار بليغة بمنشآت النفط. ركز الوزير واتكنس على إلقاء كلمة تعبر عن الأمل في أنه إذا اندلعت الحرب فإن أسعار النفط لن تحلق عاليا.

٤ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١٩٩٠ :

الساعة ١٠، ٠٠ قدم اثنان من محلي وكالة المخابرات المركزية صورة سيكولوجية من صدام حسين. رأى ق.ع أن عرضهما مفكك، ويسمح لمن يصغى إليه باستخلاص

أى استنتاج يشاء.

في التاسع والعشرين من نوفمبر أشعل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فتيل الحرب بحث من الولايات المتحدة، بعد أن أعطى التحويل باستخدام القوة إذا لم ينسحب العراق من الكويت بتاريخ ١٥ يناير. وسواء كانت هناك أوامر تحريرية أم لا، فقد كان واضحا أنه لم يبق لنا كثير وقت، ولدينا فقط ستة أسابيع لإعداد التحالف للهجوم.

في الثامن من ديسمبر طرت إلى القاهرة بذريعة تفقد مصنع دبابات م-١، وهو مشروع مشترك تديره الولايات المتحدة ومصر. وقدمت عرضا مفصلا لثلاثة ضباط اعتبرهم في عداد الأصدقاء منذ أيامى الأولى في القيادة المركزية، وهم الجنرال أبو طالب وزير الدفاع، الليوتاننت جنرال أبو شناف رئيس أركان القوات المسلحة المصرية، والميجور جنرال عمر سليمان رئيس قلم المخابرات الحربية، وأقر الجميع على الفور بالمنطلق السياسى، إلا أنهم شخصوا المصاعب العسكرية.

قال أبو طالب مشيرا إلى خارطة تبين موقع الخطوط الأمامية العراقية «انظر إلى حقول الألغام هذه وإلى الموانع». أكدت أن حملة القصف ذات الثلاث مراحل مصممة لدعم عملية الاختراق بتحطيم المدفعية العراقية، وإصابة التحصينات العميقة بالأضرار، وإرغام قوات الخط الأمامى على المكوث بلا حراك في مواضعها. وأطلعت الضباط المصريين على نماذج من الصور الجوية، وهى تصور الممرات المفتوحة داخل حقول الألغام العراقية. بعد ذلك وصفت لهم معدات الاختراق والاسناد الجوى الذى سنقدمه أثناء المعركة نفسها.

٩ ديسمبر ١٩٩٠ يوم ب + ١٢٤:

الساعة ٢١,٠٠ محادثة تليفونية مع رئيس هيئة الأركان. بحث القائدان أمر إعلان السياسة بخصوص الرد الثأرى على هجوم بيولوجى أو كيميائى.

قال رئيس الأركان إنه يضغط على البيت الأبيض لإبلاغ طارق عزيز بأننا سنستخدم الأسلحة غير التقليدية إذا استخدم العراقيون السلاح الكيميائى ضدنا. رئيس الأركان يعتقد أن الوزير بيكر سوف ينقل هذه الرسالة لوزير الخارجية

العراقية.

١٠ ديسمبر ١٩٩٠ يوم ب + ١٢٥:

الساعة ١٥,٣٣ مكالمة تليفونية مع رئيس الأركان. استغرق القائدان في محادثة بخصوص مهاجمة معامل خزن السلاح البيولوجي العراقي. ق.ع يشير إلى أن الجنرال هورنر أكد له أنه لدى مهاجمة هذه المعامل فسوف يستخدم ذخيرة تقتل الجراثيم. سجل ق.ع ذلك للمتابعة، وذكر رئيس الأركان بأننا إذا لم نهاجم هذه المعامل فلن نستطيع ضمان عدم استخدام هذه المواد ضد القوات الأمريكية، وهذه ستكون خطيئة لا تغتفر.

في غضون ذلك كان الفرنسيون يجدون صعوبة في تحدى الدور الذى يرغبون في لعبه داخل التحالف. إن جزءاً من حيرتهم يرجع إلى تضارب المصالح التجارية. ففرنسا بائع سلاح رئيسى لكل من السعودية والعراق، وهناك مستوى شخصى للتعقيد، راجع إلى أن وزير دفاعهم جان بيير سيكفمونت هو عضو منظمة تدعى جمعية الصداقة الفرنسية - العراقية، وكان يعارض بشدة إرسال القوات. في البدء، أصرت فرنسا على أخذ قطاع خاص بها والدفاع عنه دون أن تكون خاضعة لأحد، وحين رفض السعوديون ذلك، وافق الفرنسيون على وضع قواتهم بإمرة خالد، وليس واضحاً الآن إن كانوا سيشاركون في الهجوم أبداً.

وظل الليوتاننت جنرال ميشيل روكويجوفر، قائد القوات الفرنسية في الخليج، وهو رجل احترامه واعتز به في عداد الأصدقاء، ظل يتسلم إشارات متناقضة من باريس. وأبدت تعاطفى معه، إلا أنني كنت بحاجة إلى معرفة ما إذا كان بمقدورنا الاعتماد على الفرنسيين في القتال. أخيراً، في ديسمبر أبلغنى الجنرال موريس شميت، قائد قواتهم المسلحة بأن فرنسا لا تريد أن تشارك في الهجوم لأنه يخشى أن جنوده المزودين بعربات مدرعة خفيفة، لن يضاهوا الدبابات السوفياتية الثقيلة لدى العراقيين، وذلك في معركة اقتحامية من هذا النوع. لذلك طلب إلى أن تشارك قواته في حماية جناحنا الغربى البعيد. وافقت على الفور، فقد كنت أبحث عن قوة لتقوم بذلك، والوحدات الفرنسية تناسب هذه المهمة بالضبط.

بقى السوريون. في منتصف ديسمبر أرسل الرئيس حافظ الأسد فرقة مدرعة كاملة إلى المملكة العربية السعودية، ويخضع السوريون لإمرة خالد، أما مهمتهم فهي الاشتراك مع الهجوم المصري على الكويت. وشعرت بارتياح أكبر في الاعتماد على خالد بأن يبلغهم بنوايانا.

١٣ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١٢٨ :

الساعة ١٦,٠٠، مكالمات تليفونية مع رئيس الأركان. ق. ع أبلغ عن جلسة مع وفد من مجلس الشيوخ. انعقدت لتوها. كما أبلغ رئيس الأركان أن الجلسة سارت سيرا حسنا وكانت ايجابية وودية. وقال إن الوفد ناقش بإسهاب مسألة إعلان الكونجرس للحرب، لكنه لاحظ أن ذلك لم يحصل في كوريا وفيتنام أو بنما، وقد لا يحصل في هذه الحالة أيضا.

وبحلول الثاني والعشرين من ديسمبر، احتشد كل رصيف ميناء وكل مطار في المملكة بالمعدات والذخائر والتجهيزات الأمريكية، التي يتوجب نقلها إلى الجبهة. ولأول مرة شهدت الطرق النائية في الصحراء زحمة مرور، فقد كان نقل اللوازم يتطلب الآلاف والآلاف من الشاحنات، لدرجة أن جاس باجونيس وضباط النقل العاملين بإمرته استأجروا كل شاحنة في المملكة، وأطلق باجونيس على ذلك «قافلتى الفجرية»، وهو أوسع طيف من العربات والسائقين المدنيين وقع بصرى عليه. فكلما سرت في شارع عجبت من القوافل المارة: شاحنات ألمانية شرقية، شاحنات تشيكية، وأخرى بولندية، وبعضها قديم جدا بحيث لا يبدو قادرا على السير، وكان أغلب السائقين المؤجرين من باكستان والهند وبنجلاديش ممن جاءوا إلى السعودية طلبا للعمل. ويميل هؤلاء إلى تزيين شاحناتهم بأشكال صارخة ملونة، وبعض الملصقات على المرايا وعاكسات الضوء.

ووصل عدد الجنود الأمريكيان في الخليج إلى ٣٠٠ ألف، فيما كانت تعزيزاتنا من ألمانيا قد بدأت لتوها في الوصول. لقد نمت عملية درع الصحراء نموا فاق سيناريوهات الكومبيوتر الطموحة التي جرت قبل ٥ أشهر. رد العراق على تصعيدنا بتصعيد حشوده، فكان ضباط مخابراتي يرفعون التقارير عن وصول وحدات جديدة إلى

الكويت، وظل عدد القوات العراقية في ارتفاع متزايد.

وبعقل وجود موعد نهائي محدد، اكتسبت عاصفة الصحراء زخماً هائلاً، ففوق رؤوسنا تقوم القوات الجوية للتحالف بألف طلعة تدريبية في اليوم، أما في الصحراء فيشيد المهندسون نماذج مماثلة لخطوط التحصينات العراقية لكي تتدرب القوات المقاتلة على مهاجمتها. ونضجت خطة الهجوم بفعل تدقيق قادة الميدان في الخرائط، ودراستهم الأرض وميول العدو ووضعهم، وراحوا يفصلون خططهم للمراوغة بتفصيلات دقيقة. وفي مقر القيادة، صارت استعداداتى للحرب البرية تسير بسرعة كبيرة. وفي منتصف نوفمبر التحق الليوتاننت جنرال كال والر بالمقر في الرياض بوصفه نائباً للقائد العام. وبوصوله توفر من يساعدن على ركوب عجلة قيادة الجموع. كان كال صديقاً عمل بإمرتى في قيادتين سابقتين وهو رجل بارع لطيف النبرة، نزاع إلى تردد الأمثال التي حفظها عن جدته في ريف تكساس، إلا أنه أيضاً رجل شديد المراس وفعال، وكان هو خيارى الأول لهذه الوظيفة. وقد تدرج في الجيش كضابط دروع وكان يتقن الشئون اللوجستية أيضاً، كما أنني كنت أعرف أنني لا أخيفه إطلاقاً. كنا نثق ببعضنا إلى حد كبير، بحيث إنه كان يدخل إلى مكتبي ويقول على المكشوف «يا أنت، ثمة شيء تلخبط، والخطأ خطأك، ولا بد أن أطلعك على ذلك».

وبزيادة عدد القوات، رحنا - كال وأنا - ندفع خبراء الجيش في الشئون اللوجستية دفعا قويا ليحددوا ما إذا كان بوسعهم أن يدفعوا الحركة الجانبية العملاقة للقوات المقاتلة والتجهيزات في الموعد المقرر للهجوم. ورحنا على مدى أسابيع ندور في حلقات مفرغة، فأولا سألنا جون يوسوك، الذى كان يشرف على ضباط اللوجستيات: «إذا منعناك من تحريات القوات حتى بدء الحملة الجوية - ولنقل في العشرين من يناير - فكم من الوقت يتطلب نقلها إلى نقطة الوثوب لبدء الهجوم؟.. من أسبوعين إلى ٣ أسابيع».

بعد ذلك نتوجه إلى قادة الفيالق ونكرر: «لقد دققنا الأمر مع يوسوك، وليس هناك من داع يدعوكم إلى التحرك قبل بدء الحملة الجوية».

كان القادة يمتنون ذلك، وبخاصة لأنهم كانوا يريدون أن يجدوا الوقود والذخيرة

أمامهم، لذلك راحوا يضغطون على ضباط اللوجستيات التابعين لهم، وراح هؤلاء يدمدمون ويتشكون، فتصل الشكوى إلى يوسوك، ويعود يوسوك بتقدير جديد يقول «لا أعرف إن كان باستطاعتنا تحقيق ذلك».

في هذه الأثناء تأخر وصول بعض وحداتنا من ألمانيا، فالقوات المخصصة للدبابات والناقلات المدرعة - والتي يمكن لها إيصال المنقولات حتى أرصفة الشحن - نادرة جداً، كما أن بعض السفن أصيبت بأعطال، وواجهت سفن أخرى عواصف شتائية.

واتضح أن حوالي ٢٥ في المائة من التعزيزات القادمة لن تصل إلا بعد ١٥ يناير، وبخاصة الفرقة المدرعة الثالثة المزودة بدبابات م ١-١، التي ستكون في أعالي البحار. وحتى لو وصلت فإنها ستظل بعيدة عن جاهزية القتال، وستحتاج إلى أيام لتفريغ المعدات من السفن، وإعادة طلاء لون التمويه من الأخضر الغامبي إلى الكاكي الصحراوي، ثم دمجها بجنودها، وتحريك الوحدات إلى مواقع أمامية تبعد ٣٣٠ ميلاً، وتدريبها تدريباً صحراوياً، وهذا الشيء الأخير ليس بالقضية الهينة.

ففى أوروبا يستطيع الجنود إرشاد أنفسهم بأنفسهم عند السير في الطرقات والمدن والغابات وغيرها من المعالم الأرضية، أما في الصحراء فلا وجود لعلامات أرضية فارقة، بل إن كثيبات الرمل نفسها تتحرك، لذلك يتوجب أن نعلم الجنود بسرعة استخدام معدات الملاحة بالاعتماد على الأقمار الصناعية، والملاحة بالاعتماد على النجوم السماوية، أو حساب الاتجاهات بالتخمين.

- وكلما تعطلت سفينة، أو واجهت طقساً رديئاً، عاد إلى يوسوك ليقول إن الجيش بحاجة إلى إعادة النظر في تقديره للمدة اللازمة للاستعداد.

فأقول: «حسناً، سنعدل الخطة، فقط قل لنا ما الذي تستطيع أن تفعله بالضبط». ثم يعود إلينا ليعطينا تاريخاً مؤكداً جديداً، ثم من جديد يطلب النظر، وهكذا دام ذلك خلال شهر ديسمبر كله. وفي السادس منه أعلن صدام فجأة أن العراق سيخلى على الفور سبيل الرهائن الأجانب، وقال إن بادرته الإنسانية هذه تستهدف تعزيز السلام. وأضاف أن العراق قد بنى دفاعاته إلى حد لم يعد معه حاجة إلى أية دروع بشرية، وإن

أُخلى سبيل الأمريكيان في الأسبوع التالي حتى سحبتهما واشنطن بقية طاقم السفارة من مدينة الكويت.

لم تؤد هذه التحركات إلى نزع فتيل الأزمة، إلا أنها بسطت تخطيطنا للحرب، فلم نعد نقلق على ضرب الدروع البشرية أو القيام بعمليات إنقاذ خطيرة في العراق أو الكويت. وفي الوقت نفسه، فإن مبادرة السلام الأخيرة - اقتراح الرئيس بوش بإرسال وزير الخارجية بيكر لملاقاة صدام مقابل دعوة طارق عزيز إلى البيت الأبيض - تعرقلت بفعل الاختلاف على موعد اللقاءين.

وكانت واشنطن ترسل لنا إشارات التهيؤ للهجوم عاجلاً وليس آجلاً. وقال لي باول يوم ١١ ديسمبر «ذهبت إلى البيت الأبيض أمس للتحدث عن «يوم البدء» المحتمل، ولما ذكرت الفترة من ١٠ - ٢٠ فبراير كمجال ممكن، غص الجميع». وأخبرني أيضاً أنه إذا لم تحل الأزمة قبل ١٥ يناير فسيأتي ضغط حقيقي من أجل عمل عسكري على الفور، فأجبت أنه إذا كان الوضع على هذا الحال، فلربما يتوجب علينا شن الهجوم الجوي ومواصلة القصف ريثما يتهيأ الهجوم البري.

١٧ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١٣٢:

الساعة ١٧،٠٠، مكالمات هاتفية مع رئيس الأركان.. دار النقاش على زخم الزوار الذين يتفقدون القيادة المركزية.

أكد ق.ع لرئيس الأركان أنه يستقبل أي زائر موجود على القائمة حالياً، ولكن من الضروري إبعاد الزوار بعد ١٥ يناير. رئيس الأركان أكد لـ ق.ع أنه سيتم منع المتفقدين وسيطلب من مدير هيئة الأركان إعادة النظر بكل الطلبات. ق.ع شكره، وأشار إلى أن العاملين متعبون جداً، وأن ركب البعض منا تنثنى الآن.

١٨ ديسمبر ١٩٩٠ - يوم ب + ١٣٣:

مقطع من رسالة من واشنطن أرسلها السفير فريمان حول موضوع زخم الزوار المتفقدين «نتفهم الحاجة إلى توطيد وإدامة دعم الكونجرس.. لا ينجم عن ذلك بالضرورة أن على الولايات المتحدة أن تتعامل مع المملكة العربية السعودية كمنتزعة ألعاب مثير فيه جنرال بأربع نجوم وسفير يقوم بدور فرسان المنتزه.. يجب أن

يتوقف التدفق على السعودية.. أعطونا فرصة للراحة».

في عصر يوم ١٩ ديسمبر وصل الوزير تشيني إلى الرياض برفقة باول. كانت مهمة تشيني هي تقييم أوضاعنا وإطلاع الرئيس على ذلك. تهيأنا لذلك بتقارير إطلاع مسببة حول كل جانب من جوانب انتشار قواتنا حتى ذلك التاريخ، واستعداداتنا لعاصفة الصحراء، بل وخطة احتلال في حالة انسحاب عراقي من الكويت من جانب واحد. لم أكن قد رأيت الوزير منذ أغسطس، وأردت أن أجعله يطلع جيدا على التعقيد الذي يكتنف عمليتنا، والقدر الهائل الذي أنجزناه منها. وكان هناك دافع آخر: صده عن الخروج بخطط جديدة.

بدأت الأمور بضخ لا ينقطع من الأسئلة، كان بيت ويليامز - رئيس قسم الإعلام في البنتاجون - قد اتصل بي قبل ذلك طالبا مني عقد مؤتمر صحافي للمراسلين الذين يرافقون الوزير. أجبت: «هذا جنون. سأكون مشغولا مع تشيني وباول». أشار ويليامز على أن نرسل للمؤتمر الصحافي شخصا آخر يحتل موقعا بارزا، لذلك طلبت من كال والر أن يأخذ مكاني دون أن انتبه جيدا إلى حقيقة أنه لم يمض على قدومه إلى مسرح العمليات سوى شهر واحد، وأنه قليل الخبرة مع الصحافة. وحين حاصره المراسلون مرارا عن مدى جاهزية القيادة المركزية، حاول أن يكون متساهلا في تقديم المعلومات وأخبرهم بأن القوات البرية لن تكون متهيئة قبل منتصف فبراير، وصار ذلك مانشيتات على صدر الصحف لتناقضه مع موقف الرئيس بزيادة الضغط على العراق قبل الموعد النهائي لإنذار الأمم المتحدة. وظل بيت ويليامز وأغلب العاملين في قسم العلاقات العامة ساهرين حتى الصباح ليزيلوا الضرر الناجم عن ذلك، وأصدر في الصباح تصريحاً لفت فيه الأنظار إلى أن القوة الجوية والبحرية جاهزة للهجوم المباشر.

أدرك والر أنه ارتكب عملاً أخطأ، وجاءني منذ الصباح ليعترف بذلك. وشعرت بأنني من يتحمل مسئولية إيقاعه في هذه الورطة وخشيت من أن يتعرض لعقوبة. ففي الأيام الأولى من «درع الصحراء» طرد تشيني الجنرال مايك دوجان - رئيس أركان القوة الجوية - بسبب إدلائه للصحافيين بمعلومات مصنفة على أنها سرية للغاية. لذلك، عندما وصل تشيني وباول إلى مقر القيادة بعد ساعة من ذلك، سألتهما ونحن في مكتبي:

«الجنرال والر يشعر بالمرارة من الصفحة التي سببها لنا، إلا أن اللوم يقع على لأننى ورطته بهذا المؤتمر الصحافى، وهو جديد على مسرح العمليات».

ولدهشتى، أجاب تشينى وباول بأنهما غير قلقين إلى هذا الحد بما أدلى به من ملاحظات، بل إن تشينى أشار هازئا «ليس من السيئ دائما أن يرسل المرء للعدو إشارات متناقضة».

حلت القضية بقدر ما يتعلق الأمر بنا، أما بالنسبة إلى والر وعائلته في الولايات المتحدة فقد عانت مرارا ولأسبوع كامل من تعليقات المعلقين على الأخبار، وأغلبهم من العسكريين المتقاعدين ممن لم يتحملوا عُثر المسئوليات التي ينوء بها كالألآن، والذي وسموه بالغباء والخيانة وانعدام الشرف. كنت أرى كيف كانت هذه الأقوال المقززة تجرحه، وتمنيت لو أن هنالك سبيلا لوقف هؤلاء. كل ما استطعت أن أقول له: «عليك أن تتغاضى عن ذلك كله. ستظل أنت في مركز الاهتمام حتى تبرز قصة جديدة».

واصلنا اجتماع الاطلاع الصباحى، وأمطرنا تشينى بالأسئلة المفصلة عن كل الأمور: من نقص الشاحنات إلى خطر العمليات الإرهابية، ولكنى لم أكن بحاجة إلى القلق، فقد كان واضحا أن كلا من تشينى وباول إلى جانبنا في المركب، ومما أراحنى حقا - ولعل ذلك إلى حد ما بفضل القنبلة التي فجرها والر في الصحافة - أن تشينى أمر بأن يكون توقيت الهجوم البرى خاضعا للقيود اللوجستية. وقال لا يمكن أن ن بكر بالموعد قسرا.

ولما عاد بعد يومين كاملين من جلسات الاطلاع، حمل تشينى معه نسخة خارطة أعدناها له لكى تعينه على أن يشرح للرئيس خطة الهجوم البرى في عاصفة الصحراء.

وقال لى فيما هو يغادر: «إن ضخامة هذا العمل وحدها هى علامة ثناء لكل ضباطك وجنودك». ثم أضاف «نحن جميعا فخورون بما أنجزت، ونعرف أنك ستقوم بكل ما هو ضرورى في المستقبل». ولم يترك ذلك أدنى شك في ذهنى من أنه مالم يرضخ صدام، فإن الرئيس سيأمرنا ببدء قصف الجهاز العسكرى العراقى بعد ١٥ يناير بقليل.

وترك لنا الوزير تشينى هدية عيد الميلاد: طقم كامل من مسلسل كين برنز المعنون «الحرب الأهلية». إن هذه المسلسلات تصور الموت والدمار في زمن الحرب تصويرا

تقشعر له الأبدان، وقد ترك أثرا هائلا على كل من في مقر القيادة. ورغم أننا كنا في المراحل النهائية من التهيئة للحرب، فإن أيا منا لم يكن يريد لها. فمشاهدة تلك الأشرطة جددت قناعتى بأننى إذا اضطررت لإرسال جنودى إلى المعركة، فإننى لابد أن أجد السبيل لتقليل الخسائر البشرية إلى أدنى حد.

٢٣ ديسمبر:

ق.ع أبلغ السفير عن خلاف حاد ناشب بين السفير الفرنسى والسعوديين حول رفض السعوديين السماح لفرنايوك فرنسية مع راقصات بالمجئ لتقديم استعراض للجنود. من الواضح أن التعليق السعودى حول ذلك هو أن الولايات المتحدة كانت تراعى قضايا السيادة السعودية، حتى إن رئيس الولايات المتحدة أم الصلاة فى سفينة فى عرض البحر، وليس من اللياقة أن يطلب الفرنسيون فرقة روك موسيقية ترافقها فتيات راقصات. عدت إلى غرفتى فى مبنى وزارة الدفاع، كانت بريندا قد أرسلت لى شجرة عيد ميلاد صغيرة مزدانة بالمصابيح الصغيرة. أشعلتها وأدرت شريط تسجيل موسيقى عيد الميلاد، وكنت على شفا النوم حين رن جرس التليفون الأحمر الذى يربط مكتبى بواشنطن. كان الرئيس بوش على الخط، قال: «لا أستطيع أن أفوت هذا اليوم دون أن أتصل».

الباب السابع

بدء الحرب والحملة الجوية

جاءت الأوامر السرية يوم ٨ يناير ١٩٩١م بأن يكون يوم ١٧ يناير هو بدء الحملة الجوية، وفي يوم ٩ يناير تأكد الأمر نفسه. وفي ذلك اليوم جاست أتابع فشل لقاء بيكر وعزيز في جنيف. لقد كنت أواجه أسبوع حل مشاكل أخرى دقيقة، ووضعت نفسي في نوع من العد التنازلي الذهني، فكنت كلما استيقظت في الصباح أتوجه لدراسة خريطة وضع العدو الموجودة على مكتبتي، أملا ضد الأمل نفسه ألا يكون هناك أى تغير في مواقع القوات العراقية نحو الغرب. كانت الخارطة الان تحمل ما لا يقل عن ٣٨ ملصقا اخر يمثل كل واحد منها فرقة عراقية كانت تؤلف بمجموعها جيشا عربيا ما، يضم ٥٤٥ ألف رجل و ٤٣٠٠ دبابة و ٣١٠٠ قطعة مدفعية. تخيلت العدو جائعا هناك مشيدا بشكل مدروس تحصينات منيعة بعمق أميال، وعلى طول الحدود. وكان بوسعي أن أرى بعين الخيال حقول الألغام والدبابات والسدود الرملية العالية والأسلاك الشائكة والاستحكامات والتحصينات، وقد أطلق عليها العاملون في استخباراتى اسم «خد صدام»، وهو يمتد بعيدا على طول الحدود الجنوبية للعراق بما مجموعه ١٧٥ ميلا. لقد شيد هذا الخط على افتراض أننا سنهاجم مباشرة، ويبدو أن صدام وجنرالاته لا يزالون ساهين عن جناحهم المكشوف، وكنت أعرف أنهم مالم ينقلوا قواتهم للغرب الان فإن قوتنا الجوية ستتكفل بمنعهم من ذلك بالمرّة، ذلك أن تحريك قواته تحت وابل قصفنا سيقدم لنا أهدافا سهلة.

١٥ يناير ١٩٩١ - يوم ب + ١٦١ الساعة:

الساعة ١٣،٣٠، بطلب من الليوتاننت جنرال خالد، رافق ق.ع الليوتاننت جنرال خالد في زيارة للأمير سلطان وزير الدفاع. عبر الأمير سلطان عن أمله في أن ينسحب العراق من الكويت إلا أنه لم يكن متفائلا. ق.ع وافقه الرأى قائلا: إننا بذلنا كل شيء

نقدر عليه تماما قبل نشوب القتال. بعد هذا عبر الأمير سلطان عن رغبته في البدء بالضربة لا السماح لصدام بالبدء بها.

الساعة ٢٣،٣٠:

مكالمة مع رئيس الأركان. رئيس الأركان أخبر ق.ع أن وزير الدفاع قد وقع قبل قليل الأمر التنفيذي وأن موعد الهجوم هو الساعة ٣،٠٠ يوم ١٧ يناير، وأخبر ق.ع أن نسخة واحدة ستبرق إليه بالفاكس فورا.

الوقت غير معلوم رفع المدعى العام العسكرى إلى ق.ع للمصادقة مذكرة حقن دماء يحملها الطيارون تحسبا لوقوعهم في الأسر خلال المعارك القادمة، والمذكرة عبارة عن إعلان بالعربية يقدم جائزة مقابل الحفاظ على سلامة الطيار.

على السطح مر اليوم السابق للهجوم مثل باقى الأيام، فقد تابعنا - ضباط مقرى وأنا - عشرات القضايا الروتينية المتعلقة بالمالية والوزارة والسكن وما إليها، مما لن يبقى لنا وقت نكرسه لها ما إن يبدأ إطلاق النار. وبدا المقر صامتا رغم النشاط الدائب، والسبب قلة الأحاديث. إن قلة فقط من كبار ضباطى كانت تعرف بأننا متوجهون للحرب، أما بقية الضباط الأساسيين فقد اكتفينا بإبلاغهم بأن اجتماعا سيعقد في غرفة الحرب عند الساعة ٢،١٥ فجرا، وأحسب أنهم جميعا أدركوا معنى ذلك.

عند منتصف الليل عدت إلى مكتبى.. شعرت كمن يقف إلى طاولة المقامرة بالنرد في نوع ما من الحلم، مراهنا على مصيرى، فرميت زهر النرد ورحلت الان أراقبه وهو يتقلب في الهواء في حركة بطيئة ليسقط على القماششة الخضراء، وما كان بمقدورى أن أفعل أى شىء لأغير المسار الذى يحط فيه. جلست وفعلت ما يفعله الجنود الذاهبون إلى الحرب، كتبت رسالة إلى أسرتى معبرا فيها لهم عن مقدار حبى.

١٧ يناير ١٩٩١م

١٥ دقيقة بعد منتصف الليل

زوجتى وأطفالى الأعزاء:

تجمعت غيوم الحرب في الأفق، وقد أصدرت لتوى الأوامر الفظيعة التى ستطلق

المارد من عقاله، وكنت أتمنى بكل جوارحي ألا أضطر أبدا بالمرّة إلى إصدار هذه الأوامر، ولكن الأوان قد فات الآن، وأيا كانت الغاية التي رسمها الله للحرب فإننا داخلون لها قريبا.

وباعتباري جنديا أضطر إلى دخول الحرب ثلاث مرات من قبل، أريدكم أن تعلموا أنني لست خائفا، فأنا أعرف أنني قد أواجه الموت، ولكن يجب أن تعلموا أنني بأمان أكبر بكثير من أغلب الرجال الرائعين والنساء الرائعات الذين هم بإمرتي. البعض سيلقى مصرعه والكثيرون يمكن أن يلقوا مصرعهم، وإنني لاتضرع إلى الله ألا يحصل ذلك، ولكن إذا حصل هذا وإذا كنت بين من يختارهم الله لكى أضحي بالنفس، فأريدكم أن تعلموا أن آخر أفكارى قبل هذه البداية الفظيعة هى معكم أنتم يا أسرتى الحبيبة.

بريندا.. لم أكن يوما ما لبقا فى استخدام الكلمات، بل أنا أبعد ما أكون عن التعبير المباشر عن حبى لك. كم أنا نادم على ذلك لكن هذا ماعليه أنا، لهذا أردت أن أكتب إليك قبل أى شىء آخر هذه الليلة، لأخبرك بمهامك الكبيرة عندي.. لا أستطيع أن أذكركم من مرات ومرات شكرت فيها الله لأننى تزوجتك، ولا أستطيع أن أعبر بما يكفى عن عدد المرات التى جعلتنى فيها فخورا بأنك زوجتى. فخلال هذه الأشهر الخمسة العvisية تحديدا كنت أستمد عزا من وجودك هناك، وجودك الدائم فى رعاية أسرترك ورعاية الكثير من الآخرين.. شكرا لك على هذا وعلى كثير غيره، على كونك المرأة المحبة المتفهمة المتسامحة المعينة الحانية المساندة، فقط لمجرد كونك بريندا بولى التى تخصنى.

سندى، جيسىكا، كريستيان، أمل أن تعلموا مدى حبى لكم، فأنتم الثلاثة قد أصبحتم أهم سبب لوجودى على الأرض. قد أخسر كل ما أملك، ولكن إذا بقيتم لى فإن الحياة تستحق أن تعاش. قد أصبح ثريا وشهيرا وأخطى بكل ما أشتهى، ولكن بدونكم أنتم يا أسرتى ستكون حياتى بلا معنى وقلبى خاويا فتعاف نفسى العيش. أنتم ثلاثتكم خلودى.. أنتم خير ما أخلفه ورائى حين أرحل عن هذه الدنيا.

ولقد بادلتى كل واحد فيكم هذا الحب.. إننى أب يعرف أن أولاده يحبونه، وهذا يجعلنى أسعد إنسان، وكما قلت لكم فى عيد الميلاد إننى فخور بكل واحد فيكم لما هو عليه.. كونوا فخورين بأنفسكم لأنكم بشر طيبون. شكرا لكم على كونكم أطفالى، شكرا لكم على قبولكم إياى أبا، شكرا لكم على حبكم لى.

ارعوا بعضكم بعضا.. أحبوا بعضكم، وإذا شاءت مشيئة الله فسيلتئم شملنا قريباً، وإذا لم يحصل ذلك فأعلموا أنني أينما جلست فسأكون مع كل واحد منكم كل يوم على الدوام.

أغلقت الرسالة وطلبت من مرافقي أن يحرص علي إرسالها بالبريد، بعد ذلك كتبت برقية موجزة للجنود.. أخيراً حان وقت النزول إلى الطابق السفلي.

اجتمع في غرفة الحرب حوالي ثلاثين جنرالاً وكولونيل، ولما دخلت أعلن أحدهم: أيها السادة القائد العام وصل.

استقر الجميع فمشيت إلى المقدمة ووقفت قبالة خارطة كبيرة للعراق والكويت والمملكة العربية السعودية. قلت أريد أن أقرأ عليكم برقية أرسلناها قبل قليل إلى الرجال والنساء العاملين في القيادة المركزية.

برقية عاصفة الصحراء إلى جنودنا

أيها الجنود والبحارة ورجال القوة الجوية ومشاة البحرية في القيادة المركزية الأمريكية، قمنا هذا الصباح عند الساعة ٣٠٠ بشن عملية عاصفة الصحراء. حملة هجومية لفرض قرارات الأمم المتحدة القاضية بأن على العراق وقف اغتصابه ونهبه لجارته الأضعف وسحب قواته من الكويت. إن الرئيس والكونجرس والشعب الأمريكي، بل العالم كله يقف موحداً في دعمه لجهودكم. إنكم أعضاء في أمتي قوة حشدنا بلدنا بالتآزر مع حلفائنا في مسرح عمليات فريد لمواجهة مثل هذا المعتدي. لقد تدريبتم بمتابعة لهذه المعركة وأنتم مستعدون لها. فخلال زيارتي لكم رأيت في أعينكم نار العزم على إنجاز هذه المهمة، وإنجازها بسرعة لكي نعود إلى شواطئ أمتنا العظيمة.. ثقتي بكم كاملة، قضيتنا عادلة.. والان كونوا رعوداً وبروق عاصفة الصحراء.. كان الله معكم ومع أحببتكم ومع بلادنا.

هـ نورمان شوارتزكوف

القائد العام

القيادة المركزية الأمريكية

أدار الكولونيل بيل شريط أغنية لى جرينود: بارك الله الولايات المتحدة الأمريكية.
وقف جميع الضباط والعاملين فى المقر مشرئين بقاماتهم، ورأيت الدموع تتلألأ فى
الكثير من المآقى.

كان مقررا إطلاق أولى طلقات عاصفة الصحراء عند الساعة ٢,٤٠ فجرا بالضبط،
ولتهيئة ذلك راحت طواقم تلقيم الأسلحة تكد منذ عصر اليوم الفائت فى كل المطارات: فى
السعودية والبحرين والإمارات العربية المتحدة وقطر، محملة الطائرات الحربية التابعة
لستة بلدان بمئات الأطنان من القذائف الصاروخية والصواريخ والقنابل. وأبحرت
حاملات الطائرات الأمريكية المتمركزة فى الخليج والبحر الأحمر إلى الشمال، لتضع
العراق ضمن مدى طائراتها، أما الطرادات والبارجة ويسكونسن فقد هيأت العشرات
من قذائف توما هوك الصاروخية، واستعدت منصات القذف المدرعة للإطلاق. وفى هذه
الأثناء كانت طائرات ب-٥٢، وبعضها مزود بقذائف كروز بالغة التطور - والمعدة
أصلا لحمل رؤوس نووية على الاتحاد السوفياتى موجهة صوب العراق قادمة من
قواعد نائية فى ولاية لويزيانا.

كما أن دزينة من هليكوبترات الجيش والقوة الجوية - وهى طائرات عالية التطور
ومخصصة للعمليات الخاصة - كانت ستبدأ الهجوم، وكان عليها أن تطير فى ظلام
دامس على ارتفاع ٣٠ قدما فوق الرمال لتدمير اثنتين من محطات الإنذار الرادارى
المبكر عند الحدود السعودية - العراقية. وبعد هذه الهليكوبترات، ستتوغل ٨ قاذفات
مقاتلة من طراز «ف-١٥» فى المجال الجوى العراقى لتدمير أقرب مركز قيادة للدفاع
الجوى، وهذه الضربة فى الواقع ستقتلع بوابة الدخول للعراق بفتح ممر العبور لمئات
الطائرات المتجهة نحو أهداف أخرى فى أرجاء العراق. فى هذه الأثناء تكون مقاتلات
ستيلث ف-١١٧ قد بدأت دورات القصف فى سماء ليل بغداد.

ولم يكن لنا نحن الجالسين فى مقر القيادة أن نعرف ما كان يحدث فى البداية، وحالما
كانت نتفة من المعلومات تأتى كنت أخربشها علي ورقة لاصقة صفراء.

«الساعة ٢٤٧» - قائد قوات العمليات الخاصة التابعة للقيادة المركزية اتصل من مقره خارج الظهران ليقول إنه جرى تدمير محطتي الرادار العراقيتين، واتصل ثانية بعد قليل ليعلن أن الهليكوبترات عادت إلى قاعدتنا بسلام. دقت الساعة تمام الثالثة - ساعة الصفر الرسمية للحرب. كنت أعرف أن طائرات ف - ١١٧ تدك في هذا الوقت العديد من الأهداف في بغداد، ولا بد أن جحيما ينطلق من اساره في عشرات المواقع في أرض العدو.

الساعة ٣١٠ - التليفونات تنقطع في بغداد. الجنرال «لايد» الذي يتابع ضباط مخابرته محطات التليفزيون والإذاعة الغربية أبلغوا أن أغلب المراسلين في بغداد انقطعت اتصالاتهم، مما بين لنا أن بدالات التليفون قد دمرت. بعد ساعة من ذلك انطفأت الأنوار في بغداد، لقد أصابت صواريخ القاذفات المقاتلة البريطانية من طراز «تورنادو» كهرباء صدام. في هذه الأثناء كانت القاذفات المقاتلة الإيطالية فكانت تستعد للتوجه إلى ضرب مواقع الصواريخ، بل إن القوة الجوية الكويتية الصغيرة الحجم كانت تهاجم أهدافا عراقية داخل الكويت.

الساعة ٤١٥ .. لا اتصالات متبادلة (جوية - جوية) عراقية، لاذنذبات سقوط طائرات أمريكية. كان تشاك هورنر في موقع قيادته في قبو مقر قيادة القوة الجوية في الرياض، وأبلغنا أن الهجوم يبدو على مايرام، فحتى الآن لا توجد معلومات عن أية مقاومة فعلية من جانب القوة الجوية العراقية، أو إشعاع لاسلكي يشير إلى سقوط طيارين أمريكيين. لقد نظمنا الهجمات تسلسلا وتداخلا، فأولا دخلت القاذفات وحين حلقت بعيدا عن أهدافها وتركت المنطقة، دخلت صواريخ توماهوك، وحالما انتهت ضربة الصواريخ، دخلت موجة من الطائرات في طريقها إلى الضرب. كان هدفنا خلال الثماني والأربعين ساعة الأولى هو ألا نعطي العراقيين فرصة للراحة.. أردنا أن نوصل إلى الحد الأقصى، الصدمة المتولدة عن القصف المتواصل.

ظل هورنر يتصل تليفونيا طوال الصباح يبلغنا بآخر المستجدات، فيما كان الطيارون والملاحون يؤوبون إلى القاعدة.

وبعد الظهر استطعت أن أنقل لباول في واشنطن أننا أنجزنا ٨٥٠ مهمة بالتمام، فقد دمرنا العديد من الأهداف المدرجة على القائمة وعددها ٢٤٠ هدفاً، وقد مسحنا قصر صدام الواقع عند ضفاف البحيرة ببغداد - والمحمى حماية مكينة - مسحاً تاماً، أما بناية قسم التليفونات في وسط المدينة فقد أبلغ أنه يشتعل، كما أصبنا موقعين رئيسيين لصواريخ سكود غربى العراق بأضرار بالغة، وتم تدمير المستودعات الواقعة تحت الأرض والمشتبه بها كملجئ للأسلحة البيولوجية والنووية. وفي هذه الاثناء كانت أسراب من طائرات «أ - ١٠» الهجومية تطلق قذائفها على مستودعات الامداد على طول خطوط الجبهة العراقية، وأخبرتنا القوة الجوية بأنه لا يمكن إعادة ملئها بسرعة كافية. حذرت القوة الجوية من أنه رغم أن دقة الطواقم الجوية كانت أقل من المتوقع - أسقطت طائرات ف - ١١٧ في الموجة الأولى ٥٥٪ فقط من قنابلها على الهدف، وطائرات ه - ١١١ حوالى ٧٥٪ - إلا أن هذه الدقة تتحسن بإطراد في بحر النهار.

والأهم من ذلك لم تسقط سوى طائرتين وهو رقم متدن بشكل مثير، أخذين في الاعتبار أننا خشينا من أن تصل خسائرننا في اليوم الأول إلى ٧٥ طائرة. من الواضح أن هورنر ومخططيه قد نجحوا نجاحاً باهراً في تفكيك أوصال شبكة الدفاع العراقية المتطورة، فعن طريق تشويش الرادارات وقصفها أصيبت الشبكة بالعمى، وعن طريق قصف مراكز القيادة أصيبت الشبكة بالشلل. ورغم أن الطيارين وصفوا لنا كيف أن سماوات بغداد ملأى بصواريخ أرض - جو وقذائف المدفعية المضادة للطائرات، فإن العراقيين كانوا يطلقون - كيفما اتفق - دون أوهى فرصة لإصابة طائرتنا. في هذه الاثناء أسقطنا ست مقاتلات عراقية من طرازى ميغ وميراج، وحلقت عشرات الطائرات العراقية الأخرى من قواعدها، إلا أنها ظلت تدور ببساطة متحاشية طائرتنا، ولم نستطع أن نخمن ما يمكن استخلاصه من هذا السلوك.. هل كانت أوامر الطائرات ألا تشتبك في قتال؟

هل هي تحترس من احتمال أن تصاب بنيران المقاومة الأرضية؟ أما جبناء؟ هورنر خمن أن العراق يحافظ على قوته الجوية لكى يضربنا فيما بعد. كنت ميالاً لقبول هذا التقدير، وقلت لباول سنظل ننتظر حتى يقوموا بالخطوة اليائسة التالية.

في جلسة الاطلاع المسائية جاءت نبذة «مور» بالأخبار التى كنت أنتظر سماعها

طوال اليوم: تحرك الجيش مغيرا مواقعهُ استعدادا للجهوم البرى، فعلى طول خط التابلان - وهو طريق عريض مهجور بممرين، يمتد غربا إلى الأردن انطلاقا من بلدة حفر الباطن بالسعودية القريبة من الزاوية الجنوبية الغربية للكويت - بدأت الشاحنات الثقيلة للفيلق ١٨ المحمول والفيلق السابع تنقل الإمدادات والمعدات نحو الغرب، وقد قطعت القافلة ١٢٠ ميلا في اليوم الأول من الحرب.

١٧ يناير ١٩٩١ - يوم البداية الساعة ١٨٣٠:

مكالمة هاتفية مع رئيس الأركان، ق. ع شرح قرارنا الراهن بحظر البريد. قال ق. ع: إننا نحتاج إلى مناشدة عامة للعالم كله تبين أن القوات في حالة حركة، ولن تستطيع على الأرجح أن تستلم بريداً كبيراً. نحتاج إلى أن نطلب من الجمهور ألا يرسل رزماً كبيرة.

عند الساعة الثالثة من فجر يوم الجمعة - وقد مضى علينا في مركز القيادة أكثر من ٢٤ ساعة - جرى إطلاق سبعة صواريخ سكود من غرب العراق نحو إسرائيل. أرسلت القوة الجوية طائرات ف-١٥ لقصف مواقع الإطلاق. في هذه الأثناء بدأت التقارير تتوالى عن وقوع انفجارات في تل أبيب.. اتصل بنا باول ليعلمنا أن واشنطن مهتاجة غضبا إزاء مخاوف أن تثب إسرائيل وتدخل الحرب. وعند الساعة ٩ صباحا (بتوقيت الساحل الشرقى) نقلت الشبكات تقارير حية من المراسلين من تل أبيب وهم يرتدون أقنعة واقية من الغازات، وأكد الإسرائيليون سريعا أن صواريخ سكود كانت تحمل رؤوسا حربية تقليدية لا غازا ساما، إلا أن هذه الحقيقة لم تكن إلا مصدر قليل من الارتياح، فقد كان العالم كله يعرف التهديد الذى أطلقه صدام قبل شهرين بحرق نصف إسرائيل بالأسلحة الكيماوية.

بعد ساعة أخرى، أطلق صاروخ آخر. هذه المرة صاروخ وحيد من جنوب العراق موجها إلى الظهران، أطلق الجيش ٤ صواريخ باتريوت من البطاريات التى أقيمت حول قاعدة الظهران الجوية، ولسرورنا استطاع باتريوت أن يسقط صاروخ سكود وهو في الجو، علما بأن صاروخ باتريوت مصمم بالأصل كسلاح مضاد للطائرات وقد حور مؤخرا لاعتراض الصواريخ القادمة ولم يتم اختباره في ميدان المعركة من قبل. بعد هذا - وقبل الساعة الخامسة بقليل - انطلقت عشرات النفاثات الاسرائيلية من قواعدھا..

رحنا نرقب متجهمين أن توجه ضربة ثأرية للعراق، إلا أنها ظلت في نطاق المجال الجوي الإسرائيلي، ولما انصرم يوم الجمعة دون حصول هجمات أخرى بصواريخ سكود، اتصل بنا باول والتعب باد على نبراته: إن واشنطن اقنعت تل أبيب - على الأقل الآن - بإرجاع نفاثاتها إلى القواعد.

إن صاروخ سكود سوفياتي متقادم تعوزه الدقة، وقد صمم بالأصل لحمل رأس حربي زنته نصف طن لمسافة ١٩٠ ميلاً. إنه يصيب على مقربة نصف ميل من الهدف، وهذا القرب كاف بالنسبة لأغراض السوفيات فالصواريخ السكود لا يستطيع أن يحمل رؤوساً حربية نووية، وتعلم العراقيون أن يضاعفوا مدى الصاروخ تقريباً بأن يربطوا صاروخين معاً، أو أن يضيفوا قطعة إضافية للهيكل الأصلي، إلا أنهم بهذه الطريقة أدوا إلى تقليل حمولة الصاروخ إلى حد كبير. ومن الناحية الجوهرية كان كل ما لديهم هو سلاح يستطيع أن يطلق مسافة ٣٠٠ ميل، وأن يخطئ الهدف بمسافة مليون، رأسه الحربي لا يزن أكثر من ١٦٠ رطلاً، وهذا من الناحية العسكرية يضارع مفعول طائرة واحدة تقذف قنبلة واحدة صغيرة ثم تفر بعيداً. وبالطبع فإن القنبلة فظيعة إذا سقطت على أي إنسان، إلا أنها لا تزيد عن بعوضة إذا أخذنا النطاق الضخم للحرب. وعلى أية حال كانت صواريخ سكود فعالة كسلاح إرهاب للسكان المدنيين، ففي مجرى الحرب الإيرانية العراقية أطلق العراق صواريخ سكود على طهران بنفس الطريقة التي أمطر بها النازيون لندن بصواريخ ف-٢.

حتى الآن استطاعت قاذفاتنا أن تحقق كل موقع معروف لصواريخ سكود في غرب العراق: مدمرة ٣٦، منصة إطلاق ثابتة و ١٠ منصات إطلاق متحركة، ولكني كنت أعرف أننا نواجه مشكلة كبيرة مع منصات الإطلاق المتحركة المتبقية لدى العراق، فالعربات الجاثمة ذات الثماني عجلات - وهي عموماً بحجم شاحنات الصحاريج الكبيرة التي تنقل البنزين - ستكون أصغر من أن يمكن العثور عليها.

أطلقت ثلاثة صواريخ سكود جديدة على إسرائيل (اثنان على تل أبيب وواحد على القدس)، وسلمني مدير العمليات صباح السبت برقية مرسلة من هيئة الأركان المشتركة الأمريكية: يريد الإسرائيليون القيام بضربة جوية شاملة في غرب العراق قوامها ١٠٠ طائرة في الصباح التالي، مائة طائرة أخرى عند العصر، مع هجمات

بهليكوبترات أباتشى فى المساء، وغارات على يد الكوماندوز، وستدخل الطائرات العراق من خلال المجال الجوى السعودى. اتصلت بباول فى الحال: «لن يقبل السعوديين ذلك قط.. لا يمكن التسلسل عبرهم، فلديهم ضباط معنا فى الأواكس وسيعرفون ذلك».

فى ضحى ذلك اليوم أبلغنا باول بأن الأمير اتصل - بناء على طلب واشنطن - بالملك فهد، ليستفسر عن إمكانية إعطاء حق المرور فى الأجواء للطائرات الاسرائيلية أجاب الملك بسرعة بما معناه: «لا سبيل إلى ذلك بالمرّة». وأخبرنى باول الان بأن الرئيس بوش على وشك الاتصال برئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير ليحاول إثشاءه عن عزمه، واستخدام ثلاث حجج: أننا ضربنا أصلاً كل مواقع صواريخ سكود المرصودة، وأننا نواصل الهجوم بعدد من الطائرات ومقدار من القوة النارية لا تتوفر لدى إسرائيل وأن تدخل إسرائيل قد يؤثر على التحالف أو يشق هذا التحالف الذى ثابروا بدأب على بنائه. وكنا قد عملنا فى القيادة المركزية على وضع خطط لإخلاء غرب العراق من طائراتنا، تفادياً لحوادث الاشتباكات العرضية فى حالة حصول ضربة إسرائيلية، إلا أن باول اتصل وقال إن إسرائيل وافقت على الإحجام عن التحرك.

كان بوسعنا أن نتحسس مدى الضغط الذى تمارسه إسرائيل على واشنطن، لأن واشنطن كانت تتحول لتمارس هذا الضغط علينا، فأولا اقترحت هيئة الأركان المشتركة أن نسمح لإسرائيل بإرسال مخططيها ليجلسوا معنا فى مقر قيادتى فى الرياض، ويخبروا قوتنا الجوية بالأهداف التى يجب ضربها. وقلت لهم إن هذه فكرة حمقاء، كيف يمكن لأحد أن يفكر أن لدى الاسرائيليين معلومات عن الأهداف خيراً من قواتنا الجوية؟ لقد دأبنا على دراسة ذلك الجزء من العراق بأكثر وسائل جمع المعلومات تطوراً وبأفضل تكنولوجيا ابتكرت حتى الان، علاوة على ذلك - بعد ستة أشهر من الوعظ بالحساسيات الثقافية - لم أستطع أن أصدق أن على أن أشرح للآخرين أن وجود ضباط إسرائيليين سيحطم مصداقية القيادة المركزية لدى العرب، هذا اذا افترضنا أن السعوديين سيسمحون بدخولهم إلى المملكة.

بعد ذلك تلقينا أوامر من هيئة الأركان المشتركة بقصف أهداف مدرجة فى قائمة زود الإسرائيليين وزير الدفاع تشينى بها. كنا قد ضربنا أغلب أهداف هذه القائمة، ولما مضينا لمهاجمة الأهداف الأخرى لم نجد فيها شيئاً. بلغ السيل الزبى بهورنر فقال:

«سیدی، هذا خیل.. لا یمكن لنا أن نسمح لحفنة من الاسرائیلیین - الذین لیست لیدیهم أدنی فکرة عن مجمل خطة الحملة - لیأتوا ویقولوا لنا أین نرمى قنابلنا. إننا نرمى قنابلنا علی کتبان رمل فارغة، وقد بدأنا نعرض حیاة طیارینا للخطر». ووجدت نفسی أحاول التأثير علی باول' «سنفعل ما تملیه علینا، ولكن مجرد ترک القنابل تسقط من الجو یخالف المنطق العسکری».

واستجبنا للضغط بتحويل جهودنا إلى صید صواریخ سکود، عبر تخصيص ثلث الطلعات القتالية وطلعات الإسناد التي تزيد علی ٢٠٠٠ طلعة جوية مقررة كل يوم لتنفيذ الحملة الجوية الاستراتيجية. وشقت طائرات «ف - ١٥ س» و«ف - ١٦ س» طريقها بجرأة عبر حشود كثيفة من الصواریخ المضادة للطائرات لقصف ملاجئ تخزين صواریخ سکود ومواقع الإطلاق المشتبه بها غرب العراق. وفي يوم ١٩ يناير اصطدمت مهمة لقنص السکود بأربع طائرات میج وطائرة میراج عراقية حاولت أن تصد الهجوم، واسقطتها النفاثات الأمريكية جميعا. وكنا قد أرسلنا أصلا إلى داخل العراق مجموعات للعمليات الخاصة من قوات التحالف لمراقبة الطرق، والإبلاغ عن منصات الإطلاق المتحركة. كانت هذه المهمات بالغة الخطورة فالعراق كله كان عبارة عن معسكر مسلح، وحتى المناطق التي كانت علی الخريطة خالية اتضح أنها تخضع لدوريات مكثفة من الوحدات العسكرية المرسلة خصيصا لأسر الطیارین المسقطین، ویبدو أيضا أننا لم نقدر قسوة المناخ فی الجبال الشمالية الغربية العراقية حق قدرها، فنحن فی فصل الشتاء وكان الطقس یتراوح بین التجمد والبلل. الواقع أن اثنين من إحدى فصائل القوات الخاصة لقیما مصرعهما بسبب قسوة البرد. أخیرا كانت طائرات الهجوم «أ - ١٠» ثقیلة التسلیح تترز فوق طرققات وودیان غرب العراق كل صباح بعد انقشاع الضباب، بأمل اصطیاد منصات إطلاق صواریخ سکود المتحركة فی مجرى انتقالها.

١٩ يناير ١٩٩١ - يوم الحرب + ٢ الساعة ١٦٣١:

مکاملة مع رئیس الأركان، ق.ع أوضح أن أول قنبلة ألقيناها علی بغداد تعادل فی قوتها التفجيرية كل صواریخ السکو (عدها عشرة) التي أطلقوها.

واتضح لنا أن منصات إطلاق الصواريخ أكثر تضليلاً مما كنا نعتقد، لقد التقطنا قلة منها ولكن ما إن تصل القاذفات تعزيزها فوق الموقع الذى انطلقت منه الصواريخ قبل قليل، حتى تجد صحراء خالية! حرنا في ذلك، عندئذ جاءنا خالد بتفسير.

ففى أثناء حديث له مع المصريين العاملين بإمرته - والمصريون خبراء فى المعدات السوفياتية التى كانوا يملكون قدراً كبيراً منها - اكتشف أن شاحنة منصة الإطلاق لا تستطيع أن تمضى أبعد من مسافة ستين دقيقة سواقة بعد إتمام الإطلاق، وكانت وكالات مخابراتنا قد أبلغتنا بأنها تسير لمسافة ٢٠ دقيقة سواقة.

بدأ الأمر مفهوماً الآن، ففى الوقت الذى نشخص فيه موقع الإطلاق وننقل فيه الإحداثيات إلى طيارينا، يزوغ العراقيون بعيداً.

بعيد منتصف ليل الاثنين ٢١ يناير تعرضنا - ضباط مقرى وأنا - لفترة وجيزة إلى ما كان يتعرض له الإسرائيليون: هجوم بصواريخ سكود على الرياض - التقطنا ستة صواريخ متجهة نحونا وهى على وشك أن تسقط على الهدف. فى ظرف ٣ دقائق انطلقت صفارات الإنذار فى أرجاء المدينة، وراحت بطاريات صواريخ باتريوت تقف فى حالة إنذار كامل، وحرصنا فى غرفة الحرب الواقعة فى القبو على وضع الأقنعة الواقية من الغازات السامة فى متناول اليد. بعد دقيقة انفتح الباب ودخل خالد دخولا عاصفاً مع كامل ضباط مقره وهم يحملون الأقنعة الواقية. كانت قلوبنا تغص وتنب إلى حناجرنا، فمبنى وزارة الدفاع لا يتمتع بحماية جوية كافية، ورغم أننا لم نكن نعتقد أن العراق يملك رؤوساً كيماوية لصواريخه، فلم نرصد رأساً كيماوياً واحداً خلال سنوات من مراقبتنا لتجاربهم الصاروخية، إلا أننا رحنا فى تلك اللحظة ننظر نظرات قلقة إلى كوى مكيفات الهواء.

سقطت الصواريخ دون أن ندهش لذلك على مبعدة أميال، وعدنا إلى العمل فيما كانت التقارير تترى: لم تقع إصابات.. لم يندش أحد. وأبلغت بطاريات باتريوت أنها قامت بإحدى عشرة عملية اعتراض (ضربوا الصاروخ الواحد عدة مرات، فالمنظومة لا تزال تعاني من بعض المثالب)، وقام فريق استطلاع تكتيكى بفحص مواقع سقوط السكود، ولم يجد أثراً لمواد كيماوية.

تساقطت علينا صواريخ سكود أخرى في الأيام التالية، فاستدعاني الملك فهد إلى قصره وسألني عما نقوم به لمنع الهجمات فشرحت له السبب الذي يجعل الخطر الناجم عن صواريخ سكود ضئيلاً. بدا الملك راضياً

بدأت وتيرة إطلاق صواريخ سكود تخف، ففي الأسبوع الأول من عاصفة الصحراء أطلق العراقيون ٣٥ صاروخاً، وفي الأسبوع الثاني ١٨، بعد ذلك لم يتدبروا غير إطلاق صاروخ واحد في اليوم كمعدل وسطي، وكانت آخر الصواريخ عشوائية كلية على وجه التقريب، فطاقم الصاروخ يخرج من مخبئة، بسرعة وينصب المنصة ويطلق دون إكمال اجراءات التسديد النظامي، ويفر بأسرع ما يمكن.. وللإنصاف نقول لم يكن بوسعهم أن يفعلوا أكثر من ذلك، في نفس الوقت كانت القاذفات المقاتلة لقوتنا الجوية تجوب غرب العراق في دوريات متواصلة على مدار الساعة. لقد قام هورنر بعمل خارق، ففي أقل من أسبوعين قام التحالف بـ ٣٠ ألف طلعة جوية، وهذا يوازي بصورة تقريبية ربع عدد الطلعات المنجزة في فيتنام خلال ٨ سنوات. ورغم أن العراق ادعى أنه أسقط ١٨٠ طائرة، فإن العدد الفعلي للخسائر كان ٨٠ طائرة. لقد عمل هورنر على تدمير الدفاعات الجوية العراقية تدميراً منهجياً، لذلك لم يكن مرجحاً أن نفقد المزيد منها، فقد جرت مهاجمة بطاريات المدفعية المضادة للطائرات وتم قصف أو إسكات أغلب الصواريخ.

لم أعد أتناول وجبات منتظمة، فكان السرجنت الأول «واين سميتي سميث» - مرافقي - يسألني «سيدى ماذا تريد على العشاء؟» فأختار في العادة قدحاً من الشعرية.

أرسلت لى بريندا صندوقاً من المنكهات المتنوعة وسجقاً مسخنًا بالميكروويف، ويحدث في بعض ليالى الأسبوع أن يذهب بعض ضباط المقر إلى نادى الضباط السعودى للعشاء ويجلب لى معه سنويتشا.

لا أقصد بذلك - على أية حال - القول بأن عاصفة الصحراء جعلتني أفقد وزنى. كنت أتوجه لرؤية الفوات كلما سنحت الفرصة. أما أغلب الوقت فكانت اكتفى بالجلوس

متحدثا على الهاتف أو بواسطة اللاسلكى أو ممعنا النظر فى الخرائط وشاشات الكمبيوتر، وكان هناك على الدوام من يدور فى غرفة الحرب حاملا صندوقا من الكعك المرسل من البيت ليوزعه علينا، فنحشو جوفنا بالكعك لحد الخيشوم ثم نتأوه: «أوه.. لا أريد، ابعد هذا الكعك عن وجهى».

كنت اتصل تليفونيا بالبيت مرتين فى الأسبوع، ساعيا إلى توقيت المكالمات حين يكون الأطفال فى البيت، وكان الاستماع إلى الدرجات الفصلية التى نالتها سندی فى الكلية أو انتصارات فريق تجديف جيسىكا أو اخر امتحان رياضيات أداه كريستيان، يسبغ على العالم اللاواقعى - الذى وجدت نفسى فيه - طابعا من السوية. وكانت بريندا تملأنى بأخبار نشاطاتها، لقد نظمت - هى وزوجات الجنرالات الآخرين فى قاعدة ماكديل الجوية - مجموعة رعاية للأسر التى توجه الأب أو الابن منها إلى الخليج، وكان هؤلاء المعالين غالبا ما يأتون إليهن طلبا للعون فى حل مشاكلهم.

وكانت بعض هذه المكالمات تغدو فجأة مثيرة للمشاعر، ففى ليلة أول هجوم بصواريخ سكود على الرياض صادف أن كانت ليلة الاتصال التليفونى .. جاء كريستيان على الخط، ولما سألته كيف حالك؟ أجابنى ليس سيئا كثيرا يا بابا.. لم يكن ذلك من عاداته، ثم جاءت بريندا على الخط وأوضحت أنهم سمعوا من التليفزيون قبل قليل أن الرياض تتعرض لهجوم بصواريخ سكود.. طمأنتهم جميعا: لا تقلقوا، فالصواريخ سقطت أصلا وأنا فى سرداب عمقه ٨٠ قدما تحت الأرض، ولست فى أى خطر. كان ذلك تذكيرا بأن الحرب تهز الناس على جبهة الوطن.

وفى ليلة أخرى رفعت بريندا السماعة وهى تبكى "يا إلهى، بريندا: ما الأمر؟ ماذا حدث؟"، خطر لى فى الحال أن مكروها وقع لأحد الأطفال.

قالت من غير تفكير «استلمت رسالتك لتوى». إن الرسالة التى كتبتها عشية الحرب استغرقت أسبوعين كى تصل إلى تامبا، قالت: اسمع يا نوروم شوارتزكوف إذا قتلت فسأزعل عليك".

المرة الوحيدة التى رأيت فيها ضوء النهار هي المرة التى توجهت فيها إلى الميدان، فبينما كانت الحرب الجوية تمضى قدما واصلت العمل كالمجنون فى الحملة البرية مشرفا

على التحضيرات وزائرا للقادة والوحدات.. في كل منطقة الحرب كانت المعنويات عالية، والجنود يعرفون أنهم على أهبة الاستعداد للهجوم، وهم سعداء لأن الساعات الطوال التي قضوها جاثمين في الصحراء توشك على الانتهاء. ووجدت الشباب في إحدى وحدات المدفعية من فوج الفرسان المدرع الثالث المتمركز على الجبهة وهم يضحكون ويمزحون، وطلبوا مني أن أضع توقعي على قذيفة مدفعية، واعدن أنها ستكون أول قذيفة يطلقونها حين يبدأ الهجوم. وزرت مشاة البحرية المتمركزين على الحدود السعودية الكويتية، وكان موقفهم كالأتي «إننا ذاهبون إلى الحرب سيدي وذاهبون إلى الوطن، وطريق العودة للوطن يمر بالكويت».

لقد دفعنا فرقا كاملة إلى الأمام كثيرا، بحيث بات الوصول إليها يتطلب وقتا طويلا حتى بالطائرة أو الهليكوبتر. ولدى تحليقي فوق خط التابلاين تعجبت لما أنجزه الجيش، فقد كنا نسبق الجدول الزمني للنقل الذي وضعه ياجونيس. قبل أسبوعين، من الآن لم يكن هناك سوى الصحراء وأنبوب النفط وخيمة بدوية طارئة، أما الآن فهناك بحار من شبكات التمويه التي تغطي مسافة أميال، وتخفي حسب علمي آلاف الأطنان من الأطعمة وقطع الغيار والوقود والماء والذخائر اللازمة للهجوم، أما الطريق نفسه فعابرة عن قافلة طويلة من الشاحنات وصهاريج الوقود وناقلات الدبابات والمدرعات العملاقة.. آلاف العربات الممتدة من الأفق. إن مارأيته أزال ارتيابي في قدرتنا على بدء الهجوم في منتصف فبراير.

لم يتحقق أي شيء من هذا بسحر ساحر، فقد توقف الكثير على العقلية الأمريكية. لقد حل «يوسك» و«باجونيس» والأناس العاملون معهم سائر أصناف القضايا التي لم تدرس في وست بوينت.. خذ الأزمة الكبرى في الشاحنات: لقد اعتمدنا على شاحنات استأجرناها من مقاولين مدنيين يسوقها باكستانيون وبنجلاديشيون وفلبينيون لنقل ذخائرنا وتجهيزاتها، وقد أعدنا للسائقين أماكن مبيت إلا أنهم اعتادوا النوم في منازلهم، لذلك عندما كانوا ينتهون من نقل حمولة قذائف هاوتزر إلى الجبهة - وهو عمل ماكانوا يستطيعونه بالمرّة - كانوا في أغلب الأحيان يقودون شاحناتهم عائدين إلى جراج الشركة ثم يتوجهون إلى بيوتهم، وعندما نطلب من رب عملهم أن يرسلهم ثانية - وهو أمر يستغرق أياما في ضوء بعد المسافات والطرق الملتوية. وذات

يوم لاحظ أحد عسكريينا أن السائقين مفتونين بأشرطة فيديو ومباريات المصارعة الحرة الأمريكية. هالك هوجان ضد ماتشومان راندى المتوحش، واسرى العملاق ضد جاك الثعبان.. وما إلى ذلك. لذا نصب ضباط النقل من جماعة باجويس حيمة كبيرة في قاعدة التموين الرئيسية في الظهران، وزودوها بشاشة عرض تلفزيوني، وكلما انطلق السائقون في الصباح، أبلغهم الضباط عن البرنامج التلفزيوني لمساء اليوم.. في نهاية النهار، يسرع السائقون عائدون لمشاهدة البرنامج، فنبتقيهم تحت اليد لوجبات النقل لليوم التالي.

وكانت هناك قضايا لم يستطع حتى «جاس باجونيس» حلها، فقد كان قادة الفيالق والفرق عازمين بحق على إيصال قواتهم إلى الموقع في وضع جاهز للهجوم تبعا للأوامر، ولكن إذا لم يحصل جنرال ما على عدد الشاحنات الذي يعتقد مثلا أنه يحتاجه، فإنه يعتمد إلى رفع شكوى إلى مقر قيادة الجيش الثالث، أو يزجر باجونيس. حصل ذلك كثيرا إلى حد أنني اضطررت أخيرا إلى أن استطلع من جاس جليلة القضية فأجاب " سيدى، هؤلاء الناس يظنون أن لدينا منظومة لوجستية تشبه ماهو متوفر في أوروبا، وهم يطلبون مايزيد على حصتهم العادلة من الشحنات والتجهيزات عوضا عن الفصل في النزاع. اخترت حلا أفضل، كما كنا قد اتفقنا- وأنا- على أن باجونيس ينوء بقدر كبير من المسؤولية لا يقل عما ينوء به أى قائد في مسرح العمليات، وأنه لابد من ترقيته، لذلك طلبت من باول أن يعجل بترشيحه لرتبة جنرال بثلاث نجوم. صادق الرئيس بوش على الطلب في ٢٨ يناير، وكانت تلك الترقية الوحيدة أثناء المعركة في عملية عاصفة الصحراء، وبات باجونيس الآن برتبة مكافئة أو أعلى من بقية قادة الميدان، وكان بوسعه الآن أن يلقمهم حجرا إذا ادعت الحاجة، وتحسن سلوكهم معه تحسنا دراماتيكيًا.

ظلت الجبهة هادئة طوال الأيام العشرة الأولى من الحرب، عدا تبادل مدفعى متفرق. ولكن في ليل الثلاثاء ٢٩ يناير شنت الفرقة الآلية الخامسة العراقية هجوما بالدبابات عند ثلاث نقاط على الحدود السعودية الكويتية، واصطدم أحد طوابير الدبابات بكتيبة مشاة للبحرية الأمريكية فردته على أعقابها بسرعة، إلا أن الطابورين الآخرين لم يصادفا إلا مقاومة مشتتة من وحدات استطلاع متقدمة، وشقا طريقهما نحو بلدة

الخافجى وهى مركز تكرير للنفط على الساحل السعودى على مبعده ٨ أميال جنوب الكويت.

كانت الخافجى- وهى المستوطنة السعودية الوحيدة التى تقع ضمن مدى المدفعية العراقية- مدينة أشباح، فسكانها البالغون ٢٠ ألفا تركوا البلدة بعد أن تعرضت للنيران فى اليوم الأول من الحرب، ولم تكن هناك حامية عسكرية فى الخفجى، لأننى أشرت على خالد منذ الأيام الأولى لدرع الصحراء بأن الدفاع عن الخفجى متعذر، فالعدو يستطيع أن يقصفكم من جانبه الحدودى أى وقت يشاء.

وجاء نائبه الجنرال عبد العزيز الشيخ وأبلغنى بأن الجنرال خالد سيقود هجوما مضادا لاستعادة الخفجى فى اليوم التالى. قلت هذا رائع، هذا بالضبط عين مانبغى أن تقوم قواتكم، وسنقدم لكم كل الدعم اللازم والجنود .

وفى الصباح حمى وطيس المعركة إلى حد كبير. دفع السعوديون كتيبة دبابات من حول شمال المدينة لقطع خطوط القوة الغازية، إلا أنها اصطدمت بدروع للعدو أكثر بكثير مما كان متوقعا، ولدهشتنا كانت الفرقة الآلية الخامسة العراقية بأسرها، وتضم نحو أربعمائة دبابة ومدركة تحاول التقدم على الطريق العام الساحلى إلى الخفجى، وأرسلنا طائرات القوة الجوية وطائرات سلاح مشاة البحرية. صبت طائرتنا وهليكوبترتنا حمما من الجحيم على أرتال الدبابات طوال النهار، حتى أخذ الطيارون يشتكون من عدم القدرة على إيجاد أهداف بسبب الدخان المنبعث من الأهداف التى ضربوها .

استبدت بنا الحيرة أنا وأركان مقرى، وحاول أحد المحللين أن يستخلص أى مغزى لهذه النقلة فسمأها " هجوم تشويش " ، أى أنها اندفاعة يقوم بها مدافعون لتشويش هجوم متوقع يعد له خصومهم.. ولكننا توصلنا أخيرا إلى أن ذلك كله محض لعبة دعائية، فقد أراد صدام أن يظهر للعالم أن العراق لا يرضخ رغم قصف التحالف، ولكن هذه حماقة فاضحة أخرى، ففرقته واقعة فى مصيدة، فاذا انسحبت واجهت المزيد من الضربات الجوية وإذا تقدمت واجهت فى جنوب المدينة قوات مشاة البحرية مع وحدات قطرية تسد عليها الطرق .

أعد خالد وأركانته هجوما مضادا أكبر بكثير لصباح اليوم التالى إلا أن الوقت كان يعمل لصالحنا، فعند طلوع النهار شن السعوديون هجوما مضادا بلواء مدرع وعناصر من حرسهم الوطنى ووحدة من قطر. عند الظهر اتصل خالد متوهجا بالظفر وقال إنهم دمروا ١٥ دبابة وأسروا مائة عراقى، مع أدنى حد من الأصابات فى قواته. أما عن الجانب العراقى فقد كانت معركة الخافجى هزيمة نكراء للفرقة الآلية الخامسة التى تعد من أفضل الوحدات المدرعة وادنى فقط بدرجة من الحرس الجمهورى.. لقد دمرت تماما على وجه التقريب، وقد رصدنا الاتصالات العراقية اللاحقة التى أشارت إلى أن ٢٠٪ من الفرقة استطاعت العودة. وخلال هذه المعركة أثبتت المدفعية العراقية المتبجحة كثيرا أنها عديمة الفعالية، فلقد أطلقت مئات القذائف إلا أنها لم تنجح فى إسقاط قذيفة واحدة على قواتنا. ولقد أعلنت الصحافة السعودية ووكالات الأنباء - فيما بعد - أن الخفجى كانت فشلا عراقيا، وأنه قد تم تطهيرها تماما من القوات المدرعة العراقية التى اعتدت على حرمتها .

الباب الثامن

الحرب هي العلاج

كانت الحرب الجوية مستمرة، وكان عدد المفقودين بين قواتنا يتزايد، ففي يوم ٣١/١/١٩٩١ وفي تمام الساعة ١٨٣٠ - ق.ع أبلغ رئيس الأركان بأن لدينا جنديين مفقودين في القتال من سرية النقل في الفيلق ١٨ المحمول (ذكر واحد وأنثى واحدة). من الواضح أن ناقلتي معدات ثقيلة ضلنا عند الاستدارة على طريق التابلان، وتوجهنا شمالاً إلى الحدود الكويتية، ولما أدركت الناقلتان أنهما تقتربان من منطقة العراق دارت إحدهما على أعقابها لتعود إلى نقطة حراسة لمشاة البحرية طلباً للنجدة، لأن الناقلة الأخرى انغرست في الرمل. وهناك قوات عراقية في المنطقة. ق.ع أبلغ رئيس الأركان بأن البحث جارٍ، وأن هذه حقاً أول أنثى مفقودة في القتال (دأب راديو بغداد على الزعم بأنهم أسروا العديد من الإناث خلال تغلغلهم الحدودى عند الخفجى).

١ فبراير (تسباط) ٩١ يوم الهجوم + ١٥

الساعة ٢٥٠ - عقب غارة من ب - ٥٢ على «الغابة الوطنية» الكويتية في جنوب غرب الكويت، فر العديد من عربات العراق من الغابة. أبلغتنا طائرات أ - ١٠ عن تدمير الآتى. ٢٠ دبابة، ١١ ناقلة جنود مدرعة، ٢٠ عربة ذات عجلات، وثلاث راجمات صواريخ. أبلغنا الطيارون بأن ميدان المعركة يشبه إشعال النور في غرفة مليئة بالصراخ.

استنسخت مقتبساً من مذكرات الجنرال وليام ت. شيرمان، ولصقته على مكتبى: «الحرب هي العلاج الذى اختاره العراقيون»، وأقول دعنا نعطيهم ما يريدون. وفيما راحت طائراتنا تتحول إلى أشرس مرحلة في الحملة الجوية، كنت أعرف أن جنود صدام لم يعودوا ينالون قسطاً من النوم في مخابئهم وخنادقهم، والسبب أن طائرات ب - ٥٢ والقاذفات المقاتلة ونفاثات الهجوم كانت تدك مواقعهم على طول الجبهة، وكانت

الأسبقية الأولى بنظرنا هي تدمير الأسلحة الثقيلة، وبخاصة المدفعية التي يمكن أن تستخدم لإطلاق القذائف الكيماوية، ولكننا كنا نريد أيضاً تفتيت معنويات العراقيين فكننا نغتنم فترات الراحة الفاصلة بين الغارات الجوية، لنسقط ملايين المنشورات التي صغناها بالتعاون مع السعوديين. والمنشور النموذجي يحمل على الوجه الأول رسماً لسعوديين مبتسمين متحلقين حول النار في الصحراء وهم يقدمون القهوة لضييف، أما على الوجه الآخر فصورة صدام وهو يستل خنجرأ غادرا ليطعن شقيقاً عربياً في الظهر، وكان فحوى المنشور بالعربية ينص على ما يلي «انظر مافعله صدام، لقد قمتم باحتلال أرض جار لكم . إذا جئتم إلينا فسنعاملكم كأخوة عرب».

بعد أسبوعين من الحرب حدثت بغريزتي وخبرتي: إننا قصفنا معظم الأهداف الاستراتيجية بما يكفي لإنجاز غايات الحملة، وقد آن الأوان - حسب اعتقادي- لتحويل أغلب قواتنا الجوية على الجيش الذي كنا نوشك أن نلاقيه في المعركة، إلا أن خبراءنا - وهم يؤلفون « فريق تقدير الأضرار» المتخصص من وكالات الاستخبارات في واشنطن، والذي نسب إلى القيادة المركزية- خالفوا هذا الرأي. كانت مهمتهم هي تحليل نتائج القصف وتحديد الأهداف التي يجب ضربها من جديد ، وقد دفعونا منذ اليوم الأول لعاصفة الصحراء إلى الدوران في حلقة مفرغة ، فكانوا يقولون أشياء من قبيل «لم تفلحوا في تدمير محطة توليد الكهرباء في بغداد» ، ومع ذلك كنا نعرف أن الأنوار في بغداد مطفأة. وفي المرحلة المبكرة من صيد صواريخ سكود أخبرونا بأن منصات إطلاق الصواريخ الثابتة في غرب العراق لم تتضرر إلا بنسبة ٢٥ في المائة، ومع أن هذه المنصات لم تطلق صاروخاً واحداً بعد، فإننا لم نستطع تقبل المجازفة، ولذلك أرسلنا عشرات الطائرات لضربها ثانية.

إن تقدير أضرار العراق في المعركة هو فن قائم بذاته. يجمع المحللون تقارير الطيارين وصور الموقع المضروب وتقارير متابعة الاستطلاع الجوي ونتفقد المعلومات المتسربة من وراء خطوط العراقيين، إلا أن جماعة الاستخبارات كانوا- ومازالوا- منذ سنوات يسعون إلى تحويل ذلك إلى علم قائم بذاته، وذلك بالدرجة الأساسية عن طريق إنفاق المليارات من الدولارات على تكنولوجيا المراقبة، وعليه جرى إعداد المحللين للركون إلى حد كبير على الدليل « الملموس» الذي تقدمه طائرات الاستطلاع والأقمار

الصناعية، ولذلك إذا عاد طيار وقال. «انفجر المخبأ أمام أنظارى» فإنهم لا يمنحون هذا القول الثقة، فتقارير الطيارين- حسب رأيهم - تنحو إلى المغالاة، إلا أن معدات التكنولوجيا لم تكن كاملة القدرة على الرؤية كما كانوا يظنون، ولم يتركوا لأنفسهم مخرجاً لممارسة التقدير العسكرى. لقد كانت تحليلاتهم بديعة في بعض الأحيان، إلا أنها كانت عديمة المعنى في أحيان أخرى كثيرة من ناحية المعايير التي حددتها أنا لتقدير الأضرار المحيطة بمنشآت العراق ووحداته ومعداته، ولم يكن بمقدورنا أن نتحمل نتائج تقديرات مشوهة، فالمغالاة في التفاؤل قد تدفعنا إلى البدء بالحرب البرية في وقت أبكر مما ينبغي، ودفع الثمن بخسائر فادحة في الأرواح. والمغالاة في التشاؤم قد تدفعنا إلى الجلوس ضاربين كفاً بكف نادبين أن العراق ما يزال قوياً للغاية.

أفصحت لهم عن مشاعري. إن الكولونيل توماس مستشارنا الرئيسى حول الوضع المخبراتى الراهن، كان كبير ضباط الاستخبارات في فرقة المشاة الآلية ٢٤ لما تسلمت قيادتها، كنت أعرفه ضابطاً لامعاً متفانياً، وقديراً من الناحية المهنية، وكان يأتى كل ليلة ليطلعنى على آخر تقدير للأضرار الناجمة عن القصف مما توصلت إليه جماعة الاستخبارات، وليستمع إلى وأنا أدلى بملاحظات طريفة من مثل: لو دمرنا شبراً من جسر طوله أربعة أشبار، بحيث إن أى شىء يحاول العبور سيسقط في نهر الفرات، فإن جماعتك في الاستخبارات يقولون لنا إن أضرار الجسر لا تزيد على ٢٥ في المائة.

وإذا حولنا القصف من الأهداف الاستراتيجية إلى القوات العراقية، ازدادت أوجاع الرأس هذه. فإن القول بأننا دمرنا مصنعاً للذخائر أو منشأة أسلحة بيولوجية لأسهل بكثير من القول بأننا دمرنا كتيبة من ٤٠ دبابة متمركزة في استحكاماتها في الصحراء. كان الحرس الجمهورى قد اختبأ تحت الأرض بالمعنى الحرفى للتعبير، فلقد بنوا مخابىء لرجالهم ولدباباتهم على حد سواء، وذلك رغم أننا كنا نوجه لهم الضربات بثلاثين طلعة جوية لطائرات ب-٥٢، فقد كان من الصعب تحديد النتائج كمياً. وابتغاء حل هذه المعضلة ابتكرنا تكتيكياً أسميناه شفت الدبابات. كنا نرسل طائرات منفردة لتحديد مواقع مخابىء منفردة وتدميرها بقنابل موجهة بالليزر، ويعود الطيارون مبلغين عن اصابات مباشرة. ومع أن الأضرار لا تطفو على السطح أمام النظر في مثل هذه

الحالات، فإن المحللين يؤكدون بعناد أن وحدات الحرس الجمهوري مازال تحافظ على قوتها قريباً من معدل مائة في المائة.

ولم يطل الوقت حتى أصبحت هذه الخلافات محور منشئيات الأخبار، وبرز تقرير صحفى في «نيويورك تايمز» (الطبعة الصادرة في واشنطن) يحمل العنوان الرئيسي التالي «نخبة القوات العراقية لم تصب بأذى كبير من جراء القصف حسب أقوال رسميين في البنتاجون» وظهر تقرير آخر (في صحيفة تصدر في الظهران) يؤكد: «نخبة القوات العراقية تتضرر بالقصف حسب تأكيد المساعدين الحلفاء»

كان توماس يشعر بنفس القدر من الإحباط الذي انتباني. أخيراً قلت له علينا أن نبكر طريقة منهجية معقولة.. تقهر إلى مكتبه يومين وعاد بما يسرني، حاملاً طريقة منهجية تجمع الفن القديم بالعلم الجديد على نحو بدا معقولا للجميع، فقد كان يتناول كل صنف من الأهداف على حده- ولنقل مثلاً مطارات العراق- ويضع ورقة مستقلة يضع عليها الصورة الفوتوغرافية للتقدير «الموضوعي» للإصابة كما أورده المحللون، إلى جوار التقييم «الذاتي» الذي وضعه قسم الاستخبارات عندنا لقدرة العراق، على أساس المعيار الكلي الذي قمت بتحديدده «بسط التفوق الجوي». في هذه الحالة تعطى الصورة الفوتوغرافية للمحللين تقديراً يقول إن أضرار المطار معتدلة حسب المعطيات المتطورة، فالمدارج لم تدمر إلا بنسبة ٢٠ في المائة وأرض المطار لاتزال صالحة للعمل. إلا أننا كنا نعرف أيضاً أن طائرات القوة الجوية العراقية لم تعد تحلق، فالطائرات التي تحلق تتعرض للإسقاط أو أن طيارها يفرون بها إلى إيران، لذلك قام ضباط استخباراتنا بتقدير معيار السيطرة الجوية بنسبة ٩٥ في المائة. إن دمج القرائن الثبوتية على هذا النحو ساعدنا على التوصل إلى النتيجة البديهية: لقد قصفنا المطارات بما فيه الكفاية، وبوسعنا الانتقال إلى أهداف أخرى.

إن الابتكار الفذ الذي حققه توماس أنقذ حياة الكثيرين: وفر على الطيارين المجازفة بتنفيذ ضربات للزوم لها، وخفف عنا ضغط مختلف أجهزة المخابرات في واشنطن. أخيراً أوعزت له بأن يشرح هذا التكتيك الجديد إلى تشينى وباول، اللذين راحا يمتطرانا بوابل من الأسئلة المدققة عنه، ثم وافقا على أن القيادة المركزية كانت تعرف ماتفعل. وكانت وكالة المخابرات المركزية (سى. آى. آيه) هى الجهة الوحيدة التى ظلت تعارض،

فحتى عشية الحرب البرية راحت تقول للرئيس إننا نغالي مغالاة تامة بالاصابات التي أوقعناها بالعراقيين، ولو كان لزاماً علينا أن نقنع وكالة المخابرات المركزية بذلك قبل شن الهجوم، لكننا مانزال في المملكة العربية السعودية حتى يومنا هذا.

٤ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ١٨

الساعة ١٨,٤٥ أوضح ق.ع إلى رئيس الأركان أن الصحافة منزعة وتزداد عدائية، وأن مشكلة الصحفيين أن هناك ١٠٠٠ واحد منهم، ومع ذلك فإن حوالي ٧٥ منهم يحضرون إلى المجمع الإعلامي في أي وقت معين، أما البقية «٩٢٥ صحافياً» فيجلسون هنا أو هناك وهم يجأرون بالشكوى لاغير. ومما يثير الفضول أن أغلب رجال الصحافة منزعون من محطة (سى.أن.أن) لأنها تقدم تقارير غير دقيقة لمجرد أن تحقق سبقاً صحافياً.

٨ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ٢٢

الساعة ٩,٠٠ في ختام جلسة الإطلاع الصباحية، ضابط العلاقات العامة أخبر ق.ع أن اثنين من الصحفيين عبرا الحدود والتقيا ببعض المسلحين العراقيين، فأخذهم هؤلاء إلى نقطة تفتيش الحدود وسلموهما إلى المصريين كأسرى حرب.. كل ذلك من أجل الحصول على مقابلة صحافية.. تعليق ق.ع هو أن بعض الصحفيين قد يقتل، فحين ترى قواتنا عراقيين كاملي التسليح فإنها ستفتح النار قبل أن توجه أسئلة.

في الثامن من فبراير جاء تشيى وباول مبعوثين عن الرئيس بوش لتقدير ما إذا كانت الولايات المتحدة متهيئة لشن الهجوم البرى. حسب رأى كنا متهيئين، فعلى الطرف الشرقى من الحدود السعودية الكويتية كانت وحدات مشاة البحرية والوحدات السعودية بانتظار الأوامر بالتحرك، للإنقضاض على نقاط الهجوم، وعلى الطرف الغربى، الفيلق العربى - الذى يشكل المصريون رأس الحربة فيه - جاهز في مواقع تماماً. والفيلق السابع بإمرة فريد فرانكس على وشك إكمال نقلته الشاسعة من ألمانيا إلى مناطق التجمع التكتيكي قرب الجبهة، وسيكون قادراً في ظرف أيام على الانتقال إلى مواقع هجومية. أما على الجناح الغربى البعيد فقد حرك جارى لاك فيلقه الثامن عشر المحمول إلى مواقع الهجوم.

وضعنا خطة لإطلاع تشينى وباول على مدى ٨ ساعات كاملة، وقبل وصولهما جاء جون يوسوك ليقدّم لى موجزا عاما عن أوضاع الجيش الثالث.. كان همى الأكبر - بعد اصغائى إلى الموجز الذى قدمه - هو وضع الفيلق السابع. لم يكن عندى ريب فى أن هذا الفيلق سيتدبر أمر الوصول إلى خط البداية، وخطة مناورة هذا الفيلق ستنفذ المهمة التى أسندتها إليه، إلا أن الخطة بدت لى متناقلة الخطى وبالعلة الاحتراس، فالفيلق السابع يزعم التقدم ثم الوقوف، فإعادة التجمع والتقدم من جديد وهكذا.. كما كان قائد الفيلق الجنرال فرانكس يصر على أنه بحاجة إلى فرقة احتياطية لى يؤمن النجاح، وصرت كلما أمعنت التفكير يزداد القلق الذى يلغنى، فحين يأتى أوان اتخاذ القرارات فى ميدان المعركة لن أكون هناك معهم، فقد كنت أعتد اعتمادا مطلقا على المهارة والحساسية وملكة الحكم الفردية لدى كل جنرال. ولكن كان بوسعى أن أحدد الإطار الواضح للعمل، وأن أنقل نواياى الروحية التى أريد أن تنفذ بها الحملة. ذكرت يوسوك بأن الفيلق السابع لن يقاتل الجيش السوفيتى الجيد التدريب والتسليح الذى يفترض منه أن يجابهه فى أوروبا.. لا أريد سيادة ذهنية بطيئة غليظة ثقيلة.. لا أريد هجوما مترويا.. أريد من الفيلق السابع أن يضرب بعنف الحرس الجمهورى.. إن الجيش العراقى لا يساوى سوى نكير.. لاحقهم بجرأة وانزل عليهم كالصدمة.. خذهم على حين غرة.

ولما أوضح يوسوك أن فرانج قلق من أن الفيلق السابع لا يتمتع بالعدد أو القوة القتالية الكافية للنجاح فى الهجوم، ذكرته أن حملتنا الجوية تدك قوات العراق البرية وتفتت إرادة القتال لدى العراقيين. أكدت له من جديد: «دعنى أوضح الأمر يا جون.. لا أريد عملية طحن آلية بطيئة.. يجب أن نكون مرنين بما فيه الكفاية لاستثمار الفرص لحظة نشوئها. فالقضية ليست قضية تحقيق أهداف وسطية ثم التوقف لإعادة التزود بالسلاح والذخيرة، فإذا أبقيت الفرق واقفة فإنك ستقدم هدفا كبيرا للأسلحة الكيماوية وستخسر.. لا ينبغى أن يتوقف الفيلق السابع لأى سبب».

أجاب يوسوك أنه يفهم ذلك ويوافقنى الرأى.

توجهت للقاء تشينى وباول لحظة هبطت طائرتهما فى القاعدة الجوية فى الرياض مساء يوم الجمعة، وبدأنا جلسات الإطلاع فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى. بدأت

الجلسة بعرض تقديرات قيادات كل من هورنر ويوسوك، ووالث بومر، ونائب الأدميرال البحري ستان أرثر الذي خلف هانك ماوتس في منصب قائد قواتنا البحرية. أكد كل واحد منهم أن قواته جاهزة للهجوم، ثم أوضح بيرت مور ضابط عملياتي أن الجيش سوف يحتاج إلى ١٢ يوما من العد التنازلي لنقل بقية قواته إلى مواقع الهجوم، والقيام بعمليات الاستطلاع داخل العراق، وفحص ثغرات المرور في حقول الألغام والموانع. وقال موجهها كلامه إلى تشيني: «معنى ذلك يا سيدي أنك إذا أعطيتونا أوامر التحرك اليوم، فإن أقرب موعد نستطيع أن نهاجم فيه هو يوم الحادي والعشرين». سدد إلى باول نظرة مرحة، لقد تجاوزنا فسحة الهجوم التي أعطيتها له في ديسمبر «كانون الأول» بيوم واحد.

وبينما كان النهار يمضي، كان تشيني يجلس مفتونا، وقدم باجونيس عرضا يبين أننا أنجزنا مهمة النقل العملاق لقواتنا إلى الغرب خلال الأسابيع الثلاثة المقررة، وامتلا تشيني بالثناء. بعد ذلك قدم فرانكس وجريفيث أمر الفرقة المدرعة الأولى، وما كفى أمر فرقة المشاة الالية الرابعة والعشرين عرضا مسهبا للطريقة التي سينفذون بها مهماتهم، ورأيت أنها مثيرة لإعجاب الجميع باستثناء خطة فرانج التي كانت متأنية أكثر مما ينبغي، وقد أصر فرانج على أن يقول أمام الوزير ورئيس هيئة الأركان المشتركة إنه سيكون بحاجة إلى احتياطي.

والتمس تشيني المذرة في أن يتحدث مع باول ومعى على انفراد. ذهبنا إلى المكتب الصغير: «نورم، لقد استمعت إلى ما قاله رجالك، والان قل لي ما هي توصيتك».

«أرى أن نمضي في الهجوم البري الان، لن نكون أكثر استعدادا مما نحن عليه الان، فشبابنا مشحونون شحذا رائعا، وإذا انتظرنا أكثر فستتدن جاهزيتهم، علاوة على هذا إذا أخذنا في الاعتبار معدل ما نستهلكه من ذخائر فلا أدرى كم سيكون بوسعنا أن نواصل الهجوم الجوي. وبافتراض أن قصفنا قد أضعف الجيش العراقي إلى الحد الذي نريد، فإن الوقت الأمثل هو على الدوام الحد الأوسط من فبراير.

جلس تشيني هادئا يدون ملاحظاته على قصاصات ورق لاصق، بعد ذلك نظر إلى متسائلا «متى ينبغي أن نتحرك برأيك»؟

«يوم الحادى والعشرين، ولكنى أحتاج إلى فسحة حرة من ثلاثة إلى أربعة أيام لأننا نحتاج إلى طقس صاف لبدء الحملة». وكررت نقطة أثارها بومر: «الطقس الحسن ضرورى بوجه عام لمشاة البحرية الذين يمتلكون مقدارا محدودا من قطع المدفعية الثقيلة، ويعتمدون بالتالى اعتمادا كبيرا على الاسناد الجوى».

قال تشينى بهدوء «أبدأ تحضيراتك، سأنقل هذه المواعيد إلى الرئيس».

عدنا إلى قاعة الاجتماعات، حيث كان القادة العسكريون فى الانتظار. قال الوزير: «لم يسبق فى تاريخ أمتنا من قبل أن قامت القوات المسلحة الأمريكية بعملية أكثر نجاحا وكفاءة من عمليتك هذه». باول ردد صدى الفكرة ذاتها وأضاف: «لا أستطيع أن أصدق علو المنزلة التى أسبغتها هذه الأزمة ورد فعلها على بلادنا. هذه هى الطريقة التى ينبغى أن تتصرف بها القوة العظمى الوحيدة الباقية فى العالم».

انصرف الاثنان.. فى يوم الخميس اتصل باول من البنتاجون ليقول إن الرئيس بوش وافق على المواعيد، وقال إنه إذا قررت الولايات المتحدة وحلفاؤها شن الهجوم البرى فإن الموعد المحدد للهجوم متروك لنا: «تستطيع أن تتحرك فى أى وقت تشاء بعد الحادى والعشرين من فبراير. الدور عليك الان».

١٣ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ٢٧

الساعة ٠٩٠٠ جلسة الإطلاع الصباحية... الأولوية الجوية تعطى. لضرب الدروع والمدفعية فى مسرح العمليات الكويتى، وفرقة حمورابى للحرس الجمهورى ومواقع سكود وطلعات صيد للدبابات وأهداف فى بغداد. الطلعات الجوية لضرب الدبابات أبلغت ليلة أمس عن تحطيم ٨٥ عربة مدرعة، وفى الليلة نفسها عبر تسعة من أسرى حرب العراق خط الجبهة.. دخلت أيضا مجموعة من البدو مع ألف رأس غنم قاطع عمليات الفيلق ١٨ المحمول.

الساعة ١٨٠٠ رئيس الأركان أبلغ ق.ع أن هناك اهتماما إعلاميا مكثفا بقصفنا ليلة أمس للمجأ القيادة والسيطرة فى بغداد، وعلى حين أن هذه المنشأة كانت على قائمة أهدافنا منذ فترة طويلة وأكدت مرارا تقارير وكالة المخابرات المركزية والاستخبارات العسكرية، فقد كانت على ما يبدو مزدحمة بالمدنيين حين ضربناها بقذيفتين عند الساعة

«٢٠٠٤». أكد ق.ع لرئيس الأركان أننا ضربنا هدفا صحيحا وأننا سنبين تفاصيل هذه الأحداث للصحافة في جلسة الإعلام هذا المساء «البريجادير جنرال نيل قام بإطلاع الصحافة على ذلك، ورغم أن ذلك لم يخفف من استفساراتهم فقد بدا كما لو أن ذلك في الواقع هدف عسكري مشروع».

أخذ بومر يعيد النظر في خطته وما آله.. فقد حفر العراقيون على طول معظم الحدود الكويتية موانع محكمة تمتد الاف الياردات، بحيث يتوجب على بومر أن يقوم بالاختراق وهو تحت نيرانهم، فأولا سيواجهون حقول ألغام. مزيجا قاتلا من ألغام الافراد وألغام الدبابات، تأتي من بعد ذلك صفوف ضخمة من الأسلاك الشائكة: لفائف مركومة فوق لفائف من هذه الأسلاك، ومتداخلة تداخلا يتعذر معه فكها عن بعض، ومزروعة بألغام وقنابل مفخخة.. بعد ذلك تأتي حقول ألغام أخرى ثم تعقبها مصائد دبابات «وهي خنادق عميقة تحتاج الدبابات إلى جسور مؤقتة لعبورها» لتليها سواتر «مانع رملي يصعب تسلقة بارتفاع ٢١ قدما» وأخيرا ما يسمى بالاستحكامات النارية «خنادق طويلة مملوءة بالنفط لاستقبال المهاجم بحائط من اللهب». وتنتشر في أرجاء ذلك كله قلاع من الدبابات المختبئة في الموانع، والمتاريس التي يمكن للمشاة العراقيين إطلاق النار منها. ولعل مجمع الموانع هذا يصل إلى عمق ميل، وكان هناك مجمع موانع ثان بعد هذا المجمع الأول في معظم نقاط القاطع الذي يعمل فيه بومر. وكان غرض العراقيين من ذلك إبطاء وتيرة هجومنا ودفع مشاة البحرية إلى التجمع بكثافة، مما يسمح للمدفعية العراقية في المؤخرة بقصفهم أثناء محاولتهم إكمال الاختراق، وكان الحل الذي تقدم به بومر هو الإصرار على مضاعفة ضرباتنا الجوية للمدفعية والمواقع الأمامية العراقية.

وظل يراجع خطة معركته من أجل أن يستثمر نقاط الضعف والثغرات التي اكتشفتها دوريات الاستطلاع المتسللة وراء خطوط الجيش العراقي. ومع حلول يوم الخميس ١٤ فبراير قرر تغيير نقطة الهجوم الرئيسية إلى موضع جديد يقع على مبعدة ٢٠ ميلا إلى الغرب. لقد اختار قاطعا أرجع فيه العراقيون خطهم الأمامي إلى الوراء قبل بدء الحملة الجوية، ولذلك كان مجمع الموانع الأقرب للحدود مهجورا إلى حد كبير، في حين لم يكتمل مجمع الموانع الثاني الذي يقع خلف المجمع الأول بمسافة ١٠ أميال.

راجعت خرائطه ووافقته على أن التغيير التكتيكي الذي أجراه معقول، رغم أن ذلك سيكلفنا بضعة أيام، إذ يجب أن نغير مواقع قواعد الإسناد ونعيد تنظيم خطوط الإمداد، وعدلت موعد الهجوم البري بصورة مؤقتة إلى يوم الرابع والعشرين من الشهر.

لما اتصلت بـ «باول» كى أعلمه بالتعديل خاب أمله: «لا أحب أن انتظر كثيرا، فانريثيس يريدنا أن ننتهى من ذلك» وأوضح أن المبعوث السوفييتى يفجيني بريماكوف عاد لتوه من بغداد حيث كان يحاول التفاوض على انسحاب عراقى فى آخر دقيقة، ونحن لا نريد أن نعطي صدام وقتا إضافيا للفر والدوران، ولحسن الحظ لم يعد ثمة داع لقلق باول، ففي اليوم التالى قدم العراق عرضا بالانسحاب لا يزيد على ابتهالات المطالب القديمة ذاتها، ورفض التحالف العرض جملة وتفصيلا، واستمرت المحادثات السوفييتية العراقية لكن الرئيس وافق على منح مشاة البحرية الوقت الذى يحتاجونه.

١٤ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ٢٨

الساعة ١٥٢٠ مكالمة هاتفية من رئيس الأركان.. شىء واحد حاولنا إيصاله إلى العراقيين من خلال إسقاط المنشورات والبث بالراديو، وهو إرشادهم لمسار بترك وحداتهم، فأغلب الأسرى لا يعرفون أين خطوط الجبهة، ولكن ما إن بدأنا نعلن «سيروا باتجاه مكة» حتى ساعدتهم ذلك.

١٥ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ٢٩

الساعة ٩٠٠ جلسة الإطلاع الصباحية. الاستخبارات اطلعتنا أن الميول وسط أسرى العدو كالاتى: أغلبهم من قدامى المقاتلين فى الجرب الإيرانية العراقية ومتعبون من الحرب. إنهم يقدمون معلومات عن حجم الوحدة، مواقع حقول الألغام والمخابيء، ومعطيات تقدير الإصابات.. وهم جميعا يقولون إن عدد الفارين عبر الخطوط سيكون أكبر لولا حقول الألغام والحرس الجمهورى والخشية من الانتقام من عائلاتهم، ويقولون جميعا إنه حالما تبدأ الحرب البرية فإن أقرانهم سوف يستسلمون بأعداد غفيرة.

إنهم يفضلون الاستسلام للعرب، لكنهم سوف يستسلمون أيضا للولايات المتحدة.

في هذه الأثناء كان ستان ارثر - وهو أكثر الاميرالات الذين عرفتهم جموحا - قد دفع بثلاث حاملات طائرات إلى المياه الضحلة الضيقة من الخليج، حيث رفضت البحرية على الدوام أن تسمح حتى بمجيء حاملة واحدة. وكان ارثر يريد الآن أن يشن هجوما برمائيا على جزيرة فيلكا الكويتية كنوع من التمهيد للحرب البرية. أطلعني على اقتراحه مبينا أن البحرية ستكون بحاجة إلى عشرة أيام لتجهيز السفن اللازمة، وفي حين أن مثل هذا الهجوم من شأنه أن يفشل لأن الجزيرة محمية حماية جيدة. وأن الإصابات في رجاله قد تكون بالغة، لذلك أبلغته أن يقوم بالاستعدادات وينتظر أوامري اللاحقة بعد أسبوع من زيارة تشينى وباول. مر على طاولة مكتبي أمر من ارثر موجه إلى سفنه لاتخاذ وضع الهجوم.. كان من شأن هذا العمل المكتبي الورقى أن يكون حسنا لولا أنه كان مختوما بعبارة أمر للتنفيذ وهذا يعنى بلغته العسكرية «سوف نهاجم» اتصلت تليفونيا بستان على عجل وقلت له: لا أنا أعطيتك ولا البيت الابيض اعطاك الاذن بالهجوم ما الذى يجعلك تعتقد أن باستطاعتك تجاوز الأوامر؟

اعترض قائلا «الواقع إنه مجرد أمر حركة».

كان عليك أن تختم الأمر بهذه العبارة اذن وقلت له: إن الفوضى قد تؤدي إلى مقتل البعض» إنك تستطيع أن تحرك سفنك إلى الموضع المطلوب ولكنك لا تستطيع أن تشن هجوما برمائيا بدون إذن منى».

في هذه الأثناء كشف الفحص الطبى أن يوسوك مصاب بذاء الرئة.. ذهب إلى المستشفى في الساعات المبكرة ليوم الرابع عشر، ولكن بعد ثلاثة أيام جاءنى إلى غرفة الحرب الطبيب روبرت بليهار، رئيس الجراحين في القيادة المركزية وقال «اخبار سيئة.. عدا الرئة فإن الجنرال مصاب بتقرحات في المثانة». وكان الاطباء يوصون بجراحة فورية.

وجهت إليه بضعة أسئلة.. قال الدكتور بليهار: إن يوسوك يحتاج إلى البقاء ٣ إلى ٤ أيام في المستشفى على الأقل واقترحت اجلاء جون إلى ألمانيا لأنى كنت اعرف أن زوجته بيتا هناك باقية مع ابنتها، وهذه الابنة متزوجة من كابتن في الفرقة المدرعة الثالثة وهو الان في الخليج.. فكرت لحظة ثم التفت إلى «والر» الذى كان يضغى إلى الحوار قلت.. كال

أريدك أن تتولى قيادة الجيش الثالث اعتباراً من اليوم ستكون أمراً بالوكالة حتى إشعار آخر. وإذا تماثل جون للشفاء وسمحت له الظروف فسيعود إلى القيادة.

قال ببساطة «نعم سيدي» وغادر غرفة الحرب كنت أعرف «كال» ولذلك كنت موقناً أنه قبل انقضاء النهار سيكون في الميدان متلقياً تقارير الاطلاع من ضباط فيلقه، مغيراً كل ما لا يعجبه، مضيفاً على الأشياء كلها - عموماً - قوة التوثب. وكنت واثقاً من أن هذا التبديل في القيادة لن يؤخر خطط الهجوم.

بعدها ذهبت لرؤية «يوسوك» كان مطروحاً على ظهره في غرفة خاصة، في مستشفى وزارة الدفاع والطيران السعودية وهي منشأة فائقة الحداثة أضيف الطاقم الطبي الأمريكي إلى طاقمها الأصلي لمعالجة إصابات القتال بدأت بالقول «الاطباء يقولون إنه يجب إجراء جراحة عاجلة يا جون». وتحدثنا عن حالته الصحية وواقع أنه سيكون خارج القيادة لفترة من الوقت.. ثم رحت أرفق النبا، «وضعت «كالوالر» في مكانك هناك سيكون قائد الجيش الثالث حتى عودتك». لم ينبس يوسوك بكلمة، سألت الدموع على خديه.. كنت أدرك ما يعانيه في تلك اللحظة. لقد كان هنا منذ أغسطس «اب» وكنا على وشك البدء بأكبر حملة عسكرية وكان يفترض أن يقود ذلك كله، وبغته لم يعد بمقدوره أن يكون هناك، وأضفت بأكبر قدر من الرقة «أريدك أن تدرس مسألة ذهابك إلى ألمانيا للجراحة أنت مدين لزوجتك بيتا بذلك سنعيدك بأسرع ما نستطيع». وافق يوسوك على مضض وجرى إجلاؤه طبيياً في طائرتي النفاثة عصر ذلك اليوم.

في الفواصل الواقعة بين أزمة وأخرى كنت باستمرار أدرس الخرائط وعروض شاشات الكمبيوتر في غرفة الحرب متصوراً بعين الخيال كيف ستسير الحملة.. أخيراً وصلتنا مؤشرات تنبئ أن قوات الخط الأمامي العراقية توشك على الانهيار فاعداد الجنود المتسللين - بهدف الاستسلام - يرتفع كل يوم حتى الضباط بدأوا يسلمون انفسهم وكانت طائرات تحلق ليل نهار لتقصف وتدمر المواقع العراقية بمعدل يفوق ٨٠٠ طلعة كل ٢٤ ساعة وهناك لوحة حسابات معلقة على الجدار في غرفة الحرب تبين اننا قد دمرنا ٣٥ في المائة من الدبابات العراقية، و٣١ في المائة من عرباته المدرعة الاخرى، و٤٤ في المائة من قطع مدفعيته بالتمام. وهناك لوحة أخرى عن مواقع العدو معلقة بجوار لوحة الحسابات تحمل لصائق صغيرة تمثل الوحدات العراقية على طول

خطوط الجبهة وقد تحولت من اللون الاحمر إلى اللون الاخضر، مما يشير إلى أن الوحدات قد استنزفت بالقصف إلى ٥٠ في المائة، أى أقل من قواها الاصلية أما الوحدات الواقعة على خط الدفاع الثانى فاللصائق عليها كلها تقريبا من اللون الاصفر الضارب للحمرة، معنى ذلك أنها تتمتع بـ ٧٥ في المائة من قواها أو أقل.

كنت أعرف أننا قد هزمناهم، ولكنى ما كنت أعرف إلى أى مدى ستكون الحرب البرية دامية فكنت استدعى فى مخيلتى عشرات السيناريوهات التى يمكن للعراقيين فيها أن يجعلوا نصرنا باهظ الثمن وكنت كثيرا ما أحذر ضباط أركانى «حتى لو اخذنا أكثر الجيوش تضعضعا بالقصف فى العالم فإنه إذا اختار الصمود والقتال فإنه سيوقع بكم الخسائر، وإذا اختار اغراقكم بالاسلحة الكيماوية فقد يربحون الحرب» فى الماضى استخدم صدام غاز الاعصاب وغاز الخردل ومواد مسممة للدم فى المعارك ورغم أنه لم يطلق قذائف كيماوية على الخافجى إلا أننى كنت ماأزال اتوقع أن يفعل العراقيون ذلك حينما نبدأ الهجوم. وكان الكابوس الذى يلاحقنى هو أن وحدتنا التى تضرب الموانع فى ساعات الهجوم الأولى قد تعجز عن اختراق هذه الموانع وتعرض عندئذ لوابل من القصف الكيماوى.. لقد زودنا الجنود بمعدات وقائية ودربناهم على القتال ضد هجوم كيماوى ولكن هناك دائما خطرا أن يدوروا حول انفسهم فى حالة من الفوضى أو الانكى من ذلك أنهم قد يفرعون، فالولايات المتحدة لم تخض معركة غازات منذ الحرب العالمية الأولى واحتمال وقوع اصابات واسعة من جراء السلاح الكيماوى هو السبب الرئيسى لإقامة ٦٣ مستشفى ميدانيا، ومستشفين عائمين «على سفن» و١٨ ألف سرير فى منطقة الحرب.

وخشيت أيضا من منطقة الفراغ الكبير جنوب العراق حيث سيشن الجيش هجومه ورحت أسائل نفسى ما الذى يعرفه صدام عن ذلك الجناح ولا اعرفه أنا» لماذا لم يضع أى قوات هناك؟ المح ضباط الاستخبارات - ارتجالا: لعله يخطط لضربه نووية هناك، ثم اطلقوا على ذلك القاطع لقب «كيس القتل الكيماوى»، وكنت أجفل كلما سمعته وكنت اتخيل كابوسا اخر ارى فيه فريد قرانكس وجارى لاك وهما يدخلان هذه الرقعة لا لشيء إلا ليدعا العراقيين يفرقونهم بكميات هائلة من المواد الكيماوية بينما يقوم الحرس الجمهورى بالهجوم المضاد ويضعنا فى مأزق قتال لا حراك فيه وازدادت

سرعة اهتياجي.

وحتى يكتمل تعقيد الأمور كان علينا الان أن نرضى بوجود أكثر من ١٣٠٠ مراسل صحافي في منطقة الحرب وهنالك على الدوام ١٨٠ منهم في المجمعات الاعلامية الخاصة بالخطوط الامامية. وذات ليلة من ليالى مطلع فبراير فتحنا التلفزيون على محطة سى.إن.إن لمشاهدة مؤتمر صحافي في البيت الأبيض، وقبل أن يبدأ المؤتمر جرى عرض ريبورتاج حى من مجمع معلومات المراسلين مع القوات وقالت المراسلة بأنفس مقطوعة: لقد جرى على التو تبادل كبير للقصف المدفعى في مكاني بين الفرقة المحمولة ٨٢ والعراقيين.

صرخت «يا ابنة العاهرة» إن الفرقة المحمولة ٨٢ هي الفرقة الأمريكية المتغلغة في أقصى الغرب وأى ضابط استخبارات عراقى متوسط الكفاءة يستطيع بسهولة - بعد مشاهدة محطة سى.إن.إن - أن يدون الوقت وأن يطوف بقواته ليكتشف بدقة أن الفرقة المحمولة ٨٢ تتمركز لهجوم على الجناح - وهى حقيقة تجشمنا عناء كبيرا لاختفائها طوال الاسابيع الثلاثة الماضية - وقام الكابتن رون ويلدرموث، رئيس قسم العلاقات العامة في القيادة المركزية بالاتصال بضباط العلاقات العامة في الفرقة وقال لهم «أنتم ايها الرجال يفترض أنكم تفرضون رقابتكم على هذه التقارير».

«كان هناك ضابط مرافق يقف إلى جوار المراسلة، وقد صدم شأنه شأن غيره.. ولكن حين نطقت المراسلة بالخبر، انتشر فوراً عبر الاقمار الصناعية، وليس في مقدور احد أن يعيده».

بعد بضعة أيام صدر عدد من مجلة نيوزويك يحمل خارطة تصور - بالدقة التامة على وجه التقريب - خطة الهجوم على الجناح.. اتصلت بباول: هذه نتانة - لقد نشرت نيوزويك توا كامل خطة المعركة والان بوسع العراقيين أن ينقلوا سلاحا كيمياويا إلى تلك المنطقة ويغيروا وجهة دفاعاتهم بالكامل».

حذرني باول «لا تنفعل أكثر من اللزوم فهذه المجلة في الاكشاك منذ اسبوع وهناك مجلات أخرى مليئة بالخرائط التى تصور خططنا للمعركة أنهم يقدمون تخمينات لا أكثر». كان محققا فتقارير استخباراتنا في الايام التالية لم تحمل أى اشارة على تغير في

مواضع القوات العراقية.

١٨ فبراير ٩١ يوم الهجوم + ٣١

الساعة ٩٠٠ جلسة الإطلاع الصباحية.. وقعت الحوادث التالية خلال الاربع وعشرين ساعة الماضية.

— احد افراد مشاة البحرية في وضع صحى خطير بسبب جرح نارى في الرأس مسافة اطلاق النار — خطأ — هى ٥٠٠ متر.

— سقوط طائرة هليكوبتر «تحطمت الطائرة».

— حادث اطلاق نار بالخطأ من بندقية م — ١٦ جرح اثنان.

— تحطم شاحنة للجيش وفاة واحد.

— تحطم شاحنة للجيش حمولة ٥ أطنان وفاة واحد.

— تحطم شاحنة صغيرة للجيش وفاة اثنين.

— جرح نارى في الرأس أدى إلى وفاة «وصف هذا الحادث على أنه إثر قيام ملازم بتبيان قوة آلية الامان في مسدس عيار ٥٥ للمجتمعين من حوله ووضع المسدس على صدغه وضغط على الزناد فقتل نفسه».

— رافعة شوكية للبحرية سقطت من فوق دعامة جسر، غرق واحد.

الساعة ١٧٢٠ مكالمة هاتفية مع رئيس الاركان ق.ع قال: إن يوم أمس كان فظيحا من ناحية الحوادث — ابتداء بضباط من الفيلق الطبى يفقد السيطرة على شاحنة حمولة ١٥ طناً ويتسبب في وفاة اثنين، وانتهاء بملازم من البوليس الحربى يضع مسدسه عيار ١٥ على صدغه ليظهر آلية الامان ويقتل نفسه وكان كل الأمرين هنا قد جنوا.

بدأ التوتر يتنامى فعلاً وأخيراً يوم الاثنين ١٨ فبراير.. فأولاً اتصل بأول قائلاً «يقول مجلس الأمن القومى إننا قد نحتاج إلى الهجوم في موعد اقرب، هل لك أن تعلمنى غدا إذا كنت تستطيع أن تدبر ذلك؟» كان يتحدث بتلك النبرة المحكمة الوجيزة التى تنبىء أنه واقع تحت ضغط الصقور بعد ذلك شاهدنا — اركانى وأنا — التقارير

الاجبارية عن آخر مبادرة سلام سوفيتية.. وزير الخارجية العراقي طارق عزيز قابل ميخائيل جورباتشوف في موسكو وعاد بمشروع سلام إلى بغداد.

كنت أشعر باختمار مواجهة أخرى مع واشنطن و اردت أن اقدم اكبر دعم ممكن إلى باول. لذا رحت في الصباح التالي اسأل ضباطي إن كنا نستطيع تقريب موعد الهجوم يومين.. في غضون ذلك كانت فصائل استطلاع بومر تجوب الاراضي الخالية مستكشفة الممرات من خلال الموانع.. اجابني بومر نستطيع إذا كنت تريدنا أن نفعل ذلك إلا أننا سنتعرض لجحيم خسائر أكبر». لم يكن للخسائر الاكبر من معنى وقال الضباط الكبار الآخرون أنهم بحاجة إلى الوقت الذي وعدناهم به لذا قررت أن اقول لباول «متأسف.. الثاني والعشرون خارج المدى وهو أصل التخطيط للرابع والعشرين».

ولكن حين اتصل بالتليفون بدأ أنه يحمل في ذهنه فكرة أخرى مغايرة تماما قال «إن مبادرة السلام قد تتحقق في الواقع» ووصف المناورات الجارية وراء الكواليس، حمل طارق عزيز إلى بغداد اقتراحا بأن ينسحب العراق من الكويت فورا وبدون قيد أو شرط ويبدأ الانسحاب في اليوم التالي بعد وقف إطلاق النار بحيث يضمن للمنسحبين العراقيين ألا نطلق النار عليهم ويستكمل الانسحاب في فترة زمنية محددة ينبغي التفاوض عليها. وقال باول: إن واشنطن ابلغت السوفييت أن الخطة بناءة إلا أنها لا تلبى عددا من بنود قرارات الأمم المتحدة، مثل إلغاء قرار ضم الكويت للعراق وأن عاصفة الصحراء ستظل مستمرة الآن. وفي غضون ذلك - حسب قول باول - كانت وزارة الخارجية تدفع باتجاه خط أكثر تشددا.. إنهم يطالبون باستسلام غير مشروط.

قلت له «أنتم بحاجة إلى مستعرب كي يدرس المسألة يبدو أن رجال وزارة الخارجية الأمريكية يفكرون مثل الأمريكيين فهذا النوع من الإنذار النهائي لا ينسجم مع العرب سيفضلون الموت أولا».

وتحدثنا عن المضامين العسكرية للانسحاب وعبرت عن مشاعر متضاربة. كنت

أعرف أن أية تسوية تترك قوات صدام المسلحة بدون مساس ستكون غير مرضية لحلفائنا العرب. مع ذلك إذا استطعنا أن نفرض على صدام القبول بانسحاب مهين فقد نتمكن من اقناعهم بتقبل خطتنا وقلت لباول إن المسألة في النهاية مسألة خسائر في الأرواح ولعلنا فعلاً قد انزلنا بالعراقيين خسائر بالأرواح تصل إلى ١٠٠ ألف بكلفة ١ : ٠ قتيل من طرفنا، فلماذا نغامر بانزال خسائر أخرى بالأرواح قوامها ١٥٠ ألفاً على الجانب العراقى مقابل خسارتنا ٥ الاف قتيل؟ قد نخسر هذا العدد في أول يومين من الهجوم وذكرته بأننا قد انزلنا اضراراً فادحة بماكنة الحرب العراقية وإذا ما سمحنا لصدام بالانسحاب سريعاً، فإننا سنرغمه على أن يترك الكثير من دروعه ومعداته الأخرى.

وافقنى الرأى قائلاً «إذا انسحبوا من الكويت فهذا نصر لنا» ثم غير موضوع الحديث فجأة وسألنى عن إمكانية شن الهجوم في موعد أقرب.

بدأت بالقول. اعرف أنك لا تبحث عن هذا الأمر واخبرته اننا نواصل خطة الهجوم في اليوم الرابع والعشرين، زد على هذا قلت له أننا قلقون من الطقس، فالتنبؤ الجوى بعيد المدى يتكهن بعواصف في ذلك اليوم. لذا فإن الموعد قد يصبح أبعد قليلاً.

خاب أمل باول «سأنقل فحوى الرسالة لكننا قد نؤمر بالهجوم على أية حال».

لما علقت سماعة التليفون كنت أغلى من الغيظ ودعوت كامل أركانى للاجتماع وقلت «أريدكم جميعاً أن تعلموا ما يجرى ثم رحت ألخص فحوى المبادرة السوفيتية. لو كان الأمر بيد هؤلاء العسكريين المخضرمين الموجودين في غرفة الحرب لاهتزوا طرباً لرؤية صدام يوافق على وقف إطلاق النار ومغادرة أرض المعركة، لا لأن احدا منهم يصدق أنه سيفعل ذلك وجفل الجميع لما وصفت رد واشنطن.. فبوب جونستون - الذى كان ابنه على الخطوط الامامية للجبهة - هز رأسه قائلاً «إن السوفييت يتحدثون عن توفير ما نطلبه بالضبط أما نحن فنرفض عرضهم دون كلام».

حملت الاربع والعشرون ساعة اللاحقة أربع مكالمات أخرى من «باول» طلباً للمزيد

من التفاصيل عن سبب عدم قدرتنا على شن كل الهجوم أو جزء منه في الحال. وفي نقطة معينة عقدنا - هو وأنا وتشيني - ما يشبه المؤتمر التليفوني جادلت فيه من جديد «إننا لن نكسب شيئاً من الواجهة العسكرية. إن جيش صدام يتفكك وأن الوقت يعمل لصالحنا». لقد كان تشيني واحداً من اشترس مقاتلي الحرب الباردة أيام عمله في الكونجرس وكنت أحس أن تدخل موسكو يثير انزعاجه وقال متذمراً: «لا أفهم لماذا يجب أن يتدخل السوفييت أصلاً».

أجبتة لاجل ما يستحقه الأمر. إن صداماً مضطراً للتحرك من خلال وسيط لأن هذه هي الطريقة التي يعقد بها العرب الصفقات. إنه لن يفاوض مباشرة، وبالتحريك عن طريق الوسطاء ينقذ ماء وجهه وبعد ذلك يستطيع - مهما كان مضمون ما قبل به - أن يزعم أي زعم يشاء لأنه يتحدث مع عدوه».

٢٠ فبراير ٩١ - يوم الهجوم - ٣٤

الساعة ١٩٠٠ - جلسة الاطلاع المسائية حين أبلغ عميد الشرطة الحربية أن العديد من معسكرات أسرى الحرب لا تتوفر فيها الشروط بسبب عدم توفر مرفق صحي واحد لكل ٢١ شخصاً طبقاً لمعاهدة جنيف، رد ق. ع - مع بغضه لهذا القول - فإن علينا دعوة الصليب الأحمر الدولي إلى مقر قيادتنا أيضاً لأن مقر القيادة لا يستوفي هذه الشروط أيضاً.

كان الضغط المتزايد علينا لشن الحرب البرية مبكراً يسوقني إلى الجنون كنت أستطيع أن أخمن ما يجري وأحس أن تشيني وباول واقعان بين كفى رحي لا بد أن هناك فصيلاً من الصقور في واشنطن لا تريد وقف الحرب حتى معاقبة صدام.. لقد دأبنا على قصف العراق أكثر من شهر، لكن ذلك لا يكفيهم، هؤلاء الناس شاهدوا فيلم «حون وان» البيريهات الخضراء وشاهدوا فيلم «رامبوا» وشاهدوا فيلم «باتون» لذا كان من اليسير عليهم أن يضربوا طاولاتهم بجمع اليد ويقولوا «قسماً بالله يجب أن ندخل عليهم ونركلهم في القفا.. يجب أن نعاقب هذا ابن العاهرة» وبالطبع فإن أحداً منهم لن يتعرض لاطلاق خرطوشة ولن يتوجب على أحد منهم أن يجيب أمهات وأباء الجنود ومشاة البحرية القتلى.

تلقينا أواتهر يوم الأربعاء تنبؤا جويًا أتهر، طقس سيء يوم الرابع والعشرين
وسبىء يوم الخامس والعشرين مع فترة من طقس حسن ابتداء من يوم السادس
والعشرين. وجادل قادة الوحدات قائلين إن علينا إرجاء الهجوم. لم يصدر ذلك عن
بومر وحده بل عن «بى» أيضاً الذى كانت فرقته فرقة الهجوم الجوى ١٠١ بحاجة إلى
طقس حسن للتحرك بالهليكوبترات وكان لزاماً على أن اقنع باول فى محادثة فضلت أن
أجريها بعيداً عن أنظار أركانى. فلم يكن من الإنصاف ولا من المناسب أن أميط اللثام
أمامهم عن الخلاف الحقيقى الذى كنت موقناً أنه سينشب بين اثنين من قادتهم لذا
تركت موقع القيادة واتصلت من غرفتى الصغيرة أتهر المشى وما إن قلت لباول هناك
مشاكل طقس حتى استبد به القلق.

«لقد سبق أن أبلغت الرئيس بوش بموعد الرابع والعشرين فكيف أستطيع أن أعود
إليه وأقول له أن الموعد هو يوم السادس والعشرين؟ أنك لا تقدر مدى ما تعرض له من
ضغوط.. لدى هنا حشد كامل من الناس ينظرون جميعاً إلى الاقتراح الروسى
والاضطراب يساورهم.. رئيسى يريد الانتهاء من ذلك، ووزيرى يريد الانتهاء من
ذلك.. ونحن بحاجة إلى الانتهاء من ذلك أيضاً.

استبد بى القلق أنا الآتهر لا أحاول بذلك أن أكون حماراً حكيماً، ولكن ماذا لو
هاجمنا يوم الرابع والعشرين وشن العراقيون هجوماً مضاداً تعرضنا لخسائر كبيرة
لأننا نفتقر إلى الاسناد الجوى الكافى؟ أما أنت فلنك لا تريد - لأسباب سياسية - أن
تدتهل على الرئيس وتقول له إن عليه إن يمتنع عن القيام بشىء لأنه غير حصيف
عسكرياً؟ حبا بالمسيح يا كولن ألا تفهم؟ لقد جاءنى قائد قوات مشاة البحرية وقال إننا
بحاجة إلى أن ننتظر، أننا نتحدث عن حياة جنود مشاة البحرية.

صاح قائلاً: لا تزايد على بالحديث عن الحياة البشرية. كانت تلك أول مرة أسمع
باول وهو يفقد أعصابه، كان باول مزرقاً من الغضب.. وماذا تفعل أنت الآن؟ تجلس
هناك أمام كل ضباطك مستعرضاً نفسك بمباهاة وأنت تتحدث إلى بهذه الطريقة.

شبت نيران غضبى أنا الآتهر، لأننى تركت مكتبى حتى أضمن إجراء المحادثة على
انفراد: إننى لا أقوم بذلك ولست غادراً بك.. ما أحاول قوله هو إننى أتعرض للضغط

مثلك أيضاً فكبار ضباطى يقولون لى أن أنتظر وكان الوزير تشينى جالسا هنا بالضبط حين قال الجنرال بومر أنه يحتاج إلى أربعة أيام من الاسناد الجوى، لكى ينجح فى هجومه ولكنك تضغط على حتى أضع جانباً اعتباراتى العسكرية اكراماً للمغانم السياسية لقد كان هذا هو شعورى منذ وقت طويل. كنت أحاول أن أحافظ على نبرة صوتى مستقرة بلا تهديدات، ولكن الحظ لم يحالفنى كثيراً.. أحياناً أشعر بأننى بين فكى كماشة — كأن رأسى ينضغط بين فكى كماشة لعلى فقدت رشدى لعلى فقدت موضوعيتى لكنى لا أعتقد ذلك.

فى غضون ذلك كان باول قد هدأ تماماً فقال لى «لا، لا، لا، لم تفقد رشذك لم تفقد شيئاً ثقّتى بك كبيرة».

قلت أننى أعرف من أين تنطلق أنت، ولكنى أريدك أن تعرف من أين أنطلق أنا سأواصل مراقبة الوضع هنا عن كُتب وسأواصل اطلاعك عليه واتفقنا على ضرورة أن نواصل العمل معاً، ثم أضفت بنبرة رسمية وبالطبع فإننى على أهبة الاستعداد لتنفيذ ما هو ضرورى.

أجاب: «سأنقل توصيتك إلى الوزير».

«شكراً سيدى هذا كل ما أرجوه، فى الواقع هذا أكثر مما أستطيع أن أرجوه».

بعد نصف ساعة من ذلك غير المتنبئون الجويون — وهذا أمر طبيعى — رأيهم، وأن الطقس فى يومى الرابع والعشرين والخامس والعشرين لن يكون سيئاً.. بعد كل شيء اتصلت بـ (بومر) الذى تسلم التنبؤ الجوى بنفسه قال لى: أود التحرك أيضاً يوم الرابع والعشرين استوضحت الأمر من «والر» الذى قال ببساطة نحن جاهزون.. عدت إلى الاتصال بـ «باول» قائلاً: «لدى أنباء حسنة الطقس تغير.. بلغ الجميع أن يوم الرابع والعشرين هو يوم التحرك».

لم يكن أمام مبادرة السلام أى نصيب من النجاح فصيغة المشروع السوفييتى الذى قبله صدام تدعو إلى وقف إطلاق نار فورى ورفع عقوبات الأمم المتحدة حال سحب العراق ثلثى قواته من الكويت — وأعطى المشروع فسحة ستة أسابيع كاملة للانسحاب أرسل إلينا باول نسخة من المشروع بالفاكس فى الثانية من فجر يوم الجمعة.

وسألني - وهو يعرف تماما ماسيكون عليه ردى - «مارأيك».

«هذا هراء أن نعطيه ستة أسابيع للانسحاب حتى يحزم كل سلاحه ويعود أدراجه قائلاً للجميع. إنه تحدى الولايات المتحدة ويظل مع ذلك يحوز مايكفى من القوة لتهديد جيرانه أنه كابوس للعرب».

كان مجلس الأمن القومي على وشك الانعقاد وضعنا - باول وأنا - توصية للمجلس اقترحنا أن تعرض الولايات المتحدة وقف اطلاق نار لمدة أسبوع، وهذا وقت كاف لصدام كى يسحب جنوده لا تجهيزاته ولا معظم معداته المتمترسة في تحصينات أو معطوبة. واقترحنا أيضا أن تدتهل قواتنا إلى الكويت فيما العراقيون ينسحبون بحيث نظل في أعقابهم لنستولى على الترسانة وندمرها قلت لباول «سينفع ذلك ولكن لا أظن أن العراق سيقبل الصفقة».

لم يكن باول يريد ولا كنت أنا أريد من قرار أعماقنا، هذه الحرب البرية واتفقنا أنه لو استطاعت الولايات المتحدة أن تحصل على انسحاب سريع، فإننا سنحث قادة بلادنا على القبول، ورغم أننا لن نكون بذلك قد هزمنا صداما في ساحة المعركة، فإن انسحابا سريعا في ظل الظروف القائمة سيكون هزيمة للعراق في نظر العالم، بما في ذلك العالم العربى وسنكون عندئذ قد انجزنا ذلك دون أية تهسائر إضافية في الأرواح من جانبنا.

٢٢ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ٣٦

الساعة ١٩٠٠ - جلسة الاطلاع المسائية - قادة العراق يبلغون جنودهم الاستعداد لحرب كيمياوية لأن الأمريكان سيستخدمون السلاح الكيماوى ضددهم أنه نفس الأسلوب الذى استخدموه في الحرب مع ايران حين لجأوا إلى الكيماوى.

لدى سماغ (ق. ع) أن أتهر لواء مدفعية قد التحق بالفيلق السابع قال إن العدو فقد السيطرة وأننا في وضع مؤهل للهجوم عليه وتدميره، فلقد التفقنا حول موقعه بجلاء، وينبغى لكل من في هذه الغرفة أن يفخر بذلك - إن مائة بالمائة من قواتنا ليس فقط في مسرح العمليات، بل في الموضوع المطلوب تماما.

مساء الجمعة ٢٢ فبراير أدرنا مفتاح التليفزيون في غرفة الحرب لمشاهدة الرئيس بوش يعلن إنذاره النهائى، إما أن يتسحب العراق انسحابا شاملا غير مشروط بموعد

أقصاه ظهر السبت أو يواجه حرباً برية.

عندئذ، كنا نعرف بالضبط ماهية هذه الحرب البرية وعلى حين أنى أعطيت التوجيهات إلى قادة الوحدات كي أتأكد من أنهم سيتوقفون فوراً إذا دعت الضرورة (قلت لهورنر لا يمكن أن نتحمل أن تضربهم طائرات ب — ٥٢ إذا كانوا ينسحبون)، فقد كنا نسير باتجاه الهجوم صباح الأحد.

كان مقعد بوب جونستون شاغراً فقد أذنت له بالتحليق إلى تهطوط الجبهة لقضاء الليل مع ابنه، ولكن جون يوسوك كان يجلس بجانبى حيث جاء لدهشة الجميع إلى غرفة الحرب في الليلة السابقة، وقال: «إننى حاضر لأداء الواجب سيدي وأصر على أنه مهين لمواصلته قيادة الجيش الثالث».. ارتبت في أن يستطيع انسان ما أن يقف على قدميه ثانية بعد ثلاثة أيام من إجراءاته عملية جراحية كبرى، أمعنت النظر فيه فوجدت الشحوب بادياً عليه قلت أجلس هنا تماماً أريد أن أتابع وضعت الصحى ليومين، وهكذا كان يوسوك الآن في موضع والر القديم بوصفه نائب القائد العام بالوكالة، وأتهدى ليل على طوال ساعة لكي يعود إلى قيادة فيلقه.. هراء ياريس إننى بخير متى تسمح لى بالعودة.

وأروح أنظر إليه من زاوية عيني وهو يقف.. أترى أيها المكثرون من الألم مازلت تتلوى من الأوجاع؟

— كلا ليست بى أوجاع أستطيع أن أقوم بواجبى.

في صباح يوم السبت وأمامنا أقل من أربع وعشرين ساعة للانتقال إلى الهجوم، قررت أن «يوسوك» على حق. رد على ذلك أنه كان يثير أعصابى بالحاحه. كان جون في أفضل أحواله انساناً كئيب المظهر، أما الآن فقد كان يبدو كمن فقد آتهر الأصدقاء.. قلت طيب، طيب كفك الحاحا. عد وتسلم مهام القيادة.

اتصلت بـ «كال والر» وأتتهرتة، وكان «كال» يعرف أن إعادة يوسوك إلى مكانه قرار صائب فهذه قيادته وهذا أركانه في كل حال، إلا أن كال نفسه كان يتقد حماسة لقيادة كل الثلاثمائة ألف جندي في الهجوم، ولذلك أصيب بخيبة أمل شديدة. ولما عاد إلى مقر القيادة رأيت أننى قد غيرت وجهاً عبوساً بآتهر أشد عبوساً.

في هذه الأثناء ألغيت الهجوم البرمائى للبحرية على جزيرة فيلكا؛ نظراً لأن يوم الهجوم البرى يحوم حولنا.. فالخطط تقضى أن يأتى هذا الهجوم قبل الحرب البرية بيومين إلا أن حاملة طائرات الهليكوبتر الأمريكية «تريبول» والبارحة الأمريكية «برنستون» الحاملة لصواريخ (ايجس) الموجهة اصدمتا بالغام.. فكاسحات الألغام الأمريكية والبريطانية لم تتمكن من تطهير المنطقة والنتيجة أن قطع البحرية لم تتموضع في مواقعها المطلوبة لشن الهجوم في الوقت المحدد.

٢٣ فبراير ٩١ - يوم الهجوم + ٣٧

الساعة ١١٠٠ - اجتماع مع الجنرال أبو شناف رئيس أركان القوات المسلحة المصرية أبوشناف أتهر (ق. ع) أن المصريين مستعدون للهجوم، ويجب أن نمحض الثقة الكاملة لقدرتهم على الهجوم. ق. ع أكد لأبى شناف أنهم إذا واجهوا مصاعب فإن تحت تصرفه كلا من فرقة الفرسان الأولى والفرقة المدرعة الأولى البريطانية.

حشدت الآن آلاف الدبابات والعربات المدرعة - أمريكية وعربية وبريطانية وفرنسية - على الحدود في تشكيلات قتالية، فيما راح الجنود يتلقفون أية فرصة للنوم في عرباتهم أو على الرمل في العراء، ويتناولون الوجبات الجاهزة إن كان لديهم بعض شهية، أما المواضع التى كنا نزمع اتهاق الموانع فيها فقد تقدم جنود الهندسة إلى الطليعة بحفاراتهم المدرعة ودبابات البلدوزر. ووقفت قوافل شاحنات الوقود والذتھائر تهلف التشكيلات القتالية مستعدة للسير في أعقاب الأرتال إلى المعركة، وتقدمت مدفعيتنا إلى الأمام آلاف من الهاوتز والمدافع الأتهرى مع ملايين الارطال من أكداس الذتھائر جاهزة لقصف تمهيدى شامل يدك المواقع العراقية طوال الليل. أما على الجهة الغربية البعيدة فإن فرقة الهجوم الجوى ١٠١ ترسل دوريات الهليكوبتر في عمق العراق لاستكشاف مناطق الهبوط للهجوم.. وإلى الشرق شقت البارجة «ميسورى» طريقها إلى الساحل الكويتى مسددة مدافعها العملاقة من عيار ٦ بوصات إلى الوحدات العراقية استباقاً لهجوم السعوديين ومشاة البحرية، وبلغت الضربات الجوية للتحالف

على امتداد الخطوط العراقية ذروة الجموح. فقد نظم تشاك هورنر ٩٠٠ طلعة عشية الهجوم. كان الطقس في منطقة الحرب صافياً باستثناء شرق الكويت، حيث بدأ العراقيون ينهبون المدينة ويضرمون النار في حقول النفط وتصاعدت هناك غيمة جهنمية سوداء جللت السماء بالسواد وحجبت الهلال الطالع، كما لو كان صدام يغذى لهيب الحرب.

وجاء موعد الإنذار النهائي الذي أطلقه بوش، وساد احساس لدينا جميعا في غرفة الحرب أن المهمة على وشك الانتهاء.

الباب التاسع

الحرب البرية ووقائعها السرية

كانت الحرب البرية ضد القوات العراقية، ذكية وسريعة وفعالة، وكانت وقائعها مثيرة وهامة، ويمكن إيجازها فيما يلي:

٢٤ فبراير (شباط) ١٩٩١ — الهجوم البري / الهجوم الجوي + ١٣٨٥:

الساعة ٤٠٠ — في يوم الهجوم البري في الساعة صفر، حضر كبار الضباط التالية أسماؤهم إلى غرفة الحرب ق. ع، نائب ق. ع، رئيس الأركان الميجور جنرال مورو البريجادير جنرال ليد، ميجور جنرال ستارلنج، البريجادير جنرال نيل والسيد جوردون براون كانت غرفة الحرب هادئة للغاية وطفئ إحساس بأن كل ما يمكن عمله قد تم تنفيذه، وكان الجنرال ليد يتنقل في أرجاء الغرفة متحدًا مع (ق. ع) ومع ضباط الأركان الآتهرين ومطلعًا على تقارير الاستخبارات، وذكر تقرير ورد من الكويت أن العراقيين شرعوا في تدمير مدينة الكويت، وهناك انفجارات في أرجاء المدينة وفي المباني الحكومية الرئيسية.

وعبرت الوحدات الأولى من مشاة البحرية الحدود إلى الكويت فيما كان المطر البارد والظلام يلفها - ومدافع الهاوتزر عيار ١٥٥ مم تطلق نيران التغطية — وانطلقت في المقدمة دبابات م — ٦٠ وهليكوبترات كوبرا، واندفع في أعقابها الآف الجنود في ناقلات مدرعة وعجلات. وابتغاء الوقاية من الأسلحة الكيماوية ارتدى الجنود بدلات واقية مزعجة ذات تهطوط سوداء وحملوا أقنعة الغاز التي كانت تتدلى من أحزماتهم، ولما ظهر الرئيس بوش على شاشة التلفزيون عند الساعة السابعة بالتوقيت المحلي السعودي ليعلن أن عملية تحرير الكويت قد دتقلت مرحلتها النهائية كان رجال مشاة البحرية قد اتتلقوا أول تهط من دفاعات الحدود وعندما واصل مشاة البحرية التقدم انطلق لواءان سعوديان مدرعان مع لواء عربي مشترك من دول الخليج الآتهرى وهى نفس الألوية

التي طردت العراقيين من الخفجي، ومضت هذه الألوية في طريقها عبر الحدود وتوجهت شمالاً على الطريق العام الساحلي نحو مدينة الكويت.

وفي الغرب على بعد ٣٠٠ ميل تقريباً كانت مصحفات الفرقة الفرنسية السادسة المدرعة الخفيفة تندفع في العمق العراقي لمسافة ٣٠ ميلاً عبر صحراء صخرية، وكان الهدف المحدد لهذه الفرقة وللواء المظلات من الفرقة المحمولة، هو السيطرة على قاعدة السلمان الجوية والمنطقة المجاورة لها. فصواريخ سكود كانت تنطلق من هذه القاعدة الجوية على الرياض وكانت تمثل هدف هجومنا الجارى في أقصى الغرب ولقد أسهم المطر والضباب في تأخير الفرقة المحمولة (١٠١) التي كانت على وشك القيام بأكبر هجوم بالهليكوبترات عرفة التاريخ. كانت هذه الفرقة تربض على بعد ٣٠ ميلاً من مجال تقدم الوحدات الفرنسية والفرقة المحمولة ٨٢ وكانت هناك أكثر من ٣٠٠ طائرة هليكوبتر من طراز أباتشي، كوبرا، بلاك هوك، وهوى وتشينوك يقودها طيارون وطائرات وتقوم بنقل لواء كامل بما فيه من عجلات ومدافع هاوتزر واطنان من الوقود والذخيرة لمسافة ٥٠ ميلاً إلى داتهل العراق، وكان على هذا اللواء أن يقيم قاعدة نارية ضخمة تستطيع منها هليكوبترات الهجوم أن تضرب وادى نهر الفرات.

وهناك في غرفة الحرب في الرياض كنا بعيدين جداً عن مواضع القتال إلى حد أن كل ما كنا نعرفه هو أن قواتنا تشق طريقها آتھر المطاف عبر الحدود، وقد يتطلب جمع أجزاء الصورة الدقيقة عن التقدم المحرز في الهجوم يوماً بأسره. كنت أود بفارغ الصبر أن أفعل شيئاً ما، أى شيئاً تهيراً من الانتظار. مع ذلك، فإن تهير ما كان بوسعي أن أفعله هو ألا أقف عثرة في طريق الآتهرين. فلو أزعجت جنرالاتي لشتت تركيزهم فأنا أعرف جيداً - كما يعرف الآتهرون - أن قادة الميدان يواجهون أموراً مهمة أكثر من مجرد إطلاع المقرات العليا على ما يدور ولكنى كنت مستعداً لأن أضحي بأى شيء لقاء أن أكون مع بارى ماكفرى ووحدتى القديمة فرقة المشاة الآلية (٢٤) التي كانت على وشك الاندفاع بالدبابات داتهل العراق.

كان واجبي يقضى بالبقاء في القبو مع أجهزة اللاسلكى والتليفون لتقييم الهجوم أثناء تطوره وإبقاء قادة الوحدات الكبار مطلعين على ما يحرزه كل واحد منهم من تقدم والتأكد من إنجاز الأهداف الاستراتيجية المحددة بطرد العراق من الكويت ودعم

حلفائنا العرب في تحرير مدينة الكويت وتدمير القوات العراقية، بحيث لا يستطيع صدام استخدامها أبداً.

ولما بدأت التقارير تصل -على شحتها- كانت الأتھبار التي تحملها تھيراً مما تجربنا على الحلم به. فمشاة البحرية لم يواجهوا - وهم يشقون طريقهم عبر تهط الموانع الأول - ظأية حقول ألغام عسوية ولا جدراناً من اللهب ولا وابلأ من الغاز الفاتك، أما المقاومة فقد كانت طفيفة.

لقد اتھتار بومر نقطة هجوم مواتية واندفعت وحداته شمالاً نحو تهط الموانع الثاني، ولم تبلغ إلا عن اشتباكات نارية طفيفة، ووقع اصابات قليلة. وعند الضحى كانت هذه الوحدات تحتجز مئات الأسرى، فقد كان العراقيون يخرجون من تهنادق الاستحكامات ويسلمون أنفسهم بمجرد اطلاق بعض الرصاصات عليهم، وكان السعوديون يحرزون تقدماً رائعاً على الطريق الساحلى فلقد اندفعوا مارين بأميال من المخابىء والخنادق المهجورة قبل أن يجابهوا أية مقاومة اطلاقاً وبعثوا تقارير عن وجود المئات من العراقيين وهم يلوحون بالأعلام البيضاء.. فى غضون ذلك، وفى -أقصى الغرب- كانت القوات الفرنسية والأمريكية تواصل تقدمها، كما هو متوقع دون أن يعترضها أحد.

وتهطر لى أن أعجل بتنفيذ الجدول الزمنى للهجوم فقد كانت قوتنا الرئيسية من الدبابات الثقيلة وعددها ٦٠٠ — ترابط على الحدود السعودية بانتظار شدة الهجوم الرئيسى ويتوتهى هذا الهجوم ثلاثة أهداف أساسية.

الأول: تحرير مدينة الكويت. (وهذه مهمة الفيلق العربى -المصرى السورى السعودى الكويتى- وغيرهم من العرب) .

والثانية: الالتفاف حول الحرس الجمهورى وتدميره (هذه مهمة الفيلق السابع).

والثالثة: سد منافذ تقهقر العراقيين عند وادى نهر الفرات، وهذه كانت مهمة فرقة ماكفرى من الفيلق المحمول (١٨) .. وكانت تهطى بالأصل تنص على إرجاء هذا الهجوم حتى فجر اليوم التالى بغية إعطاء بومر فسحة أمدها ٢٤ ساعة لاتهترق الموانع والاشتباك مع المدافعين على طول الحدود لكن بدا أن مقاومة العراقيين أتهذت تنهار،

ولم أكن أريد إيقاف مشاة البحرية إلا أن القلق ساورنى من أنهم اندفعوا متوغلين أكثر من بقية الفرق المهاجمة، فإنهم سيتعرضون لخطر هجوم مضاد هائل على جناحهم الغربى المكشوف.

وقبيل الظهر جاءت مجموعة من الأتهباء الحاسمة إذ بثت المقاومة الكويتية باللاسلكى أن العراقيين قد دمروا مصانع تكرير المياه المالحة، ولما كانت مدينة الكويت تفتقر إلى أى مصدر آتهر لمياه الشرب، فإن ذلك لايعنى سوى أن العراقيين على وشك المغادرة، وإذا كانوا ينوون الانسحاب من مدينة الكويت فهذا يعنى حسب تفسيرى أنهم ينوون الانسحاب من الكويت.

عند هذه النقطة أدركت أن على أن أتحرك، إن التوقيت هو كل شىء فى المعركة، ومالم نكيف الخطة فإننا سنخسر زتهم المكاسب الأولية.. لقد تهضت هذه الحملة فى ذهنى آلاف المرات متصوراً كل السبل المؤدية إليها، واستطعت من تهلال التقارير الجزئية الواردة إلى غرفة الحرب أن أدرك أن العراقيين ينقلبون على أعقابهم ولو تحركنا بسرعة فإننا نستطيع إجبارهم على القتال فى وضع غير موات لهم تماماً، أما إذا التزمنا بالجدول الزمنى الأصى فقد يفرون دون تهدش تقريباً.

لقد أتهطرت كلا من يوسوك وتهالد قبل ساعات قلائل أننى قد أقرر تسريع الهجوم الرئيسى.. اتصلت بيوسوك ثانية، فأتهبرنى أنه وقادة فيلقه يريدون شن الهجوم الآن - بناء على تقديراتهم لظروف المعركة. ورغم سوء الأحوال الجوية اتصلت بخالد فاكد لى أن القادة المصريين والسعوديين والعرب الآتهرين يوافقون على ذلك، بعد قليل من الجدل حول سوء الطقس. لذا أعطيت الأمر لقواتى بالتحرك، وأعطى تهالد أمره لقواته أيضاً، وعند الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم أطلقنا عقال الهجوم الرئيسى لعاصفة الصحراء.

أفاد جنودنا فى الساعات القليلة المتبقية من ضوء النهار إفادة حسنة وأظهرت الخارطة الهائلة للمعركة التى هيمنت على غرفة الحرب أن الفيلق المحمول (١٨) قد حقق جميع أهدافه لليوم الأول، وفى أول المساء أطبقت الوحدات الفرنسية والقوة المحمولة (٨٢) على قاعدة السلماى أما الفرقة (١٠١) فقد أرست قواعدها النارية

وراحت هليكوبترات اباتشى تعمل على تدمير الشاحنات العراقية على الطريق الرئيسى الموصل إلى وادى نهر الفرات، وكانت فرقة المشاة الآلية (٢٤) بإمرة ماكفرى تناور عبر التلال والوديان الوعرة التى تتحول إلى أرض طينية غادرة فى الجو الممطر.. ولدهشتنا توغل الآن على عمق ٣٥ ميلا داتهل العراق.

وعلى الجهة الشرقية من تهط تقدم ماكفرى - حيث ينبسط مشهد الأرض إلى صحراء مجدة - حرك الفيلق السابع تشكيلاً قتالياً ضخماً مؤلفاً من الفرقتين المدرعتين الأولى والثانية مسافة ١٥ ميلا داتهل العراق وقد سبقهم فى المقدمة فوج الفرسان المدرع الثانى بطائراته الاستطلاعية المحومة فوق الصحراء، وعرباته الاستطلاعية المستكشفة. وعلى شرق هذه القوة - حيث تبدأ التحصينات الحدودية للعدو - قامت فرقة المشاة الأولى من الفيلق السابع بأكثر من عشرة اتهتراقات بدباباتها ودبابات الفرقة البريطانية المدرعة الأولى وراحت تتدفق عبر هذه الثغرات، وأبلغنا الجنرال مور أن الفيلق السابع والرابع والعشرين يتوقعان إحراز تقدم ملحوظ تهلل الليل.

وتقدم الفيلق عبر حفر الباطن وهو قاع نهري جاف يؤشر الحدود الغربية للكويت نحو تهط الموانع، وكان فى طليعته لواءان سعوديان بدءا عملية الاتهتراق وتحركت إلى جوارهما بشكل مدروس قوة مصرية كبيرة لم تتوقع أن تبدأ عملية الاتهتراق قبل طلوع الصباح.

ولقد واجه مشاة البحرية شيئا من مقاومة صلبة أثناء النهار مشتبكين فى معركة دبابات فى تهط الموانع الثانى استغرقت ساعة إلا أنهم استولوا بحلول الظلام على كامل قاعدة الجابر الجوية وهى المقر المهجور للفيلق العراقى الرابع الذى يقود عشرة فرق للعدو فى جنوب الكويت، وتقدم مشاة البحرية مغطين نصف المسافة الموصلة إلى مدينة الكويت تقريبا وكانت تهسائرنا طفيفة إلى حد ضئيل - لم يقتل سوى ١٤ أثناء العملية. فى غضون ذلك غصت وحدات بومر بأسرى الحرب، إن قواعد الحرب تقتضى منا الحفاظ على سلامة الأسرى بالإسراع ونقلهم إلى المؤتهرة وملا مشاة البحرية جميع العربات المتاحة بهؤلاء الأسرى، إلا أنهم فى النهاية اقتصرزوا على نزع أسلحة العراقيين مؤشرين إلى الجنوب قائلين لهم «سيروا فى هذا الاتجاه». وأقمنا فى المناطق الخلفية نقاط

تفتيش لجمع العراقيين فيما هم يسرون على غير هدى. كما غصت الوحدات السعودية بالأسرى بعد أن قطعت عشرة أميال على الطريق الساحلي، ولعل هذه المعضلة كانت نعمة من السماء، إذ لولاها لما استطعت أن أبطيء مشاة البحرية بما يكفي لجعل هجومنا متناغماً ومتوافقاً. واتصلت بيومر بعدئذ لأهنئه على إنجازهِ في هذا اليوم العظيم، وأتهربني أن عدد الخسائر قد عدل من ١٤ قتيلاً إلى قتييل واحد في الاشتباك.. ومع ذلك لم يشعر أى منا بنشوة طاغية فقد كنا نعرف نحن الاثنان أن اليوم التالي قد يأتينا بهجوم كيماوى أو هجوم مضاد من الدروع العراقية.

كنت أتحديث مع باول بانتظام تهلل ذلك اليوم وكانت ردود أفعاله محترسة تجاه التطورات شأنه شأنى. فقد كان كلانا يعلم أن من الأفضل عدم بناء افتراضات قائمة على تقارير أولية مفككة وغير منتظمة عن المعركة، واتصلت به في الساعة العاشرة مساء لأطلععه على آتھر التطورات. كنت مرهقاً في نهاية المحادثة وجدت نفسى أقول بلا وعى: كم أتمنى لو أنسف التمثال العملاق لصدام وقوس النصر في قلب مدينة بغداد. إن قوس النصر نصب الحرب مع ايران، وهو نحت هائل. وقيل إن اليدين في النصب هما يدا صدام وهما تحملان سيفين متقاطعين.. لقد تحاشينا قصف هذين الرمزين أثناء الحملة الجوية لأنهما ليس من الأهداف العسكرية، وكم كانت دهشتى عظيمة لما وجدت أن باول يوافقنى الرأى رغم أنه اقترح التشاور مع الرئيس بوش أولاً. لكن محامى البنتاجون اعترضوا على الفكرة بعد يومين إلا أننى في تلك الليلة وبعد مرور عشرين ساعة على الحرب البرية ذهبت إلى النوم راضياً.

قدمت إلى غرفة الحرب في الصباح الباكر وأسرعت إلى الخارطة لأرى مدى مأحرزناه من تقدم أثناء الليل، فانفجرت صائحا ماذا يحدث للفيلق السابع؟ لقد تراجعت تهطوطه إلى الوراء.

قال مور: «سيدى لم تكن معلوماتنا بالأمس صحيحة كلياً وأوضح أنه بينما كانت عناصر من الفيلق السابع - وبالتحديد فصائل الاستطلاع من الفرسان - قد تغلغلت حقاً ١٥ ميلاً داخل العراق، فإن قوة الدبابات أبطأت بعد عبورها الحدود في اليوم السابق، إلا أن هذا التحليل لم يكن يوضح ماكنت أراه على الخارطة. لقد جرى إبلاغى أن الجنرال فرانكس سيتحرك بفيلقه طوال الليل، ونظراً لعدم وجود قوات للعدو على

جبهته، فقد توقعت أن أجده مطبقاً على الهدف (كولنز)، وهذا الهدف عبارة عن رقعة صحراوية بيضاوية الشكل منبسطة يفتريشها الحصى ولا تتعدى مساحتها ١٠ أميال وهي تقع إلى الغرب من المواقع الرئيسية للحرس الجمهوري، وهي منطقة تخدم نقطة وثوب هجوم الفيلق السابع، وقد كان من المفترض بالجنرال فرانكس هناك أن يوجه تشكيلاته شرقاً لضرب الحرس الجمهوري وتطلعت إلى الخارطة الثانية. إن ما جعل بطء تقدم الفيلق السابع عسيراً على الفهم هو التقدم الدراماتيكي للفرقة الآلية ٢٤ بعيداً إلى الغرب.. من الواضح أن ماكفرى قد شق طريقه طوال الليل في أرض بالغة الوعورة وهو الآن متوغل مسافة ٦٠ ميلاً داخل العراق. اتصلت بيوسوك وسألت: هل توقف الفيلق السابق أثناء الليل؟ اسمع.. لا أريد منهم القيام بأي عمل، فهم لم يتعرضوا حتى الآن لطلقة واحدة من العدو على حد علمي لكنهم يبدون لي وكأنهم جالسون هناك ببساطة ماذا يجري؟ اكتفى يوسوك بالقول أنه سيعود للاتصال بي ثانية.

— لم أقفلت الخط؟ هزرت رأسى ونظرت إلى «كال وولر» اعتقد أنهم في منتصف الطريق باتجاه نقطة كولنز الآن.

«يا للجحيم سيدى كنت أظن أنهم في نقطة كولنز».

بعد بضع دقائق اتصل «جارى لاك» ليقدّم تقريراً أفضل.. سيدى لقد حققنا جميع أهدافنا أمس وأكملنا الآن جميع أهدافنا لهذا اليوم وأبلغنى عن مواقع وحداته وأضاف لقد أسرنا ٣٢٠٠ جندي الليلة الماضية ومازلنا نحصى بقية الأسرى.

هذا رائع يا جارى توقفت قليلاً ثم قلت «الآن اعطنى بقية التقرير» كانت آتھر فقرة في التقرير هو إحصاء الإصابات.

لحد الآن سيدى وقعت إصابة واحدة، وهى جريح واحد.

كنت أعرف منذ اليوم السابق أننا نحرز نجاحات تفوق التوقعات أما الآن فقد غمرنى الارتياح لأننا لم نفقد أعداداً كبيرة من الجنود، بل غمرتني سعادة طاغية. شكرت «لاك» وأقفلت الخط بسرعة.. وأتهذت بضعة أنفاس عميقة لأستجمع شتات نفسى، لقد أظهرت جلسة الاطلاع أن حفلنا الحسن شمل مسرح العمليات كله، فبعد مضى يوم كامل على الحرب البرية لم نخسر سوى ٨ قتلى و٢٧ جريحاً، ولم يكن هناك

في سبيل إلى تقدير عدد الخسائر العراقية إلا أننا أسرنا ١٣ ألف جندي.

ولما تحدثت ثانية مع يوسوك عند الظهر كنت عازماً على التحدث بالتفاصيل وبصراحة لقد انعطفت الحملة من حملة متأنية ومرسومة بعناية إلى ما يطلق عليه التكتيكيون مرحلة استثمار الفرص التي يتعقب فيها الجيش جيشاً آتھر متداعياً، ويرغمه على القتال بأمل التعجيل بانهيائه الكامل، ولم نضيع الوقت - يوسوك وأنا- في مناقشة ترائهى الفيلق السابع في الليلة الفائتة لقد أكد لي ببساطة أن فرانكس قد اتهتار بحذر التمسك بخطة الأصلية رغم أنها كانت تقوم على افتراض أن العراقيين سيحاربون بضراوة أكبر. لقد أصر فرانكس على دفع جميع فرقہ لاجتياز الموانع، ثم التوقف على الجانب الآتھر من أجل إعادة التجميع، وقال يوسوك إن هذه العملية قد استكملت تقريباً الآن، وأن الفيلق السابع سرعان ماسيتحرك شمالاً وإذا سارت الأمور على مايرام فسيكون الفيلق في وضع جاهز للهجوم على الحرس الجمهورى في اليوم التالى، ورغم أن إيقاع هذا التحرك لا يتماشى مع السرعة التى كنت أريدها فقد كان مقبولا على أية حال.. وأكدت استخباراتنا أن الحرس الجمهورى كان ولا يزال متمسكاً بمواقعه على طول الحدود الشمالية للكويت ومادام الفيلق السابع قد اندفع بهمة في ذلك اليوم، فإنه ما يزال بوسعه إنجاز مهمته. أما إذا تأتھر فإن معنى ذلك أن عليه ابطاء تقدم ماكفرى الذى تقترب ألوية المدرعة من وادى نهر الفرات، ولم أكن أريد لهم أن يواجهوا الهجوم المضاد للحرس الجمهورى بأنفسهم.. وبدأت أشعر كما لو أنى أدفع عربة تجرها من ناحية تهويل سباق ومن ناحية أتھرى تجرها بغال. كان مشاة البحرية والسعوديون منهمكين على الساحل يوم الاثنين في أشد المعارك، وبدا أن القوتين كلتيهما مصممتان على تحرير الكويت بنفس السرعة التى استولى بها العراقيون عليها تقريباً، وصد مشاة البحرية ثلاث هجمات عراقية مضادة في سلسلة من المعارك استغرقت معظم اليوم، ومحقوا عشرات الدبابات العراقية وأسروا أعداداً غفيرة. فيما تعرضوا لخسائر قليلة هى قتيل واحد وعشرون جريحاً. وعلى الطريق الساحلى أطبق السعوديون والخليجيون العرب على جميع الأهداف المرسومة لهم في تهطة المعركة الأصلية وأتھذوا يتقدمون تقدماً حثيثاً، بحيث رفعنا- تهالدا وأنا- أى قيد على تقدمهم سامحين لهم بالمضى قدماً نحو الشمال باتجاه مدينة الكويت ولما اصطدموا أتھروا

بمقاومة شديدة عند الظهر أبلوا بلاء حسنا وأسروا أعدادا كبيرة.

وبينما كان مشاة البحرية والسعوديون يطبقون على مدينة الكويت كان الفيلق العربى - القوة التي يفترض أن تستولى على مدينة الكويت حسب الخطة - مايزال عند الحدود فقد استهلك المصريون معظم يوم الاثنين في اتهاراق المانع الأول، ويعود ذلك جزئيا إلى أسلوبهم العسكرى فهم محاربون نظاميون أشداء مثل قوات فرانكس، وقد فضلوا الالتزام بالخطة المقررة سلفا، ولكن ساورتنى الشكوك في أن القادة الميدانيين ربما تلقوا أوامر من القاهرة بالحفاظ على الخسائر عند الحد الأدنى المطلق، ورحت - من تهلال تهالد والجنرال شوارتز وهيئة مركز التنسيق - الح على الجنرال عبد الرحمن الكامى القائد السعودى المسئول عن ذلك القاطع والميجور جنرال صلاح محمد عطية حلبى قائد القوات المصرية بضرورة التحرك إلى الأمام.

٢٥ فبراير (شباط) ٩١ - الهجوم البرى + ١ / الهجوم الجوى + ٣٩

- الساعة ١٥١٠ - مكالمة مع رئيس الأركان منح ق. ع صلاحية تدمير التمثال وقوس النصر.

- الساعة ١٨١٥ - اتصل رئيس الأركان بـ (ق. ع) وأتبهره الامتناع عن ضرب التمثال وقوس النصر.

تناهى التوتر في غرفة الحرب.. ما إن وصل التقرير المسائى عن الأحوال الجوية حيث كنا نعتمد على أن تكون سماء الثلاثاء صحواً، وإذ بنا نجد أنفسنا بمواجهة ٣٦ ساعة من الأمطار الغزيرة بالإضافة إلى الرياح والعواصف الرملية وغيمة شاسعة وكثيفة تحجب كامل ميدان المعركة عن كاميراتنا المحلقة، شعرت بإحباط مريع فقد كنا بحاجة ماسة إلى مراقبة تحركات الحرس الجمهورى، فحتى الآن لم تتحرك الفرق المدرعة الثلاث من الحرس الجمهورى التى كنا نريد مهاجمتها وهى: فرقة توكلنا، وفرقة المدينة وفرقة حمورابى فهى لاتزال رابضة في مخابئها على طول الحدود الشمالية للكويت لكن فصائل استطلاع الفيلق السابع كانت تتبادل النيران مع عناصر متقدمة من فرقة «توكلنا» لذلك فإن بعض العراقيين يعرفون إننا نطوق جناحهم وإذا ما ادركوا أن فصائل الاستطلاع هذه هى طلائع هجومنا الرئيسى فقد يحاولون

الافلات قلت لباول: «إذا قضوا الليل في جحورهم فسندقضى عليهم وأن لم يقضوا الليل فسيهرعون سريعا عائدين إلى الفرات. ولم يكن بالوسع أن نواجه توقيتا أسوأ من ذلك.

اتصل بنا الرئيس «بوش» قبيل الثامنة مساء، هذه أول مرة يتحدث معنا منذ عشية عيد الميلاد أصغى بعناية إلى حديثي الموجز عن الحملة ذلك الحديث الذي استغرق خمس دقائق بعد ذلك امطرني بالاسئلة عدة دقائق اتهرى، حول أسلوب تعاملنا مع أسرى الحرب وتقارير الانتهاكات العراقية في مدينة الكويت «كنا قد استلمنا عدة تقارير إلا أنه لم يتم التوثيق من صحتها بعد»، ومدى انسجامنا مع الحلفاء في الحملة.

وقلت متكهنا غدا أو بعد غد ستقع المعركة الكبرى مع الحرس الجمهوري وفي النهاية شكرته على قيادته لنا. ولما اقفلت الخط انتابتني الدهشة. لم أحجم الرئيس عن قوله؟ فلا أصدر لي أمرا ولا عدل من القرارات التي اتخذتها، أما الأسئلة التفصيلية التي طرحها فلم تتوخ شيئا تهلاف الاستيضاح، إن ثقته في قدرة الجهاز العسكري على القيام بواجبه تناقض تماما ما شهدناه أيام فيتنام بحيث إنها كانت عندى تساوى العالم كله.

بعد ساعة بعث «يوسوك» تقارير تفيد أنه بينما ندفع ارتال الفيلق السابع دون مقاومة، فإن المطر والعواصف الرملية تبطئ وتيرة التقدم.. مع ذلك فأرتال الفيلق السابع الآن على مبعدة ٢٠ ميلا من نقطة كولنز. ولما اقفلت الخط قلت لولر متهكما: «كم أنا سعيد لأنى أتهبزت الرئيس أن المعركة الكبرى ستقع غدا أو بعد. عندئذ تهرج كال عن طوره فعلا فتلقف منى السماعه قائلا: «اللعة سيدى يجب أن نجعلهم يغذون التحرك».

قلت بحدة «كال لا تتدتهل أنت لست القائد».

لكن يا سيدى يجب أن نجعلهم يقومون بذلك، إنه العمل الصحيح.

إن يوسوك يعرف أن الضغط قائم وأن الجيش الثالث تحت امرته وعليك أن تدعه يواجهه بالطريقة التى يرتهاها.

كان والر محبباً تماماً حتى أنه نهض من مكانة وغادر غرفة الحرب.

في وقت متأخر من الليل صعدت إلى الطابق الذي يعلنون ابتغاء رؤية تهاليد. كان مبتهجا بالتقدم العام للحرب البرية ومسرورا من الانتصارات التي حققتها ألويتة. على الساحل الكويتي.. انتقلنا بعدئذ إلى موضوع الفيلق العربي، فقلت محذراً: ما لم يتحركوا بسرعة أكبر فإن المعركة ستفوتهم، لأن مشاة البحرية الآن يطلبون الإذن بتحرير مدينة الكويت ولا يستطيع منعهم طويلاً.

كان تهاليد يعرف أنني أحاول أن أبلغ فكلاًنا يعرف أن على التحالف الاستيلاء على الكويت ولكنه كان يعلم أيضاً أنني على صواب من الوجهة العسكرية، ووعدني قائلاً «لا تقلق سأجعلهم يتحركون بالإسراع في وضع نهاية للحرب أفضل».

بعد نحو ساعة استلمنا تقريراً يفيد: إن صاروتها سكود سقط في الظهران وأصاب ثكنات الأمريكيين مودياً بحياة ٢٨ جندياً من جنودنا ومصيباً أكثر من ذلك بجروح. كانت مأساة مروعة، فسلّاح الرعب هذا انطلق في الجو ليسقط بمجسّ الصدقة على مركز تحشيد لقواتنا فاعاد إلى وطننا ذكرى قذارة الحرب، شعرت بالغثيان في أعماقي.. عند الساعة ٢٠١٥ من فجر ذلك اليوم جاءني لكزنس بوتش نيل -تهفير غرفة العمليات- ليوقظني: «سيدي، لقد التقطنا بثاً عادياً من راديو بغداد، انهم يأمرّون قواتهم بالانسحاب من الكويت».

توجهت إلى غرفة الحرب وأنا أهز رأسي لكي يصفى ذهني. لقد مضت على الحملة البرية ٤٦ ساعة، إلا أن النهارات والليالي بدأت تتداهل بلا حدود، كان «والر» قد عاد إلى طاولة مكتبة وعلق قائلاً «يبدو لي أن ذلك قد يكون صحيحاً. لقد التقطنا برقيات لاسلكية من قيادة الفيلق العراقي الثالث - وهو القوة التي تحتل مدينة الكويت - تأمر الوحدات التابعة للفيلق بالانسحاب كما أن طائفة الرصد المتطورة جستار التي تراقب التحركات في ميدان المعركة التقطت صور قافلة عسكرية عراقية مؤلفة من ١٥٠٠ عربية تتحرك بسرعة شمال المدينة».

في نفس اللحظة اتصل «باول»، وأبلغته أننا نرصد الطرّق ونستقطف أي هدف عسكري ينكشف لنا. فأكد أن علينا مواصلة الهجوم - فالعراق لم يقدم أية بادرة

تنسئ عن استعدادده للامتثال لقرارات الأمم المتحدة، إلا أنه تكن «إن ذلك قد يفضى سريعا إلى وقف إطلاق النار».

قلت «إذا حصل ذلك في ظرف يوم أو يومين، فقد نحابه مشكلة كبيرة مع الحرس الجمهورى. وما دامت واقعة داتهل العراق لا داتهل الكويت، فإن أى وقف فورى لإطلاق النار يعنى إمكان أن يفلتوا . بعد هذه الملاحظة الملقفة، عدت إلى غرفتى الخاصة كى أنام بضع ساعات أتهر.

ولما عدت إلى غرفة الحرب بعد طلوع الشمس بقليل سألت «أين الحرس الجمهورى».

قال «ليد» إن العواصف لاتزال تعرقل فصائل الاستطلاع «لسنا متأكدين، لكننا نعتقد أن الحرس الجمهورى لم يتحرك من مكانه» إذا كان هذا الخبر صحيحا، فهو بادرة مشجعة. لكن «برت مور»، رئيس قسم العمليات، أتهرنى بعدئذ أن فيلقنا السابع لم يتحرك هو الاتهر - وهناك عناصر قليلة من طلائعه فقط وصلت إلى نقطة كولنز، فأمرته «اتصل لى بيوسوك»

أكد لى يوسوك مضمون التقرير الذى استلمته على التلفون عن وضع الفيلق السابع، فقلت بهدوء «لا أريد مزيدا من الأعذار، حرك قواتك في الحال. إن الجيش العراقى بأكمله، يفلت هاربا. أشعل النار تحت أقدام فيلقك السابع كى يتحرك. أريد أن تكتشف نوايا العراقيين وتبلغنى. وقبل إنهاء المكالمة أثرت موضوع الفيلق الثامن عشر، لأننى كنت قد قيدت حركة الفرقة الالية ٢٤ منذ ظهر اليوم السابق، وأبلغت يوسوك «نريد إحكام غلق وادى نهر الفرت الان، هل تعتقد أن باستطاعة ماكفرى أن يشق طريقه إلى النهر؟».

- «مؤكد أنه يستطيع».

- «حسنا، أفلتوا زمامهم الان. لا نستطيع انتظار الفيلق السابع أكثر من ذلك. لكن احرص على توفير حماية جوية كبيرة للفرقة الالية ٢٤، إضافة إلى اسنادها بهليكوبترات الفرقة ١٠١، إذن إن الفرقة ٢٤ ستكون هنا بمفردها»

اتصل بى بعد قليل «جارى لاك»، قائد الفيلق المحمول «١٨»، وكررت له تعليماتى

التي قدمتها حول ما كفى والفرقة الالية (٢٤)، «ايها الرجال انتم تقومون بعمل عظيم»، ثم اضيفت «اريد أن اتأكد الان أنك تفهم مهمتك من الان حتى وصولك إلى الهدف، وهي تتلخص في إنزال أقصى دمار، أقصى دمار ممكن بالماكنة العسكرية العراقية. يتوجب عليكم تدمير جميع معدات الحرب الشاملة. لا نريد أن يطلع العراقيون علينا ثانية بعد مضي ٥ سنوات أتهرى».

وبينما كنت انتظر تقريراً من يوسوك، اتصلت ببومر في مركز قيادته المتحرك - وهو عبارة عن مجموعة من عربات الاتصال البرمائية المدرعة يستخدمها لمتابعة وحداته القتالية في مجرى تقدمها الذي استغرق يومين - قال بومر «لقد مررنا بميدان كامل من الدبابات العراقية المحترقة هذا الصباح، وهو منظر يشيع السرور في قلب قائد دبابات قديم».

في ذلك الصباح كانت فرقة مشاة البحرية الأولى تهاجم التحصينات العراقية في مطار الكويت الدولي الذي يقع عند الحافة الجنوبية للمدينة، بينما كانت فرقة مشاة البحرية الثانية، باسناد من لواء النمر، تشق طريقها إلى الغرب باتجاه مفترق الطريق العام في منطقة الجهرة، الذي يربط مدينة الكويت بالطريق المتوجه إلى العراق. وسيكون هذا المفترق بمثابة عنق الزجاجة الذي سيحاول العراقيون الموجودون في العاصمة النفاذ منه.. وحسب الخطة الأصلية للمعركة كان يتعين على الفيلق العربي الاستيلاء على هذا المفترق، إلا أن بومر الان يطلب الاذن بأن تقوم قواته بالاستيلاء عليه. قلت له «إذا كنت تستطيع الاستيلاء عليه دون مجازفات غير ضرورية، فلك أن تتحرك».

بدأ القلق يساورني من أن يؤدي سوء الطقس إلى عرقلة تقدم الفيلق السابع أكثر من ذلك. كان المطر يهطل مدراراً في ذلك الجزء من مسرح العمليات، وانهزت الوديان وقيعان الانهر تمتلئ بسيول الامطار. في غضون ذلك بدا واضحاً أن الحرس الجمهوري لم يعد رابضاً بلا حراك. فقد استثمر قادته العسكريون العاصفة واتخذوها بمثابة غطاء، وراحوا ينظمون تراجعاً كلاسيكياً من ميدان المعركة. وأشارت برقيات اللاسلكي العراقية التي تم التقاطها أن فرقة «توكلنا» ستبقى في موضعها وتقوم بعمليات تأخير، فيما تنسحب فرقنا «المدينة» و«حمورابي» على مراحل باتجاه البصرة. أتهيرا اتصل يوسوك ليخبرني أن وحدات فرانكس وصلت إلى نقطة كونز، وأن فرانكس الان في طور

دفع فرق دباباته إلي الأمام. وقال يوسوك «سيهاجم بمجرد أن توضع قواته في الخط الصحيح».

— «متى؟»

— «فجر الغد في أقصى الاحوال».

تنفست الصعداء. فمن الصعب علينا أن نتحمل ضياع يوم في التأخير. لم أحبذ ذلك. ولكن لم يكن لدى تهبير اتهر، فحسب مواقع الوحدات. لا سبيل أمامي لتحريكهم بسرعة أكبر. قلت «حسنًا. سنترك الأمر يتم حسب طريقته. ولكن لا جدال في أن يبدأ الهجوم صباح الغد» وابتغاء تعجيل وتيرة الأمور، أبلغت يوسوك أن يعطى لفرانكس فرقة الفرسان الأولى، أى القوة الاحتياطية التى ظل يلح بالطلب من أجل الحصول عليها منذ نوفمبر. فلم يعد هناك أى سبب يدعو إلى عدم تنسيب هذه الفرقة إليه، إذ لم أكن بحاجة إليها في أى مكان اتهر في مسرح العمليات، كما أن النجاح البعيد المدى لعاصفة الصحراء يتوقف بأسره على الفيلق السابع. كنت واثقًا أن بإمكان هذا الفيلق تدمير الحرس الجمهورى — فقط لو وصل إلى النقطة المطلوبة قبل انتهاء الحرب.

عند الظهر تناهى إلينا تهبير أن موسكو — التى لا تزال تؤدي دور الوسيط مع بغداد — دعت إلى عقد جلسة لمجلس الأمن بهدف مناقشة مشروع وقف إطلاق النار، مما دفع باول إلى الاتصال بى تليفونيا، وبعد أن أصغى للعرض الذى أدليت به عن تقدمنا على الجبهة، تساءل «ألا تستطيع دفع الفيلق السابع ليزيد من سرعة تحركه؟ وعرضت له الجدول الزمنى الذى اتفقنا — يوسوك وأنا — عليه لمهاجمة الحرس الجمهورى، ثم ألمحت له أنه إذا كان وقف إطلاق النار وشيكا «فعليك أن تماطل كى نكسب بعض الوقت».

ساد سكون مديد على الطرف الاتهر من تهط التليفون. بعد ذلك قال باول في ترو «اتصل بالجنرال يوسوك، واتهبه أن رئيس الاركان محشور في زاوية ضيقة بسبب وضع الفيلق السابع بأكمله. اريد أن أعرف لماذا لا يتحركون، ولماذا لا يستطيعون مهاجمة عدو يواجه القصف دون انقطاع طوال ٣٠ يوما، إن الفيلق السابع يناور منذ يومين ولا يزال إلى الآن بعيدا عن الاشتباك مع العدو.. يصعب تماما تبرير تصرفات الفيلق السابع لأى انسان هنا في واشنطن. اعرف أنه لا يجوز لى طرح تعديلات على

قرارات متخذة في الميدان، ولكن يتوجب أن نكون الان في قتال مع العدو».

نقلت فحوى رسالته عن طوعية - فقد آملت أن تشجع الفيلق السابع على التحرك - غير أن ضغط المقرات قد أثار أعصاب فرانكس أصلاً. بعد نصف ساعة أرسل يوسوك تقريراً يفيد أن فوج الفرسان المدرع الثاني قد شن هجوماً في أقصى الغرب على عناصر من فرقة توكلنا. وأشار أيضاً إلى أن فرقة المشاة الأولى، بدباباتها الثقيلة ستتولى الهجوم في أواخر النهار. سألت «هل يعنى ذلك أننا إذا استطعنا الهجوم الليلة فسنفعل؟».

قال يوسوك «أحرز».

بعد فترة وجيزة - أى في أواخر العصر - اتصل فرانكس بنفسه وبدأ القول بجفاف: «أتهربنى الجنرال يوسوك أن هناك تقريراً قيد الإعداد سيرفع إليك» وكان أول نقطة يثيرها في حديثه هو قلقه من أن بعض الوحدات العراقية التى مر وتركها قد تعود وتضربه على الجناح. وهو يريد تدميرها قبل أن تتفرغ قواته للحرس الجمهورى، ولذلك فإنه على وشك إصدار أمر بالهجوم نحو الجنوب.

قاطعته قائلاً «فريد، لا تلتفت جنوباً اتجه شرقاً. تعقب أثرهم» كان «والر» جالساً بقربى والتقط أواخر المحادثة، فشد على قبضتيه وهو يحرق ذاهلاً في طاولة مكتبه. وذكرت فرانكس أن الفرقة المدرعة الأولى البريطانية الجبارة ترابض على يمينه، ويمكن له أن يستخدمها لحماية جناحه الجنوبى. وافق في الحال. لم أكن في حاجة إلى إرهاب الرجل كى يوافق. فقد أدركت أنه كان تحت وطأة توتر عصبى مألوف يلزم الدقة الاتهيرة التى تسبق أية معركة حاسمة.

وابلغنى بعدئذ بما كنت اتلف لسماعة: إنه ينوى الهجوم على الحرس الجمهورى طوال الليل. قلت «عظيم. سيكون لديكم ضرب النار رائعاً هذه الليلة. وأصل الضغط لا تدعهم يتملصون من الاشتباك. وأصل مطاردتهم. إذا جالفنا الحظ مع الطقس، فسنرسل القوة الجوية لتدكهم دكا فيما هم ينسحبون أمام انظارك».

وأتهيراً هيأنا المسرح لأكبر معركة دبابات في التاريخ العسكرى. لقد تجمعت بإمرة فرانكس قوة هائلة - الفرقة المدرعة الأولى، والفرقة المدرعة الثالثة، وفرقة المشاة الأولى، والفرقة المدرعة الأولى البريطانية، وستواجه بأجمعها نخبة القوات المدرعة

العراقية التي كانت رأس الرمح في عملية غزو الكويت. حانت ساعة الحساب مع الحرس الجمهوري بعد سبعة أشهر من الغزو.

في الجزء الشرقي من ميدان المعركة، أتهذ الانسحاب العراقي يتفكك وضربت الفوضى أطنابها في صفوفه. كانت وحدات كبيرة كاملة من الفيالق العراقية، الفيلق الأول والفيلق الثاني والفيلق الثالث والفيلق الرابع، تحاول الوصول إلى البصرة لتجد الجسور على نهر الفرات مدمرة، وكما توقعنا، كانت القوافل العسكرية تتضخم متجمهرة في أقصى زاوية في الجنوب الشرقي، فيما كانت طائرة الاستطلاع ترصدهم براداراتها مصورة عتبرات الطوابير كي تتولى قاذفاتنا أمرها.

قضيت بقية النهار أنسق عملية تحرير مدينة الكويت. لقد قام مشاة البحرية بتطويق العاصمة تماماً، ورغم الاشتباكات في ضواحي العاصمة، فإن الكثير من التقارير الواردة أشارت إلى أن العراقيين أتهلوا مواقعهم في مركز المدينة، وهربوا.. وأكد لي تهالدا أن قواته ستكون مستعدة لدتهول المدينة في الصباح، وأن الفيلق العربي الذي يتقدم الان بسرعة سيلحق بمشاة البحرية في غرب المدينة عند غروب الشمس، أما الالوية العربية على الطريق الساحلي فستتأهب لاحتلال المدينة من جهة الشرق، اتصلت ببومر لانبهه إلى أن الوحدات العربية ستلتقي بمشاة البحرية، وعلى قواته الحذر من فتح النار عليها عن طريق الخطأ، لقد قمنا بإعداد الحملة البرية بطريقة تفصل الوحدات التي تتحدث بلغات مختلفة، لكن هناك تهطرا متزايدا لحصول ما يسمى حالات ضرب الازرق للازرق - أي التعرض لنيران صديقة - طالما أن هذه القطعات تقترب من بعضها.

كانت تهطتنا تقضى بأن يظل مشاة البحرية في مواقعهم بينما تقوم طلائع القوات الكويتية والسعودية والمصرية، والغربية الاتهزى، بأول عملية دتهول للعاصمة، راجعت التفاصيل مع الكولونيل جيسى جونسون، أمر القوات الخاصة في القيادة المركزية، لقد تم تنسيب مستشارية إلى الوحدات العربية تهلال فترة الحملة وسيظلون برفقتها عند دتهول المدينة. ومن بين المسئوليات المسندة إلى هؤلاء المستشارين هو أن يذكروا خلفاءنا - وبالاتهص الكويتيين منهم - بالامتناع عن ايداء الاسرى العراقيين انتقاما منهم على التجاوزات التي اقترفوها اثناء الاحتلال. لم نكن نريد السماح باقتراف أى

جرائم حرب على ايدينا، ونظم جونسون أيضا فريق قوات تهاصة لإعادة السيطرة على سفارتنا، كما نظم الوحدات البريطانية والفرنسية لكى تستعيد سفارتيهما. وحذرتة قائلا: «أريد إعادة السيطرة على جميع السفارات الثلاث فى وقت واحد لا أريد اندفاعات طائشة ولا تسابقا على المغانم».

كان جونسون واحدا من أبطال عاصفة الصحراء المجهولين. فمئذ وصوله إلى الخليج قبل ستة شهور وهو يعمل على مقربة وثيقة من تهطوط الجبهة، مسهما فى تمئين عرى التحالف مع الاطراف الاتهرى. اثنتيت على أداء قواته التى قامت بعمليات استطلاع وغارات تهلف تهطوط العدو، ودربت السعوديين، وإعادة تنظيم وتسليح الكويتيين، وقدمت أثناء القتال مستشارين عسكريين للوحدات العربية، وانهبرته قائلا: «إنهم رجال جيدون، ويتمتعون بقائد همام. والان هناك شىء واحد أتهر».

- «سيدى؟» -

- «أعرف أنك قد تكون متلهفا للنجاح فى العملية. لكن عندما يستعيد رجالك السفارة صباح غد، فإنى اعتمد عليك لكى تتصرف كقائد لا كخفير».

ضحك جونسون «لا تقلق.. لى ثلاثة أو سمة أرجوانية، ولا أريد واحدا اتهر».

كانت لدينا مئات الأمور التى تملأ الصدور بهجة، إلا أن الجو فى غرفة الحرب ظل متوترا للغاية، فنحن لم نكمل بعد ما انطلقنا لتنفيذه - أى تصفية القدرة العراقية على تهديد العالم العربى. وحتى بعد تدمير الحرس الجمهورى، سيكون عملنا نصف منجز، وشعرنا جميعا بأن نافذة الفرصة تنغلق سريعا.

٢٦ فبراير «شباط» ٩١ - الهجوم البرى + ٢ .. الهجوم الجوى + ٤٠

الساعة ٢٠٣٠ - اجتماع مع الليوتاننت جنرال تهالد، الذى اتهبر ق.ع أن أمير الكويت أعلن فى غير ابطاء أن ولى العهد عين حاكما عسكريا على الكويت، وهو الان قائد جميع القوات الصديقة العاملة فى بلاده. بإزاء ذلك سيقوم تهالد، بتحريك القوات السعودية باتجاه مدينة الكويت فى الساعة ٢٤٠٠، واقترح (ق.ع) أن تلتقى الوحدات من جميع القوات العربية فى المدينة وافق تهالد على ذلك. بعد هذا أوعز (ق.ع) إلى الميجور جنرال شوارتز لمساعدة السعوديين فى تنسيق العملية.

قام الفيلق السابق بمهاجمة الحرس الجمهوري طوال الليل. ولا غرابة في أن يقاتل الحرس الجمهوري بضراوة وهو متمسك بمواقعه. إلا أننا سحقنا وحداته، وجاءت التقارير في الفجر لتؤكد أن فرقة «توكلنا» قد دمرت تماماً بينما لم نخسر نحن دبابة واحدة، وحاولت فرقتا «المدينة» و«حمورابي» اللتان أصابهما التشوش لما اكتشفت أن قوات التحالف تطبق عليها من الغرب- أن تسرعا في التراجع نحو البصرة. في غضون ذلك استطاع الفيلق المحمول ١٨ تدمير قافلة عراقية كبيرة من ناقلات المعدات الثقيلة على الطريق العام رقم (٨) فيما هي تحاول نقل الدبابات إلى تهارج منطقة الحرب.

ولما تفحصت الخطوط على تهارجة المعركة، شعرت بالثقة في أن هذه الحرب ستصل إلى نهايتها سريعا. ففيلق الجيش التابع للقيادة المركزية يمضى الان شرقا بعناد، مثل مكبس معصرة عملاقة. كنا ندفع العدو إلى داهل جيب بين البصرة والفرات، والواقع أن قوتنا الجوية صارت تسمية «صندوق الابداء». لقد قصفنا أية قافلة عثرنا عليها قصفا جهنميا، ولكن تهلال الفترات الفاصلة بين الضربات الجوية، كنا نرسل طائرات هليكوبتر من طراز بلاك هوك مزودة بمكبرات صوت، لتخلق فوق ميدان المعركة، مطلقة النداء للعراقيين باللغة العربية «اتخرجوا من عرباتكم وابتعدوا عنها ولن يصيبكم الموت. سنترككم تعودون إلى بيوتكم». الواقع أن كثيرين منهم اكتشفوا ذلك قبل أن نقوله لهم، وقال أحد قادة كتائب الدبابات لضباط استخباراتنا بعد أن استسلم: «في الواقع، أثناء الحرب العراقية - الايرانية، أحببت دبابتى لأنها كانت تحمينى. أما في هذه الحرب فقد كرهت دبابتى لأن باستطاعتها قتلى. لأنها كانت تجتذب اطلاق النار على.. لذلك رحت اقضى أغلب وقتى تهارج الدبابات وأتهذت أنام في ابعد مكان ممكن عنها».

في مدينة الكويت، تهرجت الحشود المبتهجة إلى الشوارع فيما كانت القوات الكويتية والسعودية والمصرية تتدفق بعيد الفجر. وبرغم أننا كنا نعرف، ونحن في الرياض، أن امامنا قتالاً عنيداً، فقد كان من الصعب ألا نشارك في الفرحة. واتخذت جلسة الاطلاع الصباحية طابع احتفال فيما كان اركانى في المقر يراجعون أحداث الساعات الاربع والعشرين الماضية ففى بدء الحرب كانت هناك ٤٢ فرقة عراقية في مسرح العمليات، أما الان فإن تقارير الاستخبارات تفيد أن ٢٧ فرقة منها قد محقت أو دمرت، وهناك ٦ فرق أتهرى تعتبر بلا «قدرة قتالية» أو غير قادرة على ابداء مقاومة فعلية. أما الفيلق

العراقي الثاني، شمال مدينة الكويت، فهو في حالة تراجع كامل، وأما الفيلق الثالث الذي احتل مدينة الكويت فقد دمر عن بكرة أبيه. فيما انهارت جميع فرق المشاة التابعة للفيلق السابع في الغرب، ولم يعد هناك أى اتصال بين بغداد والبصرة. وكان على الفرق المتبقية في الميدان الاعتماد على النفس. ولقد أسرنا ٢٨ ألف جندي ومن بين ما يربو على ٤٠٠ ألف جندي أرسلناهم عبر الحدود في هذه الحملة البرية، لم تذكر تقارير الخسائر في القتال سوى مقتل ٢٨ وجرح ٨٩ وفقدان ٥. وأتتهرا أبلغنا رون ويلدموث، رئيس قسم العلاقات العامة، أنه جرى حل المجمعات الاعلامية التي اقمناها لتغطية اتهاار الحرب، وأن جميع الصحفيين يتجهون إلى مدينة الكويت لأنها الرمز الذي يحتاجونه لتسطير قصصهم، وهو الان تهاارج نطاق السيطرة حاليا «وعندما انتهت جلسة الاطلاع أوعزت إلى اركاتي بأن يضعوا تهططا لاسراع بارجاع القوات إلى الوطن حال إعلان وقف اطلاق النار (اتتهرت دين ستارلينج «الوحدات القتالية تعود أولا»).

استرتهيت في مقعدى لاشاهد بشائر النصر. وحسب التقارير الصحافية الواردة، غدا الرئيس بوش الان بطلا، وتشينى بطلا وباول بطلا، أما الخبراء السياسيون والخبراء العسكريون الذي حذروا من مغبة عواقب جسيمة إذ ما دتهلنا الحرب، فقد ازدرودوا حكمهم وصمتوا. وشعرنا جميعا -في المقرات- بفخر كبير. أما أنا فكنت سعيدا سعادة غامرة.

قضيت بقية اليوم أراقب التقارير الواردة عن القتال على امتداد الحدود الشمالية للكويت حيث كان يوسوك وجنرالاته يشددون الخناق على بقايا جيش صدام، ورغم سوء الأحوال الجوية (مطر مدرار) اسمية أنا طقس المشاة لأن الجنود الراجلين يعتبرون الخوض في الطين مسألة مفروغا منها - كان الفيلق السابق يحرز تقدما مطردا. واتصل يوسوك في منتصف الظهيرة ليبلغنى أن الفرقة المدرعة الأولى قد اتهترقت مواقع فرقة «المدينة» وأنه تم تدمير كتيبتين كاملتين على الاقل. وقال إن فرقة «حمورابى» الان في وضع هروبي وهى مختفية داتهل ووراء حقل للنفط، وأن فرقتنا المدرعة الأولى تتعقبها. وسألته: كم من الوقت تحتاج للقضاء على الحرس الجمهورى؟

أجاب في الحال: «يوم اتهر فقط. سنسحقهم عند مساء الغد».

كان التطور الوحيد المزعج هو حادث التعرض لنيران صديقة في الفيلق السابع. فقد هاجمت إحدى طائراتنا بطريق الخطأ عربتين بريطانيتين، موقعة أصابات عديدة بهما طلبت من هورنر ويوسوك اتخاذ احتياطات فائقة لمنع تكرار مثل هذه الحوادث التي قد تنشب بشكل متزايد عند تجمع قواتنا في جيب البصرة.

٢٧ فبراير «شباط» ٩١ - الهجوم البري + ٣ / الهجوم الجوي + ٤١

الساعة ١٥٤٥ مكالمات هاتفية من الليوتاننت جنرال هورنر. قال ق.ع للجنرال هورنر إن مكالمتي هذه ليست لتغطية مؤثراتك القبيحة، رغم أن المكالمات قد تبدو كذلك. وإذا ازداد «صندوق الإبادة» تقلصا، فإننا لا نستطيع أن نرتكب حادثا بنيران صديقة. «إنني لا أطلب أن تفعل أى شيء بخلاف ما دأبت على القيام به حتى الآن» لكنى قلت: بالمناسبة احفظ لى قنبلة لتمثال صدام حسين. إننى أنوى تقديم طلب شخصى للرئيس».

وسرعان ما اتصل بأول، وكان في مزاج مريح وسعيد، قائلا «يجب أن نتحدث عن وقف إطلاق النار. فالعراقيون بدأوا يجأرون بالشكوى من الدمار الذى تصنعه».

قلت «ماذا تعنى؟» إن ما حدث بالطبع أن الصحفيين يقومون الآن بإجراء مقابلات مع طيارى القوة الجوية الذين قصفوا ويقصفون القوافل الهاربة من الكويت. وحالما حررنا المنطقة المحيطة بمدينة الكويت، حتى راح الصحفيون الذين كانوا يداومون فى المجمعات الاعلامية، يلتقطون الصور للطريق العام رقم «٦» حيث قصفنا قافلة عراقية ليلة الاثنين، كان المكان عبارة عن دمار شامل، إلى حد أنهم أطلقوا عليه اسم «طريق الموت» وهو طريق ذو أربعة تهطوط مرور، تتناثر عليه اشلاء وحطام محترق لاكثر من ألف عربة عسكرية، وشاحنات، وباصات، وسيارات مدنية مسروقة. وذلك بالضبط هو ما راه الناس على شاشات التليفزيون مساء الاثنين وأتتهرنى بأول أن اغصاب البيت الابيض آتتهذه بالتوتر «فالتقارير تصور الأمر وكأنه قتل وحشى».

كلانا كان يعرف أن الأمر ليس كذلك. ورغم أن الأمر ليس كذلك. ورغم أن العديد من العراقيين فى القافلة لقي حتفه، إلا أن معظمهم قفز من العربات ونجا بجلده. وشعرت بالسخط - فواشنطن مستعدة للمغلاة فى رد الفعل، كالعادة، تجاه اصغر

نأمة من الرأى العام وفكرت فى نفسى دون أن اتفوه بحرف من ذلك.. إن أفضل ما يستطيع البيت الأبيض عمله هو إغلاق التلفزيون اللعين فى غرفة الازمات. ولم يكن باول -من جهته- قلقا، فلقد كان معتادا على المد والجزر السياسى.

قال «لذلك قل لى ماذا تريد أن أفعل» وصفت له تهرائط المعركة الحالية ونقلت إليه ما قال يوسوك وما هو بحاجة إليه للإجهان على الحرس الجمهورى. وفى نهاية اليوم، وبينما نحن قادرون على أن نعلن أن العراق بات عاجزا عن تهديد جيرانه، فإن هناك معدات عسكرية كثيرة جدا تتحرك فى جيب البصرة. قلت «الك ما اقترحه، اريد أن توأصل القوة الجوية قصف القوافل المحصورة عند نهر الفرات حيث الجسور مدمرة اريد مواصلة الهجوم البرى غدا، والتوجه نحو البحر وتدمير كل ما يعترض طريقنا. فهذا هو المسار المرسوم فى تهطة عاصفة الصحراء، وسنتم انجازه فى يوم واحد». سكت لحظة ثم قلت «هل تدرك أننا إذا توقفنا ليلة غد، فإن الحملة البرية ستكمل خمسة أيام؟ كيف ترن فى أذنك هذه الكلمات: حرب الايام الخمسة».

ضحك باول. وقال «يبدو أن وقعها حسن. سأنقل هذه التسمية» وأضاف: إننا نحتاج إلى اطلاع رجال الاعلام على اتهر المستجدات. واقترحت أن من الافضل أن تتم عمليات الاطلاع هذه فى الرياض لا فى واشنطن، لأن المعلومات ستكون طازجة، فوافقنى «باول» الرأى. ولما أغلقت التلفون، أوعزت إلى اثنين من الرسامين المجندين بوضع سلسلة من التخطيطات التبسيطية عن الحملة البرية التى وضعت تهطوطها العامة.

واشغلت نفسى بقية العصر بمتابعة أوضاع المعركة، جهزت التخطيطات فى الساعة السابعة مساء، واتهذتها معى إلى الطابق العلوى لمراجعتها على مدى ساعة قبل عبور الشارع إلى فندق «حياة» لاطلاع رجال الإعلام عليها. وجاء لقاء الاطلاع أفضل مما تصورت فغادرت الفندق بمزاج رائع وعندما تطلعت إلى أضواء الشارع أدركت أن هذه هى المرة الثانية التى اتهرج فيها من وزارة الدفاع تهلال أكثر من أسبوع «فى المرة الأولى بهدف اطلاع الصحافيين أيضا»

اتصل باول ثانية فى الساعة العاشرة والنصف مساء: «أكلّمك من البيت الأبيض، كنا نناقش بالتفصيل فكرتك حول إنهاء الحرب فى خمسة أيام. وأتهدنى أن السجال فى

واشنطن - حول ضراوة القتل - قد وصل إلى درجة مزعجة من التوتر.. حتى الفرنسيون والبريطانيون بدأوا يتساءلون إلى متى سنواصل هذه الحرب، وقال «الرئيس يفكر بالظهور على شاشة التليفزيون في التاسعة مساء للإعلان عن إيقاف الحرب. هل لديك مشكلة بصدد ذلك؟».

التاسعة في واشنطن تعنى الخامسة صباحا في الرياض، أى بعد ست ساعات ونصف الساعة من الان. وانتظرني «باول» فيما استغرقت أفكر دقيقة، كان رد فعلى الاتى يتمثل في أن وقفا سريعا لإطلاق النار سيوفر حياة الكثيرين. أما إذا واصلنا الهجوم تهلل الخميس، فإن أفرادا من قواتنا سيلاقون حتفهم، قد لا يكون العدد كثيرا، ولكن البعض سيلقى حتفه. الأكثر من ذلك إننا قد انجزنا مهمتنا، وقد انتهت لتوى من القول للجمهور الأمريكى بأننا لم نترك للعراق قوة كافية من الجيش ليشكل تهطرا إقليميا. وبالطبع كان يوسوك قد طلب مهلة.. يوما اتهر، وسأكون سعيدا لو واصلت تدمير الجيش العراقى على مدى الاشهر الستة المقبلة. مع ذلك فقد حططنا اضلع صدام، ولم نترك ظللا من شك في ذهن أى انسان اننا حققنا نصرا حاسما، وفعلنا ذلك بخسائر طفيفة جدا. فلماذا لا ننهىها إذن؟ لماذا نخسر قتيلًا في الغد؟ ذلك كان ما استقر عليه رأىى.

أجبت في النهاية «ليست لدى أية مشكلة. كان هدفنا تدمير قوات العدو، وقد انجزنا هذا الهدف بالتمام والكمال، سأتشاور مع القادة هنا، وما لم تكن أمامهم أية عقبة، فإن باستطاعتنا أن نتوقف».

أوضح باول أن الرئيس سيجعل وقف إطلاق النار مرهونا بكف العراق عن القتال ووقفه الهجمات بصواريخ سكود، والاطلاق الفورى للأسرى العسكريين والرهائن من المدنيين الكويتيين، والرضوخ لقرارات الامم المتحدة، إضافة إلى شروط أتهري. وطلبت منه أن ينص الإعلان بوضوح على أن ذلك هو إيقاف للعمليات الهجومية وليس وقف اطلاق نار مطلق، وأن لقواتنا حرية ضرب أى عراقى يطلق النار علينا. وأتهبرنى «باول» بعدئذ أن الرئيس سيطلب عقد اجتماع بين جنرالات كل الطرفين في غضون ٤٨ ساعة لصياغة التفاصيل العسكرية لوقف القتال. أتهذنى هذا القول على حين غرة - إذ لم يخطر ببالي أبدا أن على الجلوس وجها لوجه مع جنرالات عراقيين - وقضينا بضع

دقائق نناقش الاسلوب المحتمل لترتيب عقد مثل هذا الاجتماع نظرت فجأة إلى ساعتى وقلت «كولن يجب أن ننهي هذه المكالمة كنا نتحدث عن ايقاف هذه الحرب تهلال ٦ ساعات و ٢٠ دقيقة من الان، ويجب أن أتحدث مع الرجال الذين يقاتلون».

أرجعت سماعة التليفون، واتصلت بهورنر رأساً، وأتبرته بأن يواصل تحميل القاذفات على أن يتأكد من أننا سنتوقف عند الساعة الخامسة. وقلت «ليس هذا أمراً نهائياً، لأن على واشنطن ترتيب ذلك مع حلفائها. ولكن لا ترسل أية طائرة ليس في استطاعتك استدعاؤها للعودة».

اتصلت بيوسوك وأبلغته بالأمر «دع الأمر يسير كالمعتاد حتى الساعة الخامسة، أحثك على أن تنزل أقصى دمار تقدر عليه طائرات الاباتشى حتى ذلك الوقت» ثم اتصلت بالادميرال أرثر والجنرال بومر والميجور جنرال واين داوونيج، الذى يدبر العمليات الخاصة في العمق، تهلف تهطوط العدو، لم يبد أن أحدا قد تفجأاً بقرب الإعلان عن وقف إطلاق النار.

بعد بضع ساعات اتصل باول ليؤكد «سنوقف العمليات الهجومية ولكن لا يوجد أى تغيير، سيقوم الرئيس بالإعلان عن ذلك في الساعة التاسعة، لكننا لن نتوقف فعلاً حتى منتصف الليل. وهذا سيجعلها حرب المائة ساعة» كان على أن أترك القيادة لهم، فهم يعرفون حقاً كيف ينسقون لذلك الحدث التاريخي».

وجاء الرئيس بوش ثم وزير الدفاع تشينى على الخط نفسه تباعاً ليقدم التهانى. ثم عاد «باول» أتهيراً وقال «حسناً، هذا كل ما في الأمر. وقف إطلاق النار في الثامنة من صباح الغد بالتوقيت المحلى».

كنت اتلقى هذه المكالمة في غرفتى الخاصة، وعدت الان إلى غرفة الحرب وأوضححت لأركان المقرر شروط وقف العمليات، وأصدرت أمراً: «أريد تدمير جميع المعدات والتجهيزات العسكرية المهجورة في منطقة القوات».

وأبلغت الأركان أن البيت الابيض قد أضاف شرطاً يقضى بأن يترك العراقيون الموجودون في منطقة الحرب جميع معداتهم ويسيروا نحو الشمال، وهو شرط أعجبني لأنه يتيح لنا إنهاء عملنا بتدمير سلاحهم. إلا أن جونسون إعترض على ذلك بالقول: «إنه

من المستحيل تنفيذ ذلك تماماً.. سيدى. نستطيع سد العديد من الطرق، لكننا لا نستطيع ابداً منع العراقيين الموجودين الآن عند النهر من إصلاح الجسور وأتهدد معداتهم معهم شمالاً ما لم نهاجمهم».

بالطبع كان محققاً. فهناك أعداد هائلة من المعدات المدرعة - بما يعادل فرقتين - تشق طريقها على الجسور العائمة عند البصرة. تهليط من دبابات «ت-٥٥» القديمة منذ الخمسينات، وناقلات الجنود المدرعة من طراز مختلفة، إلى العشرات من دبابات «ت-٧٢» من الطراز الأول، والتي استطاعت الانسحاب عندما ابطأ الفيلق السابع في ضرب الحرس الجمهورى. ولقد كنا نهاجم هذه المعدات طوال الليل، وفي نهاية اليوم التالى آتينا عليها جميعاً، بقصف كل هذه الدروع المزدوجة. وأرسلنا هليكوبترات أباتشى على طول النهر لصيد أى دبابة تحاول العبور.

ورحنا نناقش تبعات هذا الأمر. كنا نبغض فكرة الإبقاء على أية معدات عراقية، وبخاصة دبابات «ت-٧٢» التابعة للحرس الجمهورى: ف عاجلاً أو آجلاً ستعود هذه الدبابات لتستخدم لأغراض دنيئة. ولكن لم نكن قلقين من وجهة النظر العسكرية البحتة، أو من وجهة نظر حلفائنا العرب. إن إعادة تجميع حتى فرقة واحدة فعالة من بين المخلفات المتروكة سيتطلب من العراق وقتاً طويلاً. فالمعدات فى حالة من الفوضى: الكثير منها سيء الصيانة، ويفتقر إلى الأدوات الاحتياطية «أوقف السوفيات تزويدهم بها» والبعض منها تحطم أو أصيب. علاوة على ذلك ليس بمقدور العراقيين أن يجمعوا ببساطة الرجال والدبابات معا ليقولوا «لدينا فرقتان». فهم يحتاجون الآن إلى سنوات لجمع وتدريب وحدات صغيرة، ثم سرايا فكتائب، وهكذا ذواليك - قد يتطلب ذلك من ٥ إلى ٦ سنوات، إذا اتهدنا فى الاعتبار الفوضى التى تواجههم.

كان القرار شاقاً على القيادة المركزية: كان علينا أن نضعه أمام أنظار واشنطن. لذلك اتصلت «بباول» وكزرت له رأى جونسنون ثم حذرت قائلاً: إذا سميننا الاعلان وقف إطلاق نار، فسندرى دبابات الحرس الجمهورى من طراز «ت-٧٢» وهى تعبر فوق الجسور العائمة.

واستطلع قائلاً «هل تستطيع ضربهم الليلة». فقلت له إنى أصدرت بالأصل أمراً إلى

يوسوك كى يضاعف غارات الهليكوبتر، وأن الاباتشى تحلق وهى مزودة بأوامر لتدمير اية دبابة تعثر عليها.

قال باول «حسنا، سأعود للاتصال بك». واتصل بعد ٢٠ دقيقة قائلا: إن البيت الأبيض يفهم الان أن بعض الدبابات ستفقد، وأنه قرر القبول بذلك، إذا لم يكن باستطاعتنا إرغام العراقيين على ترك معداتهم دون أن نقوم بمزيد من القصف، فقد أزيل هذا الشرط من إعلان الرئيس.

بقيت قضية حاسمة كان لا يزال علينا -يوسوك وأنا- أن نحلها: أين نوقف التقدم البرى. لقد سيطر الفيلق المحمول «١٨» فى هذا الوقت على جزء كبير من العراق، بينما الفيلق السابع يطارد بقايا الحرس الجمهورى عبر الحدود الشمالية للكويت، ولما نظرت إلى الخارطة لم اتبين غير مشكلة واحدة فقط: مفترق الطرق الرئيسى على بعد ٣ أميال شمال الحدود الكويتية حيث يلتقى الطريق العام رقم ٦ القادم من الكويت مع طريق أم قصر العام من الساحل الكويتى، ويلتحمان بالطريق المؤدى إلى البصرة. وما لم نقم بسد ذلك المفترق، فإن معدات عراقية كثيرة ستنفذ، كما أردت تأمين السيطرة على تلة صفوان القريبة، لأن العراقيين شنوا عدة هجمات منها بصواريخ سكود على الظهران. كانت أقرب وحدة من وحدات الفيلق السابع إلى هذا المكان هى فرقة المشاة الأولى، وترايض على بعد ١٥ ميلا. وارتأى يوسوك أن باستطاعة هذه الفرقة أن تصل بسهولة إلى ذلك المفترق قبل سريان وقف اطلاق النار. قلت «عظيم. أستول على المنطقة طالما أنك لن تفتح معركة كبيرة لا تستطيع إنهاءها فى الوقت المحدد، وسيكون ذلك مكانا مناسباً لاقامة معسكر».

قبل ذهابى إلى النوم - بعد الارهاق - تأكدت أن جميع القادة يعلمون بموعد وقف إطلاق النار، وعندما أعلن الرئيس جورج بوش وقف إطلاق النار من على شاشات التلفزيون كنت نائما، أغط فى سبات عميق، لأننى كنت أعلم بكل شىء.

الباب العاشر

المفاوضات في صفوان

في يوم ٢٨ فبراير ١٩٩١ والحرب البرية توشك على الانتهاء الفعلي، ووقف إطلاق النار ساري المفعول، وقواتنا كانت متوغلة في الشمال تهاجر الكويت وداهل العراق.. في هذا الجو تمت مفاوضات إيقاف إطلاق النار وبعد موافقة الكونجرس وباول على قاعدة صفوان التي تبعد ٣٠٠ ميل عن نهر الفرات، وتحديدًا في يوم ٢٨ فبراير الساعة ٨٩،٠٠، (جلسة الاطلاع المسائية) ق.ع أبلغ الليوتاننت جنرال هورنر أننا بحاجة إلى بقاء حضور واضح في الاجواء فوق بغداد فيما الجنرال هورنر يقول مازحًا: «لدينا تهيئاران: دون اتهراق. حاجز الصوت أو باتهراق حاجز الصوت». ق.ع قال: «يجب التأكد من أن تستمر الدوريات ليل نهار». واتهراق ما فوق سرعة الصوت. قد لا يرون الطائرة.. لكن دوى اتهراق حاجز الصوت وبذلك يعرفون أننا هنا.

ق.ع أبلغ الاركان أننا سنتعرض للضغط في سبيل ارجاع القوات إلى الوطن. الوجبة الأولى العائدة ستكون رمزية، بعد ذلك ننتقل إلى إعادة تجميع ونقل القوات على نطاق واسع بحث ق.ع مسألة السلامة، وهو يريد من كل واحد أن يعمل بموجب شعار لا قتل واحد بعد.. يجب إزالة معدل الحوادث الذي كان سائدًا في الفترة الأولى لوصولنا.. سنحاسب القادة أنفسهم باعتبارهم يتحملون المسؤولية. اوصلوا هذا الأمر إلى أدنى المستويات.

رحت انتظر في غرفة الحرب فيما الساعات تمضي، مدركًا أن هناك - لا محالة - مشاكل جديدة لا بد من حلها، إلا أنني شعرت بالثقة من أن الأمور كلها ستكون في محلها اتهر المطاف. وحين رن جرس التليفون أتهيرا عند الساعة الثانية فجر الجمعة كان يوسوك على الخط يتصل من مقر قيادته: هناك مشكلة في قاعدة جالبة الجوية، جاري

لا يقول إنها بالغة الخطورة، فهناك قذائف غير متفجرة في كل أرجائها.

قلت: «آه...» عظيم تمنيت لو علمنا ذلك بالأمس». ونظرت إلى تهارطتي: حسنا لنرتب الأمر في مطار صفوان. وصفوان لسان هبوط عسكري شمال الحدود الكويتية ولا يبعد سوى ميلين عن مفترق الطرق الذي أمرت الفيلق السابع بالاستيلاء عليه في الصباح الفاتئ.

بعد دقائق اتصل يوسوك ثانية: «ليست لدينا قوات هناك». حدثت مليا في الموقع على الخارطة. إن القطاع المحيط بمطار صفوان يحمل علامات تشير إلى أن فرقة المشاة الأولى تحتله، كما أنى تلقيت شخصيا تقارير تؤكد ذلك من برت مور حين جئت إلى غرفة الحرب ذلك الصباح. إذا لم تكن لدينا قوات في المطار نفسه فلابد أن لدينا وحدات قريبة منه. صحيح انقل بعض القوات إلى المنطقة لا أكثر. قال يوسوك إنه سيفعل ذلك. في هذه الاثناء أتهدرت باول أن علينا تغيير مكان الاجتماع في قاعدة جالبة، وأننا نفكر في مكان أتهر قريبا من صفوان. لم يبق سوى ٢٤ ساعة على الموعد المفترض لبدء محادثات وقف إطلاق النار.

استعدت في ذهن الحوار مع يوسوك فانتابني الضيق أن مطار صفوان هو مجرد شريط من الأسفلت في الصحراء، ولكن القاطع عدل عن استخدامه كموقع للاجتماع حاسم بالنسبة إلى قدرتنا على سد منافذ هروب المعدات العراقية الثقيلة من الكويت واقتلاع أقبية تهزن صواريخ سكود المتبقية، وافترضت أن قواتنا قضت الوقت بعد وقف إطلاق النار لتفعل ذلك بالتحديد، إلا أنى لم أكن واثقا تماما من ذلك. من جهة أتهرى بدا لي أنه ليس هنالك ما يدعو إلى الخشية، فقد تسلمت تقارير عديدة مفادها أن قواتنا موجودة في المنطقة وأن تحريكا جزئيا للقوات سيصحح الوضع.

إلا أن يوسوك عاد واتصل بي قبل طلوع الفجر بقليل ليؤكد أسوأ مخاوفي: «ليس لدينا أحد في صفوان، لا في المطار ولا في التل القريب الذي تختبئ فيه صواريخ سكود حسب التقارير الواردة، ناهيك عن وجود أية قوات على مفترق الطرق الذي أمرت

الجيش أمرا صريحا وواضحا بالاستيلاء عليه»: وقال لى يوسوك: إن هليكوپترات قد حلقت فى الدوريات القتالية على طول الطريق العام، وأفادت أنه لا وجود هناك لقوات العدو، إلا أن قوات هذه الوحدة لم تطأ أرض هذا القاطع. نزلت على هذه الاتهابار نزول لكمة فى الأحشاء، فسألت مطالبا بتفسير «لماذا أذن بعثوا لنا تقارير تقول إنهم احتلوا القاطع؟»

— «لا اعرف.. تلقينا نفس التقارير سيدى» — قال ذلك كمن لا حول له ولا قوة، وأضاف: يجب أن أدقق فى الأمر مع الفيلق السابع.

طار صوابى كليا فصرتهت به: «لقد أمرتك أنت أن ترسل الفيلق السابع إلى مفترق الطرق ذاك.. أريد أن أعرف بتقرير تحريرى لماذا تهزقت أوامرى، ولماذا جاءنى تقرير بأن المهمة نفذت وهى لم تنفذ؟». كنت أدرك احتمال وجود اسباب مشروعة حالت دون الاستيلاء على القاطع، ولكن من غير المقبول قطعيا أن يجرى إرسال تقارير إنجاز تهاطئة إلى مقر قيادتى. الأسوأ من ذلك أنه قد مر يومان دون تصحيح هذا الوضع.. شعرت كمن انخدع بالكذب. إن إحباطى وغضبى المتراكم على الفيلق السابع تجمع وانفجر دفعة واحدة، فأمرت: «أريد أن يتم احتلال مطار صفوان وجبل صفوان واستكشافهما بدقة، وأريد أيضا تدمير كل ما فيهما من معدات للعدو. سأعتمد عليك لإقامة موقع للاجتماع مضمون أمنيا. لا تدتهل فى اشتباك نارى، إذا كانت هناك قوة كبيرة للعدو فعليك الاكتفاء.. هل تفهم أوامرى؟».

— «نعم سيدى».

— «هل تعتقد أنك قادر على تنفيذ هذه المهمة؟».

— «نعم سيدى».

ولم أفوت الفرصة. «إذا لم تنفذ فأعلمنى حتى أرسل فيلق مشاة البحرية إلى هناك. فقال بايجاز محكم: نستطيع تدبيرها.

– «هذا حسن يا جون. احرص على تنفيذها بتعقل. لا أريد المجازفة بالجنود لمجرد حماية مؤتمرات ضباط فشلوا في أداء المهمة في المقام الأول». كنت بذلك شديد القسوة مع يوسوك ولكنني كنت أعرف أنه يتفهم السبب. لقد كان جون قائدا عسكريا عظيما. وقد عمل معي بصفة مساعد نائب رئيس الأركان لشؤون العمليات في البنتاجون، وحين شعرت قيادة الجيش الثالث به، تابرت لكي ينال ترقية ويتسلم هذا الموقع. كنت اعرف أنه على ما يكفي من المراس لكي يفصل انفعالاتي العاطفية عن نواياي وأوامري ويقوم بتنفيذ المهمة.

ذهبت إلى الفراش. عدت إلى غرفة الحرب عند الظهر، فوجدت والر ومور بانتظاري، وقال والر: «لسنا فقط لا نملك صفوان، بل إن وحدة عسكرية عراقية تحتل المطار ولدى العراقيين دبابات على مفترق الطرق الرئيسي». ووجدت فكرة اتخاذ صفوان مكانا لمحادثات وقف إطلاق النار تتبدد، فإذا كان العراقيون يسيطرون على المطار فهذا يعني أننا سنذهب إليهم لا أن يأتوا هم إلينا. كما أن فكرة أن العدو لا يزال يسيطر على ذلك القاطع، لا تطاق من الوجهة العسكرية.

طلبت يوسوك في الحال على الخط. قال لي إن فرقة المشاة الأولى من الفيلق السابع قد وصلت إلى مفترق الطرق عند الصباح ولكنها وجدت ١٥ دبابة من دبابات الحرس الجمهوري مع قائد لواء. فقلت بنبرة معتدلة: يجب أن تستولي على مفترق الطرق يا جون.

– «هناك وقف إطلاق النار».

– «ليس هناك وقف إطلاق نار، هناك وقف للعمليات الهجومية حسب اشتراطاتنا. أريدك أن تبلغ العراقيين بالانسحاب، فإذا هجموا رد على النار.. في غضون ذلك أوجد لنا مكانا لعقد الاجتماع. ابدأ بفحص قاعدة جالبة الجوية ثانية».

١ مارس «آذار» ٩١ - الهجوم البري ٥ / الهجوم ٤٣

الساعة ١٢,٥٥، مكالمة مع وزير الدفاع المصري أبو طالب. الوزير شكرني على

النصر العظيم. وأجاب ق.ع أنه تحقق بأسرع مما توقعنا بالمرّة وكان جهدا جماعيا طيبا لكل الأطراف المشاركة.. قامت قواتكم بعمل جيد. إنها الآن في مدينة الكويت وهذا جيد جدا.. سنحرص على أن نحقق سلاما وطيدا.

كان الوقت الآن الفجر في واشنطن. تركت أمراً بطلب مكاملة عاجلة مع باول، فعاد ليتصل بنا على الفور من منزله، فسأل: ما الأمر؟

أوجزت له بسرعة المأزق في صفوان، وقلت: الخلاصة إنني أشك في أن نكون جاهزين لاجتماع الغد.

كان باول في مزاج رائق رغم أن الحديث يجري في الخامسة صباحا. قال: لا داعي لأن تقلق بصدق ذلك، وبين لي أن بين العراق والولايات المتحدة والأمم المتحدة اتصالات عن طريق موسكو وهي بطيئة للغاية بحيث أن واشنطن تتوقع أصلا حصول تأخير لمدة يوم واحد. وعاد إلى موضوع صفوان وطلب أن أسرد عليه التسلسل الكامل للأحداث. وبعد نقاش دام عشر دقائق صادق على القرارات التي أعطيتها إلى يوسوك وعلى الخطة التي اقترحتها.

اتصلت بيوسوك ثانية، فابلغني مبتثسا: «القائد العراقي يقول إنه لن يغادر».

— «طيب، لقد بحثت هذه المسألة مع رئيس الأركان. إليك ما سنفعله: لديك فرقة المشاة الأولى بأسرها هناك.. أرسل قوة ساحقة وطوق الرجل كليا واحرص على أن يرى بنفسه ذلك.. وبعد ذلك قل له لا نحتمل وجود قوات عراقية على مقربة كبيرة من قواتنا، فلما أن تترك المنطقة أو نأتهذك أسيرا. إننا نفعل ذلك حماية لقواتنا، وإذا قتلت فسندمرك».

وسأل يوسوك: وإذا لم يتحرك..؟

«إننا نناور. لا أريدك أن تهاجم. إذا رفض أتهبرني وسنعود إلى لوحة الرسم، ولكن ليس لديه سوى سرية دبابات وأتهراجه سهل بدون إطلاق طلقة».

١ مارس ٩١ - الهجوم البرى + ٥ / الهجوم ٤٣٠

الساعة ٨٤,٠٧، مكاملة مع السفير فريمان. أطلع ق.ع السفير على آتهر تطورات اجتماع وقف إطلاق النار. لاحظ ق.ع أيضا أن ولى العهد الأمير عبد الله حذر من أن العراقيين سيحاولون اغتيال ق.ع فى الاجتماع. ق.ع أكد أننا سنفتش الجميع قبل دتهولهم منطقة المفاوضات.

الساعة ٨٥,٤٠، مكاملة مع رئيس الأركان. ق.ع أبلغ رئيس الأركان أن هناك عدة أطراف من التحالف يطالبون بالمشاركة فى التوقيع على الوثيقة. ق.ع أكد لهم أنه لن تكون هناك وثائق. ق.ع أبلغ رئيس الأركان عن التهديد بالاغتيال، وأشار إلى أن السلام أصعب بما لا يقاس من الحرب.

أشرفت على تحركنا فى صفوان عن كذب بأمل تفسادى وقوع حادث دولى، وأطلعت بأول على التطورات أولا بأول. فى أواتهر عصر ذلك اليوم قام قائد لواء من فرقة المشاة الأولى بتطويق مفترق الطرق بخمسين دبابة، وبإجراء حاذق جلب معه ثلاث سرايا من الجنود فى عربات برادلى المصفحة، وأطلق هليكوبترات أباتشى لتغطى الأجواء. عند هذا الحد توجه إلى القائد العراقى وأبلغه بشروطنا. ثم أشار إلى الدبابات وأضاف الجنود متلهفون للقتال. وسرعان ما أمر القائد العراقى دباباته بالمغادرة.

ونقلنا أيضا بعض القوات لتحتل المدرج الجوى، وأوعزت إلى باجونيس تلك الليلة بأن يهيبء مكانا للاجتماع. بعدها اتصلت بتوم رهام قائد فرقة المشاة الأولى الذى ستلتقى قواته مع الوفد العراقى عند مفترق الطرق لتصطحبه إلى مطار صفوان. هنأته أولا على احتلال صفوان دون إراقة قطرة من الدماء، ثم وصفت له اجراءات وصول العراقيين. إننى أحرص على أن يأتونا بحالة ذهنية ملائمة، لذلك أريدك أن تضع قدرا كبيرا من معدات القتال على طول الطريق المؤدى إلى المطار. لا أريدك أن ترص المعدات فقط بل عليك أن تضعها فى وضع قتالى، وأحرص على أن يكون ذلك ظاهرا للعيان. أريد أن يرى العراقيون دبابات ومدركات أمريكية جديدة وسليمة من الطراز الأول.

قال «حاضر سيدى، نعرف بالضبط ما ينبغى عمله». كنت أكاد أسمععه يكشر مبتسما على الخط.

في هذه الأثناء كانت بغداد عاجزة عن الاتصال ببقايا جيشها في جيب البصرة، لذلك ظلت منطقة القتال موضعا تهبطوا نظرا لأن بقايا الوحدات العراقية ظلت تحاول أن تمضى شمالا. وفي يوم السبت الثانى من مارس - أى بعد يومين من الوقت المفترض لإطلاق النار - جئت إلى غرفة الحرب لاكتشف أننا قد تهضنا لتونا معركة كبيرة في وادى نهر الفرات. اتضح أن كتيبتين من الحرس الجمهورى تعبنا من الانتظار لعبور جسر عائم في البصرة في الليلة السابقة، وقررنا التوجه إلى الطريق رقم ٨، وواجهت هاتان الكتيبتان مرتين عربات برادلى التى تقوم بالاستطلاع للفرقة الآلية «٢٤»، وقد قامت الكتيبتان بإطلاق قذائف مضادة للدبابات في كلتا المرتين. وعند الفجر اصطدمت الكتيبتان بموقع اعتراضى أمريكى ففتحتا النار من جديد. رد ماكفرى بهجوم مضاد شامل بالدبابات والهليكوبترات فدمر الأرتال العراقية وأنهز ثلاثة آلاف أسير دون أن تقع إصابة واحدة في صفوفه. لم تكن تلك بالأنهيار السيئة بالنسبة لى، فقد أبدى الحرس الجمهورى غطرسة متميزة في التعامل مع ما بدا له أنه قوة أمريكية هزيلة. لذلك قرر دعنا نفنيهم، دون أن يرتاب في وجود فرقة أمريكية كاملة في الطرق. وسررت لأن بيان الرئيس حول وقف إطلاق النار احتفظ لقواتنا بحق الرد إذا ما هوجمت. مع ذلك فإن هذا الحادث أبرز ضرورة التعجيل بوضع شروط وقف إطلاق النار التى من شأنها أن تفصل فصلا واضحا بين الطرفين.

تقرر أن يصل الوفد العراقى إلى صفوان عند الساعة ١١ من صباح الأحد، ويتألف ممثلوهم الأساسيون من اثنين من الجنرالات من حملة الثلاث نجوم لم أسمع بهما من قبل، وهما الليوتاننت جنرال سلطان هاشم أحمد نائب رئيس الأركان في وزارة الدفاع والليوتاننت جنرال صلاح عبود محمود قائد الفيلق الثالث المهشم الآن. أما عن جانبنا فهناك تهالد وأنا، إضافة إلى مراقبين من عدد من بلدان التحالف التى اشتركت في الحرب. واقتصر جدول العمل على القضايا العسكرية إلا أن الاجتماع اكتسب أهمية

رمزية قصوى، فهذه أول مرة يجلس فيها الطرفان وجها لوجه على مائدة التفاوض.

قبل يومين من ذلك كان باول قد طلب منى أن أضع مسودة الشروط العسكرية التي يتوجب على العراق الالتزام بها كي يترسخ وقف إطلاق النار بصورة دائمة، وقد أرسلت هذه الشروط إلى بغداد في مجرى التهيئة للاجتماع، وقضيت ساعة أذرع الأرض الآجورية لغرفة الحرب وأنا أملئ ما يسمى بالشروط المرجعية. الشرط الأول: الاطلاق الفوري لكل أسرى التحالف، إضافة إلى تبادل معلومات كاملة عن الجنود المفقودين في القتال وإعادة جثمان القتلى منهم. ورغم أن عدد جنودنا في هذا الباب قليل جدا، فقد كان من الضروري العناية بكل واحد منهم، ذلك أنى كنت احرص الحرص كله على عدم تكرار فجيرة أسرى الحرب والمفقودين في حرب فيقنام.

بعد ذلك حددت الاجراءات الضرورية لجعل منطقة القتال آمنة، فمثلا يتوجب على الطرفين أن يخبرونا أين زرعوا الألغام والفخاخ المتفجرة في الكويت، إضافة إلى تعيين مواقع تخزين الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية، ذلك أن أتهر ما نريده هو ألا يتمثر جنودنا مصادفة في أحد هذه المواقع غير دارين بما فيه.

وهناك أمر أتهر على قدر مماثل من الأهمية، وهو أن نرسم تخطيطا فاصلا وأن نفصل ماديا بين الجيشين لنمنع الجنود الشغوفين بالضغط على الزناد واشعال حوادث أتهرى على غرار معركة وادى نهر الفرات. كان كاتب الاتهتزال -رئيس ضباط الصف ريك ريجر- قد دون ذلك كله بصبر، وأرسلنا نسخة منه مكتوبة على الآلة الكاتبة من أربع صفحات إلى باول عن طريق الفاكس. علق على مسودة المشروع بالقول: «يبدو هذا قريبا جدا مما نريد... سأحمله إلى المراجع العليا».

لم نتلق بعد أية تعليمات تحريرية من واشنطن، ولما انصرم مساء السبت أطلقت مزحة مفادها أن من المسلى أن نرى من سيأتى قبل الاتهتزال: التخويل بأجراء المحادثات، أم المحادثات ذاتها؟ ومما يدتهل في صلب الموضوع أن الشروط المرجعية بدت وكأنها اتهتفت بلا أثر يذكر، فكنت كلما سنحت فرصة الحديث مع باول أسأله «هل الوثيقة

ماشية؟ هل هناك شيء اتهم تودون أن نغطيه لكم؟».

فيجيب: إنها موضع تنسيق، واتضح أن وزارة الدفاع ووزارة الخارجية والبيت الأبيض يريدون مراجعة المسودة، وأن مختلف أجهزتهم البيروقراطية تجد مشقة في العمل بوتيرة متساوية مع سرعة الأحداث.

فيما نحن ننتظر رحت اتشاور مع تهالد، قال إن من دواعي سرور حكومتى أن أقود المباحثات كلها باستثناء بعض القضايا العربية التي يود أن يتولى إثارتها شخصيا. ويقف في مقدمة قضايا مصر المعتقلين المدنيين، فقد احتجز الجيش العراقي في أثناء انسحابه نحو ثلاثة آلاف شاب كويتي بمثابة رهائن، ويريد السعوديون إدراجهم ضمن بند إطلاق أسرى الحرب. كما كان تهالد يزعم الإصرار على أن يؤكد العراق رسميا احترامه لسيادة المملكة العربية السعودية. يجب أن يتعهدوا ألا يعبر أفراد قواتهم المسلحة أبدا حدود المملكة.

٢ مارس ٩١ - الهجوم البرى + ٦ / الهجوم + ٤٤

الساعة ١٥١٠ في مكالمة مع رئيس الأركان ق.ع أبلغ رئيس الأركان أننا تلقينا مؤتمرا تقريريا من وكالة المخابرات المركزية ينص على أن الوكالة تتفق مع تقديرنا لعدد الدبابات المدمرة في الهجوم. ق.ع أتهبر رئيس الأركان أن الجنرال «لايد» والكونونيل توماس أتهذا التقرير وعلقاه مؤطرا بإطار.

لو اقتضى الأمر لذهبت إلى صفوان وأنهيت المسألة على جناح السرعة، فأولا: إن المحادثات ستقتصر على المسائل العسكرية، وكنت أعرف ما ينبغي عمله في هذا الشأن، وثانيا: أن معسكرنا انتصر لذلك فنحن في موقع من يملئ الشروط. مع ذلك كنت سأشعر براحة أكبر لو أنى دتهلت تهيمة الاجتماع حاملا تفويضا كاملا بالحديث باسم الولايات المتحدة، وإذا كان على أن أتشدد فلننى سأكون مقنعا في تشددى، لو استطعت أن أقول مثلا إن الولايات المتحدة تصر على ذلك بدلا من القول «إن شوارتزكوف يصير على ذلك».

وفي وقت متأثر من مساء السبت اتصل باول أتهيرا ليؤكد أن الشروط المرجعية قد تمت المصادقة عليها وأرسلت إلى بغداد عن طريق موسكو، وقبلت وزارة الخارجية مسودتنا مع تعديل واحد حيثما ترد عبارة «الحاضرون عن التحالف سوف يفاوضون...» التي صفتها. وضعت وزارة الخارجية بدلا منها عبارة «الحاضرون عن التحالف يبحثون...» وكان موقف وزارة الخارجية ينطلق من أنها هي وحدها المخولة بالتفاوض عن الولايات المتحدة الأمريكية، أما المعسكر فلا.

٣ مارس ٩١ - الهجوم البري + ٧ / الهجوم + ٤٥

الساعة ٧:٠٠، تلقى ق.ع تقارير الاطلاع عن آتهر التطورات من ضباط المقر قبل مغادرته إلى صفوان. أشارت التقارير إلى أن واشنطن أبلغت تهلال الليل أن العراقيين وافقوا على حضور الاجتماع، وأن هناك نقاشات واسعة بين الرسميين في العاصمة حول ملاءمة مستوى التمثيل. وافقت واشنطن أتهيرا على أنه إذا ترأس الليوتاننت جنرال أحمد الوفد العراقي وكان مزودا بصلاحيات كافية من بغداد فذلك مقبول.

صعدت على متن طائرتي في وقت مبكر من صباح اليوم التالي لأقطع المرحلة الأولى من الرحلة إلى صفوان، مصحوبا بتشيل روكويجيوفر القائد الفرنسي ونصف دزينة من ضباط المقر. لم يتحدث أحد كثيرا، كنت أريد للاجتماع أن يكون بحثا عسكريا مباشرا بدون صيحات ظفر ولا نفخ أوداج ولا مهانة للعراقيين، ولكني لم أكن أريد بالقدر نفسه أن يعتقدوا أننا قد غفرنا ونسينا. وقد قلت لخالد في هذه الليلة: «رجاء لا داعي لممارسة عادات الأشقاء العرب لدى مجيء العراقيين.. لاعناق ولا تقبيل تهدود».

ألقى على تهالد نظرة متوجسة «بل إنني لن أضافهم».

- «جيد، لأنني لا أنوي ذلك أيضا».

ولما بدأت الطائرة تنزل بالتدريج إلى مدينة الكويت استذكرت نقاط البحث الثانية في ذهني، كل شيء بدا في مكانه، مع ذلك شعرت بالضيق من أمر ولم أستطع أن أتبين ما هو.. هل هناك من تناقض فاتني؟ ثغرة ما قد يستثمرها العراقيون؟.

كانت الطائرة تحلق وسط صباح باهر تثيره أشعة الشمس، وسماء زرقاء تحيط بنا على مد البصر. مع ذلك لا تجد أسفل الطائرة سوى ظلام كلي غريب، وأدركت بغتة أن ذلك هو الدتھان المنبعث من حقول النفط المشتعلة الذى سمعت عنه في تقارير المعارك.

بدأ النزول بالطائرة أولاً عبر غيوم تهفيفة بنية اللون، بعد ذلك صار الهواء تھارج النوافذ أسود داكنا. نظرت الى روكويجيوفر، وحدق في بعينين جاحظتين من الصدمة. ولما انخفضت الطائرة لأدنى مستوى رأيت كرات هائلة من الھب وسط هذا السواد، ومرت في تھاطرى هذه الفكرة: لابد أن الجحيم يبدو هكذا. لم يكن للضيق الذى ينتابنى أية علاقة بالاجتماع.

حطت الطائرة على المدرج، وجرى سحبها ثم توقفت. كانت الساعة التاسعة والنصف صباحاً إلا أن المشهد في الخارج يبدو مثل الغسق في الشتاء، فالسيارات تضى وأنوارها مشتعلة، فهناك حقول نفط تحيط بالمطار، ولما تھرجت من الطائرة حملقت بدهشة في الآبار الملتھبة تغطى الأفق كله.

عند حافة ارضية الهبوط في المطار كان فريدى فرانكس بانتظارى مع بعض أركانه، وبما أن صفوان تقع الآن ضمن دائرة الفيلق السابع فقد اتھتار أن يرافقنى لبقية الطريق، وكانت طيارته الهليكوبتر من طراز بلاك هوك المزودة بموقع قيادة.. هناك طائرة تقف على أهبة الاستعداد.

ولما تبادلنا التحية العسكرية بدا لى متوتراً، أظن أنه كان يتساءل إن كنت سأثير موضوع الاستيلاء على صفوان، فهناك على طاولة مكتبى في الرياض تقرير من خمس صفحات يحمل التفسير الذى قندمه «هو» إلى يوسوك. تهلاصة التفسير هو الزعم بأن الفيلق السابع استولى على مفترق الطرق بواسطة الهليكوبترات من الجو، وعن التقرير الخاطيء الذى قال بأن الفيلق السابع احتل مفترق الطرق بقوات برية.. مما أدى إلى سوء تفاهم.. ورغم أن حجته واهية، فكل ضابط يعرف أنه لا يستطيع أن يحتل هدفًا بمجرد التحليق فوقه، فقد استخلصت منها أن لا أحد عصى أوامرى عن عمد ولا

تهدعنى عن قصد، زد على هذا أن صفوان الآن بأيدينا ولم يصب أحد بأذى من جراء أتهذها. وبعد أن طلعت باول على التفاصيل بدقة، قلت له إننى قررت التغاضى عنها.

إننى كنت شديد القسوة فى نقدى لبطء تقدم الفيلق السابع تهلل المعركة البرية. إن من السهل أن يغير المرء رأيه فى عزلة غرفة الحرب التى تقع فى سرداب عميق لا تواجه فيه المهمة الهائلة لتحريك قوات ضخمة فى أرض غريبة وفى طقس سييء ضد عدو مجهول. كنت أعرف أنه ليست هناك طريقة واحدة صحيحة فقط لخوض المعركة. كان فرانكس قائدا جيدا دأب على تنفيذ المهام الموكلة اليه كما يراها، وهو -شأنه شأنى- واجه تحدى إنجاز تلك المهمة بتوفير أكبر قدر ممكن من حياة الجنود، ومن الأرجح أننا لن نعرف على وجه الدقة إن كان الهجوم على الحرس الجمهورى قبل يوم أو يومين سيغير من النتيجة كثيرا، وما أعرفه بالضبط أننا أنزلنا هزيمة ساحقة بقوات صدام حسين وأنجزنا كل هدف من أهدافنا العسكرية، وهذا القدر من حسن الأداء يكفينى.

انطلقنا بالهليكوبتر وحلقنا شمالا على الشارع المسمى «طريق الموت»، وبدأت ادرك مدى شناعة الهزيمة التى ألحقناها بالجيش العراقى، فبوسع المرء أينما جال ببصره أن يرى حطاما محروقا من العربات المدنية والعسكرية التى استخدمها العراقيون فى سعيهم إلى الفرار نجاة بغنائمهم المسروقة من مدينة الكويت. وبدأ جزء من عقلى يستذكر أسماء مختلف قطع المعدات السوفياتية التى تعلمت تشخيصها قبل سنوات عديدة: دبابات ت - ٥٢، دبابات ت - ٦٢، ناقلات مدرعة، وما إلى ذلك. كانت جميعا هناك على الأرض محض حطام.

لما قطعنا عشرة اميال شمال مدينة الكويت انجلى الدتھان وبانت السماء زرقاء صافية، إلا أن حقول النفط المشتعلة ظلت تلوح للنظر فى الأفق. بغتة استبدبى الغضب، تلك كانت كارثة بيئية أنزلها العراقيون عن عمد لا بالكويت وحده بل بعموم المنطقة، وهذا الدتھان سينتقل فى النهاية ليجوب العالم بأسره. لقد تركت الرياض وكلى عزم على إجراء محادثات وقف إطلاق نار بأسلوب هادىء متوازن، ولكن لما جلسنا إلى مائدة

المفاوضات في صفوان كنت في سعار من الغيظ.

رصفنا الهليكوبتر في نهاية المدرج حيث قابلني توم بروكاو وحفنة من الصحفيين الأتهرين وأنا أنزل من الطائرة، وسألني بروكاو بعض الأسئلة من قبيل: جنرال شوارتزكوف.. ما الذي تعتزم التفاوض عليه مع العراقيين.

أجبت هذه ليست مفاوضات، لا أعزم أن أعطيهم أى شيء، وأنا هنا لأقول لهم بالضبط ما نريدهم أن يفعلوه.

ورافقني كل من باجونيس -الذى كان مسئولاً عن إقامة موقع التفاوض- والبريجادير جنرال بيلي كارتر -الذى كان مسئولاً عن الأمن- ليطلعاني على المكان. يقع المطار في وعاء طبيعي، تحفه التلال الرملية من كل الجوانب، وأحصيت في هذه التلال ما لا يقل عن (٤٠) من عربات برادلى المقاتلة ومدافعها مشرعة باتجاهها. لقد نفذت فرقة المشاة الاولى ايعازاتى بدقة. وسألت كارتر: كم عدد المعدات هناك؟

لدينا مواقع تمتد على طول الدرب وعمقاً الى مفترق الطرق، وكنا قد أعطينا توجيهات بأن على العراقيين أن يأتوا من البصرة إلى مفترق الطرق في عربات ترفع الأعلام البيضاء، وهناك تستقبلهم قواتنا وتأنهذهم في عجلات يقودها جنود أمريكيان لتنقلهم مباشرة إلى المطار. وإذا ما وصل العراقيون إلى منطقة الاجتماع فإنهم سيمرون من أمام عشرات طائرات الهليكوبتر من طراز أباتشى المرصوصة على كلا جانبي المدرج ولمسافة ٢٠٠ ياردة، وهى مزودة بمدافع عيار ٣٠ ملم وصواريخ هيل فاير المضادة للدبابات.

وقبل يومين لا غير لم يكن مطار صفوان غير لسان من الأسفلت الخالي، أما الآن فهناك منطقة هبوط هليكوبترات وباقية التنظيم من تهيم الجنفاص.. واحدة لتفتيش مراقبى التحالف والمترجمين لدى وصولهم، وأتهرى لايوائهم أثناء انتظارهم للاجتماع، وثالثة حافلة بمعدات الاتصالات لتقوم مقام مقرر قيادة لي، بل كانت هناك أيضاً نقطة تجمع للصحافيين ومنصة تهارجية يحفها العلمان الأمريكى والسعودى

لعقد مؤتمر صحافي بعد الاجتماع. أتهيرا هناك في وسط الموقع تهيمة الاجتماع نفسها، وهي تهيمة بارتفاع ١٢ قدما ذات لون زيتوني غامق.

رافقني كارتير الى الداهل. لقد عمل هو وباجونيس على تنظيم كل شيء في مكانه الصحيح بالضبط، فهناك طاولة تهشبية بسيطة مستطيلة الشكل في الوسط، مع ثلاثة كراسي على جهتنا - وهي مخصصة لخالد ولي وللمترجم - وثلاثة كراسي على الجانب العراقي للجنرال أحمد والجنرال محمود ومترجمهما، وهناك صف إضافي من الكراسي وراء هذه الأماكن لأعضاء الوفد العراقي ومنطقة جلوس وراء كراسينا للمراقبين من التحالف وللمترجمين. لقد اتهمنا باجونيس الطاولة بنفسه وأقصرح لنا عن عزمه بعد انتهاء المحادثات على التبرع بها لمعهد سميثسونيان في حالة ما إذا تهطر لهم أن يمثلوا مشهد مفاوضات صفوان.

« كانت الساعة الحادية عشرة بالضبط، صخب أجهزة اللاسلكي: «العراقيون عند مفترق الطرق». فجأة تلفت حولي: أين تهالد؟ سألت.

قال أحدهم «إنه في طائرته هليكوبتر في آتهر المطار».

- «ماذا»، التفت إلى باجونيس أتهيره بأنه إذا لم يأت في الحال فسندسطر لتأثير العراقيين.

- «سأناديه سيدي» وتوجه باجونيس نحو الطرف الأتهر من المطار في اللحظة التي شاهدنا فيها طائرة هليكوبتر كبيرة بيضاء اللون تحمل تاجا على جانبها، تجرها سيارة قطر طائرات نحونا. لقد أعار الملك تهالدا هليكوبتر الملكية. توقفت عند منطقة الخيمة فيما تهالد يطل من الباب ماسحا بنظره المشهد وهو يرتدي تهوذة كيغلر القتالية ويضع نظارة شمسية كبيرة الحجم. أسرعته إليه: لنعجل فقد أوشكوا على الوصول.

بلغنا تهيمة التفتيش قبل ثوان من مجيء العراقيين. كانت القافلة المرافقة تسرع على ارض المطار: ذبابتان من طراز م ١ أي ١، عربتان مقاتلتان من طراز برادلي، وثمانى عجلات يسوق كل واحدة منها جندي أمريكي يصاحبه عراقي في المقعد المجاور، وتحلق في مؤتهرة الموكب طائرتان هليكوبتر من طراز أباتشي على ارتفاع ١٠ أقدام عن الأرض

لا غير.

وقفت عند مدتهل تهيمه التفيتش وراقبت العراقيين قدامين إلينا كنت أرتدي بدلة القتال المموهه وقبعة ميدان، أما هم فكانوا يرتدون البزة الرسمية تهضراء اللون ويعتمرون البيريهات السوداء. كان الجنرال احمد قائد الوفد رجلاً قصيراً قوى البنية ممتلئ الجسد، وله شارب كث من طراز شارب صدام وعرفته من النظرة الأولى، فقد سبق أن رأيتة في منصة العرض العسكري بمناسبة العيد الوطنى للإمارات المتحدة قبل أكثر من عام، فهو أحد العراقيين الذين تصرفوا معنا بازدراء، أما الآن فقد كان يكبت توترا بليغا.

التفت إلى مترجم القيادة المركزية الواقف إلى جانبى، وقلت: أريدك أن تترجم ما أقول. أوماً بالإيجاب «إن الاجراء هو أن ندتهل هذه الخيمة حيث سيجرى تفيتش الجميع قبل أن ندتهل مكان الاجتماع».

أثرت ذهن أحمد، فقال «لا حاجة للتفتيش فقد تركنا أسلحتنا في سيارتنا». قال للجنرال: اننا لسنا في مفاوضات كل من يدخل في الخيمة سوف يفتش، أرفض أن أخضع مالم يجر تفتيش المشاركين الرئيسيين من الجانب الأمريكى أيضا.

«أنا المشرف الرئيسى من الجانب الأمريكى»

تراجع خطوة إلى الوراء مدققاً النظر في من أعلى إلى أسفل وهو غير مصدق «من أنت؟» أنا الجنرال شوارتزكوف.

فقال بجفاف «طيب».. دخلنا الخيمة ووقف وراح أفراد البوليس الحربى يفتشون تفتيشاً دقيقاً - وكانوا قد جمعوا أصلاً طاولة كاملة مليئة بالأسلحة من مراقبى التحالف - بعد ذلك خضع أحمد للتفتيش. وأثناء تفتيشه لاحظت بعض مرؤوسية يكتمون ضحكتهم على هذا المشهد ويتمسحرون فيما بينهم وفكرت - مبتئساً - اننا لم نبدأ بداية حسنة.

دخلنا خيمة الاجتماع وأرشدت العراقيين إلى مكان جلوسهم وسمحنا للصحافة ان تبقى لحظات وجيزة لالتقاط الصور الفوتوغرافية لنا ونحن نواجه بعضنا على الطاولة رسم أحمد ابتسامة صغيرة راعشة، لعله فكر أن هذه بداية محاكمة استعراضية أمام الجمهور إلا أننا أخرجنا المصورين والمراسلين قبل بدء الاجتماع.

افتتحت الاجتماع بتذكير العراقيين بأن عرضنا هو طرح الشروط العسكرية لموقف إطلاق النار، وأبلغتهم أننا سنسجل الحديث بحيث يحتفظ كل طرف بسجل ثابت.. أصغى أحمد إلى كلماتى المترجمة - هازا رأسه - مشيراً إلى أنه مستعد لتناول كل نقطة مثارة في الشروط المرجعية.

وتوقعت أن يقوم العراقيون ابتداء من هذه النقطة بتسجيل الملاحظات فقد اعتقدنا أن أية اتفاقية لن تتم إلا بعد أن تسنح لهم فرصة التشاور مع صدام قلت: «إن أول شئ نود أن نبحثه هو موضوع أسرى الحرب» وطرحت طلبى الأول: السماح للصليب الأحمر بحرية زيارة أسرى الحرب الذين يحتجزهم العراق.

فقال أحمد في الحال. سيتم ذلك.

كررت صدى كلماته مدهوشاً: سيتم ذلك»

— «نعم»

هذا حسن واضفت إننا بعد هذا نريد أن نبحث في مسألة إطلاق سراح أسرى الحرب. فأكّد على الفور: نحن مستعدون لإعادة جميع أسرى الحرب في الحال بأيّة طريقة مناسبة للصليب الأحمر

من الواضح أن أحمد قد أعطى صلاحية الموافقة الفورية ومضيت في عملي متدرجا حتى أسفل قائمة الشروط: تحديد الأفراد المفقودين من التحالف، إعادة بقايا جثمانهم الكشف عن حقول الألغام ومخابيء الأسلحة غير التقليدية في الكويت وما إلى ذلك وافق العراقيون علي هذا الشروط كلها.

الجدل الوحيد نشب لما سأل خالد، أحمد عن الاف المدنيين الكويتيين الذين اقتيدوا خلافا لارادتهم فنحن نريد اعتبارهم اسرى حرب، ونطالب بإعادتهم

انكر أحمد بقوة اختطاف أي انسان وأصر قائلاً: منذ بداية الحرب اعتاد العديد من الكويتيين المنحدرين من أصل عراقي الذهاب إلى العراق.

أجاب خالد «لدينا أسماء الكويتيين الذين اقتيدوا عنوة وظل خالد يضغط حتى أجاب أحمد باستياء: «لم نأخذ أي انسان ضد إرادته ولكن إذا كانت هناك حالة مثل هذه ستعامل كأسير حرب».

أجاب خالد: «أذن يجب أن نعرف كل الكويتيين المقيمين في العراق». لم يعترف أحمد قط بوجود معتقلين مدنيين وواقفنا على تأكيده بأن كل من جاء إلى العراق منذ غزو الكويت يتمتع بحرية التوجه إلى الصليب الأحمر ومغادرة العراق إذا شاء.

أخيرا أثرت قضية وضع خط فاصل لوقف إطلاق النار بدأت القول «وقع حادث مؤسف أمس دفع جنودنا إلى الدخول في معركة إضافية لم نكن بحاجة إليها» اندفع أحمد في ثورة غضب فطالب بمعرفة السبب الذي حدا بنا إلى تدمير الرتل العراقي المدرع في وادي نهر الفرات وادعى لقد ضربتم أناسا ينسحبون.

قلت: إنهم لسوء الحظ هم الذين بدأوا الضرب. اعترض أحمد على قولي هذا فقططعت

معارضاً هذا أمر قد نظل نتجادل فيه حتى غروب الشمس دون أن نتوصل إلى اتفاق في الرأي المهم أن نضمن عدم تكرار ذلك ثانية.

كنت أعرف مايجول في ذهن أحمد، لقد تلقى أمراً بعدم التنازل عن أية بقعة أرض عراقية في حين أن خطوط وقف إطلاق النار التي نقترحها تقع في العمق العراقي. توتر الجو. ولما قلت إننا أعدنا خارطة، قاطعني قائلاً: لقد اتفقنا أن هذا الخط ليس دائماً

فأكدت له مطمئناً انه ليس خطأ دائماً على الإطلاق

– «ولاعلاقة له بالحدود»

– «ولاعلاقة له بالحدود. انه اجراء لضمان السلامة لاغير، فليست لدينا أية نية لأن تبقى قواتنا في الاراضي العراقية بصورة دائمة وان يتم التوقيع على وقف اطلاق النار».

إلا أن أحمد لم يمه كلامه فقد كان يريد أن يعرف لماذا دفع التحالف القوات البرية في بلاده – قبل كل شيء – بعد أن انسحبنا من الكويت واعلنا ذلك من التلفزيون والراديو.

وكننت عازماً على عدم الغوص في متاهات جانبية فقلت من جديد هذا يمكن لنا –الجنرال وأنا– أن نناقشه على مدى ساعات وأرى أن نترك ذلك للتاريخ.

رد على بالقول «لقد ذكرت ذلك من أجل التاريخ» والتزم الصمت لهولة، أخيراً بدا مستعداً لمواصلة النقاش وقال: بصدد التدابير الخاصة بالحيولة دون حصول اشتباك بين قوات الطرفين «سنتعاون في هذه المسألة».

والان بعد أن غطينا النقاط الرئيسية التي يريدها التحالف، بحثنا مسألة أن ترفع العربات في منطقة اطلاق النار أعلاماً برتقالية اللون لتعلن عن نواياها السلمية ثم سألته هل هناك مسائل أخرى يود بحثها.

قال لدينا نقطة واحدة أنتم تعرفون وضع طرقنا وجسورنا ووسائل اتصالاتنا. أومأت بالإيجاب – متذكراً الأضرار الهائلة التي أنزلها القصف – «نود أن نرسل الهليكوبترات لنقل المسؤولين الحكوميين في المناطق التي دمرت فيها الطرق والجسور..

لا علاقة لهذا الأمر بخط الحبة فهو محصور داخل العراق» بدا لي ذلك طلباً مشروعاً وبما أن العراقيين قبلوا كل طلباتنا فلم أر في الموافقة على مطلب واحد من مطالبهم أمراً خارجاً عن العقول «طالما كانت الطائرات لا تحلق فوق الجزء الذي تتواجد فيه فلا أرى أى مانع في ذلك إذن أن ندع الهليكوبترات تحلق هذه نقطة هامشية جداً واحرص على أن تسجل إن باستطاعة الهليكوبترات العراقية التحليق، وهذا لا يشمل المقاتلات ولا القاذفات

بعد ذلك قال أحمد شيئاً كان ينبغي أن يستوقفني «إذن انت تعنى انه حتى الهليكوبترات المسلحة تستطيع التحليق في الأجواء العراقية وليس المقاتلات لان الهليكوبترات واحدة وهى تنقل شخصا».

نعم سأوعز إلى القوة الجوية بعدم إسقاط أى هليكوبتر تحلق فوق الأرض العراقية حيث لا توجد لنا قوات. في الاسابيع التالية اكتشفنا ماكان يضمه بالنسبة لاستخدام الهليكوبترات القتالية كانت لقمع الانتفاضات في البصرة والمدن الاخرى في ذلك الوقت. ان الامر متروكا للبيت الأبيض كى يقرر إلى أى حد ترغب الولايات المتحدة في التدخل في الشؤون السياسية الداخلية للعراق ولكن اذا حكمنا على الأمور استنادا إلى تقارير الاستخبارات التى تلقته القيادة المركزية فإن اسقاط الهليكوبترات العراقية لم يكن ليغير من الأمور كثيراً، فدبابات ومدفعية ٢٤ فرقة عراقية لم تدخل منطقة الحرب الكويتية كان لها الأثر المدمر على الثائرين.

بعد ذلك جاءت لحظة واحدة حرر فيها أحمد زمام العاطفة، إذ قدم إحصاء بأسرى التحالف لدى العراق، قال لدينا ما مجموعه ٤١ أسيراً سجلت ملاحظات وقرأت:

١٧ أمريكيا

٢ من ايطاليا

١٢ بريطانيا

١ من الكويت

٩ سعوديين

ولكنه ترك عدد الجنود الذين لم يدرجوا في حساب الاسرى.. واخرجت على الفور قائمة المفقودين إلا أنه استوقفني نريد الحصول على عدد أسراننا بالمثل.

أجبت حتى ليلة امس ٦٠ ألفا أو أكثر من ٦٠ ألفا لأن من الصعب احصاءهم بالكامل.. شحب وجهه شحوبا تاما، كأن لم يكن لديه ادنى تصور عن حجم الهزيمة التي حاقت بهم.

ولما انفض الاجتماع كان علينا ان ننتظر بضع دقائق ريثما يدقق الكولونيل بيل مجموعة كاملة من أشرطة التسجيل تعطى لكل طرف.. أعطينا للعراقيين مجموعة أشرطةهم ورافقناهم إلى الخارج - حيث كان الموكب بالانتظار - ورافقت أحمد إلى العجلة الأولى ورافق خالد محمودا إلى العجلة الثانية وكان رجال الصحافة منتشرين في ارجاء المكان يلتقطون الصور إلا أنني لم أكن أبدى أى انتباه لهم كنت أركز على السبيل لأحراجهم من المكان لقد اجزنا ما جئنا والأفضل ان يغادر الوفد بسرعة سالما على الطريق خارج نطاق سيطرتنا.

لما وصل أحمد إلى العجلة استدار ثم استعد وأدى التحية العسكرية أدت له التحية بالمثل مد يده صافحته متمنيا له سفرة سالمة نظر إلى وأجاب: «كعربي لا أحمل أى كراهية في قلبي» وركب العجلة وانطلق الموكب مثيرا غيمة الغبار، ترافقه من جديد دبابات (م ١/١) وعربات برادلى وهليكوبترات أباتشى.

عقدنا خالد وأنا مؤتمرا صحافيا وجيزا ثم عدنا إلى منطقة الاجتماع حيث تبادلنا التهاني مع جنرالات التحالف أما الميجور جنرال ماريو اربينو الايطالى، فقد طار من الفرع لدى سماعه ان طياريه المفقودين مايزالان على قيد الحياة وكان الجنرال جابر - الذى حياني قبل الاجتماع - قد أخذنى بالاحضان مسرورا لمعرفة بأن الطيار الكويتى المفقود سليم، وأبدى ببيتري دى لابلير مشاعر متضاربة بين الغبطة لسماع اخبار الاسرى البريطانيين الاثنى عشر، والحزن لان المزيد من أبناء جلدته المفقودين لم يظهروا في قائمة الاسرى وتنفسنا جميعا الصعداء لأن الاجتماع سار سيرا حسنا إلا أننا لم نكن لنشعر بالرضا التام حتى يؤوب الاسرى بسلام ونعرف مصائر المفقودين. اتصلت بباول واعطيته صورة كاملة عما جرى واثنيت على التحضيرات الرائعة التي

قام باجونيس وكارتر ثم ذهبت لأشكر الجنود، وأشد على ايديهم وأوقع أو توجرافات أو أقف معهم لالتقاط صور تذكارية فبعد كل شىء هؤلاء هم الرجال الذين حققوا وصولنا إلى هذا المكان.

اخيرا ركبنا فرانك وأنا على متن طائرة البلاك هوك.

قلت له: «قام رجالك بعمل رائع في تحضير ذلك كله».

شكرنى متوهحا بالسرور

ولما حلقتنا عائدتين فوق مشهد الدمار ذلك، راح فرانكس يتحدث عن مستودعات الذخيرة الضخمة التى عثر عليها جنوده في جنوب العراق وأشار إلى أن وحداته قد تستغرق اسابيع لتنفيذ الأمر الذى أعطيته بنسف كل ذخائر العدو.

والححت قائلًا: إما أن ننسف الذخائر أو ننقلها كغنائم، إذا تركناها وراءنا فسيستعملونها ثانية أردت أن يدرك أن هذه المهمة لم تنفذ بعد كما اشرت أيضا إلى أن مسئولية مطار مدينة الكويت تقع على كاهله وقد يصبح نقطة لتبادل اسرى الحرب.. أو ما برأسه موافقًا.

حال وصولنا الكويت، ركبت طائرتى على عجل واقلعت إلى الرياض كنت أعرف أن مقر قيادتى في الرياض على وشك أن يتحول إلى مفرمة لحم إدارية إذ يتوجب علينا البدء بتحريك القوات والمعدات كى تعود إلى الوطن وهى مهمة مفرمة إلا أنها عملاقة ومعقدة ويتوجب أيضا أن نعيد مدينة الكويت إلى الحياة وهذا يعنى اصلاح وتشغيل شبكة المياه وشبكة الطاقة الكهربائية والتليفونات ومساعدة الشرطة في حفظ النظام والبحث عن الفخاخ الملقمة وإزالة ألغام الشاطئ وإعادة فتح الميناء وألف مهمة أخرى مماثلة.. وريثما تصادق الامم المتحدة على اتفاقية وقف اطلاق النار التى تسمح لنا بانتهاء احتلالنا فإن علينا أن نقوم بمهام الحكومة للجزء الجنوبى من العراق: حفظ النظام، وتقديم الخدمات الضرورية ورعاية الاف اللاجئين الهاربين من الانتفاضات في الشمال واخيرا يتوجب علينا مساعدة الصليب الأحمر في تسلم ما سيتضح أنه ٨٠ ألف أسير عراقى واخراجهم من السعودية بأسرع ما يمكن.

ولكن بوسع كل هذه الأمور أن تنتظر ريثما تحط الطائرة ولأول مرة غمرنى

احساس لا بالنصر ولا بالمجد، بل بانزياح هم. نظرت إلى السماء الكويتية فوجدتها ماتزال معتمة بظلمة الحرب وإلى السماء السعودية النظيفة أمامي وقلت لنفسى المرة تلو المرة لقد انتهى ذلك حقا.

١٦ مارس ٩١ - الهجوم البرى + ٢٠ / الهجوم + ٥٨

- الساعة ٠٨٣٠ - مناقشات مع وفد الكونجرس بقيادة عضو الكونجرس فورد.. من بين ذلك قضية النساء في السلك العسكرى كيف كان أدأؤهن؟ (ق. ع) قال «عظيم».

- الساعة ١٠٠ - غادر (ق. ع) وزارة الدفاع لزيارة مزرعة خالد وهى مزرعة مائية صحراوية حيث قضى النهار.

١٧ مارس ٩١ - الهجوم البرى + ٢١ / الهجوم + ٥٩

- الساعة ١٧٢٥ - مكالمة مع رئيس الأركان (ق. ع) راجع أقوال آخر وفد من الكونجرس، ملاحظاً أن الشيوخ الذين صوتوا ضد الحرب، أخذوا نصف الوقت ليبيّنوا للقاء العام أسباب تصويتهم.

انتظرت شهرا ونصف الشهر قبل ان أطلب الإذن بالعودة إلى الوطن. في هذه الأثناء كانت حكومة الكويت قد عادت تماما وعملية التطهير قد قطعت شوطا كبيرا، رغم أن الخبراء قد روا أن الأمر قد يتطلب عدة أشهر قبل أن يتم إطفاء كل حرائق حقول النفط لقد استرجعنا أسرانا وأعدنا آلاف العراقيين وقدمنا العون للسعوديين في إقامة معسكر ضخّم لرعاية اللاجئين المدنيين العراقيين. أخيرا دبرنا رجوع أكثر من نصف القوات إلى الوطن ولما اتصلت بباول لاقول له ان الاوان لارجاع مقر القيادة المركزية إلى الولايات المتحدة أمطرنى بعشرات الأسئلة ليتأكد من اننا سنترك وراءنا ما يكفى من القيادة العسكريين لإدارة القضايا الناشئة أخيرا ثم قال: «سأثير الموضوع مع الرئيس».

كنت أعرف انه ستقام احتفالات بالنصر لدى وصولى لقد حظى جنودنا باستقبال الأبطال في الولايات. وقد غمرنى حلفاؤنا العرب -أصلا- بالكثير من مراسيم التكريم والجوائز ولكن ما إن وضعت قدمى في طائفة العودة للوطن حتى انصرف كل تفكيرى الى عائلتى ورغم أنى أقر بأن كل رجل وكل امرأة وكل المشاركين في عاصفة الصحراء قد نأوا عن أحبائهم فإن ذلك البعاد كان أشق علىّ مما عداه. فلقد شعرت انى حرمت من

وقت ثمين أقضيه مع أطفالى وهو مالا قبل لى بخسرانه بعد، فابنتى جيسيكا تقارب سن الرشد وقد تركت البيت لئلا تهاق بالجامعة ولدى على شفا الانتقال من الصبا إلى الرجولة لقد نشبت الحرب فى اليوم الذى كان على أن أخرج من الباب الخلفى لأخبر «سندى» اننى لا أعرف ان كنت سأعود الى البيت فى عيد الميلاد ولن تنتهى الحرب قبل أن استرجعهم من جديد.

كان هناك حشد كبير فى انتظارى على أرض مطار قاعدة ماكديل الجوية فيما حطت الطائرة وراحوا يجرونها بعربة ولما خرجت من الطائرة بحثت عن علم أمريكى وأديت له التحية العسكرية. قبل بضعة أسابيع من ذلك فعل أسرانا الشيء نفسه لدى وصولهم الى الرياض، وكنت أكرر البادرة نفسها إكراما لهم بعدئذ أخذت أنزل درجات سلم الطائرة ورأيت عائلتى.. لقد أتوا جميعا: بريندا، سيندى، جيسيكا، كريستيان، سالى.. وبير، وراحوا ينتظرون أمام الحشد - ولكن على مبعده قليلة عنه - فتحت ذراعى فيما هم يهرعون لملاقاتى عند أسفل السلم كان العناق أشبه بمباراة مصارعة رائعة فأطفالى يعانقوننى من كل حذب وبريندا تحتضننى وسالى تعانقنى، أما الكلب بير فكان يثب علينا جميعا واختلط الحابل بالنابل والمراسلون يحملون الكاميرات.

كان هناك الالاف من المستقبلين فى المدرج أزواج مسنون يلوحون بالاعلام الأمريكية فتيات وفتيان مراهقون يرتدون فانيالات تحمل عبارات «رعى الله الولايات المتحدة» و«إذا لم تكن وطنيا فأنت صاروخ سكود»، وأولاد صفار يرتدون بدلات قتال صحراوية مموهة ورأيت بريق الشرائط الصفراء فى كل مكان لأن الجميع كان يحمل الشريط الأصفر علامة النصر وفيما رحنا - أركانى وأنا - نشق طريقنا إلى منصة الاحتفال صافح الناس أيادينا أوبرتوا على ظهورنا، أو رفعوا أطفالهم الرضع، فيما ألف وميض لمصابيح الكاميرات اندس وبرز شخص وهو من مخضومى حرب فيتنام يرتدى بدلة قتال غابات وله شارب - من طراز فوامانشو- ولحية وشعره يتدلى إلى منتصف ظهرة، طوق عنقى بذراعيه مهنئا، صارخا: «شكرا، شكرا أخيرا صحتم الامور» كانت عاطفة الجمهور الجياشة دلالة مسبقة تنبىء بالفرح الوطنى الذى كنا سنراه فى الأسابيع التالية: الترحيب بالعودة فى بلدية تامبا، عرضا للنصر فى واشنطن والاستعراض الذى ينثرون فيه الأوراق فى برودواى - بنيويورك. اعتليت المنصة

وأديت التحية العسكرية بينما راحت الفرقة الموسيقية التابعة لفرقة المشاة الـ ٢٤ تعزف النشيد الوطني ووقفت هادئا إلى جانب بريندا فيما كان السفير الكويتي يشكرنا على تحرير بلاده، ويدلى بأقوال أخرى.

أخيرا عدنا إلى البيت حيث بدا وكأن كل شيء يحدث في ان واحد فسيندى وجيسيكا وكريستيان يتحدثون جميعا ويطلعونني على الرسائل والهدايا التي أرسلها الناس وكان الكلب بير ينبج وبريندا تسألني عما أرغب فيه من طعام والكل يهتف بي أن أفتح هدايا عيد الميلاد التي حفظوها لي. رن جرس التليفون كانت روث على الخط ووعدت أن تلتقي قريبا وظلت سالي تقفز كل نصف ساعة لتدقق في التلفزيون فلقد تسمرت أمامه طوال فترة الحرب ولم تتخلص من هذه العادة وما عرضته التقارير الاخبارية ونحن نتبادل العناق في القاعدة الجوية، ضحكت وقلت هيا يا سالي لقد انتهت الحرب بوسعك إغلاق التلفزيون. هزت كتفيها وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة لقد كان شاقا عليها كما كان على أن أصدق ان الحرب قد انتهت.

امتلاأت الأشهر اللاحقة بالاحتفالات ولكن كان ما يزال أمامي الكثير من العمل كي أنجزه -بصفتي رئيسا للقيادة المركزية- فحين أحجم العراقيون عن الانصياع لقرار الأمم المتحدة بالتفتيش عن المعدات النووية وهددوا بالتدخل لمنع أعمال الاغاثة للأكراد كنت أضطر لوضع الخطط لشن عمليات عسكرية إذا دعت الحاجة، وأشرفت على إعداد تقرير رسمي طويل حول الحرب واستدعيت للشهادة أمام لجان الكونجرس.

الواقع قبل أن أغادر الرياض زارني مايك ستون سكرتير الجيش وسألني ما اعتزم عليه بعد وقال: قلبي يميل اليك كرئيس لأركان الجيش قلت له انني عقدت العزم منذ أمد بعيد على التقاعد حال انتهاء الأزمة وأشرت إلى أن رئيس الأركان المقبل سوف يدعى لتقليص حجم الجيش وأفضل أن اتقاعد إثر نصر كبير من ان اتعرض لألف هزيمة على أيدي الكونجرس. ومما يسرني حقا أن تشينى وباول اختارا جوهور، أول رئيس للأركان عندي في القيادة المركزية خليفة لي وتشاغلتي على مدى أسابيع بالتخطيط لمراسيم تغيير القيادة التي اتخذت أبعاد حدث رسمي للدولة، لأن العشرات من الأمراء والشخصيات الاجنبية البارزة طلبوا حضور مراسيم الاحتفال.

قمت برحلة أخيرة الى مصر والمملكة العربية السعودية والكويت لاشد «الأطراف الرخوة» وتوقفت في طريق عودتي في إنجلترا حيث تركتني حرارة الاستقبال من لدن الحكومة مصرجا؛ فلم يدعوا لي سائحة لكي أشكرهم بما فيه الكفاية على الدعم الذي قدموه لنا في الخليج واذكر في الرياض أن بيتر دي لا بيلير مازحني قائلا: اننى رأيت ممالك الشرق الأوسط ولكنى لا أعرف شيئا عن مملكته، لذلك أخذنى بعد انقضاء الجزء الرسمى من الزيارة في جولة لبعض اطلال القلاع الجميلة في هيرفورد شاير.

كما توقفت أيضا في فرنسا حين استقبلنى ميشيل «روكويجيوفر» لدى وصولي إلى «اباجن» موطن الفرقة الفرنسية الأجنبية واهيئت مراسيم حفلة رسمية سلمنى خلالها الجنرال موريس شميث وسام جوقة الشرف، أما الجنرال رايموند لي كور، قائد هذه الفرقة فقد منحني رتبة نائب عريف شرف في الفرقة وهو ما يعادل رتبة جندي أول.

بعد الغداء الرسمى أخذنا الهليكوبترات إلى قصر في تلال بروفنس اشترته الفرقة بعد حرب الهند الصينية. انه نُزل التقاعد، فالعديد من أفراد الفرقة قد انضموا اليها وفق قواعد تسمح لهم بالتطوع باسماء مستعارة وعدم الادلاء بأية معلومات عن ماضيهم وكانوا بلا أسر ولا وطن، يذهبون اليه كلما تعذرت عليهم سبل العودة للاندماح في المجتمع وكان للقصر حقل وكرمه الخاص ومسبك وورشة سيراميك وورث حفر على الخشب وتجليد كتب فقد كان الرجال يعملون أنفسهم بأنفسهم ولما دخلت الورش تباعا كان الرجال العاملون يناهزون السبعين أو الثمانين وقد وقفوا وقفة استعداد عسكرية فهم لا يزالون فخورين كل الفخر كونهم جنودا.

وإلى جوار القصر وضع مضيئونا موائد خشبية طويلة تحت شبكة تمويه ولما مالت الشمس إلى الغروب وبدأ نسيم الجبال البارد يزيل حر النهار خرج شيوخ الفرقة يتقلقلون في مشيهم، شيوخ بشعور بيضاء من المشيب: المان نمساويون سويسريون بلغاريون بولنديون فرنسيون ولبعضهم لحى بيضاء كاملة، وآخرون بلا أسنان لقد ارتدوا سترات مدنية فوق قمصان وسراويل عتيقة وعلقوا ميدالياتهم على صدورهم.. بعد ذلك جلسنا لتناول عشاء قروي فرنسى مؤلف من فطائر اللحم والسمك والسجق والفواكه والخضار والخبز مما ذكرنى بالوجبات التى تناولتها أيام صباى في المدرسة بسويسرا ولما فرغنا من الوجبة اخيرا راحوا يغنون أغانى المارشات القديمة بانغام

بطيئة جميلة ولحن حزين أقرب إلي الجنائزى وهى أغنان عن الأسرة والحبيبات والأوطان المهجورة ولما جهرت أصوات المسنين بالغناء انضم اليهم شباب الفرقة وغمرنى ذلك بالعاطفة.

ثم عاد الخاطر يطرق.. ثلاثة أسابيع واطرك الخدمة" لم أفكر على الإطلاق بنفسى كرجل عسكرى مائة بالمائة كنت واثقا من قدرتى على شق طريقى كمدنى ولكنى أدركت فجأة اننى منذ لحظة مغادرتى برنستون لالتحق بأبى فى طهران قبل ٤٥ سنة لم أعش سوى حياة عسكرية وأدركت اننى سأفتقد الرفقة التى تنمو بين كل من يعانون محنة مشتركة انها رابطة تصل بين كل الجنود القدامى ليس فقط بين جنود جيشنا، بل أيضاً بين جنود الفرقة الأجنبية، وجنود فيلق البانزر الالمانى، وجنود الجيش الأحمر وأظن حتى بين جنود الفيتكونج. وفيما انا انظر إلى خيول الحرب العجائز هذه أدركت اننى سأفتقد جنودى.

فى يوم الجمعة ٣٠ أغسطس ارتديت بدلة القتال والحميلة وأعلنت عن حضورى.. فى مكتب الأفراد فى القيادة المركزية، سلمتنى جنديّة شابّة استمارة الصرف من الخدمة. وقالت سيدي هذه أوراق الخدمة رقم ٢١٤٠ نوصيك بحفظ هذه القسيمة فى خزانة أمينة لأنها الدليل الحقيقى الوحيد على انك كنت فى الخدمة. ذيلت الأوراق بتوقيعى وتسلمت بطاقة التقاعد ثم بعد التقاط بضع صور تذكارية مع الجنود الشباب فى المكتب مشيت متوجهاً إلى السيارة. أما السرجنت الاول كريج «ماكس» ماكسوم، الذى كان مسؤولاً عن فريق حمايتى الشخصية منذ بدء عاصفة الصحراء والذى ظل باستمرار يلازمى أخذ يسألنى: هل انتهى كل شىء؟

~ «ماكس انتهى الأمر».

~ «سيدى ليس هذا منصفاً.. خمسة وثلاثون عاماً فى العسكرية ثم توقع على قطعة ورق وينتهى كل شىء؟» سيدى ليس هذا منصفاً يجب ان نفعل شيئاً..

«كفانا استعراضات.. ماك ارثر كان محقاً.. فإن قدامى الجنود يطويهم النسيان ولكن ماكس كان مضطرباً.. وفى مساء اليوم التالى أقيمت لنا مأدبة عشاء وعدت إلى البيت فى منتصف الليل وهكذا انتهت رحلة خدمتى فى بلادى.. أمريكا.

الخاتمة

تساؤلات

بعد أن تقاعدت عام ١٩٩١، لاحقتني أسئلة عديدة أينما حللت في بلدان أوروبا وأمريكا وهي أسئلة تتصل بحرب الخليج وخط سيرها ونتائجها، وفيما يلي إجاباتي على أبرز هذه التساؤلات الملحة:

السؤال الأول هو بالطبع: لماذا لم نتوجه إلى بغداد وننهي المهمة؟

ينبغي أن يفهم بوضوح أن خيار قطع الطريق كله إلى بغداد لم يدرس قط. فبرغم كل الخبراء -الذين ينتقدون الآن ذلك «القرار» بأفكار ابتدعوا عشرين من عشرين منها بعد الحدث- لم يكن هناك رئيس دولة واحد، أو دبلوماسي واحد، أو خبير شرق أوسط واحد، أو قائد عسكري واحد - بقدر ما اعرف- ناصر مواصلة الحرب واحتلال بغداد. فقرارات الأمم المتحدة التي توفر الأساس القانوني لعملياتنا العسكرية في الخريج كلية كان أبرز مقاصدها طرد القوة العسكرية العراقية من الكويت. لقد كنا مخولين بكل الأعمال الضرورية لانجاز هذه المهمة، بما في ذلك شن هجمات داخل العراق، ولكن لم تكن لنا صلاحية غزو العراق بهدف الاستيلاء على البلد كله وعلى عاصمته.

ولو عدنا إلى الحرب الفيتنامية لتوجب علينا أن نقر أن من بين أسباب فقداننا للدعم العالمي لأعمالنا هناك هو افتقارنا إلى مشروعية دولية معترف بها للتدخل في فيتنام. أما في الخليج فقد كان الوضع عكس ذلك تماما، فقد كان إلي جانبنا أكثر من تسعة قرارات صادرة عن الأمم المتحدة تتيح أعمالنا، وكنا نحظى بدعم العالم كله عمليا، إلا أن هذا الدعم المقدم لنا ينحصر في طرد العراق من الكويت لا احتلال بغداد.

ولو القينا نظرة على خرائط معركة الحرب البرية، لا يمكننا أن نرى أنه ما من قوة من القوات العربية دخلت العراق. فقد اقتصر القتال داخل العراق على القوات البريطانية

والفرنسية والأمريكية وحدها. وقد تناولت في هذا الكتاب بشيء من التفصيل حساسية حلفائنا من مسألة هجوم دولة عربية على دولة عربية أخرى. وأنا موقن أنه لو اننا اتخذنا قراراً بغزو العراق كله والاستيلاء على بغداد، فإن التحالف الذي ثابرتنا بدأب على صونه كان من شأنه أن يتمزق. كما أنى موقن بالقدر نفسه ان القوات الوحيدة التى كانت ستشارك فى مثل هذه الأعمال العسكرية هى القوات البريطانية والأمريكية وحدها. فقد كان من شأن الجميع حتى الفرنسيين - أن ينسحبوا من التحالف.

ولو ذهب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وحيدتين للاستيلاء على بغداد لجرى اعتبارنا - طبقاً لمواثيق جنيف ومواثيق هيچ - قوى احتلال، ولكننا بذلك مسئولين عن كل تكاليف ادامة واستعادة النظام والتعليم، وغير ذلك من الخدمات لشعب العراق. وبناء على خبرة الفترة الوجيزة التى قضيناها فى احتلال جزء من الأراضى العراقية بعد الحرب، فإننى متأكد اننا لو استولينا على العراق كله، لكنا مثل ذلك الديناصور الغارق فى حفرة قار. أى لكنا ما نزال هناك، ولكننا نحن - لا الأمم المتحدة - نتحمل تكاليف ذلك الاحتلال وهذا عبء ما أظن ان دافع الضرائب الأمريكى المحاصر سيكون سعيداً بتحملة.

أخيراً ينبغى ألا ننسى كيف سعى صدام إلى وصف الحرب بأسرها فقد سارع إلى الادعاء بأنها ليست حرباً ضد العدوان العراقى على الكويت بل بالاحرى حملة أمم استعمارية غربية تستهدف - بوصفها عميلة للاسرائيليين - تدمير البلد العربى الوحيد العازم على تدمير دولة اسرائيل، ولو قامت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وحدهما بمهاجمة العراق واحتلال بغداد لبات كل مواطن فى العالم العربى لليوم على قناعة بأن دعوى صدام صحيحة، بدلا من ذلك يعرف هؤلاء المواطنون أن قوات مسلحة غربية وعربية قاتلت جنباً إلى جنب ضد العدوان العراقى، وأنه حين تم تحرير الكويت سحبت الدول العربية قواتها العسكرية وعادت إلى أوطانها، لقد كنا أذكاء استراتيجياً لمرة واحدة بما فيه الكفاية لكسب الحرب والسلام معا.

أما السؤال التالى - الذى كنت اتلقاه بصورة محتومة - فهو استكمال للأول: مادام صدام لا يزال حياً وممسكاً بـ... سام السيطرة فى العراق، الا يعنى هذا أن الحرب قد

خيزت لأجل لا شىء؟

أعترف أنني أود من كل قلبى - شأن الكثيرين - لو ان صداما أحيل إلى العدالة لينال جزاءه بطريقة ما، ولعل هذه المحاكمة ما تزال مطلوبة. ولكن خير إجابة عن هذا السؤال تتطلب أن نفكر فيما كان سيحصل لو أننا سمحنا لصدام أن ينجح في عدوانه، لو اننا لم نخض حرب الخليج.

أولا: سيكون صدام الان قد سيطر تماماً على كل نفط الكويت وربما كل نفط الجزيرة العربية وينبغى ألا يغرب عن البال ان التهديدات التي وجها صدام قبل الحرب كانت ضد كل من الكويت والامارات العربية المتحدة. والطريق الوحيد للوصول إلى الامارات العربية عبر الكويت يمر بالمنطقة النفطية السعودية وحتى لو افترضنا انه كان سيقصر عدوانه على الكويت، فإنه كان سيرسل اشارة منذرة، جبارة إلى إمارات دول الخليج مما لا يسعها اغفاله. وعليه كانت ستعرض للترهيب في كل قرار مقبل، وكان صدام قد احرز هدفه المعلن برفع أسعار النفط رفعا دراماتيكيا في السوق العالمى، مع ما ينجم عن ذلك من ضغط يكبح الاقتصاد العالمى المهزوز اصلا. والآنكى من ذلك انه لو تابع الانماط القديمة فان عوائده البترولية المتعاظمة كانت ستفضى إلى تقوية جهازه العسكرى القوى (بالقياس إلى بلدان الشرق الأوسط الأخرى) وتوسيع ترساناته النامية من المعدات النووية والبيولوجية والكيمياوية القائمة اصلا. وليس من الصعب ان يتخيل المرء ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى مستقبل اسرائيل وقضية السلام العالمى.

عوضا عن ذلك فان قلع مخالف صدام ارغمه على الانكفاء وراء حدوده وقد جرى تحطيم قدراته النووية والبيولوجية والكيمياوية العسكرية وسيظل منزوع المخابل مادام بمقدورنا ان نعمل على منعه من الحصول على هذه القدرات بنفس الطريقة التي حصل عليها في الماضى - من شركات غربية أو شرقية عديمة الضمير تعنى بالحصيلة المالية للشركة اكثر من عنايتها بالسلام العالمى. لقد تعرضت قوات صدام العسكرية إلى هزيمة ساحقة، بحيث لم تعد قادرة على تهديد أى بلد آخر.. ومما له أعظم الأهمية ان صداما ارتكب ما لا يخطر على البال إذ هاجم بلدا عربيا شقيقا وفقد من جراء ذلك ماء وجهه في هزيمة عسكرية مهينة، ولذا فان دعواته اللاعقلانية المتشددة لن تعد تلقى أذانا صاغية في الشئون السياسية العربية. ونتيجة لذلك بالدرجة الاساسية وأيضا

نتيجة انتصار التحالف في الخليج أخذت عملية السلام في الشرق تمضي قدما، فالفلسطينيون وغيرهم من العرب والاسرائيليون يجلسون الان إلى طاولة المفاوضات كما ان رهائننا قد أخلى سبيلهم، هل تعتقدون أنني أرى ذلك يستحق؟ انتم متأكدون من ذلك.

أخيرا رغم ما نشاهده في افلام رامبو فان القبض على شخص مثل صدام وإحالة إلى العدالة ليسا بالمهمة الهينة. ففي بنما - وهي بلد صغير تنتشر فيه الاف العيون الامريكية وترى ما يحصل حتى قبل بدء العمليات العسكرية - لم نستطع ان نعثر على شخص اسمه نورويجا لوقت طويل وأننى واثق اننا حتى لو قمنا بغزو كامل للعراق فاننا لم نكن لنعثر على صدام حسين في ذلك المعسكر المسلح الكبير، المسمى العراق.

- ماذا يصدد كل حوادث الاصابة بالنيران الصديقة التي سمعنا بها منذ انتهاء الحرب؟

لكم ابغض هذا التعبير: «نار صديقة» فما ان تنطلق الرصاصات من الفوهة أو ينقذف الصاروخ من الطائرة عندئذ لا تعد النار «صديقة» لأى انسان، ولسوء الحظ فان قتل الاشقاء بيد الاشقاء ظل يحدث منذ بدء الحرب، فطابع الفوضى في ميدان المعركة، حيث القرارات السريعة هي التي تحدد الفرق بين الحياة والموت وهذا يؤدي إلى وقوع العديد من حوادث مصرع الجنود بنيرانهم بالذات في كل حرب خاضتها اية أمة. حتى في مركز التدريب القومي الامريكي -حيث القتل يحاكي بالليزر والكمبيوتر- يلاحظ وجود حالات قتل أشقاء.. هذا لا يضفى عليها مشروعية القبول. ولا ينبغى ابداء عذر لمثل هذا الموت الذى يمكن تفاديه. أما في هذه الحرب التي قدم جانبنا فيها خسائر قليلة للغاية فإن حجم المأساة يتعاضم حين تفقد أسرة ما ابنا أو بنتا بهذه الطريقة.

كانت مشكلتنا في حرب الخليج أن قدرتنا التكنولوجية على ضرب الأهداف تفوق قدرتنا على تشخيص موقع الأهداف بوضوح. فلقد دأبنا منذ سنوات على تطوير قدرتنا على مهاجمة أهداف العدو من مديات بعيدة.. نظرا لأننا نحتاج، كى ننجح في مواجهة قوة دبابات سوفياتية هائلة، إلى تدمير أكبر عدد ممكن منها قبل أن تشتبك معها قواتنا. وقد وجدنا أن بيئة الصحراء تعزز هذه القدرة على أخذ الأهداف وضربها من مسافات

شاسعة. وفي وقت مبكر توصلنا إلى إدراك الخطر الذى يتهدد قواتنا من هذه القدرة المتعاضمة، وواجهنا الأوساط المعنية بتطوير الأسلحة بالتحدى التالى، وهو: أن يبتكروا طريقة ما للتمييز بدقة بين الصديق والعدو. ولسوء الحظ لم يتم إيجاد حل تكنولوجى مرض يحول دون تزايد خطر تدمير قواتنا على يد العدو، ولسوء عبقنا عن ذلك بلغة بسيطة لقلنا: إن كل تدبير يجعل قواتنا مشخصة أكثر لنا، كان سيجعلها مشخصة أكثر للعدو. وعليه، كان علينا الاعتماد على إجراءات تشخيص أخرى، رحنا نؤكد ونشدد التأكيد عليها على كل المستويات. ومن أكثر هذه التدابير شيوعا، بالطبع هو النظر إلى الموضع فى ميدان المعركة. فإذا كنت تعلم أنه لا توجد قوات صديقة أمامك فإن كل ما تراه لابد أن يكون للعدو.

ومما يؤسف له أنه جرى ارتكاب أخطاء بريئة أثناء احتدام المعركة مما أدى إلى وقوع خسائر فى الأرواح. ولابد من أن نجد طريقة آمنة لتنفيذ مهماتنا. وقد حفلت كل التقارير التقييمية لما بعد المعركة -التي رفعها العاملون فى مقر قيادتي السابق وقادة القوات المؤلفة لهذه القيادة- بهذه القضية، باعتبارها قضية تسترعى الانتباه العاجل والتصرف وتكرس كل فروع القوات المسلحة جهودا لإيجاد حل تكنولوجى لهذه المحنة الجديدة.

هناك سؤال آخر كثيرا ما يوجه لى. كيف كان أداء معداتنا التكنولوجية العالية التطور؟

جوابي هو نفسه دائما «بما يفوق أكثر التوقعات جموحا». فى الأيام الأولى من نشر القوات واجهنا فعلا مصاعب غير متوقعة نتيجة البيئة الصحراوية القاسية. فقد وجدنا أن الرمال السعودية الناعمة الشبيهة بمسحوق الغبار تسد الفلاتر فى بعض عرباتنا المدرعة. وقد جرى حل هذه المشكلة سريعا حين طلعت علينا التكنولوجيا الأمريكية بفلاتر جديدة. ووجدنا أن الرمال تحت أذرع مراوح الهليكوبتر، فجاء الخبراء بأشرطة تحمى الأذرع وتخفف الاحتكاك. إن البيئة الصحراوية -شأنها شأن البيئات القاسية فى المدار القطبى أو فى الغابات الكثيفة- تنطوى على تحديات خاصة يتعين أن نتكيف معها، إلا أن الأصالة الأمريكية المبدعة القديمة كانت تأتى لنجدتنا دوما. وتعلمنا كيف نتكيف، وواصلت معداتنا العمل رغم كل التوقعات المعاكسة، وبعد أربعة أيام من

المركبة ارتفعت مستويات الصيانة عندنا فوق المستويات القائمة في بعض الوحدات زمن السلم.

لقد جرى أفراد منظومات معينة وتوجيه النقد إليها من جانب أشخاص يرومون خدمة أغراضهم الخاصة، من بين ذلك منظومة صواريخ باترويت. الواقع أن النقاد لم يفلحوا في الكشف عن شيء سوى افتقارهم إلى المعرفة عما صممت من أجله صواريخ باترويت. لقد صممت صواريخ باترويت أصلا للدفاع عن نقطة هدف معين مثل مطار، مستودع تجهيزات، مقر قيادة ضد طائرات وصواريخ العدو المنقضة. ولا أعرف حالة واحدة لم يعمل فيها صاروخ باترويت بنجاح تام (مائة في المائة) في الدفاع عن المنشأة التي نصب لحمايتها. وواقع الأمر أن الصاروخ قام بأداء رادع في أحوال كثيرة كسلاح للدفاع عن منطقة، هو كسب إضافي، وقد وفر ذلك درجة من الحماية لمدن كاملة لم تكن نأمل في توفيرها قط. وهناك نقد مماثل وجه إلي الذخائر الدقيقة للقوة الجوية، مفاده أن هذه الذخائر لم تصب الهدف دوما من أول ضربة وأن الأمر قد تطلب في بعض الأحيان الضرب مرتين أو ثلاث مرات لتدمير الهدف. قد يكون الأمر كذلك، ولكن هل سبق لأحد من هؤلاء النقاد أن كان في فيتنام؟ كنت مستعدا لبرتر ذراعي اليسرى لو أن قوتنا الجوية كان لديها في فيتنام نصف القدرة التي تمتعت بها في حرب الخليج. حقا إن ذخائرنا ذات التكنولوجيا العالية التطور لم تحقق الكمال بعينة مائة في المائة، ولكن هذا ليس بالأمر الخارق للمألوف، لا سيما إذا كنا آخذين في الاعتبار تعقيدات هذه الذخائر وأن الكثير منها أجرى تطويره في عجالة بسبب الحرب. إلا أنها كانت بالغة التفوق بالقياس إلى كل ما كان لدينا من قبل وبالقياس إلى كل ما تلقاه العدو من قبل بحيث أن بوسع الشعب الأمريكي أن يفتخر بالتكنولوجيا الأمريكية التي انتجها.

أخيرا غالبا ما يطلب مني التعليق على طبيعة النزاعات المقبلة وحجم قواتنا المسلحة.

أرى أن على الجنرالات المتقاعدين ألا يفوتوا أبدا فرصة التزام الصمت إزاء قضايا لم يعدوا في موقع المسئولية بالنسبة لها. بعد هذا القول، اعتقد أن الادلاء ببعض التعليقات العامة - ولا أقصد هنا اللعب على الجنس أو الطباق - أمر في محله. إنني على قناعة من أن النزاع المسلح في المستقبل المنظور لن يأخذ شكل جيوش برية ضخمة تواجه بعضها البعض على رقعة خطوط قتال واسعة، كما حصل في الحرب العالمية الأولى والحرب

العالمية الثانية، أو على غرار ما كان يحصل لو تواجه حلفا الأطلسي (الناطو) ووارسو في ميدان المعركة. فالنزاع في المستقبل سيكون مشابها لما شهدناه في الماضي القريب. فكلتا العمليتين العسكريتين اللتين دخلنا فيهما في الشرق الأوسط كانتا نتيجة لنزاعات اقليمية صارت تؤثر على بقية العالم.. إن «حرب الناقلات» كانت نتيجة الحرب الايرانية العراقية وبالطبع فإن حرب الخليج نشبت نتيجة خلاف بين العراق ودول أخرى منتجة للنفط. وكما قلت من قبل، لما تسلمت قيادة القيادة المركزية وكان هناك ١٢ نزاعا مسلحا جارية في منطقة مسئوليتي وحدها، منذ ذلك الحين انطفأ أوار بعضها، لكن نزاعات أخرى أكثر إثارة للقلاقل قد حلت محلها.. حسب المرء أن ينظر إلى الأحداث التراجمية الجارية فيما كنا نسميه يوغوسلافيا، أو الصدامات الاثنية والدينية والعرقية في الاتحاد السوفيتي السابق، لكي يدرك أن مثل هذه النزاعات الاقليمية الخطرة ستظل تلاحقنا لسنوات قادمة. ومن شأن أى واحد منها أن يفضى إلى نشوب حرب. ما الذى يوحى لنا ذلك بصدد الحجم المستقبلي لقواتنا المسلحة؟

أولا: إن ذلك يعنى أن التقليلات ممكنة. ولكنه لا يعنى أن التقليلات يجب أن تتم عشوائيا فقط على أساس الاعتبار السياسية والمالية. ومما يفزعنى، هو استماعى إلى شخص ما يقترح تقليصا بمقدار ١٠٠ مليار دولار في قواتنا المسلحة بدون أى تعليل عقلانى، سوى استخدام النقود في مجال اخر. ان الغرض من قواتنا المسلحة هو حماية مصالحنا القومية والدفاع عن بلادنا. وقبل أن نسمح بحصول تخفيضات كبيرة في قواتنا يجب أن نتأكد من اننا قمنا بتحليل جاد وعميق للطبيعة التى ستنتهجها مصالحنا القومية خلال العشرين سنة القادمة. وأين وكيف نضطر إلى زج قواتنا بعد ذلك.. يمكن لنا أن نقيم بنزاهة ما هو الحجم المطلوب لقواتنا المسلحة وبعد ذلك يمكن إجراء التخفيضات. وحسبما قيل لى، فإن مثل هذا التحليل قيد الدراسة حاليا في وزارة الدفاع.

أخيرا يجب أن نضمن أن تظل قواتنا مرنة بما فيه الكفاية لمعالجة حالات الطوارئ غير المنظورة.. ليس من السهل التكهّن برقم، معين، أو بسجلنا المتعلق بأين سنخوض حروب المستقبل، ولو سألتنى شخص ما يوم تخرجت من كلية وست بوينت الحربية في يونيو ١٩٥٦، أين ساقا تل في سبيل بلادى طوال سنوات خدمتى العسكرية، آنذاك ما

كنت متأكد مما كنت سأقوله. ولكنني متأكد تماماً إنني لست متأكد مما كنت سأقوله.
ولكنني متأكد تماماً أنني لم أكن لأقول «فيتنام، جرينادا، العراق».

يوم غادرت الرياض للعودة إلى الولايات المتحدة، أدلى الفريق الركن خالد بقول ورد
في خطاب ماه يتعين على كل أمريكي أن يفكر فيه.. إذ قال «إذا كان العالم سيحظى بقوة
عظمى واحدة، فحمداً لله أنها الولايات المتحدة الأمريكية وعندما أفكر الآن في تلك الدول
التي كانت ستقود العالم خلال الخمسين عاماً الماضية نجدها (روسيا - اليابان -
الصين - المانيا) وهي دول كانت ستؤدي بقيادتها إلى ظلام العالم، على عكس أمريكا...
وهذا عبء إضافي علينا، وكل ثقة في شعبنا الذي سيقود هذا العالم.

وثائق وملاحق

ملحق وثائق رقم (١)

نص قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (أبريل ١٩٩١)

فيما يلي نص قرار مجلس الأمن:

إن مجلس الأمن.. اذ يشير إلى قراراته ٦٦٠ - ١٩٩٠، ٦٦١ - ١٩٩٠، ٦٦٢ - ١٩٩٠، ٦٦٤ - ١٩٩٠، ٦٦٥ - ١٩٩٠، ٦٦٦ - ١٩٩٠، ٦٦٧ - ١٩٩٠، ٦٦٩ - ١٩٩٠، ٦٧٠ - ١٩٩٠، ٦٧٤ - ١٩٩٠، ٦٧٧ - ١٩٩٠، ٦٧٨ - ١٩٩٠، ٦٨٦ - ١٩٩٠.

وإذ يرحب برجوع السيادة والاستقلال والسلامة الإقليمية للكويت وبعودة حكومتها الشرعية.

وإذ يؤكد التزام جميع الدول الأعضاء بسيادة الكويت والعراق وسلامتهما الإقليمية واستقلالهما السياسى ويحيط علما بالنية التى أعربت عنها الدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت بموجب الفقرة ٣ من القرار ٦٧٨ - ١٩٩٠، على إنهاء وجودها العسكرى فى العراق فى أقرب وقت ممكن، تمثيا مع الفقرة ٨ من القرار ٦٨٦ - ١٩٩٠.

وإذ يؤكد من جديد ضرورة التأكد من النوايا السلمية للعراق فى ضوء غزو الكويت واحتلاله لها بصورة غير مشروعة.

وإذ يحيط علما بالرسالة الموجهة من وزير خارجية العراق فى ٢٧ فبراير ١٩٩١ والرسائل الموجهة، عملا بالقرار ٦٨٦ - ١٩٩١.

وإذا يحيط علما بأن العراق والكويت بوصفهما دولتين مستقلتين ذاتى سيادة قد وقعا فى بغداد فى ٤ أكتوبر ١٩٦٣ على محضر متفق عليه بشأن استعادة العلاقات الودية والأعراف والأمور ذات العلاقة معترفين بذلك رسميا بالحدود بين العراق

والكويت ويتخصيص الجزر وقد سجل هذا المحضر لدى الأمم المتحدة وفقاً للمادة ١٠٣ من الميثاق. واعترف فيه العراق باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ٣١ يوليو ٥٢ الذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ في ١٠ أغسطس ١٩٣٢.

وإدراكاً منه لضرورة تعيين الحدود المذكورة وإدراكاً منه أيضاً للبيانات الصادرة من العراق والتي يهدد فيها باستعمال أسلحة تنتهك التزاماته المقررة بموجب بروتوكول جنيف لحظر الاستعمال الحربى للغازات الخائفة أو السامة أو ماشابهها ولوسائل الحرب البكرتولوجية الموقعة عليه في جنيف في ١٧ يونيو ١٩٢٥ ولسابقة استخدامه للأسلحة الكيميائية، وإن يؤكد أن أى استعمال آخر لهذه الأسلحة من جانب العراق سوف يترتب عليه عواقب وخيمة.

وإن يشير إلى أن العراق كان قد وقع على الاعلان الصادر عن جميع الدول المشتركة في مؤتمر الدول الأطراف في بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ والدول المعنية الأخرى المنعقد في باريس في الفترة من ٧ إلى ١١ يناير ١٩٨٩، والذي حدد الهدف المتمثل في ازالة الأسلحة الكيميائية والبيولوجية على الصعيد العالمى.

وإن يشير كذلك إلى أن العراق قد وقع على حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البكرتولوجية والتكسينية وتدمير تلك الأسلحة المؤرخة في ١٠ أبريل ١٩٧٣.

وإن يلاحظ أهمية تصديق العراق على هذه الاتفاقية.

وإن يلاحظ علاوة على ذلك أهمية انضمام جميع الدول إلى هذه الاتفاقية ويشجع مؤتمر استعراض الاتفاقية المقبل على تعزيز قوة الاتفاقية وكفاءتها ونطاقها العالمى.

وإن يؤكد أهمية قيام مؤتمر نزع السلاح بالتبكير بأختتام الأعمال المتعلقة بإعداد اتفاقية للحظر الشامل للأسلحة الكيميائية والانضمام إليها على الصعيد العالمى.

وإن يعلم باستعمال العراق لقذائف تيارية في هجمات لم يسبقها استفزاز.

ومن ثم بضرورة اتخاذ تدابير محددة فيما يتعلق بهذه القذائف الموجودة في العراق.

وإن يساوره القلق بسبب التقارير التى لدى الدول الأعضاء والتى تفيد بأن العراق

قد حاول الحصول على مواد لبرنامج لانتاج الأسلحة النووية بما يتنافى مع التزاماته بموجب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية الصادرة في ١ يولية ١٩٦٨.

وإذ يشير أيضا إلى الهدف المتمثل في انشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط.

وإدراكاً منه للتهديد الذي تشكله جميع أسلحة التدمير الشامل على السلم والأمن في المنطقة ولضرورة العمل على انشاء منطقة خالية من هذه الأسلحة في الشرق الأوسط.

وإدراكاً منه أيضاً للهدف المتمثل في تحقيق تحديد متوازن وشامل للأسلحة في المنطقة.

وإدراكاً منه كذلك لأهمية تحقيق الأهداف المشار إليها أعلاه باستخدام جميع الوسائل المتاحة ومنها اقامة حوار فيما بين دول المنطقة.

وإذ يلاحظ أن القرار ٦٨٦ - ١٩٩١ قد أذن برفع التدابير المفروضة بموجب القرار ٦٦١ - ١٩٩٠ من حيث انطباقها على الكويت.

وإذ يلاحظ أنه رغم التقدم الجارى احرازه بصدد الوفاء بالالتزامات المقررة بموجب القرار ٦٨٦ - ١٩٩١، فإن مصير الكثير من الرعايا الكويتيين ورعايا بلدان أخرى مازال مجهولاً.. كما أن هناك ممتلكات لم ترد بعد.

وإذ يشير إلى الاتفاقية الدولية المناهضة أخذ الرهائن والتي فتحت باب التوقيع عليها في نيويورك في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ والتي تصف جميع أعمال أخذ الرهائن على أنها مظاهر للارهاب الدولي.

وإذ يشجب التهديدات الصادرة عن العراق أثناء النزاع الأخير باستخدام الارهاب ضد أهداف خارج العراق وبقيام العراق بأخذ رهائن.

وإذ يحيط علماً - مع شديد القلق - بتقريرى الأمين العام المؤرخين ٢٠ مارس ١٩٩١ و ٢٨ مارس ١٩٩١ وإدراكاً منه بضرورة التلبية العاجلة للاحتياجات الانسانية في الكويت والعراق.

وإذ يضع في اعتباره هدفه المتمثل في احلال السلم والأمن الدوليين في المنطقة على

النحو المحدد في قرارات صادرة مؤخراً عن المجلس.

وإدراكاً منه بضرورة اتخاذ التدابير التالية بموجب الفصل السابع من الميثاق.

١ — يؤكد جميع القرارات الثلاثة عشر المشار إليها أعلاه عدا مايجرى تغييره صراحة تحقيقاً لأهداف هذا القرار.. بما في ذلك تحقيق وقف رسمي لاطلاق النار..

الحدود والجزر

٢ — يطالب بأن يحترم العراق والكويت حرمة الحدود الدولية وتخصيص الجزر علي النحو المحدد في المحضر المتفق عليه بين دولة الكويت والجمهورية العراقية بشأن استعادة العلاقات الودية والاعتراف والأمور ذات العلاقة التي وقعاها ممارسة منهما لسيادتهما في بغداد في ٤ أكتوبر ١٩٦٢ وسجل لدى الأمم المتحدة ونشرته الأمم المتحدة في الوثيقة ٧٠٦٢ مجموعة معاهدات الأمم وسجل لدى الأمم المتحدة ونشرته الأمم المتحدة في الوثيقة ٧٠٦٣ مجموعة معاهدات الأمم المتحدة ١٩٦٤.

٣ — يطلب إلى الأمين العام أن يساعد في اتخاذ الترتيبات اللازمة مع العراق والكويت مستعيناً بالمواد المناسبة بما فيها الخريطة الواردة في وثيقة مجلس الأمن، وأن يقدم إلى مجلس الأمن تقريراً عن ذلك في غضون شهر واحد.

٤ — يقرر أن يضمن حرمة الحدود الدولية المذكورة أعلاه وأن يتخذ جميع التدابير اللازمة حسب الاقتضاء لتحقيق هذه الغاية وفقاً للميثاق.

قوة المراقبة:

٥ — يطلب من الأمين العام أن يقدم في غضون ثلاثة أيام في مجلس الأمن للموافقة وبعد التشاور مع العراق والكويت خطة للتوزيع الفوري لوحدة مراقبة تابعة للأمم المتحدة لمراقبة خور عبد الله ومنطقة منزوعة السلاح تنشأ بموجب هذا وتمتد لمسافة ١٠ كيلو مترات داخل العراق وهـ كيلو مترات داخل الكويت من الحدود المشار إليها في المحضر المتفق عليه بين دولة الكويت والجمهورية العراقية بشأن استعادة العلاقات الودية والاعتراف، والأمور ذات العلاقة الموقع في ٤ أكتوبر ١٩٦٣.. وللحد من انتهاكات الحدود من خلال وجودها في المنطقة المنزوعة السلاح ومراقبتها لها..

ولمراقبة أى أعمال عدوانية أو يحتمل أن تكون عدوانية تشن في أراضي إحدى الدولتين على الأخرى.. وأن يقدم الأمين العام إلى المجلس تقارير بصفة منتظمة عن عمليات الوحدة (المراقبة الدولية) وبصفة فورية إذا وقعت انتهاكات خطيرة للمنطقة أو تعرض السلم لتهديدات محتملة.

٦ - يلاحظ أنه بمجرد أن يخطر الأمين العام المجلس بانجاز توزيع وحدة المراقبة التابعة للأمم المتحدة ستتهى الظروف اللازمة للدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت لكي ينتهى وجودها العسكرى في العراق تمشياً مع القرار ٦٨٦ - ١٩٩١.

تدمير أسلحة الدمار

٧- يدعو العراق إلى أن يؤكد من جديد - ودون أى شرط - التزاماته المقررة بموجب بروتوكول جنيف - لحظر الاستعمال الحربى للغازات الخائقة أو السامة أو ماشبهها ولوسائل الحرب البكتريولوجية - الموقع في جنيف في ١٧ يونيو ١٩٣٥ وأن يصدق على اتفاقيات حظر استحداث انتاج وتخزين الاسلحة البكتريولوجية والبيولوجية والتكسينية وتدمير تلك الاسلحة المؤرخة في ١٠ ابريل ١٩٧٣.

٨- يقرر أن يقبل العراق دون أى شروط القيام تحت اشراف دولى بتدمير مايلى أو إزالته أو جعله عديم الضرر:

أ- جميع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وجميع مخزونات العوامل الكيميائية وجميع مايتصل بها من منظومات فرعية ومكونات وجميع مرافق البحث والتطوير والدعم والتصنيع.

ب- جميع القذائف التيارية التى يزيد مداها على ١٥٠ كيلو متراً والقطع الرئيسية المتصلة بها ومرافق اصلاحها ونتاجها.

٩- يقرر - بعد تنفيذه للفقرة ٨ أعلاه - مايلى:-

أ- يقدم العراق إلى الأمين العام في غضون خمسة عشر يوماً - من اعتماد هذا القرار - بيانات بمواقع وكميات وأنواع جميع المواد المحددة في الفقرة (٨) على النحو المجدد أدناه.

ب- يقوم الأمين العام بالتشاور مع الحكومات المناسبة وعند الاقتضاء مع المدير العام لمنظمة الصحة العالمية وفي غضون ٤٥ يوماً من صدور هذا القرار، بوضع خطة وتقديمها إلى المجلس للموافقة عليها، تدعو إلى إنجاز الأعمال التالية في غضون ٤٥ يوماً من هذه الموافقة.

أولاً: تشكيل لجنة خاصة تقوم على الفور بأعمال تفتيش في الموقع على قدرات العراق البيولوجية والكيميائية استناداً إلى تصريحات العراق وماتعينه اللجنة الخاصة نفسها من المواقع الاضافية.

ثانياً: يتخلى العراق للجنة الخاصة عن حيازة جميع المواد المحددة بموجب الفقرة أعلاه وذلك لتدميرها أو ازالتها أو جعلها عديمة الضرر.. مع مراعاة مقتضيات السلامة العامة.. وقيام العراق - بإشراف اللجنة الخاصة- بتدمير جميع قدراته المتعلقة بالقذائف بما في ذلك منصات إطلاقها بموجب الفقرة ٨ ب أعلاه.

ثالثاً. قيام اللجنة الخاصة بتقديم المساعدة إلى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية والتعاون معه على النحو المطلوب في الفقرتين ١٢، ١٣ أدناه.

١٠ - يقرر أن يتعهد العراق تعهداً غير مشروط بعدم استعمال أو استحداث أو حيازة أى من المواد المحددة في الفقرتين ٨، ٩ أعلاه. ويطلب إلى الأمين العام أن يقوم بالتشاور مع اللجنة الخاصة بإعداد خطة لرصد امتثال العراق لهذه الفقرة والتحقق منه بشكل مستمر في المستقبل على أن يقدمها إلى المجلس للموافقة عليها في غضون ١٢٠ يوماً من صدور القرار.

١١ - يدعو العراق إلى أن يؤكد من جديد دون أى شروط التزاماته المقررة بموجب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية المؤرخ في ١ يوليو ١٩٦٨.

١٢ - يقرر أن يوافق العراق دون أى شرط على عدم حيازة أو إنتاج أسلحة نووية أو مواد يمكن استعمالها للأسلحة النووية أو أى منظومات فرعية أو مكونات أو أى مرافق بحث أو تطوير أو دعم أو تصنيع تتصل بما ذكر أعلاه. وأن يقدم إلى الأمين العام من

المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية- في غضون ١٥ يوما من اعتماد هذا القرار- اعلانا بمواقع وكميات وأنواع جميع المواد المحددة أعلاه وليضع جميع ماله من مواد يمكن استعمالها في الأسلحة النووية للرقابة الحصرية للوكالة الدولية للطاقة الذرية لكي تحتفظ بها لديها وتزيلها، وذلك بمساعدة اللجنة الخاصة، وتفاوضها حسبما تنص عليه خطة الأمين العام التي نوقشت في الفقرة ٩ ب أعلاه.. وأن يقبل وفقا للترتيبات المنصوص عليها في الفقرة ١٣ أدناه بتفتيش عاجل في الموقع وتدميره جميع المواد المحددة أعلاه من أجل رصد امتثاله لهذه التعهدات، والتحقق منه بشكل مستمر مستقبلا.

١٣ - يطلب إلى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية أن يجري فوراً- عن طريق الأمين العام وبمساعدة وتعاون اللجنة الخاصة، كما جاء في خذ الأمين العام في الفقرة ب أعلاه - تفتيشاً في الموقع على القدرات النووية للعراق استناداً إلى تصريحات العراق وأى مواقع اضافية تعينها اللجنة الخاصة، وأن يضع خطة لتقديمها إلى مجلس الأمن في غضون ٤٥ يوما، تدعو إلى تدمير جميع المواد المدرجة في الفقرة ١٢ أعلاه أو ازالته أو جعلها عديمة الضرر حسب الاقتضاء وأن ينفذ الخطة في غضون يوما من تاريخ موافقة مجلس الأمن عليها، وأن يضع خطة تراعى فيها. حقوق العراق والتزاماته المقررة بموجب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية والمؤرخة في ١ يوليو ١٩٦٨ لرصد امتثال العراق لاحكام الفقرة ١٢ أعلاه والتحقق منه باستمرار في المستقبل بما في ذلك القيام بحصر جميع المواد النووية الموجودة في العراق على أن تقوم الوكالة بالتحقيق وبعمليات تفتيش للتأكد من أن ضمانات الوكالة تشكل جميع الأنشطة النووية ذات الصلة في العراق لتقديمها للمجلس لاعتمادها في غضون ١٢٠ يوما من تاريخ مجلس الامن لحظة التصويت بالموافقة على القرار.

الفقرات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ من هذا القرار تمثل خطوات نحو هدف انشاء منطقة في الشرق الأوسط خالية من أسلحة التدمير الشامل وجميع قذائف ووسائل إطلاقها وبهدف فرض حظر عالمي على الأسلحة الكيميائية.

رد المسروقات:

١٥ - يطلب إلى الأمين العام أن يقدم إلى مجلس الأمن تقريراً عن الخطوات المتخذة لتيسير عودة جميع الممتلكات الكويتية التي استولى عليها العراق بما في ذلك وضع قائمة بأى ممتلكات تدعى الكويت عدم أعادتها أو عدم أعادتها سليمة.

التعويضات والديون:

١٦ - يؤكد من جديد أن العراق - دون المساس بديون والتزامات العراق الناشئة قبل أغسطس ١٩٩٠، والتي سيجرى تناولها عن طريق الآليات العادية - مسئول بمقتضى القانون الدولي عن أى خسارة مباشرة أو ضرر مباشر، بما في ذلك الضرر اللاحق بالبنية الاقتصادية واستنفاد الموارد الطبيعية أو أى ضرر وقع على الحكومات الأجنبية أو رعاياها أو شركاتها نتيجة لغزو العراق واحتلاله غير المشروعين للكويت.

١٧ - يقرر أن ما أدلى به العراق من تصريحات منذ ٢ أغسطس ١٩٩٠ بشأن إلغاء ديونه الأجنبية باطل ولاغ ويطالب بأن يتقيد العراق تقيداً صارماً بجميع التزاماته بشأن خدمة و سداد ديونه الأجنبية.

١٨ - يقرر إنشاء صندوق لدفع التعويضات المتعلقة بالمطالبات التي تدخل في نطاق الفقرة ١٩ أعلاه وإنشاء لجنة لإدارة الصندوق.

١٩ - يوعز إلى الأمين العام بأن يضع ويقدم إلى المجلس في غضون مدة لا تتجاوز الصندوق من الوفاء بمطلب دفع التعويضات التي يثبت استحقاقها وفقاً لأحكام الفقرة ١٨ أعلاه ومن أجل برنامج لتنفيذ القرارات الواردة في الفقرات ١٦، ١٧، ١٨ أعلاه بما في ذلك إدارة الصندوق وآليات تحديد المستوى المناسب لمساهمة العراق في الصندوق، بحيث لا تتجاوز رقماً يقترحه الأمين العام. على المجلس أن يأخذ في الاعتبار احتياجات شعب العراق وبصفة خاصة الاحتياجات الانسانية وقدرة العراق على الدفع، كما تقدر بالاقتران مع المؤسسات المالية الدولية مع مراعاة خدمة الدين الخارجى واحتياجات الاقتصاد العراقى واتخاذ ترتيبات لكافة أداء المدفوعات للصندوق والعملية التي

ستخصص الأموال وتدفع المطالبات بموجبها والاجراءات المناسبة لتقييم الخسائر وتقديم المطالبات والتحقق من صحتها وحل المطالبات المتنازع عليها فيما يتعلق بمسئولية العراق، كما هو منصوص عليه في الفقرة ١٦ أعلاه وتكوين اللجنة المشار إليها أعلاه.

الحصار الاقتصادي:

٢٠ - يقرر مع السريان الفوري ألا ينطبق حظر بيع أو توريد سلع أساسية أو منتجات غير الأدوية والامدادات الصحية للعراق وحظر المعاملات المالية المتصلة بذلك، والواردة في الفقرة ٦٦١ - ١٩٩٠ على المواد الغذائية التي تخطر بها اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١ - ١٩٩٠ وبموافقة تلك اللجنة بموجب اجراء عدم الاعتراض المبسط والمعدل على المواد والامدادات اللازمة لتلبية احتياجات مدنية أساسية، كما تحدد في تقرير الأمين العام المؤرخ في ٣٠ مارس ١٩٩١ وفي أية استنتاجات أخرى عن وجود حاجة انسانية تتوصل إليه اللجنة.

٢١ - يقرر أن يستعرض المجلس أحكام الفقرة ٢٠ أعلاه كل ستين يوماً في ضوء سياسات وممارسات حكومة العراق، بما في ذلك تنفيذ جميع قرارات مجلس الأمن ذات الصلة وذلك لغرض تحديد ما إذا كان يخفض أو يرفع الحظر المشار إليه فيه.

٢٢ - يقرر بعد أن يوافق مجلس الأمن على البرنامج الذي تدعو إليه الفقرة ١٩ أعلاه وبعد أن يوافق المجلس على أن العراق أنجز جميع الاجراءات المتوخاه في الفقرات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ أعلاه أن تصبح مقررات حظر استيراد السلع الأساسية والمنتجات التي يكون مصدرها العراق وحظر التعاملات المالية المتعلقة به الواردة في القرار ٦٦١ - ١٩٩٠ غير ذات مفعول أو أثر بعد الآن.

٢٣ - يقرر ريثما يتخذ المجلس اجراء بموجب الفقرة ٢٢ أعلاه أن تخول اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١ - ١٩٩٠ بالموافقة عندما يطلب التأكد من وجود مواد مالية كافية لدى العراق للاضطلاع بالأنشطة بموجب الفقرة ٢٠ أعلاه على استثناء لحظر

استيراد السلع الأساسية والمنتجات والتي يكون مصدرها العراق.

٢٤ - يقرر وفقاً للقرار ٦٦١ - ١٩٩٠ والقرارات ذات الصلة التبادلية له وإلى أن يتخذ المجلس قراراً آخر أن تواصل جميع الدول الحيلولة دون قيام رعاياها ببيع أو توريد مايل إلى العراق، أو ترويج أو تيسير هذا البيع أو التوريد أو اتمامه من أراضيها أو استخدام السفن أو الطائرات التي ترفع علمها لهذا الغرض.

أ - الأسلحة والأعتدة ذات الصلة بجميع أنواعها بما في ذلك على وجه التحديد البيع أو النقل عن طريق وسائل أخرى لجميع أشكال المعدات العسكرية وقطع الغيار والمكونات ووسائل انتاجها لهذه المعدات.

ب - المواد المحددة والمعرفة في الفقرة ٥٨ والفقرة ١٢ أعلاه غير المشمولة بخلاف ذلك أعلاه.

ج - التكنولوجيا. بموجب ترتيبات ترخيص أو غيرها من ترتيبات النقل المستخدمة في انتاج أو استخدام أو تخزين المواد المحددة في الفقرتين الفرعيتين أ، ب أعلاه.

د - الأفراد أو المواد للتدريب أو خدمات الدعم التقنى المتصلة بتصميم أو تطوير أو تصنيع أو استخدام أو صيانة أو دعم المواد المحددة في الفقرتين الفرعيتين أ، ب أعلاه.

٢٥ - يطلب إلى جميع الدول والمنظمات الدولية أن تلتزم التزاماً بالفقرة ٢٤ أعلاه بغض النظر عن وجود أية عقود أو اتفاقات أو تراخيص أو أية ترتيبات أخرى.

٢٦ - يطلب إلى الأمين العام أن يضع في غضون ٦٠ يوماً بالتشاور مع الحكومات المناسبة مبادئ توجيهية كى يوافق عليها المجلس لتيسير التنفيذ الدولى التام للفقرتين ٢٤، ٢٥ أعلاه والفقرة ٢٧ أدناه واتاحتها لجميع الدول ووضع اجراء لتحديث هذه المبادئ التوجيهية دورياً.

٢٧ - يطلب إلى جميع الدول أن تواصل فرض مايلزم من الضوابط والاجراءات الوطنية واتخاذ مايلزم من الاجراءات الأخرى التى تنسق مع المبادئ التوجيهية التى

سيضعها مجلس الأمن بموجب الفقرة ٢٦ أعلاه، وذلك لكفالة الامتثال لأحكام الفقرة ٢٤ أعلاه ويطلب إلى المنظمات الدولية أن تتخذ جميع الخطوات المناسبة للمساعدة في كفالة الامتثال التام لهذا.

٢٨- يوافق على استعراض مقرراته الواردة في الفقرة والفقرات ٢٢، ٢٤، ٢٥ أعلاه باستثناء الموارد المحددة والمعروفة في الفقرتين ٢، ١٢ أعلاه على أساس منتظم وعلى أية حال بعد مرور ١٢٠ يوماً على صدور هذا القرار مع مراعاة امتثال العراق لهذا القرار والتقدم العام المحرز نحو تحديد الأسلحة في المنطقة.

٢٩- يقرر أن تتخذ جميع الدول- بما فيها العراق- التدابير اللازمة لكفالة ألا تقدم أية مطالب بناءً على طلب حكومة العراق أو أى شخص أو هيئة في العراق أو أى شخص يقدم مطالبة عن طريق أو لصالح أى شخص أو هيئة من هذا القبيل فيما يتصل بأى عقد أو تعامل آخر تأثر أداؤه بسبب التدابير التي اتخذها مجلس الأمن في القرار ٦٦١-١٩٩٠ والقرارات المتصلة به.

الإفراج عن الأسرى:

٣٠- يقرر من أجل تعزيز التزامه بتيسير إعادة جميع الرعايا الكويتيين ورعايا البلدان الأخرى إلى الوطن أن يقدم العراق كل مايلزم من تعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وذلك بتقديم قوائم بأسماء هؤلاء الأشخاص حيثما يوجدون أو يكونون محتجزين وتيسير بحث اللجنة الدولية للصليب عن الرعايا الكويتيين ورعايا البلدان الأخرى الذين مازالت مصائرهم مجهولة.

٣١- تدعو اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى إبقاء الأمين العام على علم حسب الاقتضاء بجميع الأنشطة التي تضطلع بها فيما يتصل بتيسير العودة إلى الوطن أو العودة لجميع الرعايا الكويتيين ورعايا البلدان الأخرى أو رفاتهم الموجودين في العراق في ٢ أغسطس ١٩٩٠ أو بعده.

وقف الارهاب:

٣٢- يتطلب من العراق أن يبلغ المجلس بأنه لن يرتكب أو يدعم أى عمل من أعمال

الارهاب الدولي أو يسمح لأي منطقة موجهة نحو ارتكاب هذه الأعمال بالعمل داخل أراضيها وأن يدين بلا لبس جميع أعمال وأساليب وممارسات الارهاب وينبذها.

أخطار رسمي بالقبول شرط لوقف النار:

٢٣ - يعلن أنه بعد تقديم العراق إخطاراً رسمياً إلى الأمين العام وإلى مجلس الأمن بقبوله الأحكام الواردة أعلاه، يسرى وقف رسمي لاطلاق النار بين العراق والكويت والدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت وفقاً للقرار ٦٧٨ - ١٩٩٠.

٢٤ - يقرر أن تبقى المسألة قيد النظر وأن يتخذ ماقد يلزم من خطوات أخرى لتنفيذ هذا القرار وضمان السلم والأمن في المنطقة.

وثيقة رقم (٢) نص إعلان وزراء خارجية

المجموعة الأوروبية بشأن أزمة الخليج في

لوكسمبرج في ١٩/٢/١٩٩١

أولت دول المجموعة الأوروبية اهتماماً بالغاً لنداء الرئيس جورباتشوف للسلطات العراقية، واستقبلت بارتياح نداءه الخاص بالانسحاب الكامل والغير مشروط للقوات العراقية من الكويت وإعادة السيادة والحكومة الشرعية لهذا البلد. طبقاً لقرارات مجلس الأمن الخاصة بالنزاع العراقي الكويتي. والمجموعة تجدد نداءها للحكومة العراقية، لتطبيق قرارات مجلس الأمن دون قيد أو شرط وذلك لوضع نهاية لهذه الحرب، وحتى تجنب شعبي العراق والكويت المعاناة والعذاب.

كما تؤكد دول المجموعة التزامها، عقب عودة الشرعية الدولية للكويت، بالاسهام في إرساء دعائم الأمن والاستقرار والتنمية لجميع دول المنطقة في إطار مناسب مع الأخذ في الاعتبار ضرورة إيجاد حل شامل ومرن تدريجي لجميع قضايا المنطقة

وفي هذا الصدد، فإن دول المجموعة تؤكد وقوفها بجانب سيادة ووحدة واستقلال

وسلامة أراضي جميع دول المنطقة. وستواصل دول المجموعة مشاوراتها مع الولايات المتحدة ومع الدول المعنية الأخرى وخاصة الاتحاد السوفيتي. وتلتزم المجموعة الأوروبية أنه يجب على دول المنطقة التوصل إلى اتفاق يضمن وضع آليات خاصة بأمن دول المنطقة في المستقبل على المستوى الفردي والجماعي. وستكون دول المجموعة مواثمة لها. وفي هذا الصدد، فإن دول المجموعة تهنيء نفسها، على اتفاق وزراء خارجية مصر وسوريا ومجلس التعاون الخليجي على اطار تعاون مستقبلي مشترك. كان ذلك عقب اجتماعهم يومى ١٥، ١٦ / ٢ / ١٩٩١ وسوف تشرع المجموعة في اجراء الاتصالات اللازمة مع هذه الدول.

كما ستقوم اللجنة الثلاثية الاوربية (الترويكا) بعقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجية مع اسرائيل في المستقبل القريب. وهناك دول أخرى وخاصة ايران تستطيع أن تلعب دورا هاما فيما يختص بالاستقرار المستقبلي للمنطقة كما تعقد دول المجموعة الاوربية أهمية خاصة على التعاون والحوار السياسى مع دول اتحاد المغرب العربى وسوف تشجع المجموعة الاوربية اقامة حوار هام وبناء على المستوى السياسى في وقت قريب وستقوم دول المجموعة بالاتصالات اللازمة بهذا الشأن.

وتعتبر دول المجموعة الاوربية أن النزاع العربى الاسرائيلى والمشكلة الفلسطينية هما أساس عدم الاستقرار في المنطقة.

كما ترى أنه يجب على المجتمع الدولى تنشيط جهوده للتوصل السريع لحل شامل وعادل ودائم وترى دول المجموعة أن تنظيم مؤتمر دولى في وقت مناسب، سيعطى اطارا جيدا للمفاوضات وسوف يحتاج مثل هذا المؤتمر الى اعداد جيد. وستشجع دول المجموعة للبحث عن حل سلمى من خلال عقد حوار مع جميع الاطراف المعنية.

وتعرب دول المجموعة - فيما يختص بالوضع في لبنان - عن مساندتها للعمل باتفاقية الطائف كوسيلة لتحقيق المصالحة الوطنية داخل لبنان لكى تصبح بلدا حرا مستقلا من أى تدخل أجنبى. وتؤيد دول المجموعة وجهات النظر التى أبداها اجتماع

القاهرة بشأن أن يبذل العرب جهودهم من أجل تحقيق حركة تنمية اقتصادية واجتماعية كبيرة، تقوم على احترام مبدأ السيادة الدولية للموارد الاقتصادية. ودول المجموعة تشارك في هذه الرؤية، وتعلن عن استعدادها في إطار احترام السيادة الدولية للموارد الاقتصادية- للتعاون مع دول المنطقة. وهي تولي أهمية أولى وفورية لبدء العمل في سياستها الجديدة الخاصة بمنطقة البحر المتوسط في أقرب وقت ممكن، كذلك العمل على توزيع سريع لمساعداتها على الدول الثلاث الى تأثرت اقتصاديا نتيجة لحرب الخليج.

وتدرك دول المجموعة أن من الضروري إيجاد حل شامل- قريبا- لجميع مشاكل دول البحر المتوسط، والشرق الأوسط ومنطقة الخليج، كما تعرب عن استعدادها لبحث الطرق المختلفة لإيجاد تسوية تقوم على إرساء عدد من القواعد والمبادئ في مجالات الأمن والتعاون الاقتصادي واحترام حقوق الانسان والتبادل الثقافي.

وثيقة رقم (٣) - نص بيان دول المجموعة

الأوروبية حول حرب الخليج صدر في كل من

لوكسمبورج وبروكسل في ١٩٩١/٢/٢٤

تعرب دول المجموعة الأوروبية عن أسفها الشديد لعدم قبول العراق نداء قوات التحالف الدولي بالانسحاب الفوري والغير مشروط من الكويت واحترام قرارات مجلس الأمن.

كما تعلن وقوفها بجانب قوات التحالف في هذه الساعات الحرجة.

كما تعرب دول المجموعة عن أملها في أن يتم تحرير الكويت سريعا وبأقل عدد ممكن من الخسائر في الأرواح في كلا الجانبين.

وثيقة رقم (٤) بيان المجموعة الأوروبية بمناسبة

انتهاء العمليات العسكرية في ١٩٩١/٣/٥

تهنىء دول المجموعة الأوروبية نفسها على وقف العمليات العسكرية في الخليج. كما تعرب دول المجموعة عن سعادتها، لاستعادة الشعب الكويتي لحريته وعودة الشرعية الدولية للكويت.

كما تعرب عن عرفانها لجميع الدول التي جندت قواتها لتحقيق الاحترام لقرارات مجلس الأمن الاثنى عشر وتأمل في موافقة الحكومة العراقية على الشروط المسبقة الى وضعتها قوات التحالف.

كما تشير دول المجموعة الى أن على مجلس الأمن من الآن إعلان الترتيبات اللازمة لوضع نهاية للنزاع في الخليج.

وتكرر دول المجموعة - كما سبق وكررت يوم نشوب الحرب - تعهداتها بضمان مستقبل يرفرف عليه السلام والاستقرار والتنمية في إطار من العدالة الاجتماعية والتضامن الاقتصادي الاقليمي لجميع شعوب المنطقة، كذلك في إطار من الكرامة والأمن.

وثيقة رقم (٥) إعلان دمشق للتنسيق والتعاون بين

الدول العربية في ١٩٩١/٣/٦

نص إعلان دمشق للتنسيق والتعاون بين الدول العربية.

وفيما يلي نص الإعلان:-

ان الدول العربية الأعضاء في مجلس التعاون لدول الخليج العربي وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية المشاركة في اجتماع دمشق يومى ٢٠ / ١٩ شعبان ١٤١١ هجرية الموافق ٦ / ٥ آذار (مارس) ١٩٩١ م انطلاقاً من مشاعر الاخوة

والتضامن التي تربط بينها والتي كفلها تراث عريق من التساند والتكاتف والنضال المشترك والاحساس العميق بوحدة الامال والتحديات وتطابق الغايات ووحدة المصير. وتعزيزا لقدرتها على الاضطلاع بمسئولياتها القومية في إعلاء شأن الامة العربية وخدمة قضاياها وصيانة أمنها وتحقيق مصالحها المشتركة.

وادركا للتحويلات العميقة الجارية على المسرح الدولي والتي طرحت أمام الامة العربية تحديات جسيمة تتطلب لمواجهةها أعلى درجات التنسيق والتعاون بين الدول العربية. واذ تؤكد من جديد موقفها الرافض للنهج العدواني والانحياز له كالذى حصل خلال العدوان واحتلال قوات النظام العراقي لدولة الكويت، ذلك الفعل الذى جاء خروجاً سافراً على كل ما استقر من قواعد وأعراف دولية وعربية واسلامية واطاح بكثير من مفاهيم ومنجزات العمل العربى المشترك في وقت مضى، إلى جمع شملها وحشد طاقاتها لرد العديد من المخاطر التي لم يسبق لها مثيل..

كما تعلن ترحيبها بتحرير دولة الكويت وعودة الشرعية اليها وتعبر عن ألمها العميق وبالغ حزنها لما تعرض له الشعب الكويتى الشقيق من جراء عدوان النظام العراقى عليه. كما تعبر عن أسفها الشديد لما يتعرض له الشعب العراقى من أبشع صور المعاناة نتيجة عدم اكتراث القيادة العراقية بمصالحه وتؤكد في هذا الصدد وقوفها إلى جانب الشعب العراقى في محنته وحرصها الكامل على وحدة الاراضى العراقية وسلامتها الاقليمية.

تؤكد الاطراف المشاركة عزمها على السعى لإعطاء روح جديدة للعمل العربى المشترك وإرساء التعاون الأخوى بين أعضاء الأسرة العربية على قواعد صلبة ترتكز على المبادئ التالية:-

أولاً: مبادئ التنسيق والتعاون

يقوم التنسيق والتعاون على الأسس التالية:

١- العمل بموجب ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة والمواثيق

العربية والدولية الاخرى واحترام وتعزيز الروابط التاريخية والأخوية وعلاقات حسن الجوار والالتزام باحترام وحدة الاراضى والسلامة الاقليمية والمساواة في السيادة وعدم جواز الاستيلاء على الاراضى بالقوة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والالتزام بتسوية المنازعات بالطرق السلمية.

٢- العمل على بناء نظام عربى جديد من أجل تعزيز العمل العربى المشترك واعتبار الترتيبات التى يتم الاتفاق عليها بين الاطراف المشاركة بمثابة الاساس الذى يمكن البناء عليه من أجل تحقيق ذلك وترك المجال مفتوحا أمام الدول العربية الاخرى للمشاركة فى هذا الاعلان فى ضوء اتفاق المصالح والأهداف.

٣- العمل على تمكين الامة العربية من توجيه كافة امكاناتها لمواجهة التحديات التى يتعرض لها الاستقرار والامن فى المنطقة ولتحقيق حل عادل وشامل للنزاع العربى الاسرائيلى وقضية فلسطين على أساس ميثاق الامم المتحدة وقراراتها ذات الصلة.

٤- تعزيز التعاون الاقتصادى بين الاطراف المشاركة وصولا الى تجمع اقتصادى فيما بينها بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٥- احترام مبدأ سيادة كل دولة عربية على مواردها الطبيعية والاقتصادية.

ثانيا: أهداف التنسيق والتعاون:

١- فى المجالين السياسى والأمنى:

(أ) تعتبر الأطراف المشاركة أن المرحلة الحالية التى أعقبت تحرير الكويت من احتلال قوات النظام العراقى توفر أفضل الظروف لمواجهة التحديات والتهديدات الأخرى التى تتعرض لها المنطقة، وفى مقدمتها التحديات الناجمة عن استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية وتوطين اليهود فيها. وتعتقد الاطراف المشاركة بأن عقد مؤتمر دولى للسلام تحت رعاية الامم المتحدة هو إطار مناسب لانهاء الاحتلال الإسرائيلى للاراضى العربية وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى على أساس قرارات الامم المتحدة ذات الصلة.

(ب) تؤكد الاطراف المشاركة احترامها لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية والتزامها بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية

وعزمها على العدل المشترك لضمان أمن وسلامة الدول العربية، وأذ تشير على وجه الخصوص الى المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية، تعتبر وجود القوات المصرية والسورية على أرض المملكة العربية السعودية ودول عربية أخرى في منطقة الخليج- تلبية لرغبة حكوماتها بهدف الدفاع عن أراضيها - يمثل نواة لقوة سلام عربية تعد لضمان أمن وسلامة الدول العربية في منطقة الخليج ونموذجاً يحقق ضمان وفعالية النظام الامنى العربى، الدفاعى الشامل.

كما تؤكد الاطراف المشاركة على أن التنسيق والتعاون بينها لن يكون موجهاً ضد أى طرف بل يمكن أن يكون مقدمة لفتح حوار مع الاطراف الاسلامية والدولية التى تحترم المصالح العليا للامة العربية وتلتزم بمبادئ الشرعية الدولية المستقرة، خاصة ما يتعلق منها باحترام سيادة الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وتسوية المنازعات بالطرق السلمية.

(ج) تسعى الأطراف المشاركة إلى جعل الشرق الأوسط منطقة خالية من جميع اسلحة الدمار الشامل خاصة الأسلحة النووية وتعمل على تحقيق ذلك من خلال الاجهزة الدولية المعنية.

٢- في المجال الاقتصادى والثقافى:

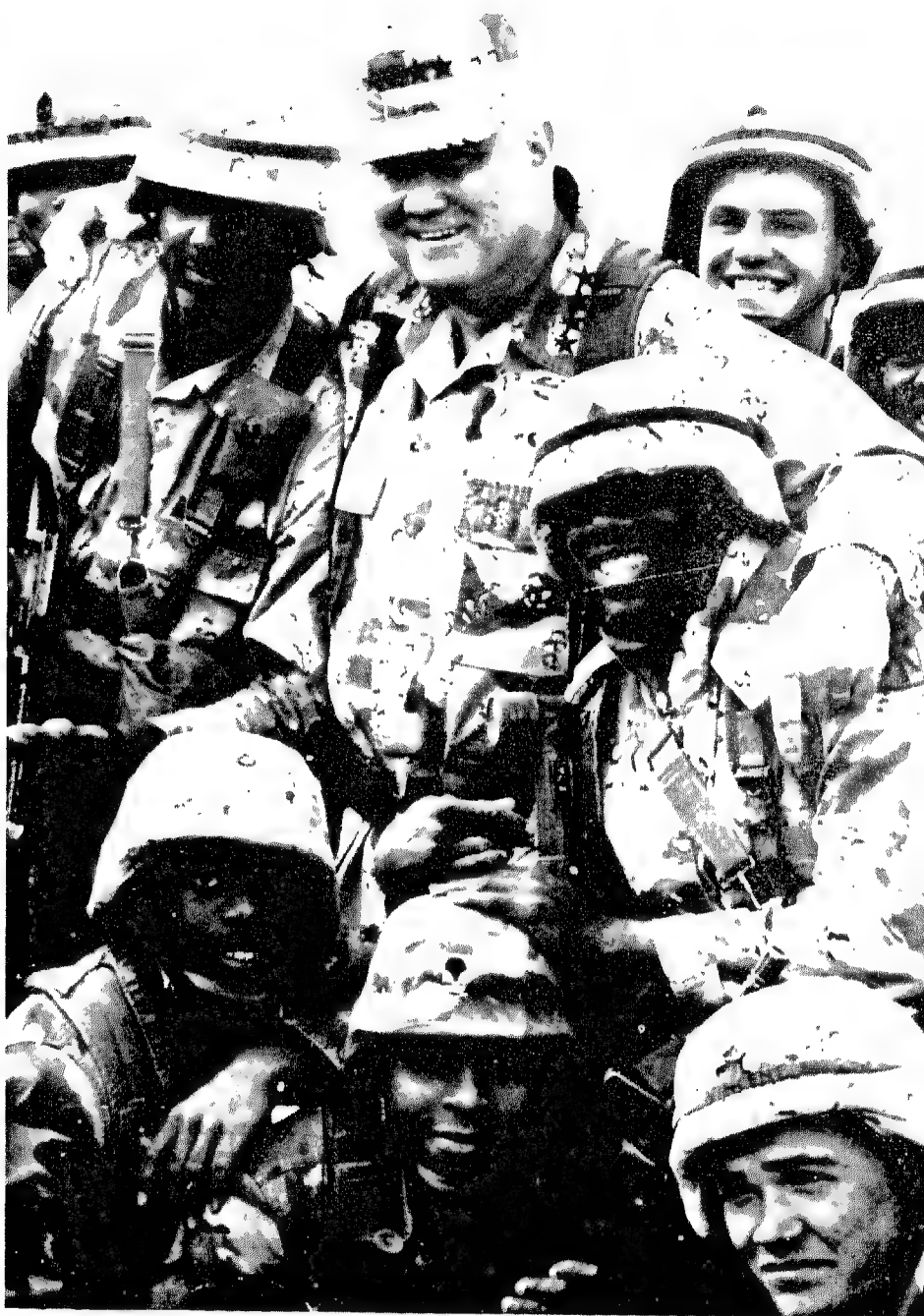
انسجاماً مع ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية وغيرها من اتفاقيات العمل العربى المشترك تسعى الاطراف المشاركة الى:

(أ) تعزيز قواعد التعاون الاقتصادى فيما بين الاطراف المؤسسة كخطوة أولى يمكن البناء عليها مع دول عربية اخرى بغية توسيع مجالات التعاون ونطاقه.

قائمة الصور المرفقة

- (١) في القاعدة الجوية في الرياض عام ١٩٩١ عام حرب الخليج.
- (٢) القوات الجوية في الظهران بالسعودية.
- (٣) مدن المخيمات.
- (٤) امتلاء القواعد الجوية بالطائرات.
- (٥) تفقد شوار تزكوف للقوات المدرعة في سبتمبر ١٩٩٠.
- (٦) بوش في زيارة للسعودية.
- (٧) الفيلات التي سكنها الجنود الامريكان وكانت مخصصة للبدو.
- (٨) رئيس أركان حرب القوات المسلحة بالامارات يستقبل وزير الدفاع الفرنسى.
- (٩) شوار تزكوف مع رئيس أركان الامارات (الشيخ محمد بن زايد آل نهيان).
- (١٠) قادة التحالف الدولى مع أمراء آل سعود (١٠).
- (١١) الملك فهد يتفقد قوات الولايات المتحدة الامريكية.
- (١٢) ولى عهد البحرين والده كانا من أكبر المؤيدين للحرب.
- (١٣) ائتلاف القواد الدوليين.
- (١٤) قائد القوات الفرنسية.
- (١٥) الليفتانت جنرال بيتردى لابيلىار.
- (١٦) الليفتنانت جنرال «والر» من الولايات المتحدة، والميجور جنرال حبيب (من سوريا) والميجور جنرال / الشيخ من (السعودية).
- (١٧) الليفتنانت جنرال يوسك.
- (١٨) اللواء بحرى ستان ارثر.
- (١٩) الميجور جنرال (ماكفرى).
- (٢٠) الكولونيل جيس جونسون.
- (٢١) الجنرال / هورنر - الجنرال / يوسك - الادميرال / آرثر وغيرهم.
- (٢٢) الليفتنانت جينرال تشوك هورنر - قائد سلاح الطيران الامريكى.

- (٢٣) اللفتنانن جنرال / والت بومر- قائد مشاة البحرية الامريكية.
- (٢٤) اللقاء مع العراقيين في (صفوان).
- (٢٥) شوارتزكوف وأسرتة في ابريل ١٩٩١.
- (١٦) شوارتزكوف في نيويورك بعد الحرب.
- (٢٧) بعد التخلي عن قيادة عمليات القيادة المركزية وزير الدفاع الامريكي يقلد شوارتزكوف وساماً.
- (٢٨) ملكة بريطانيا تطلع على شوارتزكوف وسام الفروسية.
- (٢٩) في يوليو ١٩٩١- بوش يمنح شوارتزكوف ميدالية حربية.
- (٣٠) طالبة الاكاديمية في (ويست يونييت) يكرمون شوارتزكوف.
- (٣١) الصورة الأخيرة «اللوب شهير» شوارتزكوف.

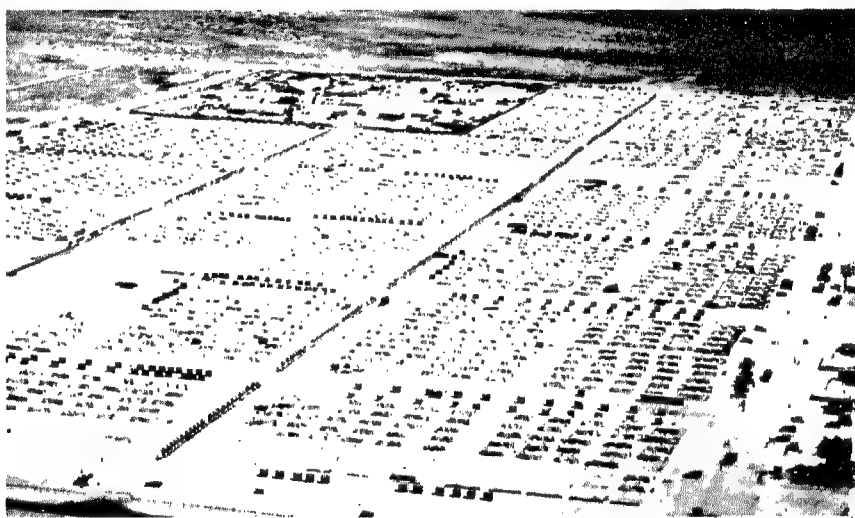


Riyadh air base, 1991, with a Patriot battery just after a Scud alert.
My visits with the troops in the gulf always raised my spirits.
(DAVID TURNLEY/DETROIT FREE PRESS)



When troops flew into Dhahran air base, they were taken into large tents, where they were sheltered from the burning sun while waiting for transportation to their units. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

Enormous tent cities were set up as initial bases for arriving Army units. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



The congestion at our air base caused me great concern. Had a single enemy aircraft broken through our air-defense screen, it could have wreaked havoc. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



In September 1990 I was relieved to see the armored elements of the 24th Mechanized Infantry Division arrive in Saudi Arabia. Colonel Paul Kern briefed me at his command post in the desert.
(© 1990 HARRY BENSON)



President Bush visited Saudi Arabia at Thanksgiving, and I was able to brief him thoroughly on upcoming operations while flying in *Air Force One* from Jidda to Dhahran.
(DAVID VALDEZ/WHITE HOUSE PRESS OFFICE)

An announcement of the Bob Hope Christmas show. In the background is Escan Village—villas originally built for Bedouin tribesmen and used to house U.S. personnel in Riyadh.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)





Sheikh Mohammed Bin Zayed al-Nahyan, deputy chief of staff of the United Arab Emirates' armed forces and third son of President Sheikh Zayed Bin Sultan al-Nahyan, was host to French minister of defense Jean-Pierre Chevènement and me at lunch in the desert.

I enjoyed many hours with my friend Sheikh Mohammed, falconing in the deserts of the UAE.





Allied commanders sat with royal princes, sheltered from the hot sun by tents, while King Fahd addressed the assembled troops on December 27, 1990.
(OFFICIAL DEPT. OF DEFENSE PHOTOGRAPH)



King Fahd reviewed United States troops from the back of a jeep on December 27, 1990. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

Lieutenant General Prince Khalid Bin Sultan al-Saud, commander of the Multinational Joint Combat Group. We worked side by side in the subbasement command center throughout the war.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

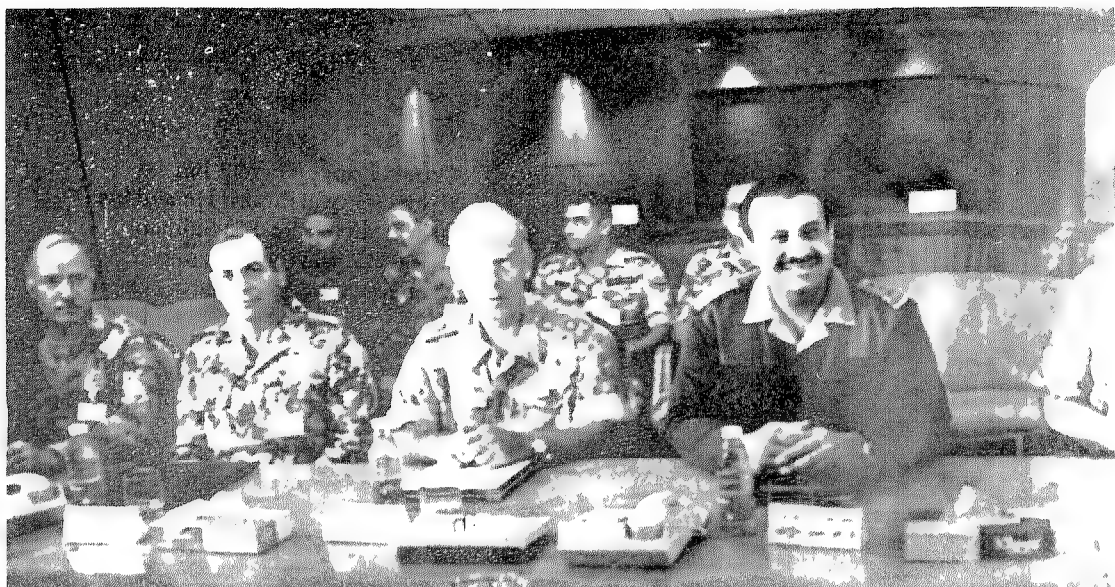




Crown Prince Hamad Bin Isa al-Khalifa of Bahrain. He and his father, Sheikh Isa Bin Sulman al-Khalifa, were among our strongest supporters during the war.

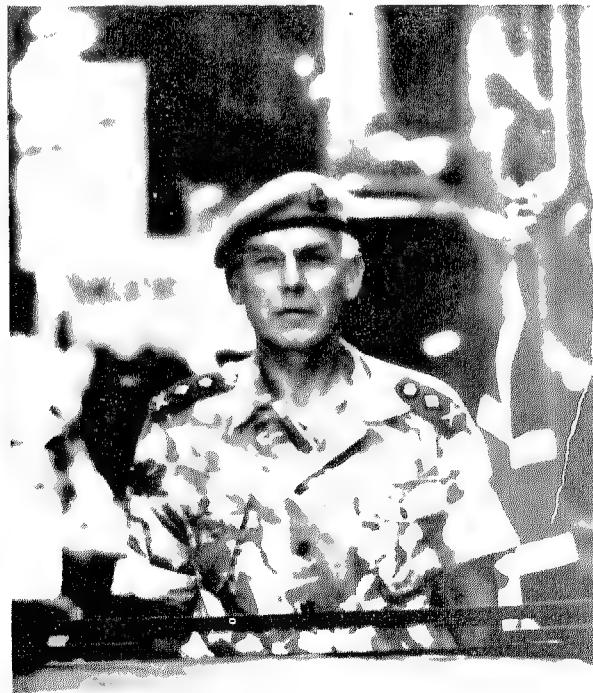
In April 1991, I was able to visit with the emir of Kuwait, Jaber al-Ahmed al-Sabah, after his return to his country.





The coalition commanders: (*seated, left to right*) Major General Modani, Saudi chief of plans; Major General Halaby, Egypt; Lieutenant General de la Billière, United Kingdom; Lieutenant General Khalid, Saudi Arabia; General Schwarzkopf, United States; Lieutenant General Roquejeoffre, France;

(*Below, left*) Lieutenant General Michel Roquejeoffre, commander of French forces and trusted friend. (E.C.P. ARMEES-FRANCE) (*Below, right*) Lieutenant General Sir Peter de la Billière. Peter was a superb soldier, advisor, confidant, and friend. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

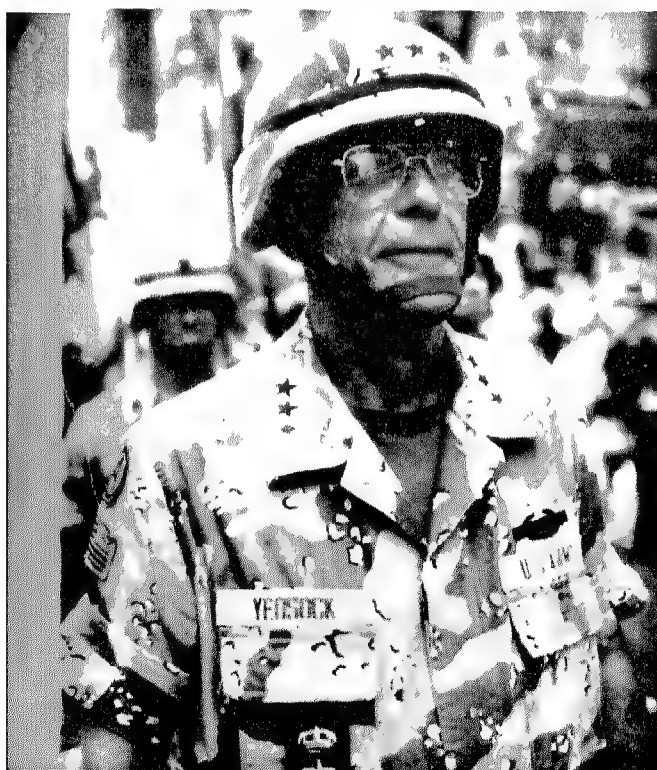




Lieutenant General Waller, deputy, United States; Major General Habib, Syria; and Major General al-Shaikh, deputy, Saudi Arabia. Behind Waller is Rear Admiral Sharp, U.S. chief of plans. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

(Below, left) Lieutenant General John Yeosock, commander of all U.S. Army forces in Desert Storm and Desert Shield. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

(Below, right) Vice Admiral Stan Arthur, commander of U.S. naval forces in the gulf. He orchestrated an airtight blockade of ports supplying Iraq, and his forces dominated the sea and air over the gulf. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)





Major General Barry McCaffrey, commander of the 24th Mechanized Infantry Division. He was the most aggressive and successful ground commander of the war.

(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

Colonel Jesse Johnson, commander of all U.S. special forces in the gulf. A great soldier and an unsung hero.

(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)



General Waller, General Powell, Defense Secretary Cheney, General Schwarzkopf, and Undersecretary of Defense Wolfowitz in the war room. In the background are (left to right) General Horner, General Yeosock, Admiral Arthur, General Boomer, Colonel Johnson, and my chief of staff, General Bob Johnston.

(OFFICIAL DEPT. OF DEFENSE PHOTOGRAPH)



Lieutenant General Chuck Horner, commander of U.S. Air Force in the gulf, was the man who planned and executed our successful air campaign.
(OFFICIAL DEPT. OF DEFENSE PHOTOGRAPH)



Lieutenant General Walt Boomer, commander of all U.S. Marines in Desert Storm and Desert Shield. He and his Marines conducted a daring attack into the toughest part of the enemy defenses.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

At Safwan I did not come to negotiate. I came to tell the Iraqis what was expected of them if we continued our cessation of offensive operations. (U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)





April 20, 1991—one of the happiest days of my life. I was reunited with my family after eight months in the gulf.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

(Opposite) It seemed as though the entire city of New York turned out to welcome us home in a ticker tape parade.
(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)





When I relinquished command of Central Command on August 9, 1991, Secretary Cheney presented me with the Defense Distinguished Service Medal, as well as the Distinguished Service Medals of the Army, Navy, Air Force, and Coast Guard.

(U.S. MILITARY PHOTOGRAPHER)

Queen Elizabeth II traveled to Tampa, Florida, to bestow on me an honorary knighthood: Knight Commander in the Military Division of the Most Honorable Order of the Bath. (JOCK FISTICK/TAMPA TRIBUNE/SIPA)



On July 3, 1991, President Bush, assisted by Mrs. Bush, awarded me the Presidential Medal of Freedom. Among my fellow recipients were Secretary Dick Cheney and General Colin Powell. (DAVID VALDEZ/WHITE HOUSE PRESS OFFICE)

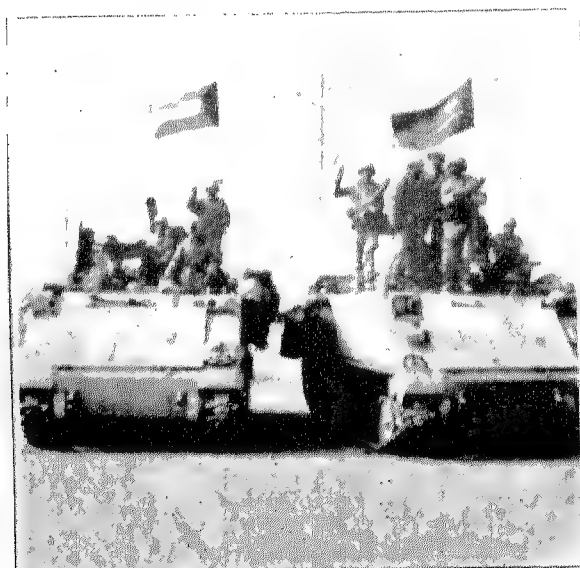
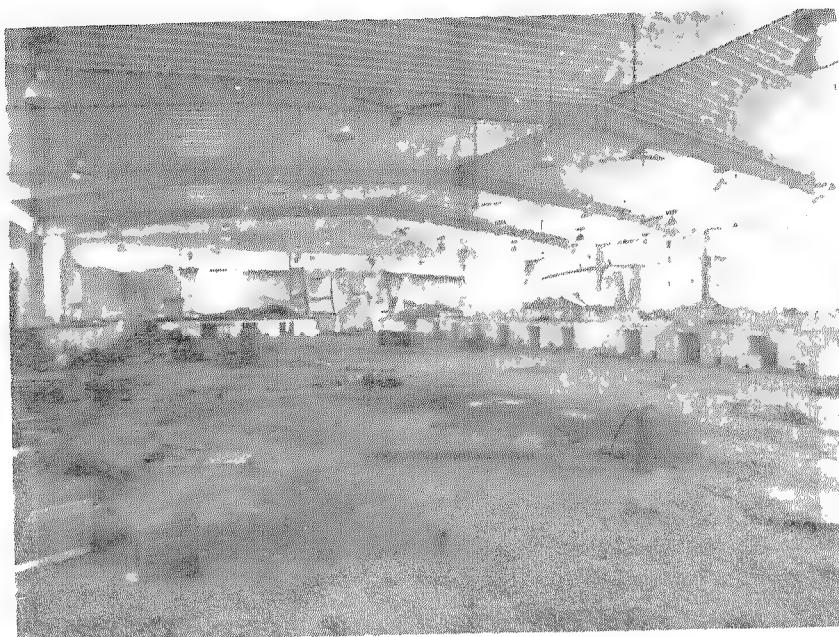
(Opposite) On May 15, 1991, I returned to West Point, where the Corps of Cadets honored me with a full dress review.

(© 1991 C. RUSSELL, ACADEMY PHOTO, WEST POINT, N.Y.)





H. Norman Schwarzkopf, General U.S. Army, Retired, and Bear
(MICHAEL A. GORENFLO)







رقم الإيداع : ١٥٠٦ / ١٩٩٣

I. S. B. N. 977 - 208 - 101 - 6

**GENERAL H. NORMAN
SCHWARZKOPF**

THE AUTOBIOGRAPHY

**IT DOESN'T
TAKE A HERO**

WRITTEN WITH
PETER PETRE

